المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

(٠٣٢)
كلية القرآن الكريم والدّراسات الإسلاميّة
قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير
العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ت١٣٨٦هـ

« من أوّل القرآن إلى آخر سورة آل عمران »

جمعا ودراسة

رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب

عبد المحسن يوسف ناصر المعيلي

إشراف فضيلة الشيخ الأستاذ الدّكتور

عبد العزيز بن صالح العبيد

حفظه الله تعالى

الأستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن

العام الجامعي ١٤٣٧ - ١٤٣٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتشتمل على ما يلي:

- ❖ الافتتاحية.
- ❖ أهمية الموضوع .
- ❖ أسباب اختياره .
- ❖ الدراسات السابقة .
- ❖ تقسيم المشروع.
- ❖ منهج البحث.

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ به من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد جعل الله سبحانه وتعالى كتابه هدىً يهدي به الناس من الظلمات إلى النور قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، وجعله فرقانا يفرق به بين الحق والباطل قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾[الفرقان:١]، فاعتنى علماء الإسلام بالقرآن عناية كبيرة، ومن صور اعتنائهم: تفسير كلام الله جل وعلا وبيانه، وإيضاح مشكله والوقوف على درره وفوائده، وهذه التفاسير منها ما هو مجموع في مؤلف خاص، ومنها ما هو مبثوث في ثنايا كتبهم، ولقد اعتنى الباحثون بجمع هذه التفاسير المبثوثة في ثنايا كتب الأئمة في رسائلهم العلمية، فجمع على سبيل المثال: تفسير الشافعي(١) والنووي(٢) وشيخ الإسلام(٣) وابن القيم(٤) ....

(١) بعنوان: (تفسير الإمام الشافعي) رسالة دكتوراه في جامعة الخرطوم للدكتور: أحمد بن مصطفى الفرّان.

(٢) بعنوان: (تفسير الإمام النووي جمعا و دراسة)، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية للأستاذ الدكتور: ملفي الصاعدي.

(٣) بعنوان: (تفسير شيخ الإسلام ابن تيمية)، جمعه: الشيخ إياد القيسي وزملاؤه، طبع في دار ابن الجوزي.

(٤) بعنوان: (بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم)، ليسري السيد محمد.

وابن رجب[١] وابن عبدالبر[٢] -رحمهم الله- وغيرهم، فأحببت أن أكون مع ركب هؤلاء الباحثين، وأشارك في جمع تفسير الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي ت ١٣٨٦هـ -رحمه الله- في ثنايا كتبه، فقد كان له جهود مباركة في التفسير وتحقيقات نفيسة فيه، مع الاعتناء بمذهب أهل السنة والجماعة في المعتقد، مما يجدر بالباحث جمعه ودراسته، لذا أحببت أن يكون موضوع رسالتي في الماجستير (**تفسير العلامة المعلمي من أول القرآن إلى آخر سورة آل عمران "جمعا ودراسة"**) وأسأل الله العظيم بمنه وفضله أن يرزقني الإخلاص والتوفيق والسداد.

---

(١) بعنوان: (تفسير ابن رجب جمعا ودراسة)، رسالة دكتوراه في الجامعة الإسلامية للدكتور: عبيد علي العبيد.

(٢) بعنوان : (جهود الحافظ ابن عبدالبر في التفسير)، جمعه: محمد الصوفي، وطبع في دار ابن حزم.

الأهمية العلمية للموضوع:

١) أنه يبحث في بيان كلام الباري جل جلاله، وكفى به شرفا.

٢) مكانة الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي -رحمه الله- في الأوساط العلمية، إذ يعتبر من كبار علماء هذا العصر، ومؤلفاته شاهدة على ذلك، وفي هذا العمل تقدير لمكانته العلمية، ووفاء بحقه.

٣) عناية العلامة المعلمي -رحمه الله- البارزة بالقرآن الكريم وعلومه، فقد وُجد في مسودات العلامة المعلمي -رحمه الله- خطة وضعها لكتاب في التفسير مع الإشارة إلى المصادر لكن لم يجد المحققون شيئا منه[1]، وله ما يقارب ثماني عشرة رسالة مفردة في التفسير، وقد جمعت علما جما وتحقيقا نفيسا قل أن تجد مثله عند غيره من العلماء، وله في ثنايا كتبه كذلك من التحقيقات النفيسة في التفسير وعلوم القرآن بما يزيد عن مؤلفاته المفردة في ذلك، مما يجدر بالباحثين العناية به.

٤) ظهور شخصية العلامة المعلمي -رحمه الله- وطول باعه في التفسير، فهو ليس ناقلا فحسب، بل هو محقق مستقرئ مستدرك على من سبقه، وقد أتى بتحقيقات ذكر هو عن نفسه أنه:(لم يطلع عليها عند أحد من العلماء قبله)، وله اختياراته وتحريراته النفيسة المؤيدة بالحجة والدليل[2].

٥) جمع العلامة المعلمي -رحمه الله- بين علم أصول الفقه وأصول الحديث -وهو الذي اشتهر به- مما مكنه من التمحيص والتحقيق في الروايات والأقوال المنقولة في التفسير، فهو يتكلم عن الروايات ويمحص أسانيدها قبل أن يستدل بها.

٦) عناية العلامة المعلمي -رحمه الله- بمعتقد أهل السنة والجماعة.

٧) عناية العلامة المعلمي -رحمه الله- بنقض بعض التفاسير المخالفة لعقيدة أهل السنة

---

(١) انظر: آثار العلامة المعلمي (٦/٧).

(٢) انظر: آثار العلامة المعلمي (٣/٢١٨-٢٠٠)، (٧/٢٩٣-٣٠٢، ٣٠٣-٣٣٢)، (١٨/٨١٨)، (١٩/٢١٤، ٢٣١-٢٣٥).

والجماعة.

٨) اهتمام العلامة المعلمي -رحمه الله- بتفسير القرآن بالقرآن، وبالسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وباللغة العربية.

أسباب اختيار الموضوع:

١. نشر جميع أو اكثر مؤلفات العلامة المعلمي -رحمه الله- العام الماضي بما سمي (آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي -رحمه الله-)، مما جعله مكانا خصبا للباحثين إذ فيه من الرسائل ما لم يطبع من قبل بل أغلب كتب العلامة المعلمي -رحمه الله- لم تطبع إلا سنة (١٤٣٤هـ).

٢. إبراز جهود العلامة المعلمي -رحمه الله- في تفسير القرآن الكريم فلم أجد حسب علمي من قام بهذا العمل.

٣. توفر مادة علمية كبيرة للعلامة المعلمي -رحمه الله- في ثنايا كتبه، فقد جمعت في الفاتحة والبقرة وآل عمران ما يقارب مائة وخمسين مسألة في التفسير.

٤. استحسان المختصين من مشايخي وأساتذتي وزملائي هذا الموضوع وحثي على الكتابة فيه.

الدراسات السابقة:

من خلال سؤال المهتمين من أهل الاختصاص، والنظر في مراكز البحث، ودور النشر، وشبكة المعلومات، تبين لي أنه لم يبحث هذا الموضوع من قبل، ولعل ذلك أن غالب كتب الشيخ عبدالرحمن المعلمي -رحمه الله- لم تخرج إلا سنة ١٤٣٤هـ.

تقسيم المشروع:

تتكون خطة البحث من: مقدمة وقسمين وخاتمة وفهارس

المقدمة وتتضمن: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وخطة البحث، وبيان منهج كتابته.

القسم الأول: العلامة المعلمي ومنهجه في التفسير ومصادره، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: ترجمة موجزة للعلامة المعلمي وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.

المبحث الثاني: ولادته، ونشأته، ووفاته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم.

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: معتقده ومذهبه الفقهي.

المبحث السابع: مؤلفاته.

الفصل الثاني: منهج العلامة المعلمي في تفسيره، وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المبحث الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع: تفسيره القرآن باللغة العربية.

المبحث الخامس: تفسيره لآيات الأحكام.

المبحث السادس: منهجه في عرض بعض علوم القرآن المتعلقة بالتفسير.

المبحث السابع: منهجه في عرض الأقوال التفسيرية.

المبحث الثامن: منهجه في الترجيح بين الأقوال التفسيرية.

المبحث التاسع: منهجه في النقل من المصادر التفسيرية.

المبحث العاشر: منهجه في الرد على المخالف في التفسير.

المبحث الحادي عشر: منهجه في التعامل مع الروايات والآثار المنقولة في التفسير.

الفصل الثالث: مصادر العلامة المعلمي في التفسير، وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة.

المبحث الثالث: مصادره من كتب العقيدة.

المبحث الرابع: مصادره من كتب الفقه وأصوله.

المبحث الخامس: مصادره من كتب اللغة والنحو.

المبحث السادس: مصادره من كتب السيرة.

المبحث السابع: مصادره من فنون أخرى.

القسم الثاني: تفسير العلامة المعلمي رحمه الله من سورة الفاتحة إلى نهاية سورة آل عمران جمعا ودراسة.

الفهارس: وتشمل الفهارس التالية:

١. فهرس الآيات القرآنية.

٢. فهرس الآيات المفسرة.

٣. فهرس الأحاديث النبوية.

٤. فهرس الآثار.

٥. فهرس الأعلام المترجم لهم.

٦. فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.

٧. فهرس الأبيات الشعرية.

٨. فهرس الفرق.

٩. فهرس المراجع والمصادر.

١٠. فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

ينقسم منهج البحث إلى قسمين:

القسم الأول: منهج جمع المادة العلمية وكتابتها:

وهو على النحو التالي:

١. قراءة جميع كتب العلامة المعلمي -رحمه الله- واستخراج كلامه المتعلق بالموضوع.

٢. جمع كل ما قصد به العلامة المعلمي التفسير أو الاستنباط سواء كان نصا أو ظاهرا أو الاستدراك على مفسر أو فرقة أو مذهب في تفسير الآية أو قرر مسألة واستدل لها وذكر وجه الدلالة من الآية.

٣. ترتيب المادة التفسيرية المستخرجة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف.

٤. إذا تكرر تفسيره للآية في أكثر من موضع، فإن كان في الموضع الآخر زيادة لم يذكرها في الموضع الأول فإني أفرده في سطر مستقل، وأفصل بينهما بلفظ: ((وقال في موضع آخر))، وإن كانت متطابقة أو متشابهة فيتم الاكتفاء بأجمعها، والإشارة في الحاشية لبقية المواضع.

٥. إذا أورد العلامة المعلمي رحمه الله في موضع آخر موضوعا مختلفا لم يذكره في الموضع الأول، مثل أن يذكر مرة تفسيرا للآية وفي الموضع الآخر خلافا لغويا فإنني أذكر له عنوانا جديدا يبين مقصده دون تكرار كتابة الآية.

القسم الثاني: منهج دراسة المادة التفسيرية:

وهو على النحو التالي:

١) الإحالة لموضع النقل من كتب العلامة المعلمي رحمه الله، وذلك بذكر عنوان الكتاب، ورقم الجزء والصفحة.

٢) عزو الآيات الواردة في أثناء البحث إلى سورها وأرقامها، وكتابتها بالرسم العثماني.

٣) تخريج الأحاديث الواردة، فإن كانت في الصحيحين اكتفيت بورودها فيهما أو في أحدهما، وإن لم تكن فيهما فإنه مع عزوها إلى مصادرها أذكر درجتها صحة وضعفا معتمدا في ذلك على كلام أهل العلم.

٤) عزو الآثار إلى مصادرها.

٥) نسبة الأقوال إلى قائليها، مع عزوها إلى مواضعها من كتبهم، فإن لم تكن متوفرة فإلى المصنفات الأخرى التي نقلت ذلك عنهم ما أمكن ذلك.

٦) توثيق القراءات من مصادرها المعتمدة.

٧) توثيق الأبيات الشعرية وعزوها إلى قائليها ما أمكن ذلك.

٨) ترجمة الأعلام الوارد ذكرهم في صلب البحث، ترجمة مختصرة، عند ورود العلم في أول موضع.

٩) توضيح المصطلحات والكلمات الغريبة، مع ضبط ما يحتاج إلى ضبط.

١٠) تعريف الفرق، والأماكن، والبلدان، والقبائل في أول موضع ترد فيه.

١١) التعليق على ما يحتاج إلى تعليق من المسائل العلمية المتعلقة بتفسير الآية في الحاشية، كـ: بيان سبب النزول، وناسخ ومنسوخ، وإعراب آية، وتوجيه قراءة...،أو توضيح قول المصنف في الآية، وكل ذلك إن اقتضاه المقام.

١٢) عرض اختيارات العلامة المعلمي -رحمه الله- على أقوال المحررين من العلماء و المفسرين، بذكر الموافق والمخالف، وأرجح بينها إن ظهر لي الراجح من الأقوال.

الفصل الأوّل

ترجمة موجزة للعلامة المعلمي

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه.

المبحث الثاني: ولادته، ونشأته، ووفاته.

المبحث الثالث: طلبه للعلم.

المبحث الرابع: شيوخه، وتلاميذه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

المبحث السادس: معتقده ومذهبه الفقهي.

المبحث السابع: مؤلفاته.

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه[1]:

اسمه ونسبه:

هو: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد بن أبي بكر بن مُحَمَّد بن حسن المعلمي العُتْمي اليماني[2].

وقد وقع في نسب آل المعلمي خلاف هل يعود نسبهم إلى أبي بكر الصديق وهو من قبيلة تيم مرة كما ذكره الوشلي أم إلى قبيلة بجيلة [3]؟

المعلمي العتمي، نسبة إلى (بني المعلم) من بلاد عتمة[4]، وهو حصن في جبل وُصاب[5].

كنيته:

يكنى بأبي عبدالله[6]

لقبه:

كان يعرف -رحمه الله- بـ (المعلمي)[7]

---

(١) انظر: لترجمة المؤلف —رحمه الله- مقالة لعبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم المعلمي نشرت في مجلة الحج الصادرة بمكة بالجزء العاشر ١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٨٦هـ (ص:٦١٧-٦١٨) والعدد ١١ جمادى الأولى من السنة ذاتها، وقد نشرت في مقدمة كتاب التنكيل بتحقيق الألباني (١/٩-١٤)، الأعلام للزركلي (٣/٣٤٢-٣٤٣)، وقد ترجم المؤلف لنفسه ترجمة مختصرة، نشرت في المدخل إلى آثار الشيخ عبدالرحمن المعلمي (١/٣٧ وما بعدها)، ونشر الثناء الحسن للوشلي، وهجر العلم ومعاقله في اليمن للأكوع.

(٢) الأعلام للزركلي (٣/٣٤٢)، آثار المعلمي (١/٤١).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١/٤١-٤٤).

(٤) انظر: الأعلام للزركلي (٣/٣٤٢).

(٥) انظر: معجم البلدان لياقوت (٤/٨٢).

(٦) انظر: آثار العلامة المعلمي (١/٩٩).

(٧) يظهر هذا جليا في المبحث الآتي: مكانته العلمية وثناء أهل العلم عليه.

المبحث الثاني: ولادته، ونشأته، ووفاته:

ولادته:

قال الشيخ المعلمي -رحمه الله- في ترجمته: «وُلدت في أواخر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف، ... ولاية صنعاء في اليمن»[١].

نشأته:

نشأ الشيخ -رحمه الله- عند والديه نشأة صالحة في بيئة متدينة وتدرج فيها بحفظ القرآن والمتون العلمية.

وفاته:

توفي الشيخ يوم الخميس السادس من شهر صفر عام ألف وثلاثمائة وستة وثمانين، عن عمر يناهز أربع وسبعين ٧٤سنة، وذلك بعد أن أدى صلاة الفجر في المسجد الحرام، وعاد إلى مكتبة الحرم حيث كان يقيم، فتوفي على سريره، وشيعت جنازته من الحرم المكي ودفن بالمعلاة بمكة[٢].

---

(١) انظر: آثار المعلمي (١/٤٤).

(٢) انظر: مقدمة التنكيل بتحقيق الألباني (١/١٢)، الأعلام للزركلي (٣/٣٤٢)، مجموع آثار المعلمي (١/٢٠٠).

المبحث الثالث: طلبه للعلم:

نشأ الشيخ عبدالرحمن المعلمي -رحمه الله- في بيئة علمية، وذكر -رحمه الله- في ترجمة نفسه أنه قرأ القرآن على والده وعلى رجل آخر من عشيرتهم، وتعلم الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب، ثم اتجه إلى علم النحو، فدرس (الآجرومية) على أخيه الأكبر محمد بن يحيى، وكان في عامة وقته يذاكر ويحاول إعراب آيات أو أبيات، ويستعين بكتب التفسير على ذلك، ثم اتجه إلى دراسة فقه الشافعي والفرائض، فقرأهما على الشيخ أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي[(١)].

صفاته في طلب العلم:

- **ذكاؤه وفطنته**، حيث إنه ذكر في ترجمته أنه درس النحو على أخيه في مدة وجيزة، ثم بفضل الله ثم بفطنته وذكائه اتجه لمطالعة (مغني ابن هشام) وحاول تلخيصها في دفتر، وحصلت له ملكة لا بأس بها.
- **حرصه على العلم وهمته العالية**، حيث أنه بدأ في طلب العلم وهو صغير، وتدرج في العلوم، وكان في عامة وقته لطلب العلم والمذاكرة.
- **الصبر في طلب العلم**، لأنه لم ينقطع عن العلم مع قلة ذات اليد، وأصيب بمرض شديد أثناء رحلته لأخيه، فلم يبرح أن تعالج ثم واصل طريقه في الطلب.

---

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (١/٤٥-٤٨).

المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه:

شيوخه:

١. والده الفقيه العلامة العماد يحيى بن علي المعلمي (ت ١٣٦١)[١].

٢. أخوه العلامة محمد بن يحيى بن علي المعلمي (ت ١٣٤١)[٢].

٣. الفقيه العلامة الجليل أحمد بن محمد بن سليمان المعلمي (ت ١٣٤١)[٣].

٤. الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي (ت ١٣٤١)[٤].

٥. الشيخ عبد القدير محمد الصديقي القادري (ت ١٣٨١)[٥].

تلاميذه:

١) أحمد صالح دحوان الآنسي.[٦]

٢) أحمد بن سالم باسويدان[٧].

٣) أحمد بن محمد المعلمي[٨].

٤) أبو تراب الظاهري عبد الجميل بن عبد الحق الهاشمي[٩].

٥) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعلمي.[١٠]

---

(١) انظر: مقدمة التنكيل لعبدالله المعلمي بتحقيق الألباني (١/١٠)، مجموع آثار المعلمي (١/١٠١).

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر: المرجع نفسه.

(٥) انظر: المرجع نفسه.

(٦) انظر: مجموع آثار المعلمي (١/١٠٦).

(٧) انظر: المرجع نفسه.

(٨) انظر: المرجع نفسه.

(٩) انظر: المرجع نفسه.

(١٠) انظر: المرجع نفسه.

المبحث الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

مكانته العلمية:

نال العلامة المعلمي– رحمه الله– مكانة علمية كبيرة، يتضح ذلك بعدة أمور:

١. ثناء علمائه وعلماء عصره وأقرانه وتلاميذه عليه، كما سيأتي قريبا.

٢. حظيت مؤلفاته وتحقيقاته بمكانة كبيرة عند أهلم العلم.

٣. تمكينه من التدريس في الحرم المكي، مع وفرة العلماء وتواجدهم[١].

ثناء العلماء عليه:

١. **قال والده الشيخ يحيى المعلمي** (ت ١٣٦١هـ): "الولد الأجل الأمجد العلامة القاضي عبد الرحمن ... حرسه الله تعالى ووفقه لرضاه"[٢].

٢. **الإمام محمد بن علي الإدريسي** (ت ١٣٤١هـ) : "محبّنا الأجل العالم العامل الأمثل وجيه الإسلام عبد الرحمن المعلمي"[٣].

٣. **قال العلامة أحمد شاكر** (ت١٣٧٧هـ) : (وقد حقق – يعني التاريخ الكبير للبخاري – مصححه العلامة الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي)[٤].

٤. **قال الشيخ محمد حامد الفقي** (ت١٣٧٨هـ): (كتب أخونا المحقق الشيخ عبدالرحمن المعلمي اليماني هذه الرسالة القيمة)[٥].

٥. **قال العلامة مفتي المملكة محمد بن إبراهيم آل الشيخ** (ت١٣٨٩هـ) في تقدمته لرسالة المعلمي حول مقام إبراهيم وجواز تأخيره : (قد قرئت عليَّ هذه الرسالة التي ألفها الأستاذ عبدالرحمن المعلمي اليماني...فوجدتها رسالة بديعة، وقد أتى فيها بعين الصواب)[٦]، ووصفه بقوله: (عالما خدم الأحاديث النبوية)[٧].

---

(١) كما أخبر بذلك طلابه. انظر: آثار المعلمي (١/٩٠).

(٢) انظر: مجموع آثار المعلمي (١/٢١٣).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١/٢٥٥).

(٤) انظر: حاشية تفسير الطبري بتحقيق أحمد شاكر (١/٣٢).

(٥) انظر: مجموع آثار المعلمي (١/١١٦).

(٦) انظر: المرجع نفسه، مقام إبراهيم عليه السلام للمعلمي (ص:٢١).

(٧) انظر: فتاوى محمد بن إبراهيم (٥/١١٦)، مجموع آثار المعلمي (١/١١٦).

٦. **قال الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي** (ت ١٤١٣هـ) : (حضرة العالم الخبير الناقد البصير العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي)، وقال: (كان أوحد عصره في أسماء الرجال، واسع المعرفة بالمخطوطات في ذلك الفن وما يناسبه)[(١)].

٧. **الشيخ المحدث حماد بن محمد الأنصاري** (ت ١٤١٨هـ): (إن الشيخ عبد الرحمن المعلمي عنده باع طويل في علم الرجال جرحا وتعديلا وضبطا ... عنده مشاركة جيدة في المتون تضعيفا وتصحيحا، كما أنه ملم إلماما جيدا بالعقيدة السلفية)[(٢)].

٨. **قال العلامة الألباني** (ت١٤٢٠هـ): (هذا كلام جيد متين من رجل خبير بهذا العلم الشريف، يعرف قدر كتب السنة وفضلها)[(٣)]، وقال في مقدمته للتنكيل: (تأليف العلامة المحقق الشيخ عبدالرحمن بن يحيى بن علي اليماني رحمه الله...ثم وصف الكتاب بقوله: هذا الكتاب العظيم بأسلوب علمي متين، لا وهن فيه ولا خروج عن أدب المناظرة والمجادلة بالتي هي أحسن، بروح علمية عالية، وصبر على البحث والتحقيق كاد أن يبلغ الغاية إن لم أقل: بلغها، كل ذلك انتصارا للحق وقمعا للباطل)[(٤)].

٩. **قال العلامة أبو تراب الظاهري** (ت١٤٢٣هـ) :(كان نحويا بارعا وعروضيا، وذا معرفة باللغة وغريبها، حفظ الألفية وبعض المتون في الأصول والفقه)[(٥)].

١٠. **قال العلامة بكر بن عبدالله أبو زيد** (ت١٤٢٩هـ) : (العلامة المعلمي م سنة ١٣٨٦ هـ رحمه الله تعالى له جهود في خدمة السنة وعلومها كما في "التنكيل" و"طليعته" وفي تحقيقاته الحافلة في كتب الرجال والأنساب والموضوعات أبدى يراعه فيها براعة ودررا في أصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل، في جهود انتشرت الاستفادة منها في كتب

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (١/١١٥، ٣٦٧).
(٢) انظر: المرجع نفسه (١/١١٨).
(٣) انظر: الأدب المفرد للبخاري بحقيق الألباني (ص:٨).
(٤) انظر: مقدمة التنكيل للمعلمي بتحقيق الألباني (١/٣، ٤).
(٥) انظر: مجموع آثار المعلمي (١/١١٩).

المعاصرين)[١] وقال عنه: (ذهبي عصره العلامة المحقق عبدالرحمن بن يحيى) ثم قال في الحاشية: (تحقيقات هذا الحبر نقش في حجر، ينافس فيها الكبار كالحافظ ابن حجر، فرحم الله الجميع، ويكفيه فخرا كتابه التنكيل)[٢].

---

(١) انظر: براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة (ص: ٤٢).

(٢) انظر: التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل لبكر أبوزيد (ص: ٢٧).

المبحث السادس: معتقده ومذهبه الفقهي:

معتقده:

كان العلامة المعلمي رحمه الله على عقيدة أهل السنة والجماعة ويدل لذلك أمور:

١. كتبه في توحيد الألوهية مثل (عمارة القبور، العبادة، الحنفية والعرب، رسالة في الشفاعة، عقيدة العرب في وثنيتهم).

٢. كتبه في توحيد الأسماء والصفات مثل (القائد في تصحيح العقائد من ضمن أقسام كتاب التنكيل، يسر العقيدة الإسلامية، حقيقة التأويل).

٣. كتبه في الرد على البدع والمحدثات مثل (حقيقة البدعة، صدع الدجنة في فصل البدعة عن السنة، تحقيق الكلام في المسائل الثلاث).

٤. كتبه في الدفاع عن الحديث وأهله مثل (التنكيل، الأنوار الكاشفة).

٥. ثناء أئمة أهل السنة والجماعة المعاصرين عليه كما تقدم.

مذهبه الفقهي:

نشأ العلامة المعلمي -رحمه الله- على المذهب الشافعي كعادة أكثر أهل اليمن وذكر عن نفسه أنه درس المنهاج للنووي -رحمه الله- أول ما درس في الفقه[1]، إلا أنه يعمل ما أداه إليه اجتهاده، ويرجح ما ترجح له من الدليل، وهو واسع الاطلاع على كتاب الأم للشافعي وأقوال السادة الشافعية إلا أنه خالفهم في أشياء مثل قوله في رسالته في السنة القبلية لصلاة الجمعة: (ومن كان منكم يحب ثبوتها انتصارا لمن أثبتها من العلماء فهذا غرض آخر، ليس من الدين في شيء. والعلماء رضي الله عنهم مأجورون على كل حال، وليس في المخالفة لهم تبعا للدليل غضاضة عليهم؛ إذ ليس منهم من يبرئ نفسه عن الخطأ ويدعي لنفسه العصمة.

وأيهما أسهل؟ مخالفة الله ورسوله، أو مخالفة عالم من العلماء؟

مع أن مخالفة العالم لا تستلزم نقصه ولا الحط منه؛ فقد كان أصحاب رسول الله -

---

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (٤٨/١).

صلى الله عليه وسلم- ربما خالفوه في الآراء التي ليست من قبيل الوحي. ولم يعد ذلك استنقاصا منهم له - صلى الله عليه وسلم -، وإلا لكفروا. بل كان - صلى الله عليه وسلم - ربما رجع إلى قولهم في ذلك.

ومن كان منكم يحب ثبوتها لكونه من المقلدين للمذهب القائل بثبوتها = فهذا لا ينبغي له أن يعول على ثبوتها من حيث الدليل وعدمه؛ لأنه مقلد لا يسأل عن حجة، ولا يسأل عن حجة، فهو ملتزم لقول من قلده، ولو ثبتت الحجج القطعية بخلافه. فالواجب عليه أن يقول: أنا مقلد لفلان، وفلان قال بثبوتها، ويقف عند ذلك.

فإن تاقت نفسه إلى الاحتجاج فليوطن نفسه على قبول الحجة، ولو على خلاف قول إمامه، وإلا وقع في الخطر من تقديم هواه على ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وجعل كلام مقلده أصلا يرد إليه ما خالفه من كلام الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -.

والله يهدي من يشاء إلى سراط مستقيم)[1].

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (١٦/٣٦٨-٣٦٩).

المبحث السابع: مؤلفاته[١]:

كان-رحمه الله- من المكثرين في التأليف فقد تجاوز عدد رسائله وكتبه ١٢٠ رسالة ومؤلفا، ما بين رسالة صغيرة وكتاب كبير، وقد طبع غالبها مؤخرا في ٢٥ مجلدا، وقد تنوعت مؤلفاته في عدد من الفنون، وأسرد فيما يلي مؤلفاته مرتبة حسب الفنون:

مؤلفاته في العقيدة:

وتحتوي على (١٤) كتابا ورسالة:

١. العبادة.

٢. تحقيق الكلام في المسائل الثلاث.

٣. عمارة القبور في الإسلام.

٤. يسر العقيدة الإسلامية.

٥. حقيقة التأويل.

٦. حقيقة البدعة.

٧. صدع الدجنة في فصل البدعة عن السنة.

٨. الحنيفية والعرب.

٩. عقيدة العرب في وثنيتهم.

١٠. الرد على حسن الضالعي.

١١. ما وقع لبعض المسلمين من الرياضة الصوفية والغلو فيها.

١٢. رسالة في الشفاعة.

١٣. التفضيل بين الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم.

١٤. رسالة تعلق العقائد بالزمان والمكان.

---

(١) كل ما سيأتي من مؤلفاته طبع فيما سمي بـ (آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي) بتحقيق علي العمران وآخرين وفق منهج معتمد من العلامة بكر أبوزيد -رحمه الله- وطبع بمطبعة دار عالم الفوائد عام ١٤٣٤هـ.

مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن:

وتحتوي على (١٨) كتابا ورسالة:

١. التعقب على تفسير سورة الفيل للمعلم عبدالحميد الفراهي.

٢. تفسير البسملة.

٣. تفسير سورة الفاتحة.

٤. تفسير أول سورة البقرة (١-٥).

٥. ارتباط الآيات في سورة البقرة.

٦. ارتباط قوله تعالى: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ**...﴾ [البقرة:٢٣٨] بما قبلها وبما بعدها.

٧. تفسير قوله تعالى: ﴿**وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ**..﴾ [النساء:٢].

٨. تفسير أول المائدة.

٩. تفسير قوله تعالى: ﴿ **كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ**...﴾ [الأنعام:١٤١].

١٠. تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ**...﴾ [ص:٣٤].

١١. تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ**..﴾ [الحشر:٧] ومعنى أهل البيت.

١٢. إعراب قوله تعالى: ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩**﴾ [النجم:٣٩].

١٣. إعراب قوله تعالى: ﴿**أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ١٤**﴾ [القلم:١٤].

١٤. إعراب قوله تعالى: ﴿**ٱلْحَآقَّةُ ١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ٢**﴾ [الحاقة:١-٢].

١٥. رسالة في تفسير آيات خلق الأرض والسماوات.

١٦. معنى قوله تعالى: ﴿ **أَغْنَىٰ عَنْهُم** ﴾.

١٧. بحث حول تفسير الفخر الرازي وتكملته.

١٨. فوائد من تفسير الرازي.

مؤلفاته في الحديث وعلومه:

وتحتوي على (٢١) كتابا ورسالة.

١. طليعة التنكيل.
٢. تعزيز الطليعة.
٣. شكر الترحيب.
٤. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل.
٥. الأنوار الكاشفة على ما في كتاب (أضواء على السنة) من الخلل والتضليل والمجازفة.
٦. كتاب الوحدان.
٧. تراجم منتخبة من التهذيب والميزان.
٨. الاستبصار في نقد الأخبار.
٩. رسالة في أحكام الجرح والتعديل.
١٠. إشكالات في الجرح والتعديل.
١١. الحاجة إلى معرفة علم الجرح والتعديل.
١٢. الأحاديث التي استشهد بها مسلم في بحث الخلاف في اشتراط العلم باللقاء.
١٣. رسالة في الصيغ المحتملة للتدليس، أظاهرة هي في السماع أم لا؟
١٤. فوائد في كتاب (العلل) لابن أبي حاتم.
١٥. أحكام الحديث الضعيف.
١٦. محاضرة في علم الرجال وأهميته.
١٧. ملخص طبقات المدلسين.
١٨. تنزيه الإمام الشافعي عن مطاعن الكوثري.
١٩. شرح حديث (آية المنافق ثلاث..).
٢٠. التعليق على (الأربعين في التصوف) للسلمي.
٢١. صفة الارتباط بين العلماء في القديم.

مؤلفاته في الفقه:

وتحتوي على (٣٨) كتابا ورسالة.

١. القبلة وقضاء الحاجة.

٢. فائدة في السواك.

٣. مسألة بطلان الصلاة بتغيير الآيات في القراءة.

٤. هل يدرك المأموم الركعة بإدراكه الركوع مع الإمام؟

٥. بحث في حديث قيس بن عمرو في صلاة ركعتي الفجر بعد الفرض.

٦. إعادة الصلاة.

٧. بحث في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه في صلاته بقومه.

٨. حقيقة الوتر ومسماه في الشرع.

٩. مبحث في الكلام على فرضية الجمعة وسبب تسميتها.

١٠. سنة الجمعة القبلية.

١١. بحث في وقت تشريع ونزول آية صلاة الخوف.

١٢. قيام رمضان.

١٣. مسألة اشتراط الصوم في الاعتكاف.

١٤. مقام إبراهيم عليه السلام.

١٥. رسالة في توسعة المسعى بين الصفا والمروة.

١٦. رسالة في سير النبي صلى الله عليه وسلم في الحج، والكلام على وادي محسر.

١٧. فلسفة الأعياد في الإسلام.

١٨. توكيل الولي غير المجبر بتزويج موليته.

١٩. الحكم المشروع في الطلاق المجموع.

٢٠. رسالة في المواريث.

٢١. مسألة منع بيع الأحرار.

٢٢. أسئلة وأجوبة في المعاملات.

٢٣. الإسلام والتسعير ونحو (أو) حول أجور العقار.

٢٤. مناقشة لحكم بعض القضاة في قضية تنازع فيها رجلان.

٢٥. مسائل القراءة في الصلاة والرد على أحد شراح الترمذي.

٢٦. مسألة في إعادة الإمام الصلاة دون من صلى وراءه في الجماعة.

٢٧. صيام ستة أيام من شوال.

٢٨. جواب الاستفتاء عن حقيقة الربا.

٢٩. كشف الخفاء عن حكم بيع الوفاء.

٣٠. النظر في ورقة إقرار.

٣١. قضية في سكوت المدعى عليه من الإقرار والإنكار.

٣٢. الفسخ بالإعسار.

٣٣. مسألتان في الضمان والالتزام.

٣٤. مسألة الوقف في مرض الموت.

٣٥. الفوضى الدينية وتعدد الزوجات.

٣٦. مسألة في رجل حنفي تزوج صغيرة بولاية أمها.

٣٧. مسألة في صبيين مسلمين أخذهما رئيس الكنيسة فنشآ على دينه، وبلغا عليه وتزوجا، ثم أسلما.

٣٨. بحث في قضية بني هاشم بن المغيرة واستئذانهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يزوجوا عليا رضي الله عنه.

مؤلفاته في أصول الفقه:

وتحتوي على (٥) رسائل.

١. رسالة في فرضية اتباع السنة والكلام على تقسيم الأخبار وحجية أخبار الآحاد.

٢. رسالة على الكلام على أحكام خبر الواحد وشرائطه.

٣. إرشاد العامة إلى معرفة الكذب وأحكامه.

٤. رسالة في أصول الفقه.

٥. رسالة في التعصب المذهبي.

مؤلفاته في النحو واللغة:

وتحتوي على (١٤) كتابا ورسالة.

١. اللطيفة البكرية والنتيجة الفكرية في المهمات النحوية.

٢. حقائق في النحو مستقربة.

٣. مختصر شرح ابن جماعة على القواعد الصغرى لابن هشام.

٤. نظم قواعد الإعراب الصغرى.

٥. طرائف في العربية.

٦. الكلام على تصريف (ذو).

٧. إشكال صرفي وجوابه.

٨. ضبط فعلين في متن الأزهار، واعتراض وانتقاض.

٩. اختصار كتاب (درة الغواص في أوهام الخواص) للحريري.

١٠. فوائد لغوية منتقاة من كتاب :(الكنز المدفون والفلك المشحون)

١١. مناظرة علمية بين المعلمي والسنوسي.

١٢. مختصر متن الكافي في العروض والقوافي.

١٣. نظم في بحور العروض.

١٤. معجم الشواهد الشعرية.

قسم المتفرقات:

❖ الخطب والوصايا.

❖ أصول التصحيح العلمي.

❖ أصول التصحيح العلمي (مسودة).

❖ أصول التصحيح العلمي (مسودة).

❖ تخريج الأحاديث الواردة في كتاب (شواهد التوضيح) لابن مالك مع تعليقات على نشرة محمد فؤاد عبدالباقي.

❖ تصحيحات وتعليقات على (سبل السلام شرح بلوغ المرام) للأمير الصنعاني.

- ❖ تنبيهات على (الكامل) للمبرد نشرة زكي مبارك.
- ❖ تنبيهات على الجزء الأول من (معجم الأدباء) نشرة أحمد فريد الرفاعي.
- ❖ من نوادر المخطوطات المحفوظة في مكتبة الحرم المكي.
- ❖ فوائد المجاميع.
- ❖ المقدمات وما إليها.
- ❖ الرسائل المتبادلة.

الفصل الثّاني
منهج العلامة المعلمي في تفسيره

وفيه أحد عشر مبحثا:

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن.

المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة.

المبحث الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين.

المبحث الرابع: تفسيره القرآن باللغة العربية.

المبحث الخامس: تفسيره لآيات الأحكام.

المبحث السادس: منهجه في عرض بعض علوم القرآن المتعلقة بالتفسير.

المبحث السابع: منهجه في عرض الأقوال التفسيرية.

المبحث الثامن: منهجه في الترجيح بين الأقوال التفسيرية.

المبحث التاسع: منهجه في النقل من المصادر التفسيرية.

المبحث العاشر: منهجه في الرد على المخالف في التفسير.

المبحث الحادي عشر: منهجه في التعامل مع الروايات والآثار المنقولة في التفسير.

المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن(١):

أفضل أنواع التّفسير لكلام الله، هو ما جاء في كلام الله في مواضع أخرى تبينه وتوضحه؛ إذ لا أعلم بكلام الله منه جل وعلا، وسار على هذا المنهج العلامة المعلمي -رحمه الله- وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

- [قال -رحمه الله-]: (ويوم الدين هو يوم القيامة، كما فسّره القرآن في آخر سورة الانفطار وغيرها)(٢).
- [قال -رحمه الله-]: (فالآية ظاهرةٌ في أن القوم كانوا قد أسلموا، وأخذوا بحظٍّ من الإيمان، ولكن بقي في قلوبهم شيءٌ من الجهل والشكِّ، ولم يوجب هذا أن يُعَدُّوا كفَّارًا أو مرتدِّين، ألا ترى إلى قول عيسى: ﴿**ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ**﴾ [المائدة: ١١٢]، ومثل هذا إنما يخاطَب به مَن عنده إيمانٌ في الجملة، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨**﴾[البقرة:٢٧٨])(٣).
- [قال -رحمه الله-]: (﴿**هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا**﴾ [البقرة: ٢٩] بأن خلقها، وجعل فيها رواسي، وبارك فيها، وقدَّر فيها أقواتها؛ كما تبيِّنه آية حم السجدة(٤))(٥).

---

(١) ما سأذكره في هذا الفصل - إن شاء الله- عبارة عن نماذج لمنهج العلامة المعلمي -رحمه الله- في تفسير الفاتحة والبقرة وآل عمران، وهي مذكورة في مواضعها في البحث، ولذا سأذكرها باختصار ولن أخرج الأحاديث وأترجم للأعلام وغير ذلك، اكتفاء بما سيأتي في البحث.

(٢) انظر: (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: (ص: ٢٢٨).

(٤) (يعني سورة فصلت، وكذا تسمى في المصاحف الهندية) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٥) انظر: (ص: ٢٤٠).

المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة:

اهتم العلامة المعلمي-رحمه الله- بتفسير القرآن بما ورد في السنة، إذ هي شارحة لمعانيه، ومبينة لمبهمه، ومفصلة لمجمله، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١. [قال -رحمه الله- : ([آية البقرة رقم] (١٦٥) بيان لنوع من الشرك، وهو شرك بني إسرائيل، كما صرح به تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وقال تعالى لرسوله أن يقول لهم: ﴿تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]. وفسَّر الصحابة وغيرهم هذه الآية - أعني (١٦٥) من البقرة - بمثل تفسير الآيتين المذكورتين: أن المراد بالأنداد المتبوعون من البشر، المطاعون في شرع الدين، ولا ينبغي أن يطاع فيه إلا الله تعالى. وجاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا بنحو ذلك. ويدل عليه آية (١٦٦) فإنها مبينة أن الأنداد هم المتبوعون. وكذا آية (١٦٧)؛ فإنها تتمة للتي قبلها)(١).

٢. [قال —رحمه الله—]: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٥٦]: ((ولك أن تبقي كلمة "الدين" على عمومها الشامل للإيمان والإسلام والإحسان، كما في حديث جبريل.)(٢)

٣. [قال -رحمه الله-]: (قال سيِّدنا أيَّده الله: قد سبق لي مثل هذا في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾[البقرة:٣]، فقال الخطيب: إنَّ المجيء بِ (مِنْ) التبعيضيّة إشارةٌ إلى منع إعطاء الكلّ.

فقلت: كلا، وإنما فائدتها تعريف المخاطبين أن الأجر والمدح يحصل بإعطاء البعض، ولا يتوقف على إعطاء الكلّ، كما في قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"، وغيره)(٣).

٤. [قال —رحمه الله—]: (قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ

---

(١) انظر: (ص: ٢٠٠).

(٢) انظر: (ص: ٢٢٠).

(٣) انظر: (ص: ٢٢٦).

وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال سبحانه: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [خاتمة الحج].

وفي مسند أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك، فَيُدْعى قومُه فيقال لهم: هل بَلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بَلَّغْتَ قومَك؟ فيقول: نعم، فيقال له: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيُدْعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما عِلْمُكُم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرُّسُلَ قد بَلَّغوا، فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قال: يقول: عدلاً، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾" وأصل الحديث في تفسير هذه الآية من صحيح البخاريِّ وفيه: "والوسط: العدل")[1].

(١) انظر: (ص: ٢٧٧).

المبحث الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين:

اهتم العلامة المعلمي -رحمه الله- اهتماما بالغا بتفسير الصحابة والتابعين، وهذه بعض الأمثلة على اهتمامه بذلك:

١. [قال -رحمه الله-]: (أخرج ابن جريرُ عن ابن عباس قال: "الحمد لله الذي له الخلقُ كلُّه: السماواتُ كلهن ومن فيهن، والأرض كلهن ومن فيهن، وما بينهنَّ مما يُعلَم ومما لا يُعلم")(١).

٢. [قال -رحمه الله-]: (أخرج ابن جرير عن ابن عباس: "يوم الدين" قال: يوم حساب الخلائق، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، إلا من عفا عنه، فالأمرُ أمرُه. ثم قال: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف:٥٤])(٢).

٣. [قال -رحمه الله-]: (قد اختلفت عبارات السلف في المراد به هنا. فعن علي وابن مسعود أنه كتاب الله. وجاء هذا مرفوعًا عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

ورُوي عن جابر وابن عباس وغيرهما، قالوا: هو الإسلام.

وعن أبي العالية والحسن: هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر.

في عبارات أخر لا اختلاف بينها بحمد الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ امتثال ما في كتاب الله تعالى هو الإسلام، والذي كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحباه هو الإسلام.

هذا، وقد عُرِفَ أن لكل إنسان سيرة يسيرها في عمره في اعتقاده وأخلاقه وآدابه وأعماله وأقواله، فهي طريقُه. فمن أَتبع في ذلك كلِّه كتابَ الله وسنةَ رسوله والسلف الصالح فهو على الصراط المستقيم. ومن أخلَّ في شيء من ذلك كان في طريقه من العِوج بمقدار إخلاله)(٣).

---

(١) انظر: (ص: ١٤٢).

(٢) انظر: (ص: ١٥٣).

(٣) انظر: (ص: ١٧٢-١٧٣).

٤. [قال –رحمه الله–]: (هذا، وقد اختلفت عبارات السلف في بيان مَن هم المنعَم عليهم. فعن ابن عباس: أنهم الملائكة والنبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون. وهذا مأخوذ من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٩].

وعن ابن عباس أيضًا: أنهم المؤمنون.

وعن الربيع: النبيون.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أنهم النبي - صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه. وقد مرَّ عن أبي العالية والحسن ما يفيد أنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر.

أقول: لا تخالُفَ بحمد الله بين هذه الأقوال. فأما في مقام الدعاء، فهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وكلُّهم مؤمنون مسلمون لربِّهم عزَّ وجلَّ.

ومن قال: النبيون، فلأنهم الأصل.

وأما في مقام التنبيه على الاتباع والبيان، فعلى التالي أن ينظر من يعرف بسيرتهم من المنعَم عليهم قطعًا، فيتأثرها. فإنه إذا علم أنَّ فلانًا من المنعَم عليهم قطعًا، فلا بدَّ أن يكون صراطُه هو صراطَ جميعِهم، وهو الصراط المستقيم. فقد سمَّى الله تعالى لنبيِّه جماعةً ممن قبله من الأنبياء، ثم قال: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]).

وأما أصحابه - صلى الله عليه وسلم -، ورضي عنهم، فقد علموا أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - منعَم عليه قطعًا، وأنَّ صراطَه هو صراطُ المنعَم عليهم، وأنه الصراط المستقيم، فكان التنبيه في حقهم والدلالة على اتباعه.

وهكذا من جاء بعدهم. ويزاد في حقِّهم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابُه الذين تحقَّق أنهم منعَم عليهم. فإذا لم يُعرَف الحكم أو السنة أو الأدب أو نحو ذلك من الكتاب والسنة نُظِرَ في إجماع الصحابة. ولذلك خصَّ أبو العالية أبا بكر وعمر لِتيسُّر معرفةِ إجماع الصحابة في عهدهما. وإذا لم يكن إجماعٌ فقولُ الواحد من الصحابة، فقولُ

الصحابي أولى من غيره، ولا سيَّما من قامت الحجة على أنه بخصوصه من المنعَم عليهم كالخلفاء الأربعة وغيرهم. وقِسْ على هذا)[1].

٥. [قال -رحمه الله- : (وفيه: "وأخرج عبد بن حميد عن الحسن في قوله: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، قال: ذلك أن لا تجد (كذا) مالك، ثم تقعد تسأل الناس")[2].

(١) انظر: (ص: ١٧٧).

(٢) انظر: (ص: ٢٠٩).

المبحث الرابع: تفسيره القرآن باللغة العربية:

لقد كان للعلامة المعلمي-رحمه الله- عناية باللغة، واستعمل ما تعلمه من اللغة في تفسير القرآن، أو الاستدراك على بعض المفسرين، وهذه بعض الأمثلة لذلك:

١. [قال -رحمه الله-]: (الأمر الرابع: أنَّ الباء في قوله: ﴿بِسْمِ...﴾ حرف جرّ، وحرف الجرّ يحتاج إلى كلمة يتعلق بها، فإذا وقع في الكلام: "من البيت" أو "بالقلم" أو "بسلاحه" فلا يتم الكلام إلا بكلمة تدل على الأمر الواقع من البيت وبالقلم وبسلاحه.

فإذا قيل: زيد خرج أو يخرج أو خارج من البيت، فالجارُّ والمجرور وهو قولك: "من البيت" متعلق بخرج، أو يخرج، أو خارج؛ لأن الواقع من البيت هو الخروج. وقس عليه: كتبت بالقلم، وخرج زيد بسلاحه. وكثيرًا ما يحذف المتعلق، إما لعمومه كقولهم: العَصَا من العُصَيَّة، أي كائنة؛ وإما لدلالة الحال عليه، كأن يرى رجلاً يضرب ولده بيده، فيقول: بالعصا، أي اضْرِبْه بالعصا.

ومتعلَّق ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في القراءة محذوف لدلالة الحال عليه، وهو: "أقرأ".

وفي غيرها يقدره الإنسان بحسب ما يسمِّي عليه. والغالب حذفه لدلالة الحال، ففي الأكل: آكل، وفي الشرب: أشرب، وفي الوضوء: أتوضأ، وهكذا. هذا هو المشهور، وسيأتي في تقرير المعنى احتمال غيره)(١).

٢. [قال -رحمه الله-]: (أنَّ التأخير يبين أن في الكلام اختصاصًا، ومعنى الاختصاص أن يكون الكلام يدل مع ثبوت الأمر للشيء على انتفائه عن غيره، كقولك: ما جاء إلا زيدٌ، أثبتَّ المجيء لزيد، ونفيتَه عن غيره. وهذا المعنى يفيده تقدم الجار والمجرور على متعلقه، كقولك: بقلمي أكتبُ، وبسلاحي أخرج.

فيكون معنى الأول: أكتب بقلمي، ولا أكتب بغيره؛ ومعنى الثاني: أخرج بسلاحي، ولا أخرج بغيره.

وهذا المعنى مقصود في البسملة، ردًّا على الشيطان الذي يوسوس لك أن لا تذكر اسم الله، أو بأن تذكر غيره دونه أو معه، وفيه مع ذلك تعريض بمن يطيع الشيطان من المشركين

(١) انظر: (ص: ٨٤).

وغيرهم)[١].

٣. [قال -رحمه الله-]: (واللام في ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق، والجملة تفيد القصر، كما تقرر في علم المعاني. والتقدير: الحمد أي كل حمد أو جميع المحامد مستحَقٌّ لله دون غيره)[٢].

٤. [قال -رحمه الله-]: (فاعلم أنَّ فيها احتمالات، الصحيح منها أنها إنشائية، أريد بها إنشاء معنى يوجد بهذه العبارة، وذاك حقيقة الإنشاء)[٣].

---

(١) انظر: (ص: ٨٥).

(٢) انظر: (ص: ١٤١).

(٣) انظر: (ص: ١٦٥).

المبحث الخامس: تفسيره لآيات الأحكام:

أكثر رسائل العلامة المعلمي -رحمه الله- في الفقه، فقد ألف ٣٨ رسالة وكتابا في الفقه، فنجد في هذه الرسائل اهتمامه البالغ بما ورد من الآيات في المسألة، ويتعرض لما ذكره المفسرون من قبله، ثم يناقشهم أو يقر ما ذكروه، أو يفسر الآيات ابتداء من غير تطرق لأقوال المفسرين من قبله، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١. [قال -رحمه الله-]: (قال الله تبارك وتعالى: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾**﴾ [البقرة:١٨٠].

قوله تعالى: ﴿**إِن تَرَكَ خَيْرًا**﴾، فسر الخير بالمال، وفسر بالمال الكثير.

أخرج جماعة عن علي رضي الله عنه أنه دخل على مولى له في الموت، وله سبعمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا، إنما قال الله تعالى: ﴿**إِن تَرَكَ خَيْرًا**﴾، وليس لك كثير مال، فدع مالك لورثتك.

وأخرج ابن أبي شيبة أن رجلا قال لعائشة رضي الله عنها: أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: قال الله تعالى: ﴿**إِن تَرَكَ خَيْرًا**﴾، وهذا شيء يسير، فاتركه لعيالك فهو أفضل.

... كانوا رضي الله عنهم يرون أن آية الوصية كتب فيها الوصية من المال الكثير للوالدين وعامة الأقربين، وآية الميراث نسختها بالنسبة للوالدين وبعض الأقربين فبقي بقية الأقربين داخلين في آية الوصية.

وعندي أنها منسوخة بالنسبة لبقية الأقربين أيضا، وأقيم مقام ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ** ... ﴾ [النساء: ٨] كما يأتي إن شاء الله تعالى....)(١).

٢. [قال -رحمه الله-]: (فصل في معنى ﴿**الْأَقْرَبِينَ**﴾ في المواضع كلها

الأقربون يحتمل أن يفسر على ثلاثة معان:

المعنى الأول: الأشخاص الذين كل واحد منهم أقرب من سائر الناس مطلقا، فلا يصدق على ابن الابن والجد؛ لأنّ الابن أقرب منهما، وإنما يصدق على الأبوين والبنين.

---

(١) انظر: (ص: ٣٠٦).

المعنى الثاني: الذين كل واحد منهم أقرب من سائر الأحياء عند الموت.

المعنى الثالث: الأشخاص الذين هم من حيث المجموع أقرب من غيرهم، وإن كان بعضهم أقرب من بعض، أو قل: الذين كل فرد منهم أقرب ممن ليس من الأقارب.

وأرجح هذه المعاني: الثالث؛ لأنه هو المتبادر، فإنك إذا قلت: هؤلاء أقارب زيد، لم يفهم منه....)[1].

٣. [قال -رحمه الله-]: (صح عن عروة بن الزبير قال: قال رجل لامرأته على عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -: لا آوِيكِ ولا أدعُكِ تَحِلِّين. فقالت له: كيف تصنع؟ قال: أطلِّقك، فإذا دنا مُضِيُّ عدتِك راجعتُك، فمتى تَحِلِّين؟! فأتت النبي - صلى الله عليه وسلم -، فأنزل الله ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ**﴾ [البقرة:٢٢٩]، فاستقبله الناس جديدًا، من كان طلَّق، ومن لم يكن طلَّق" (تفسير ابن جرير ج ٢/ ص ٢٥٨).

هذا مرسلٌ صحيحٌ، وقد رفعه بعضهم، قال: "عن عروة عن عائشة". وله عواضد، وسيأتي بسط ذلك في البحث مع الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

ومفاده: أن الطلاق في أول الإسلام لم يكن له حد، فكان للرجل إذا طلَّق أن يراجع قبل مضي العدة، ثم إذا طلَّق فله أن يراجع، ثم إذا طلَّق فله أن يراجع، وهكذا أبدًا، فاتخذ بعض الناس ذلك طريقًا للإضرار بالنساء، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ**﴾ (الآيتين: ٢ - ٣ من آيات البقرة).

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿**وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ**﴾ [البقرة: ٢٢٨] الآية، يحتمل في نزولها ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون نزولها متقدمًا على نزول ما بعدها بمدة.

الثاني: أن تكون نزلت مع ما بعدها معًا.

الثالث: أن يكون نزولها متأخرًا عما بعدها في النظم.

والأول أقرب؛ لأنّ المتقدم في النظم يُشعِر بالتقدم بالنزول، وإن لم يكن ذلك حتمًا، ولأن ظاهرها عموم استحقاق الرجعة في كل طلاق، وهذا مطابقٌ للحكم المنسوخ بما

---

(١) انظر: (ص: ٣٠٩).

بعدها، ولمرسل عروة وعواضده، فإن ظاهره أن قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أول ما نزل بعد شكوى المرأة، وذلك يقتضي أن الآيتين نزلتا منفصلتين عن الآية التي قبلها، وقد ثبت تقدمُها بالدليلين الأولين. وعلى هذا فكلمة ﴿ٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٢٨] على عمومها، ولا ينافيه قوله في أثناء الآية: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأن الآية نزلت قبل تحديد الطلاق كما سمعت، ويكون قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ...﴾ [البقرة: ٢٢٩-٢٣٠] (الآيتين) ناسخًا لبعض ما دخل في الآية الأولى، وهو استحقاق الرجعة بعد الطلاق الثالث.

وأما على الوجهين الآخرين، فيحتمل في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن يكون من العام المراد به الخصوص، أو من العام المخصوص، أو أن يكون باقيًا على عمومه، ولكن الضمير في قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] أخصُّ من مرجعه، كأنه قال: "وبعولة بعضهن"، والمراد ببعضهن: المطلقات مرةً أو مرتين فقط.....)(١).

٤. [قال -رحمه الله-]: (يعلم من مناظرة الشافعي لمحمد بن الحسن في هذه المسألة أن محمدًا - مع إنكاره أن يقضي بشاهد ويمين، وردِّه الأحاديث في ذلك، وزَعْمه أن ذلك خلاف ظاهر القرآن - كان يقول: إنَّ نسبَ الطفل إلى المرأة، وبالتالي إلى صاحب الفراش، مع ما يتبع ذلك من أحكام الرق والحرية والتناكح والتوارث واستحقاق الخلافة وغير ذلك، يثبت بشهادة القابلة وحدها. فاعترضه الشافعي بأن عمدته في ذلك أثر "رواه عن علي رضي الله عنه رجل مجهول يقال له: عبد الله بن نجي، ورواه عنه جابر الجعفي وكان يؤمن بالرجعة")(٢).

٥. [قال -رحمه الله-]: (قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أي يقاربون الوفاة، ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ فليوصوا، أو فعليهم ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم﴾ بمال يتمتعن به ﴿مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ الواجب عليهن تربصه. وهذا قبل نزول قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا

---

(١) انظر: (ص: ٣٤٠-٣٤١).

(٢) انظر: (ص: ٣٥١).

﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤])[١].

٦. [قال -رحمه الله-]: (قد سلك الجصاص في كتاب "أحكام القرآن" في الاحتجاج للإجمال مسلكا أدق مما تقدم، فقال: "والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به. ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد إذا كان متفاضلا من جنس واحد. هذا كان المتعارف المشهور بينهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٩]، فأخبر أن تلك الزيادة المشروطة إنما كانت ربا في المال العين، لأنه لا عوض لها من جهة المقرض. وقال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، فأبطل الله تعالى الربا الذي كانوا يتعاملون به، وأبطل ضروبا من البياعات سماها ربا، فانتظم قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥] تحريم جميعها لشمول الاسم عليها من طريق الشرع". (ج ١ ص ٤٦٥).

وحاصله: أن العرب لم تكن تعرف للربا معنى إلا القرض إلى أجل بشرط زيادة. وقد بين النبي – صلى الله عليه وسلم – في بياعات أخرى أنها ربا، فعلم أن الربا في عرف الشرع أعم منه في عرف أهل اللغة، فثبت النقل والإجمال.

والجواب: أن هذا الاستدلال لا يتم إلا بمقدمتين:.....)[٢].

٧. [قال -رحمه الله-]: (قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة:٢٨٢].يؤخذ منها وجوب الكتابة بدون أجرةٍ في بعض الأحوال والله أعلم)[٣].

---

(١) انظر: (ص: ٣٥٩).

(٢) انظر: (ص: ٣٨٠).

(٣) انظر: (ص: ٣٨٩).

المبحث السادس: منهجه في عرض بعض علوم القرآن المتعلقة بالتفسير:

كان العلامة المعلمي -رحمه الله- موسوعيا، فنجده يتعرض للآيات من عدة نواح، ومن هذه النواحي ما يتعلق بعلوم القرآن، وهذه بعض الأمثلة على ذلك:

١) فضائل السور:

[قال -رحمه الله-]: (مما يبيِّن عظمة شأن التوحيد وشدَّة خطر الشرك: أن أعظم سورة في القرآن، والسورة التي تعدل ثلثه، وإنما هي بضع عشرة كلمة، والسورة التي ورد أنها تعدل ربعه، وأعظم آية في القرآن كلُّها مبنيَّةٌ على توحيد العبادة.

أما أعظم سورة في القرآن فأمُّ الكتاب.

روى البخاريُّ وغيره عن أبي سعيد بن المعلَّى أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: "ألا أعلِّمك أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ "، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلِّمنَّك أعظم سورةٍ من القرآن، قال: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الفاتحة:٢]، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته". أشار صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾ [الحجر:٨٧]. وجاء نحوه من حديث أُبيِّ بن كعبٍ وأبي هريرة)(١).

٢) مقاصد السور:

[قال -رحمه الله-]: (رأيت في نظم الدرر للعلامة البقاعيِّ تلميذ الحافظ ابن حجرٍ في الكلام على الفاتحة ما لفظه: "فالغرض الذي سيقت له الفاتحة هو: إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال واختصاصه بملك الدنيا والآخرة وباستحقاق العبادة .... ، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم. والمقصود من جَمْعهم تعريفهم بالمِلكِ وبما يرضيه وهو إفراده بالعبادة، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة لإفراده بالعبادة فهو مقصود الفاتحة بالذات، وغيره وسائل إليه ..... ؛ لأنّ [المقصود من] إرسال الرسل وإنزال الكتب: نصبُ الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع: جمع الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم:

---

(١) انظر: (ص: ٧٨).

تعريفهم بالملِك وبما يرضيه، وهو إفراده بالعبادة، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الأوَّل".

أقول: ويتلخَّص من كلامه بإيضاحٍ أنَّ مقصود الشرائع مجموعٌ في الإسلام، ومقصود الإسلام مضمَّنٌ في القرآن، ومقصود القرآن منتظمٌ في الفاتحة، ومقصود الفاتحة في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وتقرير هذا يُحْوِج إلى إطالةٍ، ويكفي في إثباته قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦])[١].

٣) المناسبات بين السور:

[قال -رحمه الله-]: (سورة الفاتحة ارتباط آياتها ظاهر، وارتباطها بسورة البقرة سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيانه عند الكلام على الآية (١٤٢) من البقرة. وأيضًا، النتيجة المطلوبة في الفاتحة: هداية الصراط المستقيم، صراط المنْعَم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين. وفي أول البقرة: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [البقرة:٢]، ثم بيَّن فيها أحوال الفرق الثلاث، فكأنه في سورة البقرة شرع في إجابة الدعاء الذي في الفاتحة من وجهٍ، والله أعلم)[٢].

٤) مناسبات الآيات:

[قال –رحمه الله–]: (وذلك أن المؤمن إذا تلا من أول السورة إلى هنا متدبِّرًا حق التدبر امتلأ قلبُه بتعظيم ربِّه عزَّ وجلَّ، واستغرق في ذلك حتى كأنه يرى الأمر مشاهدةً، وانجلى له حقَّ الانجلاء أنه لا يستحق العبادة غيره تعالى، فيقبل القلب إلى الربِّ عزَّ وجلَّ مصدِّقًا ما قام بالقلب وسرى إلى الجوارح، فينشئها بهذه الجملة)[٣].

كتب -رحمه الله- رسالة كاملة في ترابط آيات سورة البقرة[٤].

---

(١) انظر: (ص: ٨٠).

(٢) انظر: (ص: ١٨٦).

(٣) انظر: (ص: ١٦٥).

(٤) انظر: (ص: ١٨٦).

٥) أسباب النزول:

[قال -رحمه الله-]: (في "روح المعاني" (٤/ ١٨٥): "وعن قتادة وابن جريج [ومقاتل أن الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية. وقد كتب فيه عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه: "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل بن عمرو: ما نعرف الرحمن إلا مسيلمة])(١).

[قال -رحمه الله-]: (أخرج ابن جرير عن عكرمة قال: "نزلت في ثعلبة وعبد الله بن سلام و...، وكلهم من يهود، قالوا: يا رسول الله! يوم السبت كنا نعظمه، فدعنا فَلْنُسْبِتْ فيه، وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها بالليل. فنزلت". انظر الكلام على آية (٢١٣))(٢).

[قال -رحمه الله-]: (في "الدر المنثور": "أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنَّ نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٩]، وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى ما يجد ما يتصدق به ومالا يأكل ، حتى يتصدق عليه")(٣).

[قال -رحمه الله-]: (أخرج أبو داود والنسائي وابن جرير وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِىَ أَحْسَنُ﴾[الأنعام: ١٥٢] و ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ الآية [النساء: ١٠] انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له، حتى يأكله أو يفسد، فيرمى به. فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم-، فنزلت")(٤).

---

(١) انظر: (ص: ١٢٥).

(٢) انظر: (ص: ٢٠٥).

(٣) انظر: (ص: ٢٠٨).

(٤) انظر: (ص: ٢١٢).

٦) اللطائف القرآنية:

[قال -رحمه الله-]: (وجه التعبير بلفظ الجمع، فرأيتُ ما قدَّمتُه هنا يرشد إلى نكتة لا بأس بذكرها.

وهي أنه - كما تقدَّم - ورد الخضوعُ أولاً على القلب، ثم سرى إلى الجوارح، ثم تلاها اللسان، فأشير إلى ذلك بصيغة الجمع، حتى كأنَّ اللسان عبَّر عن نفسه وعن القلب والجوارح.

ونكتة أخرى، وهي أنَّ مِن شأن الإنسان المتواضع الذي يعرف قدر نفسه أنه إذا اتفق له ظهورٌ بمظهر يدلُّ على العظمة زاده ذلك خضوعًا في نفسه وتمسكنًا، كما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لما دخل [مكة] يوم فتحها دخل وذقنُه على رحله متخشِّعًا.

فالتالي الممتلئ خضوعًا وتذللًا إذا جاء إلى قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ ورأى ما في ظاهر الكلمة من مظهر العظمة زاده ذلك خضوعًا وتخشُّعًا، كأنه يقول في نفسه: ومَنْ أنا! ومَنْ أكون! وهذه وكثير من أمثالها من مُلَح العلم، والذي ينبغي اعتماده أن السورة تعليم من الله عزَّ وجلَّ لعباده، فكأنه قال لهم: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلخ، كما مرَّ عن ابن جرير، فجاء "نعبد ونستعين" على حسب ذلك)[1].

[قال —رحمه الله—]: (وفي البدلية هنا نكتة لطيفة، فإنه اشتهر أن المبدَل منه على نية الطرح. وهذا مناسب هنا لأن مِن لازمِ طلب الإعانة إثباتَ قدرة للنفس. وذاك وإن كان حقًّا في الجملة، ولكنَّ المقامَ مقامُ خضوع وتذلُّل، وهو يستدعي إظهار تمام العجز. وهذا تُعبِّر عنه هذه الجملة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة:٦]، فتأمَّلْ! والله أعلم)[2].

[قال -رحمه الله-]: (قوله: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾كان الظاهر أن يقال: الذين غضبتَ عليهم. ومن الحكمة - والله أعلم - في العدول عن ذلك هنا أنَّ الفاتحة سورةُ رحمةٍ مكرَّرةٍ وحمدٍ وثناءٍ، والتصريحُ بنسبة الغضب [إلى] الله تعالى لا يساعد ذلك في بادي النظر، وإن كان غضبُ الله على من غضِبَ عليه هو من لوازم الرحمة العامَّة، وهو مقتضٍ لحمد الله

---

(١) انظر: (ص: ١٦٥-١٦٦).

(٢) انظر: (ص: ١٧٠).

تعالى عليه؛ لأنه مع صرف النظر عن الرحمة العامَّة مقتضى الحكمة البالغة.

ومن الحكمة في ذلك – والله أعلم – تنبيهُ المتدبِّر على أنَّ المدار على الرحمة، وأنَّ الغضب كالعارض. ولذلك اشتَقَّ اللهُ لنفسه أسماءً من الرحمة والرأفة ونحوها، ولم يشتقَّ لنفسه اسمًا من الغضب. وفي "الصحيحين" في الحديث القدسي: "إنَّ رحمتي سبقت غضبي".

ومن الحكمة – والله أعلم – تعليمُ العبادِ حسنَ الأدب مع ربِّهم عزَّ وجلَّ، فلا ينسبون إليه تصريحًا ما قد يُوهِم.

ومنها – والله أعلم – تأنيسُ المؤمن؛ لأنه إذا تلا هذه السورة متدِّبرًا حقَّ التدبُّر، فقد صار على حالٍ عظيمةٍ من الخضوع والتعظيم لربِّه عزَّ وجلَّ والتوحيدِ والحرصِ على الاهتداء واتباعِ الصراط المستقيم وصدقِ الإقبال على ربه عزَّ وجلَّ وغير ذلك، فاستحقَّ إيناسَه بأن لا يقع بعد ذلك كلِّه تصريحٌ بنسبة الغضب إلى ربِّه عزَّ وجلَّ. فإنْ تدبَّر وعرَفَ أنَّ المعنى على ذلك آنسه العدولُ عن التصريح لما فيه من التنبيه على الحِكَم المذكورة)(١).

٧) القراءات:

[قال –رحمه الله–]: (في "مالك" عدة قراءات فصَّلها في "روح المعاني". والذي في السبع منها: "مَلِك" بفتح، فكسر، وبالجرِّ، و"مالك" بإثبات الألف والجرِّ أيضًا. وكلا الوصفين ثابت لله تبارك وتعالى)(٢).

[قال –رحمه الله–]: (ولما كان من المنافقين ذنبان: أحدهما الكفر الذي هو التكذيب، وثانيهما: الكذب بيَّن الله تعالى أنهم يستحقون على كل منهما عذابًا أليمًا. فنبَّه على الأول بقوله: ﴿**بِمَا كَانُواْ يُكَذِّبُونَ ١٠**﴾[البقرة:١٠]على قراءة من قرأ بالتشديد، وعلى الثاني بقوله: ﴿**بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠**﴾ [البقرة:١٠]على قراءة من قرأ بالتخفيف)(٣).

٨) التضمين في القرآن:

[قال –رحمه الله–]: (واختار الصاوي في "حواشيه على الجلالين" بأن (في) بمعنى

(١) انظر: (ص: ١٨٠).

(٢) انظر: (ص: ١٥٢).

(٣) انظر: (ص: ١٨٧).

(على)،كما في قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] ؛ فالمعنى: لا إكراه على الدين. ولكن من يقول بأن استعمال (في) موضع (على) لا يكون إلا لنكتة يطلب النكتة هنا، ولم أستحضر نكتة.

وعندي أن في الكلام تضمينًا، ضمن الإكراه معنى الإدخال لتؤدي الكلمة المعنيين معًا، ونبه على ذلك بتعدية الإكراه بـ (في) التي يعدى بها الإدخال، فصار المعنى: لا إدخال في الدين بالإكراه. والتضمين كثير في القرآن وغيره)[١].

٩) المكي والمدني:

[قال -رحمه الله-]: (السورة مكِّيَّةٌ كما نصُّوا عليه ونقلوه عن ابن عبَّاسٍ وابن الزُّبير وجماعة من التابعين، وتَدَبُّرها يقضي بذلك، واستثنى بعضهم آيات من أوائلها وأثنائها ،فعلى كلِّ حال هاتان الآياتان مَكِّيَّتَان، والقتال إنما شُرِعَ بالمدينة)[٢].

---

(١) انظر: (ص: ٢١٩).

(٢) انظر: (ص: ٤٠٠).

المبحث السابع: منهجه في عرض الأقوال التفسيرية:

نستطيع رؤية منهج العلامة المعلمي -رحمه الله- في عرضه للأقوال التفسيرية من خلال هذه النقاط الآتية:

١-أحيانا لا يعزو الأقوال إلى أصحابها وينقل عنهم بالمعنى:

[قال -رحمه الله-]: (فقوله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة:١] معناه كما حقَّقه المفسِّرون وغيرهم: لا نبتدئ بشيءٍ مستعينين به أو متبرِّكين إلا باسم الله الرحمن الرحيم، وتَضَمُّنُ هذا للتوحيد ظاهر)[١].

[قال -رحمه الله-]: (القول الرابع: زعم بعضهم أن لفظ "اسم" قد يأتي بمعنى الصفة)[٢].

[قال -رحمه الله-]: (وقد ذهب بعض المفسرين إلى نحو هذا)[٣].

[قال -رحمه الله-]: (وزعم بعضهم أنه يحتمل أن يكون المراد به لفظه، وتكون الإضافة بيانية، أي: باسمٍ هو هذا اللفظ: "الله". وليس هذا القول بشيء)[٤].

[قال -رحمه الله-]: (أمَّا على رأي القائلين بأنَّ الحوادث كلَّها إنما تحدث بتعلُّق قدرة الله تعالى بها حين حدوثها)[٥].

٢-أحيانا يعزو الأقوال إلى أصحابها:

[قال -رحمه الله-]: (قال البغوي في أوائل تفسيره في الكلام على البسملة: "والاسم هو المسمَّى وعينُه وذاتُه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾[مريم:٧] ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَحْيَى﴾[مريم:٧]. وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾ [يوسف:٤٠] وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسمَّيات. وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى:١]

(١) انظر: (ص: ٨٢).

(٢) انظر: (ص: ٩٨).

(٣) انظر: (ص: ١٠٣).

(٤) انظر: (ص: ١١٣).

(٥) انظر: (ص: ٢٦٤).

﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:١٨]. ثم يقال للتسمية أيضًا: اسم، فاستعماله في التسمية أكثر من المسمَّى")[(١)].

[قال -رحمه الله-]: (كما قال الأشعري في كتاب المقالات - أن الاسم غير المسمى)[(٢)].

٣-أحيانا يستبعد بعض الأقوال ويذكر السبب على ذلك:

[قال –رحمه الله–]: (وقد استشكل فيها ثبوت كلمة ﴿قُلْ﴾،وجاء عن بعض الصحابة أنه قرأ بدونها، وزعم بعضهم أنه ينبغي للإنسان أن ينوي بكلمة ﴿قُلْ ﴾أمر نفسه. وهو بعيد، ولا يدفع الإشكال)[(٣)].

[قال –رحمه الله–]: (أقول: هذا الوجه بعيد جدًّا؛ لأن الله يقول في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩])[(٤)].

٤-وأحيانا يستبعد بعض الأقوال من غير ذكر الدليل على ذلك:

[قال –رحمه الله–]: (وزعم بعضهم أنه يحتمل أن يكون المراد به لفظه، وتكون الإضافة بيانية، أي: باسمٍ هو هذا اللفظ: "الله". وليس هذا القول بشيء)[(٥)].

٥-الإنصاف مع المخالف بذكر الذي له والذي عليه:

[قال –رحمه الله–]: (والزَّمخشري- على حسن معرفته بالعربية - قليل الحظِّ من السنّة، ورأى أنّه لا يكون الحجر مصلّى على الحقيقة إلاّ إذا كانت الصلاة عليه، وذلك غير مشروع ولا ممكن؛ لأنّه يصغر عن ذلك.

ولو وُفِّقَ الزمخشري للصواب لجعل هذا قرينةً على أنّ المراد بكلمة ﴿مُصَلًّى﴾ قِبلة، كما قاله السلف، أي: يُصلَّى إليه؛ كما بيّنه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعمل به أصحابه فمن بعدهم)[(٦)].

---

(١) انظر: (ص: ٨٩).

(٢) انظر: (ص: ٩٢).

(٣) انظر: (ص: ٨٤).

(٤) انظر: (ص: ٢٤١).

(٥) انظر: (ص: ١١٣).

(٦) انظر: (ص: ٢٧٤).

٦- أحيانا يستوعب كثيرا من الأقوال الواردة في المسألة بذكر أدلتها ومناقشتها:

كما فعل -رحمه الله- في مسألة الاسم والمسمى في تفسيره لسورة الفاتحة[١].

٧- لا يهتم بالخلاف الذي لا يترتب عليه المعنى:

[قال -رحمه الله-]: ((الله) هذا اللفظ اسم لربنا عزَّ وجلَّ، وهو عَلَم، وقد اختلفوا في علميته: أبالوضع، أم بالغلبة التقديرية؟ وفي كونه مشتقًّا أم لا، وعلى الاشتقاق، فمن أي مادة؟ولا أرى ضرورةً هنا إلى تفصيل ذلك، فإنه لا يتوقف عليه معرفة المعنى)[٢].

٨- يشرح بعض الأقوال المشهورة التي تحتاج إلى بيان:

[قال -رحمه الله-]: (وقال الأكثر: إنَّ تعجرفهم من تعنُّتهم. وهذا هو الظاهر، ولكنه يحتاج إلى بيان. فأقول:.....)[٣].

٩- أحيانا يذكر الأقوال باختصار ويدلف إلى المقصود:

[قال -رحمه الله-]: (اختلفت الأمة في البسملة، فقال بعضهم: هي آية من القرآن، وقال بعضهم: ليست آية من القرآن، ولم يكفر أحد الفريقين الآخر مع قولهم بكفر من أنكر آية من القرآن أو زاد فيه ما ليس فيه، وإنما حملهم على عدم التكفير في الأمثلة السابقة ونحوها أن المخطيء فيها معذور)[٤].

---

(١) انظر: (ص: ٨٨ - ١١٣).

(٢) انظر: (ص: ١١٣).

(٣) انظر: (ص: ١٢٨).

(٤) انظر: (ص: ١٣٦).

المبحث الثامن: منهجه في الترجيح بين الأقوال التفسيرية:

يتلخص منهج المؤلف -رحمه الله- في الترجيح بين الأقوال التفسيرية في النقاط الآتية:

١. **أحيانا يذكر المسألة ثم يرجح من غير ذكر الأدلة على ذلك:**

[قال -رحمه الله-]: (والذي يظهر أنه ينبغي أن يستحضر عند كلمة ﴿قُلْ﴾أنها أمر من الله تعالى له بقول ما بعدها، ثم ينوي بما بعدها التعبير عن نفسه، فكأنه يقدر ما يأتي: يقول الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ ما يأتي، فأنا أقول ﴿ أَعُوذُ... ﴾...)[(١)].

٢. **أحيانا يستوعب المسألة بذكر الأقوال والأدلة ومناقشتها ويبين مواطن الإشكال في الخلاف في المسألة ثم يرجح:**

[قال -رحمه الله-]: (...وقد تحير المتأخرون في معنى الخلاف. قالوا: لأنه إن أريد بالاسم لفظه، فهو غير المسمى قطعًا، ولا يقول عاقل - فضلاً عن أهل السنة - إنه عينه. وإن أريد مدلوله فهو عين المسمى، ولا يخالف في ذلك المعتزلة ولا الخوارج. أقول: لا يبعد أن يكون أول الأمر....)[(٢)].

٣. **يبين درجة الخلاف هل هو حقيقي أم صوري ثم يرجح:**

[قال -رحمه الله-]: (والذي أراه أن الخلاف صوري، والتحقيق مع السعد، وذلك أن الواضع لما وضع الألفاظ للمعاني دعت الحاجة إلى استعمالها في الدلالة على أنفسها، فأقرَّها الواضع، ونطق بها العرب كذلك حيث احتاجوا إليها، فكان هذا وضعًا تبعيًّا)[(٣)].

٤. **الرد على بعض الأقوال من وجوه كثيرة:**

[قال -رحمه الله-]: (وهَبْ أن نسبة هذا البيت: "إلى الحول ... " إلخ صحت إلى لبيد، أو إلى غيره ممن يحتج بكلامه، فقد حمله ابن جرير على أن قوله: "السلام" أراد به الاسم المعروف من أسماء الله عزَّ وجلَّ، ثم يقول: إما أن يكون أراد: ثم عليكما اسم السلام، أي: ثم الزما اسم الله. يريد: الزما ذكر اسم الله، ودعا ذكري. وإما أن يكون أراد التبريك

---

(١) انظر: (ص: ٨٤).

(٢) انظر: (ص: ٩٢).

(٣) انظر: (ص: ٩٨).

عليهما، أي: ثم بركة اسم الله عليكما.

وأقول: لو فرضنا أنه لم يكن له وجه إلا ما حملوه عليه من الزيادة، فهو شذوذ وضرورة، فلا يجوز حمل كلام الله عَزَّ وَجَلَّ عليه.

وهب أن ذلك صحيح فصيح غير ضرورة، فلا شك أنه خلاف الأصل)[١].

[قال -رحمه الله-]: (والعبادة: اختلفت عباراتهم في تفسيرها.

فقيل: الطاعة. وقيل: الخضوع والتذلُّل. وقيل: الطاعة والخضوع مع المحبة.

وهذه العبارات صالحة لتفسير عبادة الله عزَّ وجلَّ، فأما العبادة المطلقة، فلا؛ لأنَّ الخادم مثلًا يطيع مخدومه، ويخضع له، ويتذلَّل، وهو مع ذلك يحبُّه، ولا يكون ذلك عبادةً منه لمخدومه اتفاقًا.

وقيل: أقصى درجات الخضوع. وكاد المتأخرون يطبقون عليه، مع أنه لا يفسِّر لنا العبادة المطلقة.

أما أولاً فلأنَّ للخضوع درجات، فما المراد بالأقصى منها؟...)[٢].

٥. الترجيح مع بيان الدليل والعاضد:

[قال –رحمه الله-]: (استشكل بعضهم ثبوت كلمة " قل" في أول الإخلاص والمعوِّذتين في القراءات المتواترة، إذ قد جاء عن بعض الصحابة تركُها، فكانوا يقرؤون: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم◉ هو الله أحد**﴾.

وأجاب الماتريدي بأنَّ **"قل"** في ذلك أمرٌ لكل أحد، وعلى هذا فينبغي للتالي أن يستحضر أن كلمة **"قل"** أمرٌ من الله عزَّ وجلَّ له بقول ما يأتي، ثم يقول: **"أعوذ برب الفلق"** إلى آخرها عن نفسه.

وقيل: بل ينبغي أن يستحضر أنه مأمور بأن يقول: "قل أعوذ" أي قل لنفسك: قل. فيستحضر بقوله: "قل" أنه يأمر نفسه.

وهذا بعيد، والأول هو الظاهر. ويؤيده ما صحّ عن أُبي بن كعب أنه سُئل عن المعوذتين،

---

(١) انظر: (ص: ١١٢).

(٢) انظر: (ص: ١٥٤).

فقال: "سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "قيل لي، فقلت". فنحن نقول كما قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم" –. كذا أخرجه البخاري في تفسير سورة الفلق . وقد أخرجه الإمام أحمد وغيره. وفي بعض الروايات: "قيل لي: قل، فقلت، فقولوا. فنحن نقول" إلخ.

وواضح أن التقدير: "قيل لي: قل أعوذ إلخ، فقلت: أعوذ إلخ، فقولوا، أي فليقل كل أحد منكم: أعوذ إلخ. والجمع بين هذا وبين قراءة "قل" هو ما قدَّمت، والله أعلم. فأما الفاتحة، فلا إشكال فيها)[(١)].

[قال –رحمه الله–]: (﴿بِٱلْغَيْبِ﴾ :قيل: إنَّ الباء بمعنى (في)، أي: يؤمنون غائبين. وقيل: إنها للاستعانة، أي: يؤمنون بالقلوب. وكلا القولين ضعيف، والصواب أنّ الباء هي التي يوصف بها الإيمان في نحو: آمنت بالله. وعليه فإن حُملت (ال) على الجنس لزم أن يكون الظاهر أنّه يكفي الإيمان بشيءٍ ما من الغيب وهو باطل، وإن حُملت على الاستغراق لزم اشتراط الإيمان بكل غيب؛ وهو غير صحيح. فالصواب أنّها للعهد أي: بالغيب الذي دعت الرسل إلى الإيمان به، وذلك الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وسائر ما عُلِم أنّ الرسل أخبرت به)[(٢)].

٦. التوفيق بين الأقوال:

[قال–رحمه الله–]: (وقد اختلفت عبارات السلف في المراد به هنا. فعن علي وابن مسعود أنه كتاب الله. وجاء هذا مرفوعًا عن النبي – صلى الله عليه وسلم –. ورُوي عن جابر وابن عباس وغيرهما، قالوا: هو الإسلام.

وعن أبي العالية والحسن: هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحباه من بعده أبو بكر وعمر.

في عبارات أخر لا اختلاف بينها بحمد الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ امتثال ما في كتاب الله تعالى هو الإسلام، والذي كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحباه هو الإسلام.

---

(١) انظر: (ص: ١٣٧–١٣٨)

(٢) انظر: (ص: ٢٢٤).

هذا، وقد عُرِفَ أن لكل إنسان سيرة يسيرها في عمره في اعتقاده وأخلاقه وآدابه وأعماله وأقواله، فهي طريقُه. فمن أَتبع في ذلك كلِّه كتابَ الله وسنةَ رسوله والسلف الصالح فهو على الصراط المستقيم. ومن أخلَّ في شيء من ذلك كان في طريقه من العِوج بمقدار إخلاله)[(١)].

[قال -رحمه الله-]: (هذا، وقد اختلفت عبارات السلف في بيان مَن هم المنعَم عليهم. فعن ابن عباس: أنهم الملائكة والنبيُّون والصدِّيقون والشهداء والصالحون.

وهذا مأخوذ من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٩].

وعن ابن عباس أيضًا: أنهم المؤمنون.

وعن الربيع: النبيون.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أنهم النبي - صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه. وقد مرَّ عن أبي العالية والحسن ما يفيد أنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر.

أقول: لا تخالُفَ بحمد الله بين هذه الأقوال. فأما في مقام الدعاء، فهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وكلُّهم مؤمنون مسلمون لربِّهم عزَّ وجلَّ.

ومن قال: النبيون، فلأنهم الأصل.

وأما في مقام التنبيه على الاتباع والبيان، فعلى التالي أن ينظر من يعرف بسيرتهم من المنعَم عليهم قطعًا، فيتأثرها. فإنه إذا علم أنَّ فلانًا من المنعَم عليهم قطعًا، فلا بدَّ أن يكون صراطُه هو صراطَ جميعهِم، وهو الصراط المستقيم. فقد سمَّى الله تعالى لنبيِّه جماعةً ممن قبله من الأنبياء، ثم قال: ﴿**فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأما أصحابه - صلى الله عليه وسلم -، ورضي عنهم، فقد علموا أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - منعَم عليه قطعًا، وأنَّ صراطَه هو صراطُ المنعَم عليهم، وأنه الصراط المستقيم، فكان التنبيه في حقهم والدلالة على اتباعه.

وهكذا من جاء بعدهم. ويزاد في حقِّهم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابُه

---

(١) انظر: (ص: ١٧٢ -١٧٣).

الذين تحقَّق أنهم منعَم عليهم. فإذا لم يُعرَف الحكم أو السنة أو الأدب أو نحو ذلك من الكتاب والسنة نُظِرَ في إجماع الصحابة. ولذلك خصَّ أبو العالية أبا بكر وعمر لِتيسُّر معرفةِ إجماع الصحابة في عهدهما. وإذا لم يكن إجماعٌ فقولُ الواحد من الصحابة، فقولُ الصحابي أولى من غيره، ولا سيَّما من قامت الحجة على أنه بخصوصه من المنعَم عليهم كالخلفاء الأربعة وغيرهم. وقِسْ على هذا)[١].

٧. الترجيح بالسياق:

[قال –رحمه الله–]: (فإن قال قائل: أنا لا أسلِّم أن معنى ﴿**لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ**﴾ لا إكراه على الدين –كما قلت – وإن اتفق عليه المفسرون، بل الظاهر عندي أن المعنى: ليس في أحكام الدين حكم بالإكراه. أي أعم من أن يكون إكراهًا على الإيمان أو على عملٍ ما من الأعمال مطلقًا.

قلت: السياق يأبى هذا، ولا سيما قوله: ﴿**فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ**﴾ ، وقوله في آية يونس: ﴿**أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٩٩**﴾ [يونس: ٩٩])[٢].

(١) انظر: (ص: ١٧٧).

(٢) انظر: (ص: ٢٢١).

المبحث التاسع: منهجه في النقل من المصادر التفسيرية:

يتجلى منهج المؤلف في المصادر التفسيرية من خلال ما يأتي:

١. **ينقل أحيانا بالنص ويذكر اسم المؤلف وكتابه:**

[قال –رحمه الله–]: (قال البغوي في أوائل تفسيره في الكلام على البسملة: "والاسم هو المسمَّى وعينُه وذاتُه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾[مريم:٧] ثم نادى الاسم فقال: ﴿يَحْيَى﴾[مريم:٧]. وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾[يوسف:٤٠] وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسمَّيات. وقال:﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾[الرحمن:١٨]. ثم يقال للتسمية أيضًا: اسم، فاستعماله في التسمية أكثر من المسمَّى")[١].

[قال –رحمه الله–]: (كما قال الأشعري في كتاب المقالات – أن الاسم غير المسمى)[٢].

٢. **أحيانا ينقل بالنص من غير اسم المؤلف والمصدر:**

[قال–رحمه الله–]: (وقد قالوا في قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٤١﴾[هود:٤١]: "الباء للملابسة، والملابسة هي المصاحبة، ولما كانت ملابسة اسم الله عز اسمه بذكره، قالوا: المعنى: اركبوا مسمِّين الله")[٣].

٣. **أحيانا ينقل بالمعنى من غير ذكر اسم المؤلف والمصدر:**

[قال –رحمه الله–]: (وقد قال بعض الأجِلَّة: إن ذكر كلمة الجلالة أو تكرارها ليس بذكر شرعي، لأن الاسم وحده لا يفيد معنًى)[٤].

٤. **يلخص ما ينقله من الأقوال الكثيرة:**

[قال –رحمه الله–]: (هما اسمان مشتقان من الرحمة، وقد كثر الكلام فيهما، والذي

---

(١) انظر: (ص: ٨٩).

(٢) انظر: (ص: ٩٢).

(٣) انظر: (ص: ١١٥).

(٤) انظر: (ص: ١١٦).

يتلخص لي أنهما اسمان مشتقان من الرحمة، يدلَّان على المبالغة، إلا أن "الرحمن" اشتق من (رحم) معتبرًا فيه اللزوم، حملًا له على ضدَّه: "خشي")[١].

٥. النقل عن بعض المشاهير المعاصرين من غير تسميتهم:

[قال –رحمه الله–]: (ثم وقفتُ على عبارة لبعض المشاهير من المعاصرين، وهي أن العبادة هي: "كلُّ تعظيمٍ وتقرُّبٍ قوليٍّ أوعمليٍّ لصاحب السلطان العلوي والقدرة الغيبية". وذكر أن هذا تحقيقٌ لمعنى "العبادة" أو حدٌّ لها. وكلُّ ما قيل غيره في تعريفها فهو رسم)[٢].

٦. ينقل عن بعض المصادر عن طريق غيره ويختصر في النقل مقتصرا على موضع الشاهد:

[قال –رحمه الله–]: (وفي "الكشاف": "والأحسن أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا﴾ بيانًا للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسنَ لتلاؤمِ الكلام وأخذِ بعضِه بحجزةِ بعض".

حكاه في "روح المعاني"، ثم قال: "ووجه التخصيص حينئذ كمالُ احتياج العبادة إلى طلب الإعانة، لكونها على خلاف مقتضى النفس ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٥٣]. والقرينة مقارنة العبادة، ولا خفاء في وضوحها".

ثم قال: "والإنصاف عندي أنَّ الحمل على العموم أولى ...)[٣].

---

(١) انظر: (ص: ١٢٣).

(٢) انظر: (ص: ١٥٦).

(٣) انظر: (ص: ١٦٧).

المبحث العاشر: منهجه في الرد على المخالف في التفسير:

يتضح منهج المؤلف -رحمه الله- في الرد على المخالف في التفسير من خلال النقاط الآتية:

١. يرد على من يخالف التفسير بالمأثور:

[قال -رحمه الله-]: (وزعم جماعة من المتأخرين أن الأَولى حملُ المغضوب عليهم والضالين على العموم، أي كُلّ مغضوب عليه وكلِّ ضالّ.

وأقول: لا حاجة إلى هذا؛ لأنه مع مخالفته للمأثور، ومخالفته للسياق، وإخلاله ببعض الفوائد المتقدمة، ليس فيه فائدة. على أنَّ حاصله حاصلٌ أيضًا مع التفسير المأثور، فإنه إذا عُلِمَ أنَّ اليهودَ مغضوبٌ عليهم، لا منعَم عليهم، فصراطُهم مخالفٌ للصراط المستقيم، فعلى المسلم الحذرُ مما هم عليه؛ وأنَّ النصارى ضالُّون غيرُ منعَم عليهم، فكذلك كان في ذلك تنبيه على أنَّ كلَّ من تحقَّق أنه مغضوب عليه أو ضالٌّ، فالحال فيه كذلك. والله الموفق، لا إله إلا هو)(١).

٢. التماس العذر لبعض المخالفين:

[قال -رحمه الله-]: (قال: "وأحسب أن الذي دعا مجاهدًا إلى هذا التأويل، وإضافة ذلك إلى أنه خطابٌ لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم، الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانيَّة ربِّها وإشراكها معه في العبادة غيره، وإن ذلك لقولٌ؛ ولكن الله جلَّ ثناؤه قد أخبر في كتابه أنها كانت تقرُّ بوحدانيَّته غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها)(٢).

[قال -رحمه الله-]: (ونسبة ابن جريرٍ هذه الغفلة إلى مجاهدٍ مع جلالة مجاهد تهوِّن عليك نسبة مثل هذه الغفلة إلى غيره، حتى إنه قد يقع فيها ابن جريرٍ نفسه في بعض المواضع)(٣).

---

(١) انظر: (ص: ١٨٢).

(٢) انظر: (ص: ٢٣١).

(٣) انظر: الموضع نفسه.

٣. الدفاع عن أهل الفضل:

[قال -رحمه الله-]: (وفي تصريح مجاهدٍ بما سمعتَ - وهو ثابتٌ عنه من عدَّة طرقٍ - ما يبيِّن بطلان ما اتَّهمه به ابنُ جريرٍ من أنه ظنَّ أن العرب لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها، إلاَّ إن كان غفل عن ذلك غفلةً، كما قد تقع الغفلة عن ذلك من غيره كثيرًا - كما تقدَّم -، والله أعلم)(١).

٤. الشدة على بعض المخالفين:

[قال –رحمه الله-]: (ما توهَّمه بعض الناس أن قول الملائكة: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ**﴾ [البقرة:٣٠] من الغيبة المحرمة، فمِنْ ضِيقِ عَطَنه، وقد صحَّت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبارٌ كثيرةٌ عما سترتكبه أمَّته من بعده من الفجور، فهل يكون ذلك غيبة؟!)(٢).

[قال -رحمه الله-]: (أخذ هذا المخذول يتخبَّط في خيالات واهية، إلى أن قال: "فلِمَ لَمْ يكذِّب القرآنُ التوراة والإنجيل"؟

فنقول: يا مخذول، أي شيء مسمَّى التوراة والإنجيل في الحقيقة؟ أليس هو الكتابَيْن المنزَّلَين من الله تعالى؟ لا شكَّ في ذلك.

وقد بيَّنَّا لك بما سبق أنَّ ما بأيدي القوم من قبل بعثة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبدَّلٌ مغيَّرٌ، قد اختلط فيه الحق بالباطل)(٣).

٥. الرد على بعض الأقوال على افتراض صحتها، وحملها على أحسن الوجوه متى ما أمكن ذلك:

[قال -رحمه الله-]: (وما حُكِيَ عن بعض الصِّدِّيقين من قوله: "لو كُشِفَ الغطاء ما ازددتُ يقينًا"، إن صحَّ فلا إشكال فيه؛ إذ قد يُقال: إن الخليل عليه السلام لم يطلب زيادة اليقين ولا ازداد بالرؤية يقينًا وإنما سكنت نفسه واطمأن قلبه من ذلك الاضطراب الذي لا ينافي كمال اليقين بل يناسبه كما مرَّ، بل قد يكون في هذه المقالة دلالة على أن حال قائلها

---

(١) انظر: (ص: ٢٣٢).

(٢) انظر: (ص: ٢٤٧).

(٣) انظر: (ص: ٤٧٦).

دون حال الخليل عليه السلام؛ لما قدَّمنا أن قوَّة اليقين تثمر قوَّة الخشية، وقريبٌ من هذا حال أبي بكرٍ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عريش بدر، وقد شرحتها في موضعٍ آخر.وقد يقال: إن قائل تلك الكلمة أراد اليقين بوجود الله عزَّ وجلَّ، والخليل عليه السلام لم يَعْرِضْ لهذا؛ فإن قلبه مطمئن به غاية الطمأنينة، وإنما نظره في إحياء الموتى)[1].

٦. الأدب مع المخالف:

[قال -رحمه الله-]: (قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...**يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة:٢٧٣].

دلّ سياق الآية على أنّهم لا يسألون البتة، ومفهوم قوله: ﴿**لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة:٢٧٣] أنّهم يسألون، ولكنّهم لا يُلْحِفون.

أجاب الزمخشري بأنّ النّفي هنا متوجّه إلى المقيَّد، كما في قول الشاعر:

* على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره *

أي: ليس له منار فيهتدى به.

وعندي في هذا الجواب والاستشهاد نظر، وهو قول الشاعر: "لا يهتدى بمناره"، وما شابهه في كلام الفصحاء إنّما يجيء إذا كان هناك ملازمة. من اللازم...)[2].

[قال -رحمه الله-]: (آل عمران ٣) ((آلوسي (ج ١/ ص ٦٧٣) ﴿**وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥**﴾ [آل عمران:١٣٥].

"وقد ذكر أنّ الحال بعد الفعل المنفي - وكذا جميع القيود - قد يكون راجعًا إلى النفي، قيدًا له دون المنفي، مثل: ما جئتك مشتغلاً بأمورك، بمعنى: تركت المجيء مشتغلاً بذلك.

وقد يكون [راجعًا إلى ما دخله النفي مثل: ما جئتك راكبًا، ولهذا معنيان: أحدهما - وهو الأكثر -: أن يكون النفي] راجعًا إلى القيد فقط، ويثبت أصل الفعل، فيكون المعنى: جئت غير راكب.

وثانيهما: أن يقصد نفي الفعل والقيد معًا، بمعنى انتفاء كلٍّ من الأمرين. فالمعنى في

---

(١) انظر: (ص: ٣٧٣).

(٢) انظر: (ص: ٣٧٧).

المثال: لا مجيءَ ولا ركوب.

وقد يكون النفي متوجهًا للفعل فقط من غير اعتبار لنفي القيد وإثباته.

قيل: وهذه الآية لا يصح فيها أن يكون ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥] قيدًا للنفي، لعدم الفائدة؛ لأنّ ترك الإصرار موجب للأجر والجزاء، سواء كان مع العلم بالقبح أو مع الجهل، بل مع الجهل أولى. ولا يصحّ".

[قال المعلمي]: "فيه نظر؛ لأنّه قد يقال: إذا تركوه عالمين بقبحه كان الظاهر من ذلك أنهم إنما تركوه خوفًا من الله عزَّ وجلَّ، فبذلك يستحقون الثواب. وإذا تركوا شيئًا لا يعلمون بقبحه فالظاهر أنهم إنما تركوه لعارض غير خشية الله، فلا يستحقّون ثوابًا. والله أعلم"(١).

---

(١) انظر: (ص: ٤٨٢).

المبحث الحادي عشر: منهجه في التعامل مع الروايات والآثار المنقولة في التفسير:

لا يخفى مقام المعلمي -رحمه الله- في الحديث، وهذه بعض النقاط التي تبين منهجه في التعامل مع الروايات المنقولة في التفسير:

١. التفصيل في تخريج الروايات والترجيح بينها إن اقتضى المقام ذلك:

[قال -رحمه الله-]: (وأما ما في "الصحيح" من كلام سهيل بن عمرو، فقد اختلفت الروايات في حكاية قوله. والذي عند ابن إسحاق عن الزهري في هذه القصة: "ثم دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتب "بسم الله الرحمن الرحيم". قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا. ولكن اكتب "باسمك اللهم".

فظاهر هذا مع ما تقدَّم أنَّ سهيلاً إنما أنكر البسملة لمخالفتها ما مضوا عليه من قولهم: "باسمك اللهم". وقوله: "لا أعرف هذا" يعني أنَّ السنة التي نعرفها هي: "باسمك اللهم". و"بسم الله الرحمن الرحيم" غير معروفة عندهم، أي غير معروف الابتداء بها.

فأما ما وقع في "الصحيح" من قوله: "أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي" ربما يكون من الرواية بالمعنى، كأنَّ بعض الرواة فهم أنَّ إنكار سهيل لـ "بسم الله الرحمن الرحيم" إنما هو لما عُرِف عنهم من الشغب في هذا الاسم الشريف "الرحمن".

ويحتمل أن يكون من إطلاق الجزء وإرادة الكل. أُطلق "الرحمن"، وأُريد البسملة كلها. وقد يشهد له قوله: "ما هي" كما في أكثر روايات "الصحيح" وأوثقها.

وما وقع في بعض الروايات "ما هو" من تصرُّف الرواة. ظنَّ أنَّ الضمير [عائد] على الاسم "الرحمن" بمعناه الحقيقي.

والحديث في "الصحيح" من رواية عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري. وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق، فوقع في نسخة المسند المطبوعة (٤/ ٣٣٠): "فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو. وقال ابن المبارك: ما هو". كذا، والظاهر أن الأولى: "ما هي". وهي [رواية] عبد الرزاق عن معمر. وتكون رواية ابن المبارك عن معمر: "ما هو". ورواية عبد الرزاق أثبت؛ لأنه لزم معمرًا، وسمع من كتبه. وسماعُ [ابن] المبارك من

معمر كان من حفظه كما يعرف من ترجمة معمر.

وقوله: "فو الله لا أدري ما هي" - يريد والله أعلم البسملة - محملُه: أنه لا يدري أينبغي أن يصدَّر بها الكتب أم لا، أو أحقٌّ هي أم باطل.

وبالجملة، فالظاهر أنَّ سهيلاً إنما أنكر البسملة، والله أعلم)[١].

[قال -رحمه الله-]: (وإذ قد اتضح بحمد الله تعالى معنى الآية فلننظر في الآثار الواردة عن قصَّة هاروت وماروت مع الزُّهَرَةِ، فأقول: ساق الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره الآثار المذكورة ولم يعرض لها مع جزمه بعصمة الملائكة عليهم السلام، وقد ردَّها جماعة كالقاضي عياض والفخر الرازي، نقله الآلوسي في تفسيره قال: "ونصَّ الشهاب العراقي على أن مَنْ اعتقد في هاروت وماروت أنهما مَلَكان يُعَذَّبان على خطيئتهما مع الزُّهَرَةِ فهو كافر بالله تعالى العظيم؛ فإنَّ الملائكة معصومون، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم:٦]، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، والزُّهَرَة كانت يوم خلق الله تعالى السموات والأرض، والقول بأنها تمثَّلت لهما فكان ما كان وَرُدَّتْ إلى مكانها غير معقول ولا مقبول".

قال الآلوسي: "واعترض الإمام السيوطي على مَن أنكر القصَّة بأن الإمام أحمد وابن حبان والبيهقي وغيرهم رووها مرفوعة وموقوفة على عليٍّ وابن عباس وابن عمر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم بأسانيد عديدة صحيحة، يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها؛ لكثرتها وقوَّة مُخْرِجِيها. وذهب بعض المحققين [إلى] أن ما رُوِيَ مرويٌّ حكايةً لما قاله اليهود، وهو باطل في نفسه، وبطلانه في نفسه لا ينافي صحة الرواية، ولا يَرِدُ ما قاله الإمام السيوطي عليه، إنما يَرِدُ على المنكرين بالكلِّيَّة، ولعلَّ ذلك من باب الرموز والإشارات ... ".

وفي القول المسدَّد للحافظ ابن حجر: "قلت: وله طرق كثيرة جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها. والله أعلم".

أقول: أما رواية القصة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ففي مسند الإمام أحمد: عن

---

(١) انظر: (ص: ١٢٩-١٣١).

يحيى بن أبي بكير، عن زهير بن محمَّد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا، وموسى هو الأنصاري مجهول الحال لم يوثِّقه أحد إلا أن ابن حبان ذكره في ثقاته، وقال: "يخطئ ويخالف".

قلت: وقد عُرِفَ من مذهب ابن حِبَّان...)[١].

٢. يصحح ويضعف بعض الروايات المنقولة في التفسير:

[قال -رحمه الله-]: (أخرج ابن جرير بسند صحيح عن قتادة قال: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ فاستشار الملائكة في خلق آدم فقالوا ﴿**أَتَجْعَلُ**... ﴾. مراد قتادة بقوله: "فاستشار" لازمه من الإذن بإبداء الرأي)[٢].

[قال -رحمه الله-]: (ثم روى بسند ضعيف عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: "إن طلَّقها ثلاثًا فلا تحِلُّ حتى تنكح زوجًا غيره")[٣].

[قال —رحمه الله-]: (أخرج أبو داود بسندٍ صحيحٍ كما في الفتح عن مجاهد قال: "كنت عند ابن عباس فجاءه رجل، فقال: إنه طلَّق امرأته ثلاثًا، فسكت حتى ظننت أنه سيردُّها إليه، فقال: ينطلق أحدكم فيركب الأُحموقةَ، ثم يقول: يا ابن عباس! يا ابن عباس! إن الله قال: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝**﴾ [الطلاق:٢]، وإنك لم تتق الله، فلا أجد لك مخرجًا، عصيتَ ربك، وبانتْ منك امرأتك")[٤].

[قال-رحمه الله-]: (فقد أخرج ابن ماجه بسندٍ صحيحٍ عن عمرو بن شُعَيبٍ عن أبيه عن جدِّه، وجدُّه هو عبد الله بن عمروٍ قال: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان من الغضب، فقال: "بهذا أُمرتم أو لهذا خُلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم")[٥].

---

(١) انظر: (ص: ٢٥٨) وما بعدها.

(٢) انظر: (ص: ٢٤٤).

(٣) انظر: (ص: ٣٤٥).

(٤)انظر: (ص: ٣٥٠).

(٥) انظر: (ص: ٣٩٣).

[قال -رحمه الله-]: (وأنه صح عن ابن عباس أنه ذكر الآية، ثم قال: "أنا ممن يعلم تأويله". وصح عنه أنه قرأ: "ويقول الراسخون")(١).

[قال -رحمه الله-]: (قال ابن جرير: "حدثنا أبو كريب قال، ثنا يونس بن بكير قال، ثنا محمَّد بن إسحاق قال، ثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى زيد بن ثابت قال، ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي، فذكر نحوه" يعني نحو الحديث الذي تقدَّم قبله، ولفظه: "قال أبو رافع حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودعاهم إلى الإِسلام : أتريد يا محمَّد أن نعبدك، كما تعبد النصارَى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرِّبِّيس: أوَ ذاك تريد منا يا محمَّد؟ ... فقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله، أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، أو كما قال، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك ... : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ الآية إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ".

أقول: ابن إسحاق هو إمام أهل المغازي، وقد ذكر هذا الحديث في سيرته، وهو ثقة على الصحيح، وإنما يُخشى تدليسه، وقد صرَّح بالسماع، وشيخه ذكره ابن حبان في الثقات، لكن قال الذهبي: لا يُعرف)(٢).

[قال -رحمه الله-]: (وصحَّ في عدَّة أحاديث تسميتها أمَّ الكتاب وأمَّ القرآن)(٣).

٣. أحيانا ينقل التصحيح عن غيره ويكتفي فيه:

[قال -رحمه الله-]: (وفي حديث رواه أهل السنن وصححه الحاكم على شرط مسلم: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم – سمع رجلاً: "اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنَّان المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم". فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "دعا الله باسمه الأعظم ... " الحديث)(٤).

---

(١) انظر: (ص: ٤٤٩).

(٢) انظر: (ص: ٤٧٢).

(٣) انظر: (ص: ٧٩).

(٤) انظر: (ص: ١٠٨).

٤. أحيانا يذكر الحديث أو الأثر من غير تصحيح ولا تضعيف:

[قال –رحمه الله–]: (فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم أصحابه يمتثلون الأمر الثابت بالأولى بقول "سبحان ربي الأعلى"، ويمتثلون الأمر بتنزيه الاسم بعملهم، كما نهي النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقال لإنسان: "ملك الأملاك". وغيَّر كنية من كان يكنى "أبا الحكم"، وقال: "الحَكَم الله".

وغيَّر اسم من كان يسمَّى "عزيزًا". بل جاء عنه أنه جاءه رجل، فذكر له أنه طبيب، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "أنت رفيق، والله هو الطبيب". وأن قومًا جاؤوه، وقالوا: أنت سيدنا، فقال: "السيد الله")(١).

[قال —رحمه الله–]: (على ما في الحديث: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم")(٢).

[قال —رحمه الله–]: (وقد استشكل فيها ثبوت كلمة ﴿قُلْ﴾،وجاء عن بعض الصحابة أنه قرأ بدونها)(٣).

٥. الدقه في العزو:

[قال —رحمه الله–]: (انتهى حديث ابن جريرٍ عند قولها: "ولا أفعله أبدًا"، والزيادة من المستدرك وسنن البيهقي، قال الحاكم: صحيح وأقرَّه الذهبيّ)(٤).

٦. قد يعزو الحديث، وقد لا يعزو، وقد يعزو عن طريق غيره:

[قال –رحمه الله–]: (روى البخاريُّ وغيره عن أبي سعيد بن المعلَّى أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: "ألاأعلِّمك أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ "، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلِّمنَّك أعظم سورةٍ من القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي

(١) انظر: (ص: ١٠٥).

(٢) انظر: (ص: ١١٤).

(٣) انظر: (ص: ٨٤).

(٤) انظر: (ص: ٢٥٥).

أوتيته". أشار صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧])(١).

[قال -رحمه الله-]: (وجاء نحوه من حديث أُبَيَّ بن كعبٍ وأبي هريرة)، ومثل قوله (في الدعاء النبوي: "باسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم")(٢). [وقال -رحمه الله-]: (على ما في الحديث: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم")(٣). [وقال -رحمه الله-]: (قوله فكان النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أصحابه يمتثلون الأمر الثابت بالأولى بقول "سبحان ربي الأعلى"، ويمتثلون الأمر بتنزيه الاسم بعملهم، كما نهي النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يقال لإنسان: "ملك الأملاك". وغيَّر كنية من كان يكنى "أبا الحكم"، وقال: "الحَكَم الله".

وغيَّر اسم من كان يسمَّى "عزيزًا". بل جاء عنه أنه جاءه رجل، فذكر له أنه طبيب، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أنت رفيق، والله هو الطبيب". وأن قومًا جاؤوه، وقالوا: أنت سيدنا، فقال: "السيد الله")(٤).

[قال -رحمه الله-]: (وفي بعض الآثار: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يرفع صوته ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان مسيلمة قد تسمَّى الرحمنَ، فكان المشركون إذا سمعوا ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: قد ذكر مسيلمة [إله اليمامة، ثم عارضوه بالمكاء والتصدية والصفير، فأنزل الله تعالى هذه الآية] أخرجه ابن أبي شيبة كما في "روح المعاني")(٥). [وقال -رحمه الله-]: (وعن علي رضي الله عنه: أنه قرأها في الصلاة، فقال: سبحان ربي الأعلى. فقيل له في ذلك، فقال: إنما أمرنا بشيء)(٦).

---

(١) انظر: (ص: ٧٨).

(٢) انظر: (ص: ١٠٩).

(٣) انظر: (ص: ١١٤).

(٤) انظر: (ص: ١٠٥).

(٥) انظر: (ص: ١٢٤).

(٦) انظر: (ص: ١٠٤).

الفصل الثالث
مصادر العلامة المعلمي في التفسير

وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن.

المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة.

المبحث الثالث: مصادره من كتب العقيدة.

المبحث الرابع: مصادره من كتب الفقه وأصوله.

المبحث الخامس: مصادره من كتب اللغة والنحو.

المبحث السادس: مصادره من كتب السيرة.

المبحث السابع: مصادره من فنون أخرى.

المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن.

١. نظم الدرر للبقاعي[١].

٢. الرسالة الكبرى للصبان.[٢]

٣. تفسير ابن جرير.[٣]

٤. مجاز القرآن لابن عبدالسلام.[٤]

٥. تفسير البغوي.[٥]

٦. تفسير روح المعاني للألوسي.[٦]

٧. تفسير الكشاف للزمخشري.[٧]

٨. الدر المنثور للسيوطي.[٨]

٩. حاشية الصاوي على تفسير الجلالين.[٩]

١٠. تفسير الرازي.[١٠]

١١. مفردات الراغب.[١١]

١٢. تفسير الشربيني.[١٢]

---

(١) انظر: (ص: ٨٠).

(٢) انظر: (ص: ٨٦).

(٣) انظر: (ص: ١٧٩).

(٤) انظر: (ص: ٨٨).

(٥) انظر: (ص: ٨٩).

(٦) انظر: (ص: ١٦٨).

(٧) انظر: (ص: ٢٧٤).

(٨) انظر: (ص: ٢٥٨).

(٩) انظر: (ص: ٢١٩).

(١٠) انظر: (ص: ٢٢٦).

(١١) انظر: (ص: ٢٥٢).

(١٢) انظر: (ص: ٢٤٠).

١٣. تفسير النسفي.[١]

١٤. أحكام القرآن للجصاص.[٢]

١٥. تفسير أبي السعود.[٣]

١٦. الرأي الصحيح لعبدالحميد الفراهي.[٤]

١٧. الإتقان للسيوطي[٥].

---

(١) انظر: (ص: ٢٤٢).

(٢) انظر: (ص: ٣٤٧).

(٣) انظر: (ص: ٣٧٠).

(٤) انظر: (ص: ١٩٥).

(٥) انظر: (ص: ٢٥٨).

المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة:

١) صحيح البخاري.[١]

٢) صحيح مسلم.[٢]

٣) مسند الإمام أحمد.[٣]

٤) مستدرك الحاكم.[٤]

٥) أهل السنن.[٥]

٦) مشكاة المصابيح للتبريزي.[٦]

٧) سنن أبي داود[٧]

٨) سنن النسائي[٨]

٩) مصنف ابن أبي شيبة.[٩]

١٠) المعجم الأوسط للطبراني[١٠].

١١) سنن الدارمي.[١١]

١٢) فتح الباري شرح البخاري لابن حجر.[١٢]

---

(١) انظر: (ص: ٢٧٧).

(٢) انظر: (ص: ٣٦٢).

(٣) انظر: (ص: ٢٧٧).

(٤) انظر: (ص: ٤٨٧).

(٥) انظر: (ص: ١٠٨).

(٦) انظر: (ص: ١١٠).

(٧) انظر: (ص: ٢١٢).

(٨) انظر: (ص: ٢١٢).

(٩) انظر: (ص: ٣٠٨).

(١٠) انظر: (ص: ٤١٣).

(١١) انظر: (ص: ٤٤٨).

(١٢) انظر: (ص: ١١١).

١٣) الاستيعاب لابن عبد البر.[١]

١٤) إكمال إكمال المعلم للأبي[٢].

۞ ۞ ۞

المبحث الثالث: مصادره من كتب العقيدة:

١. الاعتصام للشاطبي.[٣]

٢. المواقف لعضد الدين الإيجي.[٤]

٣. نونية ابن القيم.[٥]

٤. فيصل التفرقة للغزالي.[٦]

٥. الإعلام لابن حجر الهيتمي.[٧]

٦. الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي.[٨]

٧. الفصل لابن حزم.[٩]

٨. مقالات الإسلاميين للأشعري.[١٠]

---

(١) انظر: (ص: ٢٨٠).

(٢) انظر: (ص: ٤٢٧).

(٣) انظر: (ص: ٣٩٢).

(٤) انظر: (ص: ٣٩٨).

(٥) انظر: (ص: ٤٢١).

(٦) انظر: (ص: ٤٢٢).

(٧) انظر: (ص: ٤٣٨).

(٨) انظر: (ص: ٤٤٠).

(٩) انظر: (ص: ٤٧٩).

(١٠) انظر: (ص: ٩٢).

المبحث الرابع: مصادره من كتب الفقه وأصوله:

١) حاشية الصبان على جمع الجوامع.[١]

٢) غاية الوصول شرح لب الأصول لزكريا الأنصاري.[٢]

٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي.[٣]

٤) نهاية المحتاج للرملي.[٤]

٥) المجموع للنووي.[٥]

٦) الأم للشافعي[٦].

۞ ۞ ۞

المبحث الخامس: مصادره من كتب اللغة والنحو:

١. لسان العرب لابن منظور.[٧]

٢. الكتاب لسيبويه.[٨]

٣. التكملة والذيل والصلة للصغاني.[٩]

٤. مغني اللبيب لابن هشام[١٠].

---

(١) انظر: (ص:١٧٠).

(٢) انظر: (ص: ٢٢٧).

(٣) انظر: (ص: ٣٥٦).

(٤) انظر: (ص: ٢٨٩).

(٥) انظر: (ص: ٢٨٩).

(٦) انظر: (ص: ٣١٣).

(٧) انظر: (ص: ٣٨٣).

(٨) انظر: (ص: ١٢٣).

(٩) انظر: (ص: ١٢٣).

(١٠) انظر: (ص: ١٧٠).

٥. مختار الصحاح للرازي[١].

٦. الأضداد لابن الأنباري.[٢]

٧. القاموس المحيط للفيرزآبادي.[٣]

٨. ألفية ابن مالك.[٤]

٩. شرح ابن عقيل.[٥]

١٠. تاج العروس للزبيدي.[٦]

١١. تهذيب الأسماء واللغات للنووي.[٧]

١٢. الأغاني لأبي الفرج.[٨]

١٣. الشعر والشعراء لابن قتيبة.[٩]

١٤. كتاب لسعد التفتزاني لم أقف عليه.[١٠]

١٥. كتاب للجرجاني لم أقف عليه.[١١]

١٦. دلائل الإعجاز للجرجاني[١٢].

---

(١) انظر: (ص: ٢٤٢).

(٢) انظر: (ص: ٢٤٤).

(٣) انظر: (ص: ٣٠٤).

(٤) انظر: (ص: ٣٠٩).

(٥) انظر: الموضع نفسه.

(٦) انظر: (ص: ٣١٠).

(٧) انظر: (ص: ٣٨٣).

(٨) انظر: (ص: ١١١).

(٩) انظر: (ص: ١١٢).

(١٠) انظر: (ص: ٩٨).

(١١) انظر: (ص: ٣١٠).

(١٢) انظر: (ص: ٢٥٠).

المبحث السادس: مصادره من كتب السيرة:

١. سيرة ابن اسحاق.[١]

٢. أخبار مكة للأزرقي.[٢]

٣. الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطبي.[٣]

٤. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.[٤]

٥. تأنيب الخطيب للكوثري.[٥]

٦. الشفا للقاضي عياض.[٦]

٧. الإصابة لابن حجر[٧].

۞ ۞ ۞

المبحث السابع: مصادره من فنون أخرى:

١. إنجيل متى[٨].

٢. الزبور[٩].

---

(١) انظر: (ص: ١٢٩).

(٢) انظر: (ص: ٢٩٣).

(٣) انظر: (ص: ٢٩٤).

(٤) انظر: (ص: ٣٩٣).

(٥) انظر: (ص: ٤٨١).

(٦) انظر: (ص: ٣٩٨).

(٧) انظر: (ص: ٤٣٢).

(٨) انظر: (ص: ١٨٩).

(٩) انظر: (ص: ٢٠٢).

القسم الثاني

تفسير العلامة المعلمي رحمه الله

من سورة الفاتحة

إلى

نهاية سورة آل عمران

سورة الفاتحة

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في فضل الفاتحة وعلاقتها بالتوحيد:][١]

(مما يبيِّن عظمة شأن التوحيد وشدَّة خطر الشرك: أن أعظم سورة في القرآن، والسورة التي تعدل ثلثه[٢]، وإنما هي بضع عشرة كلمة، والسورة التي ورد أنها تعدل ربعه[٣]، وأعظم آية في القرآن[٤] كلُّها مبنيَّةٌ على توحيد العبادة.

أما أعظم سورة في القرآن فأمُّ الكتاب.

روى البخاريُّ[٥] وغيره عن أبي سعيد بن المعلَّى[٦] أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال له: "ألا أعلِّمك أعظم سورةٍ في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ "، فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج، قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلِّمنَّك أعظم سورةٍ من القرآن، قال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الفاتحة:٢]، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته"[٧]. أشار صلَّى الله عليه

---

(١) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٢/٣٧-٤٣)، وانظر: المرجع نفسه (١١/٣٣١-٣٣٢).

(٢) وهي سورة الإخلاص. أخرجه البخاري في صحيحه، في: كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص:١] (٦/١٨٩) (ح: ٥٠١٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) وهي سورة الكافرون. أخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب: فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في إذا زلزلت، (٥/١٦٦) (ح: ٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال أبو عيسى: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة، وصححه الألباني دون فضل سورة الزلزلة الوارد مع فضل سورة الكافرون.

(٤) وهي آية الكرسي. أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضائل القرآن وما يتعلق به، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (١/٥٥٦) (ح:٨١٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٥) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله، البخاري، له كتاب الصحيح، والأدب المفرد، والتاريخ، توفي ٢٥٦هـ. انظر: تهذيب التهذيب (٩/٤٧)، الأعلام للزركلي (٦/٣٤).

(٦) هو رافع بن المعلى . وقيل : الحارث بن المعلى، له صحبة ويعد في أهل الحجاز، ولا يعرف له إلا حديثين، توفي سنة ٧٤هـ. انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (٤/١٦٧٠)، أسد الغابة لابن الأثير (٦/١٣٩).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن ، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب، (٦/١٧) =

وآله وسلَّم إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم﴾[الحجر:٨٧]. وجاء نحوه من حديث أُبَيِّ بن كعبٍ وأبي هريرة(١).

وصحَّ في عدَّة أحاديث تسميتها أمَّ الكتاب(٢) وأمَّ القرآن(٣). وفي ذلك أوضح الدَّلالة على أنها أعظم السور؛ لأنّ أمَّ الشيء في اللغة أعظم ما فيه، يُقال للدِّماغ: أمُّ الرأس(٤).

ومما يدل على عظمتها: أن الله تبارك وتعالى فرض قراءتها في كلِّ ركعةٍ من الصلاة، فانظر كم شُرِع تكرارها كلَّ يومٍ(٥)، والصلاة أعظم الفرائض الدينيَّة.

وجاء أن الفاتحة هي الصلاة؛ ففي صحيح مسلمٍ(٦) وغيره من حديث أبي هريرة(٧) عن

= (ح: ٤٤٧٤) من حديث أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه.

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: فضائل القرآن، باب: أخبار في فضائل القرآن جملة، (٧٤٤/١) (ح: ٢٠٤٨)، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الطب، باب: كيف الرقى؟، (٤٦/٦) (ح: ٣٩٠٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وصحح إسناده محققوه، والحاكم في مستدركه، في كتاب: الإمامة وصلاة الجماعة، باب: التأمين، (٣٦٤/١) (ح: ٨٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ.. ﴾ [الحِجر:٨٧] (٨١/٦) (ح: ٤٧٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة، (٢٩٥/١) (ح: ٣٩٤) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب: الهمزة، (أم) (٢١/١)، ولسان العرب لابن منظور، باب: م، فصل: الألف، (أم) (٣١/١٢-٣٣).

(٥) شرع تكرارها في الفرائض سبع عشرة مرة، ومع الرواتب اثنتي عشرة مرة، ومع قيام الليل إحدى عشرة مرة، فيكون مجموع هذا أربعين مرة.

(٦) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، صاحب الصحيح، وله كتاب (العلل) و (سؤالات أحمد)، توفي ٢٦١هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٢٦/١٠)، (٢٢١/٧).

(٧) هو عبد الرحمن بن صخر، من قبيلة دوس وقيل في اسمه غير ذلك، صحابي، راوية الإسلام، أكثر الصحابة رواية، أسلم ٧هـ، وهاجر إلى المدينة، توفي ٥٩هـ، انظر: أسد الغابة لابن الأثير =

النبيَّ صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلَّم: "قال الله تعالى: قَسَمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}[الفاتحة:٢]، قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: {الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ}[الفاتحة:٣]، قال الله تعالى: أثنى عليَّ عبدي" الحديث[١]، فصَّل فيه الفاتحة فقط فجعلها في الصلاة. ويشهد لذلك تسمية الصلاة صلاةً، فإن الصلاة في اللغة: الدعاء[٢]، وليس في الصلاة دعاءٌ أعظم من الفاتحة، والشيء إنما يسمَّى باسم جزئه إذا كان ذلك الجزء كأنه كلُّه.

۞ ۞ ۞

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان مقصد سورة الفاتحة:[٣]]

(رأيت في نظم الدرر للعلامة البقاعيِّ[٤] تلميذ الحافظ ابن حجرٍ[٥] في الكلام على الفاتحة ما لفظه: "فالغرض الذي سيقت له الفاتحة هو: إثبات استحقاق الله تعالى لجميع المحامد وصفات الكمال واختصاصه بملك الدنيا والآخرة وباستحقاق العبادة .... ، ومدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم. والمقصود من جَمْعهم تعريفهم بالمِلكِ وبما يرضيه وهو إفراده بالعبادة، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة لإفراده بالعبادة فهو مقصود الفاتحة بالذات، وغيره وسائل إليه ..... ؛ لأن [المقصود من][٦] إرسال الرسل وإنزال الكتب:

= (٣١٣/٦)، الأعلام للزركلي (٣٠٨/٣).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: وجوب قراءة الفاتحة، (٢٩٦/١) (ح: ٣٣٥).

(٢) انظر: معجم المقاييس، كتاب: الصاد، (صلي)، (٣٠٠/٣).

(٣) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٤٢/٢-٤٣).

(٤) هو: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي، أصله من البقاع في سورية، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق، له كتاب (عنوان الزمان) و (أسواق العشاق) و (نظم الدرر) وغيرها، توفي ٨٨٥هـ. انظر: البدر الطالع للشوكاني (١٩/١)، الأعلام للزركلي (٥٦/١).

(٥) هو أحمد بن علي بن محمد، ولد بمصر وتوفي فيها، من كبار الشافعية، كان محدثًا فقيهًا مؤرخًا، له كتاب (فتح الباري) و (تهذيب التهذيب) وغيرها الكثير، توفي ٨٥٢هـ. انظر: الضوء اللامع للسخاوي (٣٦/٢)، الأعلام للزركلي (١٧٨/١).

(٦) ساقط من الأصل وأضافه المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

نصبُ الشرائع، والمقصود من نصب الشرائع: جمع الخلق على الحق، والمقصود من جمعهم: تعريفهم بالملِك وبما يرضيه، وهو إفراده بالعبادة، وهو مقصود القرآن الذي انتظمته الفاتحة بالقصد الأوَّل"[١].

أقول: ويتلخَّص من كلامه بإيضاحٍ أنَّ مقصود الشرائع مجموعٌ في الإسلام، ومقصود الإسلام مضمَّنٌ في القرآن، ومقصود القرآن منتظمٌ في الفاتحة، ومقصود الفاتحة في قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾[٢].

وتقرير هذا يُحْوِج إلى إطالةٍ، ويكفي في إثباته قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[الذاريات:٥٦]).

---

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي (١٢/١).

(٢) وقال ذلك أيضا في (العبادة) (٣٩/٢).

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في تضمن البسملة للتوحيد[1]]:

(فقوله تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١] معناه كما حقَّقه المفسِّرون وغيرهم: لا نبتدئ بشيءٍ مستعينين به أو متبرِّكين إلا باسم الله الرحمن الرحيم، وتَضَمُّنُ هذا للتوحيد ظاهر.)

(**وقال –رحمه الله– في موضع آخر**[2]): (بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، نحمده على أن جعلنا من عباده المسلمين، وقسم لنا حظا من فهم كتابه المبين، ونسأله أن يرزقنا كمال اليقين، ويجعلنا من خيار المتقين، ويثبت قلوبنا على دينه، ويهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، ويثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وينجينا من القوم الظالمين.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

أما بعد:

فقد كثر الكلام على هذه الكلمة الشريفة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفاتحة: ١]

وأُلِّفَتْ فيها رسائل[3]، ولا يكاد يخلو شرح من شروح الكتب عن الكلام عليها، ولكنني مع ذلك لم أجد كلامًا عليها يقتصر على إيضاح معناها إيضاحًا تامًّا يُسَهِّل على الطالب الإحاطةَ به؛ ليستظهره عند ذكرها. فسَمَتْ بي الهمّةُ إلى محاولة ذلك. فإذا يسَّر الله تبارك

---

(١) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٣٩/٢).

(٢) انظر: آثار الشيخ العلامة المعلمي (رسالة تفسير البسملة) (٧/٥-٧٥).

(٣) انظر: (أحكام البسملة) للرازي، (توضيح المسألة وتحقيق الحق في الجهر بالبسملة) لابن طاهر المقدسي، (الرسالة الكبرى في البسملة) لمحمد بن علي الصبان، و(إحكام القنطرة في أحكام البسملة) لأبي البركات اللكنهوي.

وتعالى لي الوفاء بذلك، فمن محض فضله العظيم، وإلا فعذري القصور والتقصير، وقلة العلم الذي يتوقف عليه التحقيق، وقلة العمل المقتضي لحسن التوفيق.

وأستغفر الله العظيم، اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم.

الفصل الأول:

ينبغي أن يستحضر الإنسان قبل البسملة أمورًا:

الأول: أنه يقول لها امتثالًا لأمر الله عَزَّ وَجَلَّ؛ لأنه سبحانه وتعالى أمرنا بقولها.

أمَّا في أول القراءة، فيقول عزَّ وجلَّ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾[العلق:١] فإنَّ الراجح في تفسيرها أنَّ المعنى: اقرأ القرآن مُسَمِّيًا ربَّك، أي ذاكرًا اسمه، كما يأتي إن شاء الله[١]. ثم بيَّن لنا كيف نذكر اسمه بقوله: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:١]

وأما عند ذكاة الحيوان، فالآيات في ذلك كثيرة، كقوله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا**﴾ [الحج:٣٦] وقوله: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾ [الأنعام:١٢١] والأحاديث في ذلك كثيرة أيضًا[٢]. وفي بقية الأمور بالفهم من الآيات والأحاديث والإجماع[٣].

الثاني: أن: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:١] من كلام الله عزَّ وجلَّ[٤]،فأما استحضار ذلك عند القراءة فواضح، وأما عند التسمية على الذبيحة وغيرها فليس بشرط، ولكن يظهر أنَّ استحضار ذلك أكمل.

الأمر الثالث: أن يعبر بها عن نفسه، كما في غيرها من الأذكار من الكتاب والسنة، كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً......**﴾[البقرة:٢٠١] ، وفي الفاتحة ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين**

---

(١) انظر: (ص: ١٢٨).

(٢) انظر: بلوغ المرام لابن حجر (ص:٤٠٩) (ح:١٣٤٧، ١٣٥٠، ١٣٥٤، ١٣٥٨)، ومنتقى الأخبار للمجد ابن تيمية مع نيل الأوطار للشوكاني (١٥/٩٠-٩٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٩٨/١)، والتحرير والتنوير (١٤٧/١).

(٤) على قول بعض أهل العلم كما سيأتي تحريره إن شاء الله في موضعه من كلام المؤلف -رحمه الله- (ص:١٥٤).

﴿٥ اهدِنَـا﴾[الفاتحة:٥-٦]. ولا منافاة بين ذلك وبين تلاوتها على أنها من القرآن، ولا سيما في البسملة، وقوله في الفاتحة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة:٥] إلخ؛ لأن الله تبارك وتعالى تكلم بها وأنزلها وأمر الإنسان أن يقولها معبرًا بها عن نفسه. وكذلك في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد﴾[الإخلاص:١] والمعوذتين.

وقد استشكل فيها ثبوت كلمة ﴿قُلْ﴾،وجاء عن بعض الصحابة أنه قرأ بدونها(١)، وزعم بعضهم (٢) أنه ينبغي للإنسان أن ينوي بكلمة ﴿قُلْ﴾أمر نفسه. وهو بعيد، ولا يدفع الإشكال.

والذي يظهر أنه ينبغي أن يستحضر عند كلمة ﴿قُلْ﴾أنها أمر من الله تعالى له بقول ما بعدها، ثم ينوي بما بعدها التعبير عن نفسه، فكأنه يقدر ما يأتي: يقول الله تعالى: ﴿قُلْ﴾ ما يأتي، فأنا أقول ﴿أَعُوذُ...﴾ إلخ(٣).

الأمر الرابع: أنَّ الباء في قوله: ﴿بِسْمِ...﴾ حرف جرّ، وحرف الجرّ يحتاج إلى كلمة يتعلق بها، فإذا وقع في الكلام: "من البيت" أو "بالقلم" أو "بسلاحه" فلا يتم الكلام إلا بكلمة تدل على الأمر الواقع من البيت وبالقلم وبسلاحه.

---

(١) كما جاء ذلك عن ابن مسعود وأبي رضي الله عنهما. انظر: إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه (ص: ٢٢٨)، والكشاف للزمخشري (٨١٧/٤)، والتفسير الكبير للرازي (٣٦٩/٣٢)، وهي قراءة شاذة مخالفة للقراءة المتواترة.

(٢) انظر: روح المعاني (٢٧٣/٣٠).

(٣) ذكر أهل العلم لها فوائد وتوجيهات غير ما ذكر:

-منها بيان أن النظم ليس في مقدوره صلى الله عليه وسلم، بل إنه يحكي كل ما يقال له. انظر: مفاتيح الغيب (٣٦٩/٣٢)

-ومنها إظهار العناية بما بعد فعل القول. انظر: التحرير والتنوير (٦١٢/٣٠).

-ومنها بيان جواب سؤال المشركين انسب لنا ربك. انظر التحرير والتنوير (٦١٢/٣٠).

ولعل الأقرب: أنه لا إشكال فيها إذ هكذا أتت بالتلقي، ولا مانع أن من بعض حكمها جميع ما ذكر إذ لا دليل على ترجيح أحد هذه الوجوه واللفظ يحتملها جميعا والله أعلم.

فإذا قيل: زيد خرج، أو يخرج، أو خارج من البيت، فالجارُّ والمجرور وهو قولك: "من البيت" متعلق بخرج، أو يخرج، أو خارج؛ لأن الواقع من البيت هو الخروج. وقس عليه: كتبت بالقلم، وخرج زيد بسلاحه. وكثيرًا ما يحذف المتعلق، إما لعمومه كقولهم: العَصَا من العُصَيَّة(١)، أي كائنة؛ وإما لدلالة الحال عليه، كأن يرى رجلاً يضرب ولده بيده، فيقول: بالعصا، أي اضْرِبْه بالعصا.

ومتعلَّق ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ في القراءة محذوف لدلالة الحال عليه، وهو: "أقرأ".

وفي غيرها يقدره الإنسان بحسب ما يسمِّي عليه. والغالب حذفه لدلالة الحال، ففي الأكل: آكل، وفي الشرب: أشرب، وفي الوضوء: أتوضأ، وهكذا. هذا هو المشهور(٢)، وسيأتي في تقرير المعنى احتمال غيره.

هذا، والأصلُ في الكلمة التي يتعلق بها الجار والمجرور تقدُّمُها عليه، ولكن المختار في تسمية الإنسان عن نفسه تأخير المتعلق؛ لأن الحال التي تدل عليه من شأنها التأخير. فإن أراد أن يقوم فقال: "بسم الله" وقام، فالقيام إنما يشاهدَ بعد التسمية، فكذلك ينبغي تقدير الفعل الذي دلَّ عليه القيام، وهو "أقُوم".

ولوجوه أخرى(٣) أهمها أنَّ التأخير يبيِّن أن في الكلام اختصاصًا، ومعنى الاختصاص أن يكون الكلام يدل مع ثبوت الأمر للشيء على انتفائه عن غيره، كقولك: ما جاء إلا زيدٌ، أثبتَّ المجيء لزيد، ونفيتَه عن غيره. وهذا المعنى يفيده تقدم الجار والمجرور على متعلقه، كقولك: بقلمي أكتبُ، وبسلاحي أخرج.

فيكون معنى الأول: أكتب بقلمي، ولا أكتب بغيره؛ ومعنى الثاني: أخرج بسلاحي، ولا

---

(١) ومعنى المثل: أن العود الكبير ينشأ من الصغير الذي غرس، ويضرب للأمر العظيم كان في بدء أمره حقيرا، ويضرب أيضا في تشبيه الابن بأبيه. انظر: مجمع الأمثال (١/١٥)، المستقصى في أمثال العرب (١/٣٣٤)، جمهرة الأمثال (٢/٤٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/١١٤-١١٥)، معالم التنزيل للبغوي (١/٤٩).

(٣) قال البيضاوي -رحمه الله-: (لأنه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل في التعظيم وأوفق للوجود). انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (١/٢١).

أخرج بغيره.

وهذا المعنى مقصود في البسملة، ردًّا على الشيطان الذي يوسوس لك أن لا تذكر اسم الله، أو بأن تذكر غيره دونه أو معه، وفيه مع ذلك تعريض بمن يطيع الشيطان من المشركين وغيرهم.

ولذلك فموضعه بعد تمام البسملة حيث ذكرت بتمامها، وبعد ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾ حيث اقتصر عليها. والله أعلم(١).

الفصل الثاني

باء الجرِّ تأتي لعدة معاني(٢)، اقتصر الأكثر هنا على معنيين، وذكروا أن غيرها لا يأتي إلا بتعسف:

أحدهما: الاستعانة.

الثاني: المصاحبة.

قالوا – والعبارة للصبَّان(٣) في "رسالة البسملة" -: "وباء الاستعانة هي الداخلة على واسطة الفعل المذكور معها التي يتوقف وجوده عليها، كما في كتبت بالقلم، وتسمى باء الآلة

---

(١) اختلف أهل العلم في هذه المسألة **على قولين**:

١- فاختار تقديم المتعلق لأنه الأصل البغوي وابن الجوزي والألوسي والقاسمي والطاهر بن عاشور.

٢- واختار تأخيره الزمخشري والرازي والبيضاوي والشوكاني.

ولعل الأقرب: القول الثاني لما علل به المعلمي والبيضاوي –رحمهما الله–.

انظر: معالم التنزيل للبغوي (١/ ٤٠)، وزاد المسير لابن الجوزي (١/٨)، والكشاف للزمخشري (٢/١)، ومفاتيح الغيب للرازي (١/ ٢)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٢١/١)، وفتح القدير للشوكاني (١٧/١)، وروح المعاني للألوسي (١/ ٥٠)، ومحاسن التأويل للقاسمي (١/ ٢٢٤)، والتحرير والتنوير (١٤٧/١).

(٢) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (ص:١٣٧)، وجنى الداني للمرادي (ص:٣٦)، البحر المحيط لأبي حيان (١٢٣/١)، الدر المصون للسمين الحلبي (١٤/١).

(٣) هو محمد بن علي الصبان، أبو العرفان: عالم بالعربية والادب. مصري. مولده ووفاته بالقاهرة سنة ١٢٠٦هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٩٦/٦)، ومعجم المطبوعات ليوسف بن إليان (١١٩٤/٢).

... وباء المصاحبة هي التي يصلح موضعها "مع" ويغني عنها وعن مصحوبها الحال[1]، كما في ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾ [هود:٤٨] أي مع سلام، أو مسلِّمًا"[2].

أقول: أما باء الاستعانة، فظاهر عباراتهم اختصاصها بالدخول على الآلات[3]، نحو كتبتُ بالقلم، ونَجَرتُ بالقَدُوم، وخِطْتُ بالإبرة؛ ولكن قد يُنَزَّل ما ليس بآلة منزلةَ الآلة. وفي ذلك نظر ليس هذا موضعه، وربما يأتي شيء منه عند تقرير المعنى، إن شاء الله تعالى.

وأما المصاحبة، فهو معنى واضح، ولكن الأولى في تفسير ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾[هود:٤٨] أن يقال: اهبط معك سلام؛ فإنَّ كلمة "مع" تُشعر بأنَّ ما تضاف إليه متبوع، تقول: حج الخادم مع سيِّده، ولا يحسن أن يقال: حجَّ السيِّدُ مع خادمه، بل يقال: ومعه خادمه. والمراد: التبعية في المعنى المقصود، وقد يكون التابع أشرف، كما في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾[طه:٤٦] فإنَّ الإنسان هو الأصل في التنقل والتحول، وعلمُ الله تعالى وحفظُه تبع له في ذلك، يعني: أنهما تصحبانه حيثما توجَّهَ.

وأما باء المصاحبة، فعلى عكس ذلك، تقول: خرج زيد بسلاحه، فيحسن أن يقدَّر: معه سلاحه، ومع ذلك فإنما يحصل الاتفاق في أصل المعنى كما لا يخفى.

وأما قوله: "ويغني عنها وعن مصحوبها الحال"، فالمراد كما يوضحُه المثال: حال مشتقة من المجرور. ولكن قد لا يتأتى ذلك، إما بأن لا يمكن الاشتقاق، كما في قولك: خرج العالم بكتبه، أو يمكن ولكن يتغير المعنى، كأن تقول: خرج بعمامته في يده؛ ففي هاتين الصورتين يحتاج إلى تقدير حال تغني عن الباء فقط. والأكثر أن تشتق من لفظ الصحبة[4]، كأن يقال: مستصحبًا كتبه، ومستصحبًا عمامته.

إذا علمت ذلك فحقُّ تقدير الحال في التسمية أن يقال: "مسميًا"، إلا أن يتغير المعنى. وسيأتي الكلام فيه إن شاء الله تعالى.

---

(١) والمرادي –رحمه الله– جعلهما علامتين. انظر: الجنى الداني (ص:٤٠).

(٢) انظر: الرسالة الكبرى للصبان (ص:٤٢).

(٣) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (ص١٣٩)، والجنى الداني للمرادي (ص:٣٨).

(٤) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (٢٣١/٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (٨٩/١٢).

الفصل الثالث "اسم"

لفظ "اسم" في المعروف المتواتر من اللغة: هو اسم للفظ الدالِّ على المسمَّى[١].

وأقرب ما يضبط به أنه اللفظ الذي يصلح جوابًا مطابقًا للسؤال عن اسم الشيء، كأن يقال: ما اسم هذا الرجل؟ فيقال: زيد. أي لفظ "زيد". وما اسم الإنسان في بطن أمه؟ فيقال: جنين. وما اسم الواحد من بني آدم؟ فيقال: إنسان. وما اسم الواحد من هذه التي تلمع في السماء؟ فيقال: نجم أو كوكب. وما اسم هذا الفعل؟ فيقال: قيام. وقس على ذلك. وتقول: كتبت اسم محمد، تريد كتبت هذا اللفظ "محمد".

واسم الله هو هذه الكلمة "الله"، وله سبحانه الأسماء الحسنى، كالرحمن والرحيم وغيرهما. وها هنا أقوال مشهورة، لا بأس بذكرها:

الأول: زعم ابن جرير أنَّ كلمة "اسم" هنا بمعنى التسمية، كما يطلق "عطاء" بمعنى إعطاء، و"كلام" بمعنى تكليم[٢]. وهذا قول لا حجة عليه، ولا حاجة إليه[٣].

الثاني: زعم ابن عبد السلام[٤] أن لفظ "اسم" قد يطلق بمعنى "مسمى"[٥] كما يطلق "خَلْق" بمعنى "مخلوق"[٦]، كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا۝ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/١٨٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/١١٥).

(٣) ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا القول وبين أن التسمية نطق بالاسم وتكلم به، ليست هي الاسم نفسه، وأسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها وليست هي أعيان الأشياء. انظر: مجموع الفتاوى (٦/١٩٥).

(٤) هو عز الدين بن عبدالسلام العالم المعروف بسلطان العلماء، برع في الفقه والأصول والعربية، وبلغ رتبة الاجتهاد وتوفي سنة ٦٦٠هـ انظر: العبر للذهبي (٣/٢٩٩)، حسن المحاضرة للسيوطي (١/٣١٥).

(٥) انظر: مجاز القرآن للعز بن عبدالسلام (ص:١٩٧).

(٦) ضعف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- هذا القول وبين أنه لا يعرف في كلام فصيح ولا غيره، وقال: (لا أعرف له شاهدا فصيحا فضلا عن أن يكون هو الأصل كما ادعاء هؤلاء). انظر: المصدر نفسه (٦/١٩٦).

صُدُورِكُمْ ﴾[الإسراء:٥٠-٥١]. واحتج على ذلك بأمور سنعقد لها فصلاً، ونبين إن شاء الله تعالى أنه لا حجة فيها.

ويردُّ قولَه هذا **أمور**:

منها: أن كلمة "اسم" ليست بمصدر.

ومنها: أن اسم المفعول وما في معناه أكثر ما يضاف إلى الفاعل، مثل: خلق الله، بمعنى مخلوقه. وقد يضاف إلى غير ذلك، ولكن إضافة لفظ "مسمَّى" إلى الاسم الدالِّ على المسمَّى لا أراها تصح.

نعم، استعمل المولدون[1] قولهم: "مسمَّى زيد" يريدون مسمَّى هذا الاسم. وهذا مع أني لا أُثبِتُ صحته لا يأتي في نحو "بسم الله"؛ لظهور أنه ليس المراد هنا بلفظ الجلالة نفس اللفظ، بل المراد مدلولها، وهو الربّ عزَّ وجلَّ.

وجعل ابن عبد السلام من هذا قوله تعالى: **﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾**[الأعلى:١] قال: "معناه: سبح ربك الأعلى". وكذلك صنع في أمثلة بحذف لفظ "مسمى"[2]، كأنه رأى أن الكلام يسمح بالتصريح به.

الثالث: قال البغوي[3] في أوائل تفسيره في الكلام على البسملة: "والاسم هو المسمَّى وعينُه وذاتُه، قال الله تعالى: **﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾**[مريم:٧] ثم نادى الاسم فقال:

---

(١) الشعراء أربع طبقات:

-الجاهليون: وهم الذين كانوا قبل الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

-المخضرمون: وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كلبيد وحسان.

-المتقدمون أو الإسلاميون: وهم الذين كانوا في صدر الإسلام كجرير والفرزدق.

-المولدون أو المحدثون: وهم الطبقة الرابعة من الشعراء الذين أتوا بعد الطبقة المتقدمة الذين كانوا في صدر الإسلام، كبشار ابن برد وأبي نواس، وسموا بذلك لحدوثهم. انظر: مقدمة خزانة الأدب لعبدالقادر البغدادي (٢٩/١)، ولسان العرب لابن منظور (٤٠٧/٣).

(٢) انظر: مجاز القرآن للعز بن عبدالسلام (ص:١٩٧).

(٣) هو الحسين بن مسعود بن محمد، فقيه ومحدث ومفسر، له كتاب (التهذيب) و (معالم التنزيل) وغيرها، توفي ٥١٠هـ، انظر: السير للذهبي (٤٣٩/١٩) الأعلام للزركلي (٢٥٩/٢).

﴿يَحْيَى﴾[مريم:٧]. وقال: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾[يوسف:٤٠] وأراد الأشخاص المعبودة؛ لأنهم كانوا يعبدون المسمَّيات. وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١] ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾[الرحمن:١٨]. ثم يقال للتسمية أيضًا: اسم، فاستعماله في التسمية أكثر من المسمَّى(١)".

أقول: ينبغي أن يحقَّق أولاً المراد بقولهم: "الاسم عين المسمى"، هل المراد لفظ "اسم" أو مدلوله في كل كلمة دالة على مسمًّى مثل زيد ورجل ونخلة وفهم؟ فإن كان الأول، فما المراد بلفظ "مسمًّى"؟

أهذا اللفظ على نحو ما مرَّ عن ابن عبد السلام، وهذا الوجه الأول.

أو ذاته صاحب الاسم، فيكون لفظ "اسم" بمعنى ذات، وهو الثاني.

أو الاسم الخاص، بأن يقال: إن لفظ "اسم" في قولنا: اسم الله، هو لفظ الله. وهذا الثالث.

أو صاحب الاسم عينه، فيقال: إن لفظ "اسم" في قولنا: اسم الله، هو الربُّ عزَّ وجلَّ. وهذا الرابع.

أما الأول: فقد مرَّ ما فيه، ولا حجة عليه في قوله تعالى: ﴿يا يَحْيَى﴾[مريم:١٢]؛ لأن لفظ "يحيى" ليس بمصدر، ولا بينه وبين ذات الرجل اشتقاق، كما بين لفظي "خَلْق"، و"مخلوق". وعجيب من ابن عبد السلام أنه قرَّر التجوّز على هذا الوجه على ما مر عنه، ثم قال: "واستدل بعضهم على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾[مريم:١٢] ".

وأما الثاني: فلا دليل عليه، والأمثلة التي ذكرها هو وغيره سيأتي الكلام عليها، إن شاء الله تعالى.

وأما الثالث: فبطلانه واضح؛ لأنه إذا كان لفظ "اسم" بمعنى الله، فكيف أضيف إلى الله؟ إلا أن يريد أن مدلول اسم الله هو هذه الكلمة "الله"، فهذا لا نزاع فيه، وليس مراده؛ لأنه يقول في ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١]: إنَّ المعنى سَبِّحْ رَبَّكَ. ولو كان ذاك مراده، لكان المعنى: سبح اللفظ الذي هو اسم ربك، مثل لفظ "الله"، ولفظ "الرحمن"، وهو لا يقول ذلك.

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١/٥٠).

وأما الرابع: فبطلانه واضح.

وإن كان الثاني، أي أن المراد بالاسم مدلوله من كل لفظ دالٍّ على مسمًّى، مثل زيد ورجل ونخلة وفهم، فهذا حقٌّ، فإن من قال: بايعت زيدًا، إنما يريد بقوله: "زيد" الرجلَ عينَه، وكذلك الباقي.

هذا هو الحقيقة، وقد يطلق الاسم ويراد به نفسه، كقولك: كتبت "زيد"، وقوله تعالى: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾[مريم:٧]، وغير ذلك.

فإذا كان المعنى الثاني هو مراد من قال: الاسم عين المسمى، فمراده أن ذلك هو الحقيقة. وهذا حق لا ريب فيه[١]، ولكنه لا دليل فيه على أن لفظ "اسم" في قوله: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١] أريد به الرب تعالى؛ لأن لفظ "اسم" هو في نفسه فرد من أفراد الاسم، فإنك تقول: ما اسم اللفظ الذي يوضع للشخص ليعرف به؟ فيقال: اسم. ومقتضى القاعدة أن لفظ "اسم" حيث يطلق فالمراد به مدلوله إذا كان الكلام على حقيقته، ومدلول لفظ "اسم" هو اللفظ الموضوع للشيء ليعرف به، وهذا حق، فإننا نقول لزيد: كتبنا اسمك، أي كتبنا لفظ: "زيد".

فقضية القاعدة أن لفظ "اسم" في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١] أريد به اللفظ الذي تسمى به الله عز وجل، كلفظ الله، ولفظ الرحمن. وهذا عكس مراده.

وإيضاح هذا أن للفظ "اسم" مسمى هو لفظ يحيى مثلا، وللفظ "يحيى" مسمى هو الرجل، فإذا أريد بالقاعدة أن لفظ يحيى إذا أطلق على وجه الحقيقة، فالمراد به الرجل، فقضية ذلك أن لفظ "اسم" إذا أطلق على وجه الحقيقة، فالمراد به لفظ "يحيى" مثلا، فأما إطلاق لفظ "اسم" على الرجل، فلو أريد لقيل: الاسم هو المسمى بالمسمى به؛ فتدبر هذا، فإن فيه شبه غموض.

ومن العجب أن في كلام ابن عبد السلام ما يظهر منه أن إطلاق الاسم وإرادة مدلوله، كقوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى﴾، ﴿يَازَكَرِيَّا﴾ وقولك: ركبت الفرس، بل وقولنا: عبدت الله = مجاز

---

(١) بين شيخ الإسلام -رحمه الله- أن هذا هو مقصودهم ونفى أن يكون مرادهم الاحتمال الأول. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٧/٦).

غالب، وإنما الحقيقة هي أن يراد بالكلمة نفسها كيحيي في قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾، وقولك: كتبت "جعفر"، تريد كتبت هذا اللفظ؛ ونحو ذلك[١]. لكنه مع ذلك عاد فقال: إن إطلاق الأسماء على الألفاظ المسمى بها حقيقة. وكأن ذلك منه مبني على أصل الوهم، وهو أن وزان لفظ "اسم" إلى الرجل، كوزان لفظ "يحيي" إلى الرجل.

وبالجملة، ففي كلامه تخليط، ولكن هذا القول - أعني أن إطلاق الاسم مثل ﴿يَحْيَى﴾ مرادًا به مدلوله مجاز - قد يفسر لنا أصل النزاع في الاسم والمسمى، فإنه اشتهر أنَّ مذهب أهل السنة أنَّ الاسم عين المسمى[٢]،

ومذهب المعتزلة والخوارج - كما قال الأشعري[٣] في كتاب المقالات - أن الاسم غير المسمى[٤].

وقد تحير المتأخرون في معنى الخلاف. قالوا: لأنه إن أريد بالاسم لفظه، فهو غير المسمى قطعًا، ولا يقول عاقل - فضلاً عن أهل السنة - إنه عينه[٥].

وإن أريد مدلوله فهو عين المسمى، ولا يخالف في ذلك المعتزلة ولا الخوارج. أقول: لا يبعد أن يكون أول الأمر زعم بعض المبتدعة أنَّ الدلالة الحقيقية للألفاظ إنما هي

---

(١) انظر: مجاز القرآن للعز بن عبدالسلام (ص:١٩٨-١٩٩).

(٢) قال ابن تيمية: (لا يعرف أيضا عن أحد من السلف أنه قال الاسم هو المسمى، بل هذا قاله كثير من المنتسبين إلى السنة بعد الأئمة) ثم ذكر منهم: (أبي بكر بن عبدالعزيز واللالكائي وأبي محمد البغوي). انظر: اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٢٠٤/١)، شرح السنة للبغوي (٢٩/٥)، مجموع الفتاوى (١٨٧/٦).

(٣) هو علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، مؤسس مذهب الاشاعرة ورجع عنه إلى مذهب أهل السنة والجماعة، كان المتكلمين المجتهدين، توفي ببغداد، له من الكتب (إمامة الصديق) و(مقالات الاسلاميين) و(الإبانة)، توفي ٣٢٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨٥/١٥)، الأعلام للزركلي (٢٦٣/٤).

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (ص:٢٩٠).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٤٠٠/٣)، وقال ابن تيمية: (ولهذا يقال لو كان الاسم هو المسمى لكان من قال —نار— احترق لسانه). انظر: مجموع الفتاوى (١٨٨/٦).

على أنفسها، كما في قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾، وأما دلالتها على المسمى فإنما هي مجاز، وروَّج ذلك بأن دلالة الشيء على نفسه أسبق وأوضح من دلالته على غيره، فالدخان مثلًا يدل على نفسه ثم على النار، ودلالته على نفسه أسبق وأوضح. ثم عبَّر عن ذلك بقوله: "الاسم غير المسمى" أي هو غيره في نفس الأمر، فإن لفظ ﴿ يَحْيَى﴾ غير ذات الرجل قطعًا، أي فينبغي أن يكون كذلك في حقيقة الدلالة.

وكأن غرض ذلك المبتدع أن يوصل بهذا القول إلى ترويج تأويلاتهم لنصوص الكتاب والسنة قائلاً: المعاني التي تحملون عليها النصوص – معشر أهل الحديث – كلها مجازات، والتي نحملها نحن عليها هي أيضًا مجازات، فلا مزية لكم علينا من هذا الوجه. ثم يقول: لا ريب أنه لا يمكن تركيب جملة واحدة مفيدة سالمة عن المجاز، فثبت بذلك أنَّ جميع نصوص الكتاب والسنة مجاز، ووجوه المجاز كثيرة، فقد يمكن احتمال عدة مجازات في الكلمة الواحدة، بعضها ينقض بعضًا. غاية الأمران مجازًا أقرب من مجاز، وهذا رجحان ظني، إنما يكفي فيما يكفي فيه الظن من فروع الأحكام. فأما ما يطلب فيه القطع – وهو العقائد – فلا، فدعوا نصوصكم، وهلموا إلى العقل.

فأجاب أهل السنة بقولهم: "الاسم عين المسمى" أي أن دلالته الحقيقية التي لا يجوز العدول عنها إلا بقرينة واضحة، هي دلالته على عين المسمى(١)، أي والمعاني التي تحمل عليها النصوص هي حقائقها، وما يزعمه المبتدعة من قرينة العقل باطلة كما هو مبين في موضعه. ثم كأن المبتدعة رأوا أنَّ دعواهم تلك واضحة البطلان، فحولوا العبارة إلى معنى آخر، وهو قولهم: إن المراد بالاسم هو الصفة التي يدل عليها بعض الأسماء كالعليم والقدير، فقالوا: مرادنا أن العلم والقدرة ونحوهما مما تثبتونه لربكم عَزَّ وَجَلَّ هي غيره سبحانه، وأنتم تقولون: إنها قديمة، فقد أثبتم عدة قدماء غير الله تعالى(٢). فأجابهم أهل السّنة ....

---

(١) قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في بيان معنى –الاسم هو المسمى– : (إن المراد المقصود هو المسمى، لا أن نفس اللفظ هو المسمى). انظر: الجواب الصحيح (٣/٤٠٠).

(٢) قال شيخ الإسلام –رحمه الله– في بيان مقصود من قال: –الاسم غير المسمى– : (مقصودهم أن أسماء الله غيره وما كان غيره فهو مخلوق، وإلا فلا ينازعهم أحد من العقلاء أن الأسماء التي هي =

بالتفصيل المعروف[١].

هذا، والقول بأن الألفاظ إنما تدل حقيقة على أنفسها مختلٌّ كما مر، وقد ظهر من كلام ابن عبد السلام القول به، فلا بأس بأن نبين الحجة على بطلانه، فأقول: قد تقرر أن الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما وُضِعت له، والمجاز بخلافها[٢]، وقد وجدنا الألفاظ تستعمل للدلالة على معانيها، كقوله تعالى: ﴿يَايَحْيَى﴾ وللدلالة على أنفسها، كقوله سبحانه ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾.

فحاصل القول المتقدم أن الواضع إنما وضع الألفاظ للدلالة على أنفسها، وأنها إنما استعملت للدلالة على معانيها على سبيل المجاز.

فيقال لمن يلتزم ذلك القول: حاصل قولك أن الواضع بدأ فركب الألفاظ ورتّبها، ثم استعملت في المعاني تجوُّزًا. وقد علمنا أن المجاز يعتمد العلاقة الواضحة[٣]، فأي علاقة بين المعاني وبين الألفاظ التي لا معاني لها إلا دلالتها على أنفسها.

وافرض أن أحدنا ركَّب ألف لفظ مخترع، ثم أراد أن يستعملها في المعاني تجوزًا، فأنّى ذلك، وما العلاقة؟

فإن تشبث بما يذكره المدققون في بعض الألفاظ الدالة على الأصوات، أو على ما يُفهم الصوت، من أنها مناسبة لتلك الأصوات، كما في: صرَّ، وصرصر، ودقَّ، وجرَّ؛ وفي بعض

= أقوال ليست نفسها المسميات). انظر: مجموع الفتاوى (٢٠٣/٦-٢٠٦)

(١) أن تعدد الصفات لايستلزم منه تعدد الذوات:

لدلالة السمع: حيث أن الله وصف نفسه بصفات كثيرة، ومع ذلك بين أنه –جل وعلا- الواحد الأحد.

ودلالة العقل: حيث أن الصفات تقوم بالموصوف وليست أمرا خارجا عنه، بحيث لو تعددت استلزم ذلك تعدد الذوات. انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (٤٦٣/٢-٤٦٤)، القواعد المثلى لابن عثيمين (ص:٩)

(٢) انظر: مفتاح العلوم للسكاكي (ص:٣٥٨-٣٥٩).

(٣) انظر: المصدر نفسه (ص:٣٦٠-٣٦١).

الألفاظ من مناسبة بين صفات حروفها من الشدة والهمس وغيرهما، وبين معانيها.

قيل له: إن الألفاظ التي يُدَّعى فيها ذلك قليلة جدًّا بالنسبة إلى غيرها، وتلك المناسبات تعتمد في الغالب التوهم والتخيل، وذلك مما يختلف باختلاف الناس، وأجمع الناس على أنه لا يجوز اعتماد هذه المناسبة في إثبات اللغة بدون سماع.

فإن قال: من أصلي في المعقولات أنه يستحيل الترجيح بدون مرجح، فإن لم تسلموا ذلك فناظروني فيه. وإنْ سلمتم، فمن قولكم إن الواضع إنما كان يتصور المعنى، ثم يضع له لفظًا، فيلزمكم أن تقولوا: إنه إنما رجح لفظًا على آخر لمرجِّح، فأنا أقول: إن ذلك المرجح هو العلاقة.

قلنا: إنه يمكن أحدنا أن يعمد إلى المعاني ويضع لها ألفاظًا مخترعة، فيجمع مائة لفظ لمائة معنى، أو يبدأ فيركب مائة لفظ مخترع ثم يعين لكل لفظ معنى، ولعله يقضي عمله هذا في بضع دقائق، كل هذا بدون تصور مرجَّح في غالب تلك الألفاظ. بل لو فكر بعد ذلك العمل أيامًا ليبين لكل لفظ من تلك الألفاظ مرجحًا لما أمكنه ذلك، والذي يمكنه من ذلك يغلب فيه التعسف بحيث يعلم قطعًا أنه عند التعيين لم يستحضر ذلك المرجح، وهذا أمر يمكنك أن تجربه إن شككت فيه، فماذا ترى في تفسير ذلك؟

فإن قال: لا بد من مرجح، إلا أنه في مثل هذا يكفي المرجح العارض والوهمي الذي يؤثر أثره في النفس بدون أن يثبته العقل.

قلنا: فلا علينا إن نسلم لك هذا، ثم نقول: إن هذه هي حال الواضع إذا كان من البشر في وضع الألفاظ للمعاني، ولا يمكنك أن تجعل ذلك علاقة للمجاز، لأنها غير معلومة ولا مستقرة. فلو اقتصر الواضع على تركيب الألفاظ وتعيينها، ثم قال للناس: يجوز لكم أن تستعملوها في المعاني للمناسبات، لما أمكنهم أن يعتمدوا ذاك المعنى في المناسبة لعدم العلم، وعدم استقراره، وغلبة الاختلاف فيه.

وبيان ذلك: أننا لو عيَّنَّا معنى، ثم قلنا لمائة رجل: ليضع كل منكم لهذا المعنى لفظًا مخترعًا لاختلفوا، حتى لقد يندر أن يتفق ثلاثة منهم على لفظ.

وكذلك لو اخترعنا لفظًا، ثم قلنا لهم: ليضعه كل منكم لمعنى.

فإن قال: أنا أقول إن الواضع لم يَكِلْ هذا التجوز إلى الناس، بل نص عليه، وقال: هذا اللفظ يصح أن يُتجوَّز به عن هذا المعنى، وهذا عن هذا، وهكذا.

قلنا: فإذا فعل الواضع هذا، فهذا وضع، لا تجوُّز.

فإن قال: لكني أسمِّيه تجوّزًا.

قلنا: سمِّه ما شئت، فقد ثبت وضع الألفاظ للمعاني، ولم يبق إلا دعواك أن الواضع بدأ فوضع الألفاظ لأنفسها،

فنسألك: ما فائدة وضع الألفاظ لأنفسها، والناس لا يحتاجون إلى ذلك، وإنما احتاجوا إليه في الجملة بعد أن وضعت الألفاظ للمعاني؟ فإنه بعد أن تقرر أن لكل شجرة اسمها دعت الحاجة إلى أن يقال: ما اسم هذه الشجرة؟ فيقال: نخلة، وغير ذلك، فأما قبل أن تعرف علاقة ما بين الألفاظ والمعاني فأي حاجة بالإنسان إلى أن يقول لصاحبه: "نخلة"، ليعرف صاحبه أن لفظ "نخلة" يدل على هذا اللفظ "نخلة"؟

أولا ترانا لا نكاد نحتاج إلى ذكر الألفاظ المهملة؟ وهل تذكر أنك نطقت، أو سمعت من نطق بلفظ: "ضصقح"؟

ولهذا لما احتاج علماء اللغة إلى ذكر الألفاظ المهملة استعانوا بالمستعملة، فمثلّوها بقولهم: "ديز" مقلوب "زيد".

ثم أي حاجة بالألفاظ في دلالتها على نفسها إلى الوضع؟ فإن المقصود من الوضع إنما هو أن يعرف العلاقة بين الشيئين، حتى إذا أريد إحضار أحدهما في ذهن المخاطب توصل إلى ذلك بإحضار الآخر. وهذا إنما هو في وضع الألفاظ للمعاني، مثاله: أن الإنسان قد يحتاج إلى أن يخاطب صاحبه بشيء يتعلق بهذا الطائر الأسود، ولا يستطيع في كل وقت إحضار الطائر نفسه والإشارة إليه، فوضع له لفظ "غراب"، حتى إذا عرف ذلك كفاك أن تقول: "غراب" فيحضر ذاك الطائر في ذهن صاحبك.

فأما اللفظ نفسه، فإنه يكفيك أن تنطق به، فيحضر في ذهن صاحبك. وها نحن نحضر الألفاظ المهملة بذلك كما نقول: "ضصقح لفظ مهمل".

فإن قال: إنما أريد بوضع الألفاظ لأنفسها أولاً أن الواضع بدأ فانتقى الألفاظ، وركَّبها،

وجمعها.

قلنا: فهذا ليس بوضع ، فكيف يقتضي أن دلالتها على أنفسها هي الحقيقة؟ ثم ما الحاجة إلى أن يبدأ الواضع بجمع الألفاظ وهي عرضة له، يمكنه أن يكتفي بعمل واحد، هو أن يتصور المعنى، ثم يقتطع له لفظًا، وهكذا.

فإن قال: دعوا هذا، ولكني أقول: إن دلالة الألفاظ على أنفسها طبيعية، بمعنى أن الإنسان إذا نطق باللفظ حضر ذاك اللفظ في ذهن صاحبه بدون حاجة إلى شيء آخر. وهذه الدلالة مقدمة على الدلالة الوضعية، فأنا أسمي الدلالة الطبيعية حقيقة، والوضعية مجازًا. قلنا: هذا خلاف ما عليه الناس في تعريف الحقيقة والمجاز. ثم قد بينًّا أن حاجة الناس إلى الألفاظ إنما هي من جهة دلالتها على المعاني، وأنه إنما احتيج إليها للدلالة على أنفسها للاستعانة بذلك على معرفة الدلالة على المعاني، كما في قوله تعالى: ﴿اسْمُهُ يَحْيَى﴾. وإذا كان الأمر كذلك علم أن المعتمد في فهم كلام الناس وفهم دلالات الألفاظ إنما هو دلالتها على المعاني.

ومثال ذلك: المرايا، فإن المرآة تدل على نفسها، بمعنى أن الإنسان إذا رآها علم أنها مرآة، ولكن هل تجد أحدًا يشتري مرآة لتكون عنده فقط، أو إنما يشتري الناس المرايا ليروا فيها صورهم؟

وإنما نزاعنا معك في فهم الألفاظ في كلام الناس، وقد عُلِم مما مرَّ أن الأصل في ذلك هو أن يفهم منها معانيها، فلا يضرُّها بعد ذلك أن تسميها مجازًا.

واعلم أن المحققين من علماء الوضع اتفقوا على أن الواضع إنما قصد وضع الألفاظ للمعاني، ولكنهم اختلفوا في دلالة الألفاظ على أنفسها حيث وقعت في الكلام، كقول النحاة: "قام" فعل ماض، و"من" حرف جر، وأشباه ذلك، فقال السعد التفتازاني(١) وجماعة: إنها دلالة وضعية وضعًا تبعيًّا(٢).

---

(١) هو سعد الملة والدين مسعود بن عمر أبي سعيد الغازي التفتازاني، من علماء الكلام المبرزين، وبرز في البلاغة والنحو والصرف، وتوفي سنة ٧٩١ وقيل ٧٩٢هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١١٢/٦)، وبغية الوعاة للسيوطي (٢٨٥/٢).

(٢) لم أقف عليه.

وأنكر السيد الشريف الجرجاني[١] وجماعة ذلك، وقالوا: لا يدل صحة استعمالها في الكلام على الوضع لأنه يصح استعمال المهمل، كأن يقال: "ديز" مقلوب "زيد"، وأشباه ذلك[٢].

والذي أراه أن الخلاف صوري، والتحقيق مع السعد، وذلك أن الواضع لما وضع الألفاظ للمعاني دعت الحاجة إلى استعمالها في الدلالة على أنفسها، فأقرَّها الواضع، ونطق بها العرب كذلك حيث احتاجوا إليها، فكان هذا وضعًا تبعيًّا.

أَوَلا ترى أن الإنسان إذا نطق باللفظ المستعمل كان متكلّمًا بالعربية، سواء أراد به معناه أم لفظه، كقول القائل: طلع القمر، وقوله: كتبت "قمر"؛ وأنه إذا نطق باللفظ الأعجمي كان خارجًا عن العربية، كقولك: طلعتْ "جانْدْ" (اسم للقمر بالفارسية)، وكتبت "جاند"؟ وإنما يستثنى من هذا الألفاظ الأعجمية التي تقبلها العرب، فصارت في حكم العربية، فلفظ "قمر" له علاقة بالوضع العربي، سواء أعُبِّر به للدلالة على معناه أم على نفسه، ولفظ "جاند" لا علاقة له بالوضع العربي.

القول الرابع: زعم بعضهم[٣] أن لفظ "اسم" قد يأتي بمعنى الصفة كما مرَّ عن المتكلمين. وذكر ابن عبد السلام قوله – صلى الله عليه وسلم –: "إن لله تسعةً وتسعين اسمًا"[٤]، وقوله تعالى: ﴿فَلَهُ الأَسْمَاء﴾[الإسراء:١١٠] وقوله: ﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف:١٨٠] ثم

---

(١) هو علي بن محمد بن علي الحنفي، وصف بأنه عالم بلاد الشرق، وله مصنفات عديدة منها: شرح المواقف للعضد، وشرح القسم الثالث من المفتاح، وكان مدرسا بسمرقند ومقدما عند ولاتها. وتوفي سنة ٨١٤ وقيل ٨١٦هـ. انظر: الشقائق النعمانية لطاشكبري زاده (٢٩/١)، بغية الوعاة للسيوطي (١٩٦/٢-١٩٧).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) انظر: التفسير الكبير للرازي (٣١/ ١٣١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار والشروط التي يتعارفها الناس بينهم وإذا قال مائة إلا واحدة أو اثنين،(١٩٨/٣) (ح: ٢٧٣٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله وفضل من أحصاها،(٢٠٦٢/٤) (ح: ٢٦٧٧) كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

قال: "ويجوز أن يراد بالأسماء الحسنى الصفات، فيكون تعبيرًا بالأسماء عن المسميات، فإنّ الحسن والشرف إنما يتحقق في المسميات دون التسميات، لأنها ألفاظ، ولا تتصف الألفاظ بالحسن إلا إذا كانت خفيفة على اللسان، فصيحةً في البيان. وكذلك لا تتصف الأجرام بالشرف والحسن، إلا إذا قامت بها الصفات الشراف الحسان"(١).

أقول: لم يقم دليل على صحة إطلاق الاسم بمعنى الصفة.

وقوله: "تعبيرًا بالأسماء عن المسميات" قد مرَّ ما فيه.

وقوله: "إن الألفاظ لا تتصف بالحسن إلا لخفة على اللسان، وفصاحة في البيان" من عثراته التي لا تقال، فإن الألفاظ تكتسب الحسن والشرف من معانيها ومدلولاتها والمتكلم بها، وعلى التنزُّل فيمكن أن يقال: إن حسنها باعتبار معانيها، فكأنه قيل: "الحسنى معانيها".

ولو فرضنا أن الاسم قد يطلق بمعنى الصفة، فسياق الحديث والآيات يأبى هذا المعنى، ولا حاجة للإطالة ببيان ذلك. والله المستعان.

القول الخامس: إن لفظ "اسم" قد يقحم في الكلام، فيكون زائدًا. وقد حكى ابن جرير(٢) هذا عن بعضهم(٣)، وردَّه(٤). والبصريون من النحاة يمنعون زيادة الأسماء. وقد ذكر ابن هشام(٥) ذلك في "المغني" في الكلام على "مَنْ" بفتح الميم(٦). وقال في الكلام على "ماذا": "التحقيق أن الأسماء لا تزاد"(٧).

---

(١) انظر: مجاز القرآن للعز بن عبدالسلام (ص:١٩٩).

(٢) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، توفي ببغداد، من أكابر العلماء بالفقه والحديث والتفسير والتاريخ، له من الكتب (تاريخ الملوك) و(جامع البيان) وغيرها، توفي ٣١٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٠١/٢)، الأعلام للزركلي (٦٩/٦).

(٣) وهو أبو عبيدة معمر بن مثنى –رحمه الله– في كتابه: مجاز القرآن (١٦/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (ص: ١١٩-١٢٠).

(٥) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن هشام الأنصاري النحوي المشهور، أتقن العربية ففاق الأقران والشيوخ، وله تعليق على ألفية ابن مالك وشرح لبانت سعاد وغيرها، وتوفي سنة ٧٦١هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي (٦٩/٢)، شذرات الذهب لعبدالحي العكري (١٩١/٦).

(٦) ذكر أن من يجوز زيادة الأسماء هم الكوفيون. انظر: مغني اللبيب (ص:٤٣٢/٤٣٤).

(٧) انظر: المرجع نفسه (ص:٣٩٧).

وقد أنكر بعض أهل العلم[١] أن يكون في القرآن لفظ زائد حرفًا أو غيره.

وأجاب المحققون[٢] بأنَّ المراد الزيادة بحسب صناعة الإعراب، وأما في المعنى فما من لفظ يقال بزيادته إلا ولذكره معنى وفائدة لا تحصل بدونه.

وأقول: إن ثبت ما زعمه بعضهم من جواز زيادة الأسماء، فذاك في أسماء تُشبه الحروف مثل "مَنْ".

ولو ثبت في غيرها فليس في فصيح الكلام، ولو ثبت في فصيح الكلام فليس مما يقاس عليه.

وحملُ القرآن على ما لم يثبت لا يجوز، ما دام يحتمل غيره[٣].

وسنبيِّن إن شاء الله تعالى أن الآيات التي زعموا زيادة لفظ "اسم" فيها لا حاجة بها إلى ذلك.

القول السادس: إن لفظ "اسم" في نحو ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١] بمنزلة المجلس والحضرة في قولهم: سلام على المجلس العالي، والحضرة الشريفة[٤].

أقول: هاتان الكلمتان من تنطعات المولَّدين[٥] تبعًا للأعاجم. ونظير ذلك أو أقرب منه

---

(١) كالمبرد وثعلب. انظر: البرهان في علوم القرآن (٣: ٧٢).

(٢) كالزركشي. المرجع نفسه.

(٣) الزيادة في القرآن على قسمين:

ما ليس لها معنى، ولا يجور هذا الإطلاق بالاتفاق. انظر: البحر المحيط للزركشي (١/ ٣٧١).

ما لا يختل المعنى الأصلي بحذفها مع أن زيادتها تفيد زيادة في المعنى، وهذا القسم اختلف أهل العلم في إطلاق الزائد إزاءه على قولين:

القول الأول: كثير من العلماء جوزوا هذا الإطلاق لأن القرآن نزل بلسان العرب وهذا الأمر معروف في لسانهم. انظر: المرجع نفسه.

القول الثاني: المنع من استخدام هذا اللفظ في القرآن مع أنهم يقرون بأن معناه موجود في القرآن وذهب إلى هذا القول المبرد وثعلب وابن سراج. انظر: البرهان للزركشي (٧٢/٣). وهو الأقرب للاشتباه الحاصل بالقول الأول والله أعلم.

(٤) انظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٣٢/٣١)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٤٥٤/٩).

(٥) مر تعريف المولدين من الشعراء. انظر: (ص٩٨).

قول بعضهم[(١)] في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[الرحمن:٤٦]

واحتجاجه ببيت الشماخ[(٢)]:

ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه مقامَ الذئبِ كالرجلِ اللَّعينِ[(٣)]

وليس بشيء، فقد فسّر السلف ومن يقرب منهم ﴿مَقَامَ رَبِّهِ﴾ بما يليق به.

وأما بيت الشماخ، فـ "مقام" فيه بمعنى "قيام"، يريد: أزلت عنه قيام الذئب، أي وقوفه.

وأما المولدون، فيستعملون "المقام" بمعنى مكان الإقامة، ثم يقولون: سلام على ذلك المقام، ونحو ذلك. والعارف منهم يشبه هذا بقول العربي:

إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والندى في قُبَّةٍ ضُرِبتْ على ابنِ الحَشْرَجِ[(٤)(٥)]

ويقول: إذا سلَّمتُ على المحلّة التي يقيم فيها، فكأني قد غمرتُه بالسلام من جميع جوانبه.

هذا، ولا يتجه نحو هذا في لفظ "اسم"، وأقرب ما يُدَّعى فيه مما يقرب من هذا أن يقال: إن في الكلام كناية، كما يقول الرجل: إني أحبُّ اسم علي، يكني بذلك عن حبه لعلي بن أبي طالب[(٦)] عليه السلام[(٧)].

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٤٥١/٤)، تفسير البيضاوي (٢٧٩/٥).

(٢) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة الغطفاني، كان شاعرا مشهورا، وأدرك الجاهلية والإسلام، وقيل أنه أشعر غطفان، وهو من طبقة لبيد والنابغة، وتوفي سنة ٢٢هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٣٥٣/٣)، الأعلام للزركلي (١٧٥/٣).

(٣) انظر: ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني (ص:٣٢١)

(٤) هو عبد الله بن الحشرج بن الاشهب الجعدي، من سادات قيس وشعرائها، ومن الاجواد، ولي أكثر أعمال خراسان في أيام عبدالملك بن مروان، وكان صديقا لمحمد بن مروان، وتوفي نحو سنة ٩٠هـ. انظر: الوافي بالوفيات للصفدي (٧٧/١٧)، الأعلام للزركلي (٨٢/٤).

(٥) قائل هذا البيت زياد الأعجم لعبدالله بن الحشرج عندما أكرمه وأعطاه ألف دينار. انظر: المستطرف (٣٥٩/١)

(٦) هو علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب: عبد مناف بن عبد المطلب، من بني هاشم، من قريش، أمير المؤمنين، ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وفضائله كثيرة معروفة رضي الله عليه، توفي سنة ٤٠هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٦٤/٤)، الأعلام للزركلي (٢٩٥/٤).

(٧) اتفق العلماء على مشروعية الصلاة والسلام على الأنبياء وعلى غيرهم تبعا لهم. ثم اختلفوا في إفراد =

ومن شأن الكناية أنه يصلح معها إرادة المعنى الحقيقي بأن يكون هذا الرجل لشدة حبه لعلي عليه السلام قد أحبَّ هذا الاسم لأنه يذكر به.

وهذا يلاقي المعنى المختار في قوله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾[الأعلى:١]، كما يأتي إن شاء الله تعالى.

تتمة في الأمثلة التي يحتج بها أصحاب هذه الأقوال أو بعضهم وتحقيق معناه:

الأول: قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾[يوسف:٤٠].

وهذه الآية من جملة ما قصه الله تعالى من محاورة يوسف عليه السلام لصاحبي السجن، وهما من المصريين، والقوم - كما دللت عليه في رسالة "العبادة"[١] - كانوا يعتقدون وجود ذوات علوية، ينعتونها بنعوت غير نعوت الملائكة، ثم سمَّوها بأسماء اخترعوها، وكانوا يدعونها بتلك الأسماء، ويتضرَّعون إليها.

فبيَّن يوسف عليه السلام أنَّ ما توهموه من وجود ذواتٍ بالصفة التي يزعمون لا حقيقة له، وأنه لا يوجد من تلك الذوات إلا أسماؤها التي اخترعوها، كما نقول نحن في العَنْقاء: إنه اسم بلا مسمًّى وإنه لا يوجد منها إلا اسمها، وفي الأثر في حال آخر الزمان: أنه لا يبقى من الدين إلا اسمه[٢].

= غيرهم بالصلاة على أقوال:

القول الأول: الجمهور: منعوا من ذلك –إما تحريما أو تنزيها أو خلافا للأولى- لأنه صار شعارا للأنبياء فلا

يلحق بهم غيرهم، وبعضهم علل ذلك أنه صار شعارا لأهل البدع فيمن يوالونهم، فلا يقتدى بهم، وهو اختيار النووي وابن كثير وهو الأقرب والله أعلم.

القول الثاني: يجوز ذلك واستدلوا بعمومات الأدلة.

انظر: الأذكار للنووي (ص:١١٨)، تفسير ابن كثير (٤٧٧/٦-٤٧٩).

(١) انظر: العبادة (٦٨٨/٢-٦٩٣).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣١٨/٣)، (ح:١٧٦٥) عن علي رضي الله عنه موقوفا عليه، ومعناه صحيح ويشهد له حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: ذهاب الإيمان آخر الزمان، =

ولما كانوا إنما يعبدون من تلك الذوات ما هو في ظنّهم موجود، والموجود منها أسماؤها فقط، وهم مع ذلك يعلّقون العبادة بالأسماء= قيل لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾[يوسف:٤٠].

فحملُ الأسماءِ هنا على المسمَّيات أو الأشخاص نقيض قصد القرآن. والذي أوقع هؤلاء فيه إنما هو عدم تدبر القرآن، والجهل بما عليه المشركون.

ونظير هذه قوله تعالى فيما قصَّه عن هود عليه السلام: ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء ﴾ [الأعراف:٧١]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾[النجم:٢٣] وقد أوضحتُ ذلك بأدلته في رسالة "العبادة"[١].

وقد ذهب بعض المفسرين إلى نحو هذا[٢]، ولكنَّه توهم أنّ المراد أسماء الأصنام، وأنّ ذواتِ الأصنام نُزِّلَتْ منزلةَ العدم. وقد عرفتَ – بحمد الله تعالى – الحقيقة.

المثال الثاني: قوله عزَّ وجلَّ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١]. قالوا: وقد أخرج الإمام أحمد[٣] وغيره عن ابن عباس[٤]: "أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا قرأ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾[الأعلى:١] قال: سبحان ربي الأعلى"[٥].

= (١٣١/١) (ح:١٤٨).

(١) انظر: العبادة (٤٣٦/٢-٤٣٧/٤٤٧-٤٤٨)، (٦٨٥/٣).

(٢) لعل المراد طنطاوي جوهري –رحمه الله–. انظر: تفسيره (٢٠١/١٠) وما بعدها.

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، أبو عبد الله، إمام المذهب الحنبلي، وأحد أئمة الفقه الأربعة، وأعز الله به أهل السنة يوم المحنة، له كتاب (فضائل الصحابة) و (المسند) وغيرها، توفي سنة ٢٤١هـ. انظر: طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٣/١وما بعدها)، الأعلام للزركلي (٢٠٣/١).

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، قرشي هاشمي، حبر الأمة وترجمان القرآن، أسلم صغيرًا، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وروى عنه، كان الخلفاء يجلون، وتوفي بالطائف سنة ٦٨هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (١٤١/٤)، الأعلام للزركلي (٩٥/٤).

(٥) أخرجه في المسند (٤٩٥/٣)، (ح:٢٠٦٦)، وأخرجه أبو داود في السنن، في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء في الصلاة، (١٦٠/٢)، (ح: ٨٨٣)، وحكم عليه محققا السنن بأن رجال إسناده =

وعن عقبة بن عامر[(١)]: أنها لما نزلت قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اجعلوها في سجودكم"[(٢)]. ومعلوم أنه يقال في السجود: سبحان ربي الأعلى.

وعن علي رضي الله عنه: أنه قرأها في الصلاة، فقال: سبحان ربي الأعلى. فقيل له في ذلك، فقال: إنما أمرنا بشيء[(٣)].

وروي نحو هذا عن غيره[(٤)].

قالوا: ومعقول أن التسبيح هو قول "سبحان". والمعروف في الشريعة "سبحان الله" ونحوه، ولا يعرف فيها "سبحان اسم الله"، أو نحوه.

أقول: أصل التسبيح في اللغة: التنزيه، ثم أكثر استعماله في النطق بـ "سبحان". وجاء ها هنا على أصله بقرينة أنه لم يعرف: "سبحان اسم الله"، كما قلتم.

وتنزيه أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ حق لا ريب فيه، ومنه أن لا يسمى غيره بما اختص به أو غلب، كلفظ الله والرحمن والقدوس والحكيم العلم[(٥)]، وغير ذلك، وأن لا تذكر أسماؤه في الهزل واللعب، ولا تذكر عند ملامسة القاذورات، إلى غير ذلك.

والأمر بتنزيه الاسم يدل بفحواه على الأمر بتنزيه المسمَّى؛ لأن تنزيهه سبحانه أوجب

= ثقات واختلف في رفعه ووقفه ورجحا أن وقفه أصح.

(١) هو عقبة بن عامر بن عبس بن مالك الجهني، كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، قديم الهجرة والسابقة والصحبه، وهو أحد من جمع القرآن، ولي إمرة مصر من قبل معاوية سنة ٤٤ هـ، توفي سنة ٥٨هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٥٢٠/٤)، الأعلام للزركلي (٢٤٠/٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٦٣٠/٢٨) (ح:١٧٤١٤)، وأخرجه أبو داود في السنن، في كتاب: الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، (١٥١/٢) (ح:٨٦٩)، وحكم عليه محققا السنن بأن إسناده حسن.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور (٣٦٣/١٥) بلفظ: وقيل لعلي رضي الله عنه أتزيد في القرآن؟ فقال: إنما أمرنا بشيء فقلته، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن أبي شيبة وعبدالرزاق وابن الأنباري في المصاحف.

(٤) انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٥٠٨/٢-٥٠٩).

(٥) هكذا في المطبوع في مجموع آثار المعلمي (٣٠/٧)، ولعل الصواب (العليم).

وأولى، فقد دلت الآية على كلا الأمرين.

فأما تنزيه الرب عَزَّ وَجَلَّ فإنه يكون بالقول، وقد جعل له الشارع علمًا، وهو لفظ "سبحان". وأما تنزيه الاسم فإنه يكون بالعمل، كما تقدم.

فكان النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم أصحابه يمتثلون الأمر الثابت بالأولى بقول "سبحان ربي الأعلى"، ويمتثلون الأمر بتنزيه الاسم بعملهم، كما نهي النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يقال لإنسان: "ملك الأملاك"(١). وغيَّر كنية من كان يكنى "أبا الحكم"، وقال: "الحَكَم الله"(٢).

وغيَّر اسم من كان يسمَّى "عزيزًا"(٣). بل جاء عنه أنه جاءه رجل، فذكر له أنه طبيب، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: "أنت رفيق، والله هو الطبيب"(٤). وأن قومًا جاؤوه، وقالوا: أنت سيدنا، فقال: "السيد الله"(٥).

وتبعه أصحابه رضي الله عنهم، بل جاء عن عمر(٦) أنه كره التسمِّي بأسماء الملائكة والأنبياء(٧).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: أبغض الأسماء إلى الله، (٨/٤٥)، (ح: ٦٢٠٥)، وأخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الآداب، باب: تحريم التسمي بملك الأملاك أو ملك الملوك، (٣/١٦٨٨)، (ح: ٢١٤٣).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: الأدب، باب: تغيير الاسم القبيح، (٧/٣٠٩)، (ح:٤٩٥٥)، وحكم عليه محققاه بأن إسناده جيد، وأخرجه النسائي في سننه، في كتاب: آداب القضاة، باب: إذا حكموا رجلا فقضى بينهم، (٨/٢٢٦) (ح: ٥٣٨٧).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٩/١٤٧) (ح: ١٧٦٠٦)، وصححه محققوه.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الترجل، باب: في الخضاب، (٦/٢٦٩) (ح: ٤٢٠٧)، وحكم عليه محققاه بأن إسناده صحيح.

(٥) المصدر نفسه، في كتاب: الأدب، باب: في كراهية التمادح، (٧/١٨٤) (ح: ٤٨٠٦)، وحكم عليه محققاه بأن إسناده صحيح.

(٦) هو عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو حفص الفاروق. صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمير المؤمنين، ثاني الخلفاء الراشدين، وفضائله مشهورة معروفة، توفي سنة ٢٣هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٤/٥٨٨)، الأعلام للزركلي (٥/٤٥).

(٧) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية، في كتاب: الأدب، باب: إباحة =

وفي هذا كفاية لمن يفهم.

المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٧٨]. وقد قرأ ابن عامر[١] وأهل الشام[٢]: "ذو"[٣].

قالوا: ولفظ "تبارك" يجيء في الغالب مسندًا إلى الله عزَّ وجلَّ، كقوله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤]. ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[المؤمنون:١٤] وغير ذلك. وكذلك في السنَّة، كما في حديث: "تباركت ربنا وتعاليت"[٤].

والجواب: أن إسناده إلى الاسم نفسه قد جاء في الكتاب، كهذه الآية وغيرها، وفي السنّة كما في الدعاء الآخر: "تبارك اسمك وتعالى جدُّك"[٥].

= التسمي بأسماء الأنبياء وما جاء في كراهية ذلك (١٢/١٣١) (ح: ٢٧٩٦)، وحكم عليه محققه بأن إسناده حسن، وهذا من الفاروق -رضي الله عنه- أدبا واحتراما لمقام الملائكة الأنبياء وإلا فقد أتت عدة أحاديث فيها جواز التسمي بأسماء الأنبياء، منها: ما أتى عند البخاري(ح:١١٠) ومسلم(ح:٢١٣١) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تسموا باسمي..).

(١) هو عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، أبو عمران، الشامي، أحد القراء السبعة، ولي قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك، وتوفي سنة ١١٨هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (١٢/٣٠١)، الأعلام للزركلي (٤/٩٥).

(٢) أي أهل الشام الذين يقرؤون بقراءة ابن عامر الشامي.

(٣) انظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ص: ١٣٢)، وتحبير التيسير لابن الجزري (ص: ٥٧٢).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الصلاة، باب: القنوت في الوتر، وحكم عليه محققاه بأن إسناده صحيح، (٢/٥٦٤) (ح:١٤٥٢)، والترمذي في جامعه، في: أبواب الوتر، باب: ما جاء في القنوت في الوتر، وقال: حديث حسن، (٢/٣٢٨) (ح:٤٦٤)، كلاهما عن الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، في: كتاب الصلاة، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك، وحكم عليه محققاه بأن دعاء الاستفتاح منه صحيح لغيره، (٢/٨٢) (٧٧٥)، والترمذي في جامعه، في: أبواب الصلاة، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة، كلاهما عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ولا داعي إلى تأويله؛ لأن معنى "تبارك": تكاثرت بركته أي خيرُه.

وأسماء الله تبارك وتعالى كثيرة البركة، فبها تستفاد الخيرات، إذ بها يدعى سبحانه فيجيب، ويُستعان فيعين، ويُستغاث فيغيث، ويُستغفر فيغفر، وبه يُوحَّد ويُمجَّد ويُحمَد ويُسبَّح، إلى غير ذلك.

وقد قال ابن الأنباري[(١)]: "تبارك الله: أي يتبرك باسمه في كل شيء". ذكره صاحب لسان العرب وغيره[(٢)].

فإن قيل: لكن السورة من أولها إنما عددت نعم الرب وبركاته وخيراته عزَّ وجلَّ، ولا يظهر فيها ما يتعلق بالاسم.

قلت: هذا سؤال قوي، وجوابه بحمد الله عَزَّ وَجَلَّ سهل، وهو أن تلك النعم تتعلق باسمين من أسمائه سبحانه، أحدهما: الرحمن، والثاني: الربّ.

ودلّ على ذلك بناؤه السورة على الأول: ﴿بسم الله الحمن الرحيم* الرَّحْمَن ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآن ۝٢ خَلَقَ الإِنسَان ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَان... ﴾ [الرحمن:١-٤]. ثم عقب تفصيلها بعنوان الثاني، وذلك قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَان﴾. ومعنى الرحمن والرب موافق لذلك، فقد يكون أحد هذين أو كلاهما هو المراد بالاسم.

فإن قلت: إن النعم لا تتعلق بالاسم نفسه، وإنما تتعلق بالصفة التي دلَّ عليها، وهي الرحمانية والربوبية.

قلت: لا مانع من أن يقال: تبارَكَ الاسم الدالُّ على تلك الصفة.

هذا، وإذا أسند التبارك إلى الاسم، فثبوته للصفة من باب أولى، وللربِّ عَزَّ وَجَلَّ أولى وأولى. وهذا معنى مقصود فيه زيادة في الحمد والثناء والتعظيم. والخروج عن الظاهر بالقول بزيادة لفظ "اسم"، أو بما يصير في معنى الزائد، يلزمه نقص في ذلك المعنى العظيم.

---

(١) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الانباري: من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والاخبار، وله كتاب (الزاهر)، و(عجائب علوم القرآن) وغيرها، توفي سنة ٣٢٨هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي (٢١٢/١)، الأعلام للزركلي (٣٣٤/٦).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، (برك)، (٣٩٦/١٠).

فأما قراءة ابن عامر وأهل الشام، فإن استكثرت على اسم الله عزَّ وجلَّ أن يوصف بأنه ذو الجلال والإكرام، فاجعل قوله: ﴿ذُو﴾ خبرًا لمبتدأ محذوف، تقديره: هو، أي الرب، وبهذا توافق هذه القراءة معنى قراءة الجمهور.

وإن شئت فاجعل ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[الرحمن:٢٧] بيانًا للاسم، أي تبارك هذا الاسم، وهو "ذو الجلال والإكرام" لدلالته على ما تضمنته السورة من عظم جلال الله عزَّ وجلَّ، وكثرة إكرامه بالنعم.

وهذا اسم عظيم الشأن، حتى قيل: إنه الاسم الأعظم. وفي حديث رواه أهل السنن وصححه الحاكم[١] على شرط مسلم: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع رجلاً: "اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنَّان المنَّان، بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم". فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "دعا الله باسمه الأعظم ... " الحديث[٢].

وفي حديث صححه الحاكم أيضًا: "أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام"[٣]. والإلظاظ: اللزوم والمثابرة[٤]. والله أعلم.

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن حمدويه، الشهير بالحاكم، يعرف بابن البيع، من حفاظ الحديث و المصنفين فيه، من أهل نيسابور، له كتاب (المستدرك) و (معرفة علوم الحديث) وغيرها، توفي سنة ٤٠٥هـ. انظر: السير للذهبي (١٧/١٦٢)، طبقات الشافعية للسبكي (٤/١٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الصلاة، باب: الدعاء، وحكم عليه محققاه بأنه حديث صحيح (٢/٦١٢) (ح:١٤٩٥)، والنسائي في سننه، في كتاب: في السهو، باب: الدعاء بعد الذكر، (٣/٥٢) (ح:١٣٠٠)، الترمذي في جامعه، في كتاب: الدعوات، (٥/٥٥٠) (ح:٣٥٤٤)، ابن ماجه في سننه، في كتاب: الدعاء، باب: اسم الله الأعظم، وحكم عليه محققوه بأنه حديث صحيح، (٥/٢٦) (ح:٣٨٥٨)، الحاكم في مستدركه، في كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، (١/٦٨٣) (ح:١٨٥٧)، كلهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر، (١/٦٧٦) (ح: ١٨٣٦).

(٤) انظر: النهاية في غريب الأثر لابن الأثير، باب: اللام مع الظاء، (لظظ)، (٢/٦٠١).

المثال الرابع: في الدعاء النبوي: "باسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم"(١).

قالوا: إنما المعنى: "لا يضرُّ معه" أي مع الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ هذا هو الواقع، وذلك أنه سبحانه وتعالى هو المدبر للسماوات والأرض، فما لم يقدِّر الضرر لم يقع، فهو الضار النافع. وأما الاسم نفسه، فأنى له ذلك! ومعية الاسم أظهر ما يتحقق بذكره، وكثيرًا ما يذكر الإنسان اسم الله تعالى، ومع ذلك يصيبه الضرر.

والجواب: أنَّ المعنى على قولكم يصير حاصله: أنه لا ضارَّ إلا أنت يا ربنا. ولا يخفى ما فيه، وبعده عن الأدعية النبوية التي منها: "الخير كله بيديك، والشر ليس إليك"(٢). وقال بعض [أهل](٣) العلم: المعنى: "لا يضر مع ذكر اسمه شيء"(٤).

ويجاب عما تقدم: بأن المراد الذكر الكامل، وهو ما كان على وفق المشروع، مع صدق خشوع وقوة يقين.

وقد يشهد لهذا تمامُ الحديث وقصته، ففي المشكاة(٥): " [فكان أبان(٦) (راوي الحديث

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، وحكم عليه محققاه بأنه حديث حسن، (٤١٩/٧) (ح:٥٠٨٨)، والترمذي في جامعه، في كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، (٤٦٥/٥) (ح:٣٣٨٨)، كلاهما عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، (٥٣٤/١) (ح: ٧٧١).

(٣) ساقطة من الأصل سهوا، وأضافها المحققون على مشروع المعلمي (٣٦/٧).

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح لعلي القاري (١٦٥٩/٤) (ح:٢٣٩١)، وعون المعبود للعظيم آبادي (٢٩٣/١٣) (ح:٣٣٨٨).

(٥) ترك المؤلف –رحمه الله- بعده بياضا بمقدار سطرين، ووضع علامة تنصيص، فأضافه المحققون على مشروع المعلمي (٣٦/٧).

(٦) أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولي على المدينة سبع سنوات، وهو ثقة، ومات سنة ١٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٥١/٤)، التقريب لابن حجر (ص: ١٠٣).

عن أبيه عثمان) قد أصابه طرفُ فالجٍ، فجعل الرجل (الذي سمع الحديث من أبان) ينظر إليه، فقال له أبان: ما تنظر إلي؟ أمَا إنَّ الحديث كما حدَّثتك، ولكنِّي لم أقُله يومئذ ليُمضي الله عليَّ قدرَه] "[١].

ولعل الأولى أن يكون المراد: لا يضرُّ مع بركة اسمه شيء، وذلك أنَّ من ذكر اسم الله تعالى على وفق المشروع، مع صدق الخشوع وقوة اليقين، استحقَّ أن يحُفَّه الله تعالى ببركة لا يضرُّه معها شيء ما دامت معه. ولما كانت تلك البركة مسبَّبةً عن ذكر الاسم نُسِبت إليه، ثم نزلت معيتها منزلة معية الاسم نفسه. وأرى هذا تحقيقًا بالغًا. والحمد لله رب العالمين.

المثال الخامس: في الدعاء النبوي: "اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت". ذكره ابن عبد السلام، وقال: "معناه: اللهم بك أحيا، وبك أموت، أي: بقدرتك"[٢].

أقول: هذا الدعاء كان النبي – صلى الله عليه وسلم –[يقوله][٣] عند اضطجاعه للنوم كما في "صحيح مسلم" عن البراء[٤]: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا أخذ مضجعه قال: "اللهم باسمك أحيا وباسمك أموت"، وإذا استيقظ قال: "الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور"[٥].

فالحياة والموت فيه بمعنى اليقظة والنوم، والإنسان عند أخذ مضجعه بين يقظة حاضرة

---

(١) انظر: مشكاة المصابيح للتبريزي، في كتاب: الدعوات، باب: مايقول عند الصباح والمساء والمنام، (٣٨/٢) (ح: ٢٣٩١)، وقد تقدم تخريجه قريبا في المثال الرابع.

(٢) انظر: مجاز القرآن للعز بن عبدالسلام (ص:١٩٨).

(٣) زيادة يقتضيها السياق من فعل المحققين على مشروع المعلمي (٣٧/٧).

(٤) هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي، أبو عمارة، الأنصاري، من أصحاب الفتوح، أسلم صغيراً، وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة، ولما ولي عثمان الخلاقة جعله أميرا على الري، وتوفي عام ٧١هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٢٧٨/١)، الأعلام للزركلي (٤٦/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا نام، (٦٩/٨) (ح:٦٣١٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (٢٠٨٣/٤) (ح: ٢٧١١).

ونوم منتظر عن قرب، فكان - صلى الله عليه وسلم - يذكر اسم الله تعالى على الأمرين معًا. وقد فسّره صاحب "فتح الباري" بقوله: "بذكر اسمك أحيا، وعليه أموت"[١].

وأقول: هذا، وقوله في المثال السابق: "بسم الله" وأمثلة أخرى ذكروها كلها من أفراد التسمية، كقول من بدأ الأكل: بسم الله. وسيأتي الكلام على ذلك إن شاء الله تعالى.

المثال السادس: البيت المنسوب إلى لبيد[٢]:

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما ... ومَن يبكِ حولًا كاملًا فقدِ اعْتَذَرْ[٣]

أقول: هذا البيت في قطعة ذكرها صاحب الأغاني[٤] (١٤/ ٩٨) في قصة ذكر فيها أن لبيدًا لما حضره الموت جرى له كيت وكيت، وفيها ذكر قصيدة طويلة. والقطعة التي فيها هذا البيت زعم الراوي أنَّ لبيدًا قالها في تلك الحال. وفي رجال السند من لم أعرفه[٥]. والمشهور أنَّ لبيدًا لم يقل شعرًا بعد إسلامه، وقد ذكر صاحب الأغاني ذلك عن أبي عبيدة[٦]، إلا أنه استثنى بيتًا واحدًا، وهو:

---

(١) انظر: الفتح (١١/١١٣).

(٢) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري، أحد الفرسان الشعراء الشرفاء في الجاهلية، وهو أحد أصحاب المعلقات، وأسلم وحسن إسلامه، وله صحبة، وقيل إنه لم يقل شعرا في الإسلام إلا بيتا واحدا، مات سنة ٤١هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٥/٦٧٥)، والأعلام للزركلي (٥/٢٤٠).

(٣) انظر: ديوان لبيد (ص:٥١).

(٤) هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأموي القرشي، أبو الفرج الأصبهاني أو الأصفهاني: من أئمة الادب، وله معرفة في التاريخ والأنساب والسير واللغة، وهو شيعي، وله كتاب (الأغاني) و (أيام العرب) وغيرها، توفي عام ٣٥٦هـ. انظر: السير للذهبي (١٦/٢٠٢)، الأعلام للزركلي (٤/٢٧٨).

(٥) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٥/٣٦٧-٣٦٨).

(٦) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي مولاهم البصري، من أئمة النحو والأدب، صاحب التصانيف العديدة، والتي منها مجاز القرآن ومآثر العرب وغيرها الكثير، توفي عام ٢٠٩هـ. انظر: السير للذهبي (٩/٤٤٥)، الأعلام للزركلي (٧/٢٧٢).

الحمــــد لله إذ لم يـــأتني أجلــــي حتى اكتسيتُ من الإسلام سربالًا[(١)]

وفي كتاب "الشعر والشعراء" لابن قتيبة[(٢)]:[(٣)] " [ولم يقل في الإسلام إلا بيتًا واحدًا. واختُلِف في البيت، قال أبو اليقظان[(٤)]: هو ... " وذكر البيت السابق، ثم قال: "وقال غيره: بل هو قوله:

ما عاتَبَ المرءَ الكريمَ كنفسِه والمرءُ يُصلِحُه الجليسُ الصالحُ

وقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدْني (من شعرك) فقرأ سورة البقرة، وقال: ما كنت لأقول شعرًا بعد إذ علّمني الله (سورة) البقرة وآل عمران ...] "[(٥)].

وهَبْ أن نسبة هذا البيت: "إلى الحول ... " إلخ صحت إلى لبيد، أو إلى غيره ممن يحتج بكلامه، فقد حمله ابن جرير على أن قوله: "السلام" أراد به الاسم المعروف من أسماء الله عزَّ وجلَّ، ثم يقول: إما أن يكون أراد: ثم عليكما اسم السلام، أي: ثم الزما اسم الله. يريد: الزما ذكر اسم الله، ودعا ذكري. وإما أن يكون أراد التبريك عليهما، أي: ثم بركة اسم الله عليكما[(٦)].

وأقول: لو فرضنا أنه لم يكن له وجه إلا ما حملوه عليه من الزيادة، فهو شذوذ وضرورة، فلا

---

(١) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٥/٣٥٧-٣٥٨)، الإصابة لابن حجر (٥/٦٧٥).

(٢) هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، من أئمة الأدب، ولد ببغداد وتوفي فيها، من كتبه (تأويل مختلف الحديث) و (أدب الكاتب) وغيرها الكثير وتوفي سنة ٢٦٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/٢٩٦)، الأعلام للزركلي (٤/١٣٧).

(٣) قد وضع المؤلف -رحمه الله- بعد ذلك علامتي تنصيص وتركه فارغا، فأورده المحققون لمشروع المعلمي (٧/٣٩).

(٤) هو عامر بن حفص العجيفي: أخباري وعالم بالأنساب، ولقبه سحيم، ومن كتبه (أخبار تميم) وتوفي عام ١٩٠هـ. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٣/٣٧٥ ، ٥/١٧٣)، الأعلام للزركلي (٣/٢٤٩-٢٥٠).

(٥) انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/٢٦٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (١/١٢٠-١٢١).

يجوز حمل كلام الله عَزَّ وَجَلَّ عليه.

وهب أن ذلك صحيح فصيح غير ضرورة، فلا شك أنه خلاف الأصل. وقد ذكرنا الأمثلة التي ذكروها من الكتاب والسنة، وظهر أنه لا حاجة بها إلى الحمل على هذا. والله أعلم.

الفصل الرابع لفظ "الله"

هذا اللفظ اسم لربنا عزَّ وجلَّ، وهو عَلَم، وقد اختلفوا في علميته: أبالوضع، أم بالغلبة التقديرية؟ وفي كونه مشتقًّا أم لا، وعلى الاشتقاق، فمن أي مادة[1]؟ ولا أرى ضرورةً هنا إلى تفصيل ذلك، فإنه لا يتوقف عليه معرفة المعنى. وظاهر أن المراد من هذا اللفظ بالتسمية مدلوله، فمعنى: "باسم الله": باسم رب العالمين تبارك وتعالى.

وزعم بعضهم أنه يحتمل أن يكون المراد به لفظه، وتكون الإضافة بيانية، أي: باسمٍ هو هذا اللفظ: "الله". وليس هذا القول بشيء.

نعم، مدلول "اسم الله" إما لفظ "الله"، لأنه هو اسم الله؛ وإما جميع أسماء الله عزَّ وجلَّ، لأنّ المفرد المضاف قد يعمُّ، تقول[2]: ابن آدم ضعيف. أي: كل أحد من بني آدم. وستعلم المختار من هذين في الفصل الآتي إن شاء الله تعالى.

الفصل الخامس معنى "باسم الله"

قد عرفت أن المنصور عند المتأخرين في الباء قولان:

أحدهما: أنها للاستعانة.

والآخر: أنها للمصاحبة.

فأما على الاستعانة، فقالوا في تسمية الآكل مثلاً: إن التقدير: باسم الله آكل، وإنها على وزان: "بالقلم أكتب". فاسم الله بمنزلة القلم، أي أنه يتوقف وجود الأكل عليه، كما يتوقف وجود الكتابة على القلم.

---

(١) انظر: البحر المحيط لأبي حيان (١/١٢٤)، تفسير ابن كثير (١/١٢٣-١٢٤)، روح المعاني للألوسي (١/٥٤)، التحرير والتنوير لابن عاشور (١/١٦٢).

(٢) (في الأصل (يقول) وهو سبق قلم) قاله المحققون على المشروع المعلمي (٧/٤٠).

قالوا: والمتوقف في الحقيقة هو سلامة الأكل عن النقصان، على ما في الحديث: "كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم"[١]. ومعنى "أجذم": ناقص البركة[٢]، ولكن نُزِّل الأجذمُ منزلةَ المعدوم، فأقيم توقف سلامة الفعل من النقصان مقام توقف وجوده.

وفيه: أن إفادة السلامة ليس[٣] هي أثرًا من آثار الاسم من حيث هو، بل هي أثر بركة يجعلها الله عَزَّ وَجَلَّ لذاكره إذا شاء.

فإن قيل: وكذلك الكتابة ليست أثرًا للقلم من حيث هو، وإنما توجد بأخذه باليد وغمسه في المداد، ثم إمراره على الكاغد مثلًا على الوجه المخصوص، فكما لا يقدح هذا هناك، فلا يقدح ما ذكرتم هنا.

قلنا: الفرق واضح، وهو أن الفعل في "كتبت بالقلم" ينبئ عن بقية الأمور، بخلاف الفعل في قوله: "باسم الله آكل".

ولو سلم ما ذكرتم لم يغن عن الاحتياج إلى توضيح المعنى، فإن المعنى في قولك: "كتبت بالقلم" واضح، ولا كذلك في "باسم الله آكل". فلا بد لتوضيح المعنى من أن يقال: أصل الكلام: ببركة ذكر اسم الله التي أرجو أن يمنَّ الله عليَّ بها أدفع النقصان عن أكلي. وأما على المصاحبة، فقد عرفت قولهم: "إن باء المصاحبة هي التي يصلح موضعها "مع"، ويغني عنها وعن مصحوبها الحال".

فيقال في "باسم الله آكل": مع اسم الله آكل، ومسمِّيًا الله آكل. ولكن لما كانت

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الخطيب البغدادي في: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٦٨) (ح: ١٢١٠) إلا أن آخره (أقطع) عن أبي هريرة رضي الله عنه، أما لفظ (أجذم) فقد أخرجه أبوداود في سننه، في: كتاب الأدب، باب: الهدي في الكلام، (٧/٢٠٨) (ح: ٤٨٤٠)، مرفوعا عن أبي هريرة رضي الله عنه: (كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم)، وضعفه الألباني في الإرواء (١/٣٠) (ح:٢).

(٢) انظر: عون المعبود للعظيم آبادي (٩/٥١) (ح:٣٢٤٤)، والنهاية في غريب الأثر لابن الأثير، (جذم) باب الجيم مع الذال (١/٧١٦).

(٣) (كذا في الأصل) قاله المحققون على مشروع المعلمي (٧/٤١).

التسمية تطلق على وضع الاسم، وعلى ذكره، والمقصود هنا الثاني، كان الواضح أن يقال في تقدير الحال: ذاكرًا اسم الله آكل.

وقد قالوا في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود:٤١] : "الباء للملابسة، والملابسة هي المصاحبة، ولما كانت ملابسة اسم الله عز اسمه بذكره، قالوا: المعنى: اركبوا مسمِّين الله"(١).

لكن يتراءى هنا فرق ما بين قولنا: "مع اسم الله آكل"، وقولنا: "مسمِّيًا الله آكل"، أو "ذاكرًا اسم الله آكل". وقد يوفَّق بينهما بأن المراد بمعية اسم الله معيَّةُ ذكره، كما تقدم عنهم، فالمعنى: "مع ذكر اسم الله آكل".

لكنهم عدلوا عن هذا، وقالوا: المعنى: "مع اسم الله آكل"، أو "مصاحبًا اسمَ الله آكل". فيقال لهم: وما معنى معية اسم الله ومصاحبته؟

-فإن قالوا: بذكره، كما قالوه في ﴿۞وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤١] فقد عاد الأمر إلى: "مع ذكر اسم الله"، أو "ذاكرًا اسم الله". وهو الموافق لقولهم في باء المصاحبة: يغني عنها وعن مصحوبها الحال.

وإن قالوا: معية بركته ومصاحبتها.

قلنا: إن أردتم البركة الموعود بها في حديث: "كل أمر ذي بال ... "(٢) ونحوه، فهي بركة يجعلها الله تعالى إذا شاء لمن ذكر اسمه.

وعلى هذا، فينبغي أن يتركوا التقدير على أصله: ذاكرًا اسم الله آكل، ويقولوا: المعنى: ذاكرًا اسمَ الله رجاءَ البركة الموعود بها.

أو يقولوا: المعنى: مستصحبًا بركة ذكر اسم الله آكل، ومعنى "مستصحبًا": سائلًا الصحبة، فكأنه يقول: سائلًا الله تعالى أن تصحبني بركة ذكر اسمه.

وقد قدَّر ابن عبد السلام التسمية بقوله: "أتبرك بذكر اسم الله"(٣)، وهو يلاقي ما ذكرنا.

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (١٢/٥٦).

(٢) تقدم تخريجه قريبا.

(٣) انظر: مجاز القرآن للعز بن عبدالسلام (ص:١٩٧).

وزعم ابن جرير أن الاسم هنا بمعنى التسمية، وأن المعنى: أقرأ بتسمية الله[١]. وقد عرفت أن المراد من التسمية ذكر الاسم، فيصير التقدير: أقرأ بذكر اسم الله، وهو يقارب ما ذكرنا. وزعم أن ذلك معنى ما رواه عن ابن عباس، والمقصود هنا: إنما هو الموافقة على تقدير "ذكر".

وإن أردتم بركة اسم الله مطلقًا، وقلتم: إنَّ لأسماء الله عَزَّ وَجَلَّ بركةً يمنُّ اللهُ بها على من يشاء، ممن ذكر الأسماء اسمًا اسمًا، وممن لم يذكرها، فيصح أن يقول الداعي: اللهم أصحِبْني بركةَ أسمائك.

قلنا: هذا يحتاج إلى إثبات من الشريعة، والذي نعرفه أن بركة أسماء الله عَزَّ وَجَلَّ إنما يُتوسَّلُ إلى حصولها بذكر الأسماء على الوجه المشروع. فإن ثبت ما قلتم، بقي التقدير على هذا المعنى: مستصحِبًا بركةَ اسم الله، أي سائلًا الله أن يصحبني بركة أسمائه.

ثم نقول لهم: ما الذي اضطركم إلى العدول عن تقدير المعنى بأن تقولوا: (مسمِّيًا اللهَ آكل)، أي: (ذاكرًا اسمَ الله آكل) على ما هو الأصل في باء المصاحبة، وقد قلتم به في قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا[٢] بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤١] ؟ وعسى أن يكون جوابكم أن المعنى يختل بذلك.

أولاً: لأن المسمِّي عن نفسه يقول: (باسم الله) على سبيل الدعاء والتبرك، وتقدير: (مسمَّيًا الله آكل)، أو (ذاكرًا اسم الله آكل)، ليس فيه إلا الإخبار عن نفسه بأنه يأكل ذاكرًا اسم الله.

ثانيًا: بأنه لا يعرف في الأدعية والأذكار الشرعية نظير لهذا، وعامة الأدعية والأذكار الشرعية كل منها يكون لفظه بنفسه وحده، أو مع ما تدلُّ القرائن على تقديره دالاً على التعظيم أو السؤال. وقد قال بعض الأجِلَّة[٣]: إن ذكر كلمة الجلالة أو تكرارها ليس بذكر شرعي، لأن الاسم وحده لا يفيد معنًى.

ثالثًا: هذا الخبر - وهو (ذاكرًا اسم الله) - يحتاج إلى ما يصدق عليه، والغالب أن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/١١٥-١١٨).

(٢) (فيها) ساقط من الأصل سهوا، قاله المحققون على مشروع المعلمي (٧/٤٤).

(٣) لعل المقصود شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– انظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٢٦-٢٣٣).

المسمّي يقتصر من ذكر الله على قوله (باسم الله)، فإذا جعلناها خبرًا فأين المخبَر عنه. وإيضاحه: أن قول القائل: "ذاكرًا[١] اسم الله آكل" إنما يكون صادقًا إذا وقع منه حال أكله ذكر لاسم الله غير هذه الجملة، إذ لا يمكن أن يكون[٢] الجملة الواحدة مخبرًا بها عن نفسها، أي هي الخبر، وهي المخبر عنه.

والجواب عن الأمر الأول: أن (باسم الله) على معنى (ذاكرًا اسم الله) أقيمت عند الشروع في الأمور مقام جميع الأذكار والأدعية التي تناسب الحال.

ونوضح ذلك بمثال: وهو أن يجتمع أربعة، ويقدَّم لكل منهم طعامه، فأما أحدهم فنصراني شرع يذكر اسم يسوع، شاكرًا له على أن رزقه الطعام بزعمه، ويتضرع إليه أن يهنئه أكله، وأن يبارك له فيه، وأن يصرف عنه ضرَّه، وأن ينفعه به، إلى غير ذلك من المطالب. وأما الثاني، فشرع يذكر اسم الله، واسم غيره، بنحو ذلك.

وأما الثالث، فشرع يأكل بدون ذكر.

وأما الرابع، فموحِّد قد رأى وسمع صنيع أولئك الثلاثة، وحضر طعامه، وهو على عجل، فقال: باسم الله، أي: ذاكرًا اسم الله آكل، أي: أذكر اسم الله لهذه المطالب التي تقدمت ونحوها، ولا آكل بغير ذكر اسمه، ولا بذكر اسم غيره، ولا دونه ولا معه.

غاية الأمر أنك قد تتردد في قوله: "أذكر اسم الله لجميع المطالب المناسبة للحال"، هل يقوم هذا مقام التفصيل، كأن يقول: اللهم لك الحمد على ما رزقتني، اللهم أعذني من الشيطان، اللهم هنئني طعامي، اللهم بارك لي فيه، اللهم اصرف عني ضرره، اللهم انفعني به، اللهم ... اللهم ...

فنقول: لا بدع في أن يرحم الله عباده، ويخفف عنهم، فيقيم تلك الكلمة مقام تلك الكلمات كلها، وهذا هو الواقع، ولكن بلفظ "باسم الله". وبهذا عرف الجواب عن الأمر الثاني، فقد عرف من قرائن الحال، وقصد الشارع، وما ينويه المسلم = ما يتم به الكلام، كما تقولون أنتم: إن تقدير المعنى: مصاحبًا اسم الله، وإن القرينة تدل على التبرك.

---

(١) في الأصل (ذاكر) والتصحيح من المحققين على مشروع المعلمي (٧/٤٥).

(٢) كذا في المطبوع ولعل الأصح (تكون) والله أعلم.

وأما الأمر الثالث؛ فقد علمت أنّ قولنا: "ذاكرًا اسم الله" قد صار من حيث الدلالة على الدعاء شبيهًا بقولهم: "متبركًا باسم الله"، بل أوضح منه في ذلك وأجمع.

وقد اعترض على تقديرهم بنحو ما ذكر في الوجه الثالث، فأجاب بعضهم بأنَّ ذلك خبر عن نفسه "قياسًا على ما قيل في قولك: أتكلم أنه يجوز أن يكون خبرًا عن تكلم حاصل بهذا القول". والذي ارتضاه الصبَّان، وقرره البناني(١) في "حواشيه على شرح جمع الجوامع": أن قوله: "باسم الله أو متبركًا باسم الله" إنشاءٌ. قال البناني: "لصدق حد الإنشاء عليه، هو ما يتحقق مدلوله بذكر دالِّه فقط ... والتبرك لا يتحقق مدلوله بدون ذكر اللفظ الدال عليه"(٢)، وقد نظر فيه بعضهم بما اشتهر أن الحال لا تكون إنشاء.

والجواب: أنّ ذلك في الجملة الحالية، والإنشاء اللفظي، أي: أنَّ الجملة الحالية لا تكون إنشائية لفظًا، فلا يقع فعل الأمر مثلاً، أو الفعل المنقول إلى الإنشاء لإيقاع العقود مثل بعت وطلَّقت حالاً.

فأما الإنشاء المعنوي فقط، فلا مانع من وقوعه حالاً مفردة، كقوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ ١٤﴾[غافر:١٤]، وجملة كقوله: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾[البقرة:١٣٢]

ومن الأول قوله تعالى: ﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ ٤١﴾[هود:٤١]، وقد قدروه: "مسمَّين الله"، كما علمت، والمعنى: أمرهم بالتسمية عند الركوب.

وأمثلة ذلك أكثر من أن تحصى....

الفصل السادس

إن قيل: لا يزال في النفس من كلمة "اسم" شيء، إذ قد يقال: فلو قيل: "بالله" على معنى "ذاكرًا الله"، لكان أخصر.

والجواب: أنه لو قيل: "بالله" لما ظهر ذاك المعنى، بل يكون الظاهر حينئذٍ أن المعنى:

---

(١) هو أحمد بن محمد بن الحسن البناني، ولي القضاء وهو من أهل الرباط، صاحب التعليقات والحواشي الكثيرة، والتي منها حاشية على شرح المكودي وحاشية على شرح المرشد، وتوفي عام ١٣٤٠هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١/٢٤٩-٢٥٠).

(٢) لم أقف عليه.

بقدرة الله آكل.

فإن قيل: قد يدعى دلالة القرائن على أن المعنى: "بذكر الله".

قلت: ليست القرائن بغاية القوة حتى تكفي لدفع ذاك المعنى الظاهر: "بقدرة الله آكل"، وإنما كانت كافية في "باسم الله" بتقدير[1] احتمال ذاك المعنى، أعني بتقدير القدرة.

فإن قيل: فلم لم يقل: "بذكر الله"؟

قلت: لو قيل ذلك لكان على تقدير: "بذكر اسم الله"، لأن الذكر هنا هو اللساني، وما دام على أصله، فإنما يقع على الاسم، إلا أنه كثيرًا ما يحذف الاسم لظهور المعنى، أو يضمن الذكر معنى المدح والتعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾[البقرة:٢٠٣]، أو الذم ونحوه كما في قوله تعالى فيما قصه عن قوم إبراهيم: ﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ ۝٦٠﴾[الأنبياء:٦٠] أي: يذكر الأصنام، أي: يتوعدها أو يذمّها.

وقد جاء في القرآن الإثبات وعدمه، قال تعالى: ﴿**وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨**﴾[المزّمل:٨]﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٢٥﴾[الإنسان: ٢٥]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا ۝٤١﴾[آل عمران:٤١] ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ ۝٢٠٥﴾[الأعراف:٢٠٥]

فإن قيل: فكلٌّ من لفظ "ذكر"، ولفظ "اسم" إذا اقتصر عليه، اقتضى تقدير الآخر، فلماذا أوثر "باسم الله" على "بذكر الله" هنا، وعكس في مواضع مثل قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ۝٩﴾[الجمعة:٩]؟

قلت: لكل مقام مقال، فقوله تعالى: ﴿**فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ۝٩**﴾ المراد بالذكر: الصلاة والخطبة، من إطلاق الجزء وإرادة الكل، والجزء هو الذكر، لا نفس الاسم.

والمقصود في التسمية على الأكل ونحوه: هو أن يقع من الإنسان كلام هو في نفسه ذكر، و"باسم الله" أدلُّ على ذلك من "بذكر الله"، ولأنه دار الأمر بين أن يترك لفظ "ذكر" أو أن يترك لفظ "اسم"، والأولى في مثل هذا حذف "ذكر".

أما أولاً: فلأن الأصل "ذكر اسم الله" والمعروف في الحذف هو حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه. وعليه، يبقى لفظ الجلالة على أصله. ولو قيل: "بذكر الله" لكان المعنى

---

(١) في الأصل (تقدير) قاله المحققون على مشروع المعلمي (٧/٤٨).

أن لفظ "اسم" حذف، وأقيم لفظ الجلالة مقاومه، والتنازع إنما كان بين لفظي ذكر واسم؛ فلأن يحذف أحدهما ويقام الآخر مقامه أولى من أن يحذف أحدهما ويقام لفظ ثالث مقامه.

وأما ثانيًا: فلأن ذكر الاسم ينحل إلى شيء من الإنسان، وهو الذكر، وشيء لله عزَّ وجلَّ، وهو الاسم، فاطراح الأول أولى.

وأما ثالثًا: فلأن باء المصاحبة في "باسم الله" بمنزلة العوض عن لفظ "ذكر"، لما مر أن التقدير يكون: "مسميًا الله"، والتسمية هنا هي ذكر الاسم، فيكون التقدير: "ذاكرًا اسم الله".

ولو قيل: "بذكر الله" لما كان هناك ما يكون بمنزلة العوض عن لفظ "اسم".

وأما رابعًا: فلأنه - كما تقدم - يقصد بالتسمية الرد على المشركين، فلو قيل: "بذكر الله" لكان المتبادر الرد على من يذكر غير الله تعالى، أي من الذوات، فلا يظهر منه الرد على من يذكر من المشركين أسماء لا مسمى لها، كما تقدم، بخلاف "باسم الله" فإن فيها إشارة إلى ذلك.

ولنكتف بهذا القدر، فإن أمثال هذه الأسئلة لا نهاية لها، ولا ينبغي التشاغل بها إلا بما هو كالأنموذج مما يكون إيراده ظاهرًا. والله أعلم.

الفصل السابع

قد ينطق بالمتعلق، فمن ذلك ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد[(١)]: أن جبريل[(٢)] أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا محمد اشتكيت؟ فقال: نعم. قال: بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك"[(٣)].

---

(١) هو سعيد بن مالك بن سنان، أنصاري، من صغار الصحابة وخيارهم، كان من المكثرين للرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقيهًا مجتهدًا مفتيًا، شهد معه الخندق وما بعدها، توفي عام ٧٤هـ. انظر: السير للذهبي (١٦٨/٣)، الإصابة لابن حجر (٧٨/٣).

(٢) في الأصل (جبر) وصححه المحققون على مشروع المعلمي (٥١/٧).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، (١٧١٨/٤) =

والأولى في هذا الموضع أن تكون الباء للإلصاق، على تضمين "أرقيك" معنى "أستشفي لي"، فكأنه قال: أسأل الله باسمه أن يشفيك.

وسؤال الله تعالى باسمه وارد كما في الدعاء النبوي: "اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك ... "[١].

ويجوز أن تكون للاستعانة، على معنى: أرقيك بذكر اسم الله، فإن الرقية تكون بالكلام، كما تقول: أرقيك بـ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾[الفَلَق:١]. وتقرأ السورة.

وفي "صحيح مسلم" أيضًا من حديث عائشة[٢] قالت: "كان إذا اشتكى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رقاه جبريل، قال: بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين".[٣] وسند حديث أبي سعيد أثبت.

وقوله في هذا: "بسم الله يبريك" يحتمل أن المتعلق محذوف، والتقدير: "باسم الله أرقيك، هو يبريك" ليوافق الرواية الأولى. ويحتمل غير ذلك.

وقد تقدم في الفصل الثالث دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – عند النوم: "اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت"[٤].

وتقدم أن المراد بالحياة والموت فيه: اليقظة والنوم، ومعنى الباء المصاحبة، على ما قدمناه، أي: ذاكرًا اسمك أُتِمّ يقظتي، وذاكرًا اسمك أنام، أي: أذكر اسمك لكل ما يهمني في يقظتي

= (ح:٢١٨٦).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، وضعفه محققوه (٦/٢٤٦) (ح:٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه، في كتاب: الرقائق، باب: الأدعية، (٣/٢٥٣) (ح:٩٧٢).

(٢) هي عائشة الصديقة بنت أبي بكر الصديق، أم المؤمنين رضي الله عنها، وأفقه نساء المسلمين، كانت أديبة عالمة، كنيت بأم عبد الله، وكان أكابر الصحابة يراجعونها في أمور الدين، وتوفيت عام ٥٨هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٧/١٨٦)، السير للذهبي (٢/١٥٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى، (٤/١٧١٨) (ح:٢١٨٥).

(٤) تقدم تخريجه.

ونومي.

وفي حديث آخر: "باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه"[١]. والمعنى أيضًا: ذاكرًا اسمَك ربِّي وضعتُ جنبي.

وأما قوله: "وبك أرفعه" فالمعنى - والله أعلم -: وبمشيئتك أرفعه. وقد جاء في رواية: "بك وضعت جنبي" وهو من تصرف الرواة.

وبقيت أحاديث غير هذه، فينبغي أن يفسَّر كلٌّ منها بما هو الظاهر فيه، ولا ملجئ إلى تكلف جعل الجميع على وتيرة واحدة.

مهمة:

جاء من حديث عائشة وغيرها فيمن نسي أن يسمِّي أول طعامه أنه ينبغي له أن يقول حين يذكر: "باسم الله أوله وآخره"[٢].

ولم أر من تعرض لتوجيهه[٣]، والذي يظهر لي أن "بسم الله" على أصلها، والمعنى: ذاكرًا اسم الله آكل. وقوله: "أوله وآخره" ظرف، والتقدير: أقولها أوله وآخره، أي: قضاءً لقولها أوله، وأداءً لقولها آخره. والله أعلم.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند المنام، (٨/٧٠) (ح: ٦٣٢٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، (٤/٢٠٨٤) (ح: ٢٧١٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الأطعمة، باب: التسمية على الطعام، وقال محققاه: صحيح لغيره، (٥/٥٩٠) (ح: ٣٧٦٧)، والترمذي في جامعه، في كتاب: الأطعمة، باب: ما جاء في التسمية على الطعام، وقال: حديث حسن صحيح، (٤/٢٨٨) (ح:١٨٥٨).

(٣) جاء في عقود الزبرجد (٣/٢٤٥) للسيوطي قوله (قال الطيبي: أي: آكل أوله وآخره باسم الله). وتعرض لإعرابها أبو البقاء العكبري. انظر: (إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث) (ص: ٢٨).

الفصل الثامن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة:٣]

هما اسمان مشتقان من الرحمة، وقد كثر الكلام فيهما، والذي يتلخص لي أنهما اسمان مشتقان من الرحمة، يدلّان على المبالغة، إلا أن "الرحمن" اشتق من (رحم) معتبرًا فيه اللزوم، حملًا له على ضدّه: "خشي".

قال سيبويه[1]: وأما خشيتُه، فأنا خاشٍ، والقياس خشٍ، فالأصل أيضًا: خشيت منه، فحمل على رحِمْتُه، حملَ الضدَّ على الضدَّ. ولهذا جاء الفاعل منه على خاشٍ والقياس: خشٍ، لأن قياس صفة اللازم من هذا الباب "فَعِل". وكذا كان قياس مصدره "خَشيً"، فقيل: خشية، حملًا على رحمة[2].

أقول: وقد عرف من عادتهم أنهم إذا حملوا لفظًا على آخر في شيء عادوا فحملوا الآخر عليه في شيء آخر. فلما حملوا "خشي" على "رحم" في تعديته بنفسه، وفي صيغة الصفة منه، والمصدر = عادوا فحملوا "رحم" على "خشي" في اعتباراته كأنه لازم حتى اشتقوا منه صيغة فعلان، فقالوا: رحمان، كما قالوا: رجل خشيان. ولا يلزم من حمل اللفظ على اللفظ حمله عليه في كل شيء.

هذا، وصيغة "فعلان" فيها مبالغة، فإن من مواقعها عندهم أن تكون من المواد التي تدل على الامتلاء، مثل شبعان، وريّان. ثم قد يعتبرون الامتلاء المعنوي، فتجيء المبالغة، وذلك في قولهم: غضبان، وقد قالوا: غضب كفرح. ومن قواعدهم أن زيادة البناء تدل على زيادة المعنى، فغضبان أبلغ من غَضِب. وقال الصغاني[3]: "امرأة خشيانة: تخشى كل شيء"[4].

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، الفارسي، ثم البصري ، إمام النحو، وحجة العرب، أبو بشر، وقد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وله كتابه العظيم (الكتاب)، توفي عام ١٨٠هـ. انظر: السير للذهبي (٣٥١/٨-٣٥٢)، الأعلام للزركلي (٨١/٥).

(٢) انظر: بلفظه في شرح شافية ابن الحاجب للرضي (٧٣/١)، وبمعناه في الكتاب لسيبويه (١٩/٤).

(٣) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر العدوي الصاغاني الحنفي، أعلم أهل عصره في اللغة. وكان فقيها محدثا، ولد في لاهور (بالهند)، ودخل بغداد، ورحل إلى اليمن، وتوفي في بغداد، وله كتاب (مجمع البحرين) و (الأضداد) وغيرها، وتوفي عام ٦٥٠هـ. انظر: السير للذهبي (٢٨٢/٢٣-٢٨٣)، الأعلام للزركلي (٢١٤/٢).

(٤) انظر: التكملة والذيل والصلة للصغاني (٤٠٨/٦).

وذاك هو المبالغة. ...

فصول ملحقة(١)

فصل [تعجرُف المشركين في اسم "الرحمن"]

وقع من مشركي قريش تعجرُفٌ في شأن الاسم الكريم "الرحمن". قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [الإسراء: ١١٠].

أخرج ابنُ جرير وغيره عن ابن عباس قال: صلَّى [رسولُ](٢) الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة ذات يوم، فدعا الله تعالى، فقال في دعائه: يا اللهُ، يا رحمنُ، فقال المشركون: انظروا إلى هذا الصابئ! ينهانا أن ندعو إلهين، وهو يدعو إلهين!(٣)

وفي "الصحيحين" وغيرهما عنه قال: نزلت ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - مختفٍ بمكة، فكان إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن. فإذا سمع ذلك المشركون سبُّوا القرآن، ومَن أنزله، ومَنْ جاء به. فقال الله لنبيه - صلى الله عليه وسلم -: ﴿وَلَا تَجْهَرْ﴾(٤).

وفي بعض الآثار: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يرفع صوته ببسم الله الرحمن الرحيم، وكان مسيلمة قد تسمَّى الرحمنَ، فكان المشركون إذا سمعوا ذلك من النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: قد ذكر مسيلمة(٥) [إله اليمامة، ثم عارضوه بالمكاء والتصدية

---

(١) هذه الفصول مأخوذة من مسودة أخرى للمؤلف في تفسير البسملة. انظر مجموع المعلمي (٧/٥٦).

(٢) ساقطة من الأصل واستدركها المحققون على مشروع المعلمي. انظر (٧/٥٦).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧/٥٨٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: [وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا]، (٦/٨٧) (ح:٤٧٢٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: التوسط في القراءة في الصلاة الجهرية، (١/٣٢٩) (ح: ٤٤٦)، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة: متنبئ، من المعمرين، ولد ونشأ =

والصفير، فأنزل الله تعالى هذه الآية][(١)] أخرجه ابن أبي شيبة[(٢)(٣)] كما في "روح المعاني"[(٤)].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

في "روح المعاني" (٤/ ١٨٥): "وعن قتادة[(٥)] وابن جريج[(٦)] [(٧)] [ومقاتل أن الآية نزلت في مشركي مكة لما رأوا كتاب الصلح يوم الحديبية. وقد كتب فيه عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه[(٨)]: "بسم الله الرحمن الرحيم"، فقال سهيل بن عمرو[(٩)]: ما نعرف الرحمن إلا

= باليمامة، في القرية المسماة اليوم بالجبيلة، بقرب (العيينة) بوادي حنيفة، في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعرف برحمان اليمامة، وتوفي عام ١٢هـ. انظر: سيرة ابن هشام (١/٤٦٦) (٢/٧٢، ٥٧٦)، الأعلام للزركلي (٧/٢٢٦-٢٢٧).

(١) ما بين الحاصرتين ترك المؤلف -رحمه الله- نقاطا واستدركه المحققون على مشروع المعلمي (٧/٥٧).

(٢) هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر، العبسي، من أهل الكوفة، إمام في الحديث وغيره، كان متقنًا حافظًا مكثرًا، سمع سفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك وطبقتهم، روى عنه البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل وآخرون. وله كتاب (المسند) و (التفسير)، وتوفي عام ٢٣٥هـ. انظر: السير للذهبي (١٤/٢٢)، الأعلام للزركلي (٤/١١٧-١١٨).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب: الصلاة، باب: **[وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ]**، (ح:٨١٨٤)، عن سعيد.

(٤) انظر: روح المعاني (١٥/١٩٤).

(٥) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي، من أهل البصرة، ولد ضريرًا، أحد المفسرين والحفاظ للحديث، وكان مع عمله بالحديث رأسا في العربية، ومفردات اللغة وأيام العرب، والنسب، مات بواسط في الطاعون. توفي عام ١١٨هـ. انظر: السير للذهبي (٥/٢٦٩-٢٧٠)، الأعلام للزركلي (٥/١٨٩).

(٦) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج، أبو الوليد، رومي الأصل، من موالي قريش، لقب بفقيه الحرم (المكي)، أخذ عن عطاء ومجاهد، كان ثقة في الحديث، أول من صنف الكتب بمكة، ومات عام ١٥٠هـ. انظر: السير للذهبي (٦/٣٢٥)، الأعلام للزركلي (٤/١٦٠).

(٧) ترك المؤلف -رحمه الله- بياضا بعده، وأكمله المحققون على مشروع المعلمي (٧/٥٧).

(٨) انظر ما تقدم من تخصيص علي رضي الله عنه بدعاء معين (ص: ١١٣).

(٩) هو سهيل بن عمرو بن عبد شمس، القرشي، خطيب قريش، وأحد سادتها في الجاهلية، أسلم =

مسيلمة][(١)].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٣٦﴾[الأنبياء:٣٦].

وفي "روح المعاني" (٥/ ٣٥٨) : "وقيل: المراد بذكر الرحمن: ذكرُه - صلى الله عليه وسلم - هذا اللفظَ وإطلاقه عليه، والمراد بكفرهم به قولهم: ما نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة ... "[(٢)].

وفي "صحيح البخاري" في كتاب الشروط - باب الشروط في الجهاد إلخ: " ... فدعا النبي - صلى الله عليه وسلم - الكاتب، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "اكتب بسم الله الرحمن الرحيم" فقال سهيل (أي ابن عمرو، وكان يومئذ مشركًا، وهو سفير المشركين للصلح): أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب: باسمك اللهم، كما كنت تكتب .... "[(٣)].

وقد أشكل وجهُ هذا التعجرف، فقيل: إن القوم لم يكونوا يعرفون هذه الكلمة لا عَلَمًا ولا وصفًا.

وهذا مردود بأمور:

الأول: أنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أخبر عنهم بقوله في شأن عبادتهم الملائكة: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ ۝٢٠﴾[الزُخرُف:٢٠]. كما أخبر عنهم بقوله: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۝١٤٨﴾ [الأنعام:١٤٨]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ

= وحسن إسلامه، مات بالطاعون في الشام عام ١٨هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (٢١٢/٣)، الأعلام للزركلي (١٤٤/٣).

(١) انظر: روح المعاني (١٥٣/١٣).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤٨/١٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (١٩٣/٣) (ح:٢٧٣١)، من حديث المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما.

وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[الأنبياء:٢٦]].

وفي "صحيح مسلم" وغيره في قصة غزوة ذي قَرَد: أنَّ عبد الرحمن الفزاري[1] أغار على إبل النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأنَّه قتَل بعضَ الفرسان من الصحابة، ثم قتله أبو قتادة[2][3]. فهذا الرجل كان مشركًا، والغالب أن يكون ولد قبل المبعث ثم قُتل مشركًا.

قال ابن جرير: (وقد أُنشِد لبعض الجاهلية الجهلاء[4]:

ألا ضربت تلك الفتاةُ هجينَها ألا قضَب الرحمنُ ربِّي يمينَها

قال: وقال سلامة بن جَندل الطُّهَوي[5]:

عجِلتم علينا عجلتَينا عليكم وما يشأ الرحمنُ يعقِدْ ويُطلقِ[6])[7].

الثاني: أنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – لا يجوز أن يخاطبهم بما لا يعرفون بنحو: ﴿ٱسۡجُدُواْۤ لِلرَّحۡمَٰنِ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان:٦٠].

الثالث: أنَّ الله تعالى ذمَّهم على قولهم: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴿٦٠﴾﴾**[الفرقان:٦٠]**. ولو كانوا غير

---

(١) هو عبدالرحمن بن عيينة الفزاري، جاهلي وهو الذي أغار على إبل النبي صلى الله عليه وسلم. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٧٣٤/١٢).

(٢) هو الحارث بن ربعي، أنصاري خزرجي، فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم، شهد أحدًا وما بعدها، توفي بالكوفة عام ٣٨هـ في خلافة علي رضي الله عنهما. انظر: السير للذهبي (٤٤٩/٢)، وتهذيب التهذيب لابن حجر (٢٠٤/١٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة ذي قرد وغيرها، (١٤٣٣/٣) (ح: ١٨٠٧)، من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه.

(٤) قال العلامة أحمد شاكر في تحقيقه على تفسير الطبري (لم أجد هذا البيت). انظر: تفسير الطبري (١٣١/١).

(٥) هو سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي، من الفرسان. من أهل الحجاز. في شعره حكمة وجودة، وتوفي عام ٢٣ ق.م انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢٦٤/١)، الأعلام للزركلي (١٠٦/٣).

(٦) انظر: ديوانه (ص: ١٨٢).

(٧) انظر: تفسير الطبري (١٣١/١).

عارفين معناه ما استحقُّوا الذمَّ.

وقال الأكثر: إنَّ تعجرفهم من تعنُّتهم[١]. وهذا هو الظاهر، ولكنه يحتاج إلى بيان.

فأقول: قد أخبر الله تبارك وتعالى عنهم بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾ [فُصِّلَت:٢٦] فبان بهذا أنَّ القوم لم يكونوا يراعون في معارضة النبي – صلى الله عليه وسلم – الإنصافَ ولا ما يقرب منه، بل إن تيسَّرت لهم شبهة قد ينخدع بها من لم يسمع كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – بتمامه طاروا بها فرحًا، ورقصوا لها طربًا. وإن لم يتيسَّر لهم ذلك تشبثوا بمغالطة يعرفون بطلانها كأن يحملوا كلامه على ما يعرفون أنه غير مراده، ثم يلغَون بذلك، ويشنِّعون به، ويبنُون عليه. وكان يلذُّ لهم ذلك لعلمهم أنَّ ذلك يُحزن النبي – صلى الله عليه وسلم – حتى يكاد يبخَع نفسَه – بأبي هو وأمي – لأنَّ الناصح الشفيق لا يُحزنه أن يعارضه المنصوح بشبهة قد يظنها المنصوح حقًّا، كما يُحزنه أن يشغب عليه بمغالطة يعرف الشاغبُ نفسه بطلانها، ولا سيما إذا نسب إلى الناصح ما ينافي نصحه، ولكن القوم – كما هو متواتر عنهم – لم يبلغوا في الوقاحة إلى درجة المكابرة المكشوفة أو الكذب المكشوف.

إذا تقرر هذا، فالظاهر أنَّ بعض سفهائهم سمع النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "يا الله، يا رحمن"، كما في الأثر السابق أو نحو ذلك، فأوحى الشيطان إلى ذلك السفيه أن يشغب بأنَّ معنى ما سمعه من النبي – صلى الله عليه وسلم – إنما هو إثباتُ أنَّ الرحمن إله آخر غيرُ الله عزَّ وجلَّ، فأخذها منه السفهاء ولَغَوا بها. وأكثرهم يعلم حقيقة الحال، ولكنَّ مقصودَهم الغلَبُ بأيِّ وجه كان، كما أخبر الله تعالى عنهم لما قيل لهم: ﴿ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾ [الفرقان:٦٠]. بنوا على ذلك الشغب المتقدم، فقالوا: ﴿وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان:٦٠] زاعمين أنه قد عُرِف عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه يعني بالرحمن إلهًا غير الله، وأنهم لا يدرون ما ذلك الإله. ثم صاروا يشغبون ويستهزئون كلَّما سمعوا من النبي – صلى الله عليه وسلم – كلمة "الرحمن" زاعمين أنه قد عُرِف عنه أنه يعني بها غير الله.

وكان مما يغيظهم من هذا الاسم وقوعُه في البسملة المخالفة لتسميتهم. فإنهم كانوا

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/١٢٧).

يقولون في أوائل كتبهم ونحوها: "باسمك اللهم"، فخالفهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وقال: "بسم الله الرحمن الرحيم"، فيقولون في أنفسهم: إنَّ هذا الرجل إنما يريد خلافنا، هَبْه اضطُرَّ إلى مخالفتنا في عبادة غير الله تعالى لأنه يراها باطلاً، فما باله يخالفنا في هذه الكلمة التي مضى عليها سلفُنا، وليس في معناها شيء ينكره محمد، وهي: "باسمك اللهم"! فمخالفته لنا ولسلفنا فيها دليل ظاهر على أنه يحبُّ خلافَنا وهدمَ كلِّ ما نحن عليه، وإن كان يعلم أنه حقٌّ.

وهذه شبهة من شبههم تؤثِّر على من لم يكثُر منهم سماعُ القرآن أو سماعُ كلام النبي - صلى الله عليه وسلم -. فأمر الله تبارك وتعالى رسوله أن لا يجهر في صلاته بأصحابه بقراءته، ولا سيما ما كان فيه ذكرُ الرحمن، ولا سيما البسملة التي يشتدُّ إنكار المشركين بها. وذلك لئلا يسمعوه، فيلغَوا، وينغِّصوا عليه وعلى أصحابه صلاتهم.

ويظهر أنَّ هذا أصلُ مشروعية الإسرار بالبسملة في الصلاة، بقيتْ على رأي من يقول بذلك، كما بقي الرمل والاضطباع في الطواف وغيره من الأعمال التي شُرعت لمعنًى، ثم زال ذلك المعنى، وبقيت لحِكَمٍ أخرى، منها: تذكير المسلمين بما كان عليه أول هذا الدين.

وأما ما في "الصحيح" من كلام سهيل بن عمرو، فقد اختلفت الروايات في حكاية قوله. والذي عند ابن إسحاق عن الزهري(١) في هذه القصة: "ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال: اكتب "بسم الله الرحمن الرحيم". قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا. ولكن اكتب "باسمك اللهم"(٢).

فظاهر هذا مع ما تقدَّم أنَّ سهيلاً إنما أنكر البسملة لمخالفتها ما مضوا عليه من قولهم:

---

(١) هو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، من بني زهرة، من قريش، تابعي من كبار الحفاظ والفقهاء مدني سكن الشام، هو أول من دون الأحاديث النبوية، ودون معها فقه الصحابة، أخذ عن بعض الصحابة. وأخذ عنه مالك بن أنس وطبقته، وتوفي سنة ١٢٤هـ. انظر: السير للذهبي (٣٢٦/٥)، الأعلام للزركلي(٩٧/٧).

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢٨٤/٤)، وأخرجه أحمد في مسنده، (٢١٢/٣١-٢٢٠) (ح: ١٨٩١٠) من حديث مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما، وحكم عليه محققوه بأن إسناده حسن.

"باسمك اللهم". وقوله: "لا أعرف هذا" يعني أنَّ السنة التي نعرفها هي: "باسمك اللهم". و"بسم الله الرحمن الرحيم" غير معروفة عندهم، أي غير معروف الابتداء بها.

فأما ما وقع في "الصحيح" من قوله: "أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي[(١)]"

ربما يكون من الرواية بالمعنى، كأنَّ بعض الرواة فهم أنَّ إنكار سهيل لـ "بسم الله الرحمن الرحيم" إنما هو لما عُرِف عنهم من الشغب في هذا الاسم الشريف "الرحمن".

ويحتمل أن يكون من إطلاق الجزء وإرادة الكل. أُطلق "الرحمن"، وأُريد البسملة كلها. وقد يشهد له قوله: "ما هي" كما في أكثر روايات "الصحيح" وأوثقها[(٢)].

وما وقع في بعض الروايات "ما هو" من تصرُّف الرواة. ظنَّ أنَّ الضمير [عائد] على الاسم "الرحمن" بمعناه الحقيقي.

والحديث في "الصحيح" من رواية عبد الله بن محمد عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري. وقد رواه الإمام أحمد عن عبد الرزاق[(٣)]، فوقع في نسخة المسند المطبوعة (٤/ ٣٣٠): "فقال سهيل: أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو. وقال ابن المبارك[(٤)]: ما هو". ....

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الشروط، باب: الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتاب الشروط من حديث المسور بن مخرمة ومروان رضي الله عنهما، (٣/١٩٣) (ح: ٢٧٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٣/١٩٥) (ح:٢٧٣٢)، وأحمد (٣١/٢٤٩) (ح:١٨٩٢٨٠)، والطبراني في الكبير (٢٠/٩) (ح: ١٦٧٧٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/٢١٨) (ح: ١٩٢٨٠)، وعبدالرزاق في مصنفه (٥/٣٣٢) (ح: ٩٧٢) كلهم من رواية عبدالرزاق عن معمر بلفظ (ما هو)، وورد الحديث في الجمع بين الصحيحين للحميدي (٣/٢٨٦) (ح:٢٨٦٠)، وإرشاد الساري للقسطلاني (٤/٤٤٣) (ح: ٢٧٣١) بلفظ (ما هي)، أما روايات صحيح البخاري نفسه، فلفظة (ما هو) رواها اليونيني، وأثبت أن من خالفه ورواها (ما هي) أبو ذر الهروي والحموي والمستملي.

(٣) هو عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، مولاهم، أبو بكر الصنعاني: من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء، له كتاب: (الجامع الكبير) و (المصنف) وغيرها، وتوفي عام ٢١١هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٦/٣١٠)، الأعلام للزركلي (٣/٣٥٣).

(٤) هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء، التميمي، المروزي أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجا ومجاهدا =

كذا[١]، والظاهر أن الأولى: "ما هي". وهي [رواية][٢] عبد الرزاق عن معمر. وتكون رواية ابن المبارك عن معمر[٣]: "ما هو". ورواية عبد الرزاق أثبت؛ لأنه لزم معمرًا، وسمع من كتبه. وسماعُ [ابن][٤] المبارك من معمر كان من حفظه كما يعرف من ترجمة معمر.

وقوله: "فوالله لا أدري ما هي" - يريد والله أعلم البسملة - محملُه: أنه لا يدري أينبغي أن يصدَّر بها الكتب أم لا، أو أحقٌّ هي أم باطل. وبالجملة، فالظاهر أنَّ سهيلاً إنما أنكر البسملة، والله أعلم.

وأما ما في بعض الآثار أنهم كانوا يقولون: لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة[٥]، فإن صحَّ فمرادهم: لا نعرف الرحمن الذي هو غير الله.

= وتاجرا. وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء، مات سنة ١٨١هـ. انظر: السير للذهبي (٣٧٨/٨)، الأعلام للزركلي (١١٥/٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٩/٣١) (ح: ١٨٩٢٨٠).

(٢) زيادة لازمة من المحققين على مشروع المعلمي. انظر مشروع المعلمي (٦٣/٧).

(٣) هو معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الحداني بالولاء، أبو عروة: فقيه، حافظ للحديث، متقن، ثقة، من أهل البصرة، ولد واشتهر فيها، وسكن اليمن، وتوفي عام ١٥٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٤٣/١٠)، الأعلام للزركلي (٢٧٢/٧).

(٤) ساقطة من الأصل وزادها المحققون انظر: المرجع نفسه.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٧١٥/٨) (١٥٣٠٥).

فصل [اختصاص "الرحمن" بالله تبارك وتعالى]

اشتهر بين أهل العلم أنَّ "الرحمن" مختصٌّ بالله تبارك وتعالى، فاعتُرِض بإطلاق أهل اليمامة على مسيلمة، فأجيب بأنَّ ذاك من تعنُّتهم في كفرهم، فتوهَّم بعضُ الناس أنَّ معنى الاختصاص أنَّ الله تعالى منع بقدرته التسمِّيَ فلا يستطاع أن يسمَّى به غيرُه، كما قيل به في "الله". وتوهَّم غيرُه أنَّ المعنى أنه لم يُطلَق في لغة العرب على غيره، فاعترضوا ذاك الجواب وطوَّلوا. وإنما معنى الاختصاص ما قاله ابن جرير : "لله جلَّ ذِكرُه أسماءٌ قد حرَّم على خلقه أن يتسمَّوا بها، خصَّ بها نفسه دونهم، وذلك مثل الله والرحمن والخالق. وأسماءٌ أباح لهم أن يسمِّي بعضهم بعضًا بها، وذلك كالرحيم والسميع والبصير ... "[(١)].

وقد كان ذلك محرَّمًا قبل بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - بما قام على الناس من الحجة وبلغهم من شرائع الأنبياء من وجوب تعظيم الربِّ عزَّ وجلَّ والتأدُّب مع أسمائه وصفاته. فقد علم أهل اليمامة أنَّ "الرحمن" اسم لله عزَّ وجلَّ، وأنه لم يتسمَّ به غيرُه ممن سبق، فصار بذلك مختصًّا به. فإقدامُهم مع ذلك على التسمية به مخالفٌ لما قامت عليهم الحجةُ به من وجوب تعظيم الله عزَّ وجلَّ. فذاك معنى التعنُّت في كفرهم.

وأما المنع، فقال ابن جرير: " ... ثم ثنَّى باسمه الذي هو الرحمن، إذ كان قد منع أيضًا خلقَه التسمِّي به ... "[(٢)].

الرحمة

العرب بلسانها وفطرتها تعرف معنى الرحمة، وتصف بها الخالق عزَّ وجلَّ مع علمها بأنه سبحانه ليس من جنس البشر ولا غيرهم من الخلق. وجاء الكتاب والسنة مملوئين بوصف الرب تعالى بالرحمة. وجاء أول كتابه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:١-٢]. وسمَّى نفسه: الرحمن، الرحيم، الرؤوف، أرحم الراحمين.

ولم يشتبه معنى ذلك على أحد من العرب، ولا شكَّ فيه أو تأوَّله أحد من الصحابة والتابعين، فثبت أنَّ وصفَ الله تبارك وتعالى بالرحمة على ما يفهمه الناس بفِطَرهم حتى لا

(١) انظر: تفسير الطبري (١/١٣٣).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

يجوز أن يرتاب فيه مؤمن بالله وكتبه ورسوله.

ولكن كثيرًا من الناس أبوا ذلك، وقالوا: "الرحمة" لغة: رقَّة القلب، كما فسَّرها بذلك أهل اللغة[١]، وهذا مستحيل في حقِّ الله تبارك وتعالى. والمتكلمون يعرِّفونها تعريفًا يُعلم منه أنها مستحيلة في حق الله تبارك وتعالى[٢]، فلا بد من تأويل الرحمة إذا وُصف بها الرب عزَّ وجلَّ بالإحسان أو إرادته.

فيقال لهم: أما تفسيرها برقة القلب فهو تفسير غير محقَّق، وإنما رقة القلب كناية عن الرحمة. وإنما فسَّرها بذلك المتكلِّفون من أهل اللغة وغيرهم، فإنَّ معنى الرحمة أظهر من أن يحتاج إلى تفسير. ولذلك لم يتعرَّضْ لها الأوائل كابن جرير وغيره. وهذه الألفاظ الواضحة المعنى إذا تكلَّف الإنسان تفسيرَها وقع غالبًا في التخليط؛ على أننا نعلم أنَّ أهلَ اللغة ولا سيما المتأخرين منهم يتسامحون كثيرًا في تفسير الألفاظ.

ونحن نجد من بقي على الفطرة من العرب يصفون الرجل بالرحمة مع ذهولهم عن القلب ورقَّته، ويصفون الربَّ عزَّ وجلَّ بالرحمة ولا يتصورون له قلبًا ولا رقَّةَ قلب.

وأما تفسير المتكلمين إياها، فينظر فيه، فإن كان ظاهر الاختصاص بالمخلوق فهو تفسير لرحمة المخلوق فقط. والمعنى المطلق إذا فُسِّر باعتبار تقيُّده كان التفسير مقيَّدًا. ولا ينافي ذلك ثبوتَ الرحمة لله عزَّ وجلَّ بغير ذاك التفسير المقيَّد. وإن كان تفسيرًا مطابقًا للرحمة المطلقة على الحقيقة فلا بد أن يكون ثابتًا لله تبارك وتعالى.

وأما تأويلكم إياها بالإحسان أو إرادته، فمردودٌ عليكم. فإننا نعلم أنَّ العرب الذي سمعوا القرآنَ وصحبوا النبيَّ – صلى الله عليه وسلم – كانوا يفهمون من رحمة الله عزَّ وجلَّ معنًى وراء ذلك. فإن قلتم: وما هو؟ قلنا: هو الرحمة.

فإن قلتم: وما هي الرحمة؟ قلنا: إن كنتم تعرفون العربية حقَّ معرفتها، فسؤالُكم تعنُّت؛ وإلا فأخبرونا: أيَّ لسانٍ تتقنونه حتى ننظر من يترجم لكم به!

---

(١) انظر: لسان العرب، فصل الراء المهملة، (رحم) (٢٣١/١٢)، ومعجم اللغة العربية المعاصرة (ر ح م) (٨٧٣/٢).

(٢) انظر: تفسير الرازي (١٥٩/١).

فإن قلتم: نحن نعرف اللسان المنطقي الذي يفسِّر بالحدِّ المبني على الجنس والفصل، كقولنا في الإنسان: حيوان ناطق.

قلنا: قولكم هذا رأس مالكم في الحدود، وليس هو عندكم حدًّا صحيحًا، وقد ملأتم الكتب بالاعتراضات عليه والأجوبة! ومع ذلك فهو بألفاظ عربية، والعربي يفهم المقصود بالإنسان أوضحَ مما يُفهِم قولُكم: "حيوان ناطق".

فكذلك الرحمة المطلقة، لو حاولنا أن نحُدَّها بمنطقكم فقد لا يتأتَّى، وإن تأتَّى فقد يحتمل المناقشات. ولو سلِمَ لكان أخفى في الدلالة على المعنى من لفظ الرحمة! وأنتم تسمُّون الحدَّ: "القول الشارح"، والشرح إنما يُحتاج إليه فيما ليس بالواضح، وإنما يكون بأوضح من المشروح، ومعنى الرحمة بيِّن بنفسه.

فإن أبيتم وقلتم: قلوبُنا غُلْف عن فهم الرحمة حتى تحدُّوها لنا حدًّا منطقيًّا. قلنا: فدعوها لأهلها، وهم المؤمنون بها!

وهذا آخر الكلام معكم هنا. والله المستعان.

۞ ۞ ۞

مسألة

اختلف الناس في البسملة، فقال بعضهم: هي آية من الفاتحة. وقال بعضهم: ليست من نفس السورة، وإنما هي آية نزلت للفصل بين السور.

وتفصيلُ الأقوال وحججها[1] وبيانُ الراجح منها، له موضع آخر. وإنما أذكر هنا الحجج التي من نفس النظم الكريم، فأقول:

مما احتج به النفاة على أنها ليست آية من الفاتحة بأنها لو كانت منها لكان الظاهر أن يقال: "والحمد لله رب العالمين" بالعطف؛ وبأن فيها ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، ثم جاء هذان الاسمان في الفاتحة. ومثل هذا التكرار إنما يقع في السورة الواحدة بعد فصلٍ بكلام تكون فيه

---

(١) في الأصل (حجاجها)، وكذلك فيما بعد (الحجاج التي) وهو من سبق القلم. قاله المحققون على مشروع المعلمي (٧٠/٧).

مناسبة لذلك.

فأما الحجة الأولى فليست بقائمة؛ لأنَّ للوصل شروطًا لم تجتمع هنا، واذكر قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾[غافر:٦٥]، وقوله فيما أخبر به من دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى﴿٣٩﴾﴾ [إبراهيم:٣٨-٣٩].

وقوله تعالى فيما أخبر به عن بلقيس: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل ٢٩-٣١].

وأما الحجة الثانية، فإن ابن جرير مع أنه يرى أن البسملة ليست من الفاتحة حكاها متبرِّئًا منها(١). وهي أيضًا غير سديدة، إذ قد يقال: إن الاسمين الكريمين ذُكِرا في البسملة تقريرًا لاستحقاق الله عزَّ وجلَّ البداءةَ باسمه، وإشارةً إلى حصول مطالب المبتدئ التي تقدمت الإشارة إليها. وذُكرا بعد الحمد لما يأتي.

وقد حكى ابن جرير عن المحتجين أنهم يزعمون أن أصل التركيب: الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله. ولو صح لما أفادهم؛ لأن الاسمين الكريمين بعد الحمد لله على كل حال)

(**وقال –رحمه الله– في موضع آخر**(٢)): (كون البسملة آيةً من الفاتحة مما لا ينبغي أن يُشكّ فيه(٣)، لِمَا ثبت في "الصحيح" عن أبي سعيد [بن] المعَلّى وعن أبي هريرة: أن النبي –

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤٦/١).

(٢) انظر: آثار الشيخ العلامة المعلمي (فوائد المجاميع) : (٥/٢٤).

(٣) اتفق العلماء على أن البسملة بعض آية من سورة النمل، وأنها ليست آية في بداية التوبة واختلفوا فيما عداهما إلى أقوال:

القول الأول: أنها آية في أول الفاتحة وآية في أول كل سورة، وهو قول الشافعية ورواية عن الإمام أحمد وعبدالله بن المبارك وإسحاق بن راهويه والثوري.

القول الثاني: أنها آية منفردة في أول كل سورة، أنزلت للفصل بين السور وهو قول الجصاص ورواية عن الإمام أحمد واختيار ابن تيمية وابن عاشور.

القول الثالث: أنها ليست آية في أوائل السور، وهذا اختيار الطبري والقرطبي وظاهر كلام ابن عطية. =

صلى الله عليه وسلم - أخبر بأنها السبع المثاني[(١)]. وما قيل بأن: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ۝٧﴾[الفاتحة:٧] رأس آية، ممتنع في أسلوب القرآن.

ومما يدل على أنها آية من كلّ سورة كتابتها في المصحف. وما قيل من أنها كُتبت للفصل، مردودٌ باحتياط الصحابة مع علمهم بأنها إذا كُتبت ظنَّ الناسُ أنها آيةٌ من كل سورة.

وتَكْرارها ليس بقرينة؛ فإننا نعلم أن الكتب التي تبدأ بالبسملة، يصدُقُ عليها أن البسملة جزءٌ منها، وفي القرآن: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ۝٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣١﴾[النمل:٢٩-٣١] فجُعِلت البسملة من الكتاب.

ولعلَّ مقصودَ مَن قال مِن السلف: إنها آية أُنزلت للفصل، وإنها ليست جزءًا من كل سورة = أنها ليست جزءًا من السورة متصلًا بها مرتبطًا، وهذا لا ينفي أن تكون جزءًا مستقلًّا، والله أعلم).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مستدلا بالخلاف بالبسملة على العذر بالجهل:[(٢)]]

(اختلفت الأمة في البسملة، فقال بعضهم: هي آية من القرآن، وقال بعضهم: ليست آية من القرآن، ولم يكفر أحد الفريقين الآخر مع قولهم بكفر من أنكر آية من القرآن أو زاد فيه ما ليس فيه، وإنما حملهم على عدم التكفير في الأمثلة السابقة ونحوها أن المخطيء فيها معذور).

= انظر: تفسير الطبري (١٤٧/١)، أحكام القرآن للجصاص (٩/١)، تفسير البغوي (٥١/١-٥٢)، تفسير ابن عطية (٦١/١)، المغني لابن قدامة (٥٥٥/١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٣٨/٢٢-٤٣٩)، تفسير القرطبي (٩٣/١)، المجموع للنووي (٣٣٤/٣)، تفسير ابن كثير (١١٦/١-١١٧)، تفسير ابن عاشور (١٤٣/١).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: ما جاء في فاتحة الكتاب (١٧/٦) (ح: ٤٤٧٤) عن سعيد بن المعلى رضي الله عنه، وأخرج حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ سَبۡعٗا مِّنَ ٱلۡمَثَانِي وَٱلۡقُرۡءَانَ ٱلۡعَظِيمَ ۝٨٧﴾ [الحِجر:٨٧]، (٨١/٦) (ح: ٤٧٠٤).

(٢) انظر: مجموع آثار المعلمي (العبادة) (٨٢٥/٣).

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة:٢]

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في ما ينبغي استحضاره أثناء قراءتها:[١]]

(ذكر ابن جرير وغيره أن هٰذا تعليم من الله تعالى لعباده، فكأنه قيل: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٢]. فعلى المسلم إذا تلا الفاتحة أن يستحضر أنه مع تلاوته كلامَ الله عزَّ وجلَّ متكلمٌ عن نفسه، كما علَّم اللهُ نبيَّه بقوله: **﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۝١١٤﴾[طه:١١٤]**، فكان – صلى الله عليه وسلم – يقول: "رب زدني علمًا"[٣]. وينوي بضمير المتكلم نفسه. وإذا قالها غيره نوى بضمير المتكلم نفسه.

ولا خلاف بين أهل العلم في هذا. وإنما استشكل بعضهم ثبوت كلمة " قل" في أول الإخلاص والمعوِّذتين في القراءات المتواترة، إذ قد جاء عن بعض الصحابة تركُها[٤]، فكانوا يقرؤون: ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم۝ هو الله أحد**﴾.

وأجاب الماتريدي[٥] بأنَّ "قل" في ذلك أمرٌ لكل أحد[٦]، وعلى هذا فينبغي للتالي أن يستحضر أن كلمة "قل" أمرٌ من الله عزَّ وجلَّ له بقول ما يأتي، ثم يقول: "أعوذ برب الفلق" إلى آخرها عن نفسه.

---

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٧٥-٧٦)، وانظر: المرجع نفسه (العبادة) (٢/٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/١٣٩)، تفسير القرطبي (١/١٣٥-١٣٦).

(٣) أخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب: الدعوات، باب: في العفو والعافية، (٥/٥٧٨) (ح: ٣٥٩٩)، وابن ماجه في سننه، في كتاب: السنة، باب: الانتفاع بالعلم والعمل به، (١/١٦٩) (ح: ٢٥٢)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه، وضعف إسناده محققو ابن ماجه.

(٤) انظر: ما تقدم في بداية رسالة البسملة.

(٥) هو محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، من علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند)، له كتاب (التوحيد) و (أوهام المعتزلة)، مات بسمرقند سنة ٣٣٣هـ. انظر: تاج التراجم لابن قطلوبغا (ص: ٢٤٩)، الأعلام للزركلي (٧/١٩).

(٦) انظر: تفسير الماتريدي (١٠/٦٥٩).

وقيل: بل ينبغي أن يستحضر أنه مأمور بأن يقول: "قل أعوذ" أي قل لنفسك: قل. فيستحضر بقوله: "قل" أنه يأمر نفسه.

وهذا بعيد، والأول هو الظاهر. ويؤيده ما صحّ عن أُبي بن كعب[١] أنه سُئل عن المعوذتين، فقال: "سألت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: "قيل لي، فقلت". فنحن نقول كما قال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم" –. كذا أخرجه البخاري[٢] في تفسير سورة الفلق . وقد أخرجه الإمام أحمد وغيره. وفي بعض الروايات: "قيل لي: قل، فقلت، فقولوا. فنحن نقول"[٣] إلخ.

وواضح أن التقدير: "قيل لي: قل أعوذ إلخ، فقلت: أعوذ إلخ، فقولوا، أي فليقل كل أحد منكم: أعوذ إلخ. والجمع بين هذا وبين قراءة "قل" هو ما قدَّمت، والله أعلم. فأما الفاتحة، فلا إشكال فيها).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان الألف والام في (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ):[٤]]

(قال ابن جرير: "لدخول الألف واللام في "الحمد" معنًى لا يؤديه قول القائل: "حمدًا" بإسقاط الألف والسلام. وذلك أن دخولها[٥] في "الحمد" مبني على[٦] أن معناه: جميع المحامد".

(١) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، أبو المنذر، صحابي، أنصاري كان من كتاب الوحي ،شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمره عثمان رضي الله عنه بجمع القرآن ، فاشترك في جمعه، مات سنة ٢١هـ. انظر: الإصابة لابن حجر (١/٢٧)، الأعلام للزركلي (١/٨٢).

(٢) في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ الفلق ١﴾[الفلق:١]، (٦/١٨١) (ح: ٤٩٧٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٥/١١٨) (ح:٢١١٨)، وابن حبان في صحيحه، في كتاب: الحدود، باب: الزنى وحده، (١٠/٢٧٤) (ح: ٤٤٢٩)، كلاهما عن أبي رضي الله عنه، وحكم محققو المسند بأن إسناده على شرط الشيخين.

(٤) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٧٦-٧٧).

(٥) وفي الأصل (دخولها) وهو سبق قلم من المؤلف قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٧/٧٦)، وفي تفسير الطبري ط:أحمد شاكر(١/١٣٨) (دخولهما).

(٦) وفي ط: أحمد شاكر (منبئ عن) انظر: المرجع نفسه.

وهذا معنى ما يقوله النحاة وغيرهم أن "أل" للاستغراق وأنها هي التي يصلح محلَّها "كُل"[١]، كما في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ۝٢٨﴾[النساء:٢٨]، أي خُلِق كلُّ إنسان. ولذلك يصح الاستثناء من مدخولها[٢]، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [العصر:٣] فالمعنى إذن: كلُّ حمدٍ. وقد روي عن ...[٣]).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان معنى الحمد:[٤]]

(والحمد: مصدر حمِد يحمَد. ويأتي في اللغة نفسيًّا وقوليًّا.

أمَّا النفسي، فكقولك لمن أهدى إليك عسلاً: طعمتُ من عسلك، فحمدتُه؛ ولمن أعطاك دواءً: استعملتُ دواءك، فحمدتُه. وتقول: جالستُ فلانًا، فحمدته.

وقال الراجز:

عند الصباح يحمد القومُ السُّرَى[٥]

وأهل اللغة يفسرون هذا بالرضا والموافقة ونحو ذلك[٦]، وذلك تقريب. ولم أظفر بكلمة تؤدي معناه، ولكني أقول: إن معنى "حمدتُ العسل": رضيتْه نفسي، واستلذَّتْه، واستطابته، واستجادته.

ثم في كل شيء بحسبه، إلا أنَّ هنا فرقًا لطيفًا، وهو أنّ الظاهر أن المزكوم إذا شَمَّ الوردَ الجيِّد فضَرَّه، والمريضَ إذا ذاق الطعامَ الجيِّدَ فتكرَّهه؛ لا يحسن به أن يقول: شممتُ الوردَ، فلم أحمده؛ ولا ذقت ذاك الطعام، فلم أحمده. فكأنه يشرط مع رضا النفس واستلذاذها واستطابتها واستجادتها أن يكون ذاك الشيء في نفسه أهلًا لذلك. فإذا انتفى أحد الأمرين

---

(١) انظر: شرح قطر الندى لابن هشام (ص: ١٠٥).

(٢) (في الأصل (مدخولهم) سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٧/٧٧).

(٣) في الأصل بياض بقدر ثلاثة أسطر قاله المحققون على مشروع المعلمي انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٧٧-٧٩).

(٥) قيل أول من قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه، ويضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/٣)، وجمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (٢/٤٢).

(٦) انظر: تاج العروس للزبيدي (٨/٣٨)، ولسان العرب لابن منظور (٣/١٥٥-١٥٨).

لم يحسن أن يُطلق الحمدُ، فتدَّبرْ. فكأنَّك إذا قلت: طعمتُ من ذاك العسل، فحمدتُه؛ تقول: رضيته نفسي، واستطابته، وهو حقيق بالرضا والاستطابة عند النفوس السليمة. وأما القوليُّ، فمنهم من يفسِّره بالشكر وبالثناء وبالمدح. وأكثر المتأخرين يقول: إنه يوافق كلاًّ من هذه في شيء، ويفارقه في شيء. وأطالوا في ذلك.

والذي نختاره أنَّ حمدَك لزيد مثلًا هو ثناؤك عليه(١) بذكر صفة له أو فعل تحمده القلوب السليمة والعقول المستقيمة(٢). فالحمد النفسي واللساني مرتبطان، وكأنَّ الأصل هو النفسي، والمراد هنا إن كان ما يشملهما فذاك، وإن كان أحدهما فالآخر لازم له، لأن المعتَدَّ به من الحمد القولي هو ما طابق النفسيَّ. فإذا كان النفسيُّ كلُّه لله لزم أن يكون القولي كذلك. والحمد النفسي قد عُبِّر عن الكثير منه بالقول، وباقيه معرض لذلك، فإذا كان القوليُّ كلُّه لله لزم أن يكون النفسيُّ كذلك.

على أنه إن كان المرادُ القوليَّ، فالمراد به ما كان، وما يكون، وما يمكن أن يكون. فيدخل في ذلك ما هو مقدر من الحمد على ما لم يعلمه الخلق، ولو علموه لحمدوه رضًا وقولاً، والحمد المقدر بما لم يعلموه ، ولو علموه لحمدوا به.

وأيًّا ما كان، فإنه يستلزم الحمد الفعلي، وهو فعل يقوم في الدلالة على الحمد النفسي مقامَ الحمد القولي كالتعظيم. ويستلزم أيضًا الحمدَ الحاليَّ، وهو كون الشيء على حال تدل على الحمد. وما من موجود إلا وهو على حال تنبئ عن حمد الله تعالى. وقد قيل: إن هذا معنى قوله تعالى: ﴿**وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾[**الإسراء:٤٤**]. وسيأتي تمام هذا إن شاء الله تعالى).

---

(١) في الأصل (عليك) سهو. قاله المحققون على مشروع المعلمي. انظر: مشروع المعلمي (٧٨/٧).

(٢) اختلف أهل العلم في معنى الحمد:

القول الأول: أن الحمد بمعنى الشكر واختاره ابن جرير الطبري وابن عطاء.

القول الثاني: أن الحمد بمعنى الثناء على الصفات اللازمة والمتعدية واختاره البغوي وابن عطية والقرطبي وابن كثير وابن عاشور. انظر: تفسير الطبري (١٣٥/١)، تفسير السلمي (٣٣/١)، تفسير البغوي (٤٩/١)، تفسير ابن عطية (٦٦/١)، تفسير القرطبي (١٣٤/١)، تفسير ابن كثير (١٢٨/١)، تفسير ابن عاشور (١٥٤/١).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان نوع الام في ﴿لِلَّهِ﴾ وما تفيده جملة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:[١]]

(واللام في ﴿لِلَّهِ﴾ للاستحقاق، والجملة تفيد القصر، كما تقرر في علم المعاني. والتقدير: الحمد أي كل حمد أو جميع المحامد مستحَقٌّ لله دون غيره. وعبارة ابن جرير: " ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۝﴾ أي الشكر خالصًا لله جل ثناؤه، دون سائر ما يُعبد من دونه، ودون كل ما يرى (لعله: برأ)[٢] من خلقه"[٣].

والحاصل أن الجملة مع إثباتها استحقاقَ الحمد لله عزَّ وجلَّ تنفي أن يكون لغيره دونه أو معه).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان معنى الرب:[٤]]

(ثم أقام الله تعالى الحجة على ذلك بقوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾ **[الفاتحة:٢]** و"الرَّبُّ" هنا بمعنى المالك المدبِّر التدبيرَ التامَّ، لا كما يرى أحدنا شجرةً يغرسها أو سَخْلةً ينتجها، فإنَّ أحدنا عاجز عن تمام التربية، إذ لا يعلم بكل ما يصلح للتربية، ولا يقدر على كل ما يعلم. والله عزَّ وجلَّ هو اللطيف الخبير الملك القدير).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان معنى (العالمين):[٥]]

(و"العالمين": جمع أو اسم جمع لِعالَم. وجاء عن بعض السلف[٦] أنَّ المراد بهم الإنس، على أنَّ كل صنف منهم عالَم، وكل قَرْن منهم عالَم.

وعن جماعة من السلف[٧] قالوا: الجنُّ والإنس، على نحو ما تقدَّم.

---

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٧٩).

(٢) ذكر الأستاذ محمود شاكر –رحمه الله– أن (برأ) هو الصواب و (يرى) تصحيف. انظر تفسير الطبري (١/١٣٥).

(٣) انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٧٩).

(٥) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٨٠).

(٦) كابن عباس وسعيد بن جبير. انظر: تفسير الطبري (١/١٤٣).

(٧) منهم ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج. انظر: المرجع نفسه (١/١٤٤).

وقال غيرهم[١]: الجنّ والإنس والملائكة.

وقال آخرون[٢]: بل كلُّ صنفٍ من أصناف الخلق.

أخرج ابن جريرُ عن ابن عباس قال: "الحمد لله الذي له الخلقُ كلُّه: السماواتُ كلهن ومن فيهن، والأرض كلهن ومن فيهن، وما بينهنَّ مما يُعلَم ومما لا يُعلم"[٣].

وهذا هو الظاهر المناسب للسياق، كما لا يخفى.

وإذ كان سبحانه وتعالى هو ربَّ العالمين، فإنَّ كل حمد يقع في العالمين فهو سبحانه وتعالى المستحقُّ له. فإذا كان مثلًا يُحمد العسلُ لحلاوتِه ونفعِه وغير ذلك، فالمستحقُّ للحمد هو الذي خلَقَه وهيَّأه وأقدرَه ويسَّرَه).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان ثلاثة إشكالات والجواب عنهم في الحمدلة:[٤]]

(ها هنا إشكالان[٥]:

الأول: أن يقال: قد أثنى الله تبارك وتعالى على بعض خلقه، وأمرهم بالثناء على بعضهم، وكان الأنبياءُ يثنون على بعض الخلق؛ فإذا كان لا يستحقُّ شيئًا من الحمد إلا اللهُ عزَّ وجلَّ لزم أن يكون ذلك الثناءُ باطلاً؛ لأنه حمدٌ لمن لا يستحقُّه.

وقد ظهر لي جوابان:

الأول: أن يقال: إن الثناء على المخلوق هو في الحقيقة ثناء على الخالق، كما أنَّ الثناء على العسل بالحلاوة والنفع ونحو ذلك هو في الحقيقة ثناءٌ على الخالق الذي جعله كذلك. أو لا ترى أنَّ الثناء على الخط بالحسن والإتقان إنما هو ثناء على كاتبه؟ فكذلك الثناء على الكاتب إنما هو ثناء على ربِّه الذي خلقه ويسَّره وعلَّمه وأقدَره.

هذا حكم الثناء في ذاته. فأما الأجر والثواب فإنه يتوقف على النية وموافقة الشرع. فلا

---

(١) نقل عن ابن عباس. انظر: زاد المسير لابن الجوزي (١/١٢).

(٢) أتى ذلك عن قتادة. انظر: تفسير الطبري (١/١٤٥).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١/١٤٤).

(٤) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٨٠–٨٨)).

(٥) ثم ذكر إشكالا ثالثا وأجاب عنه.

يُعَدُّ الثناءُ على الكاتب بحسن الخطِّ وجودته ثناءً على الله عزَّ وجلَّ باعتبار الأجر والثواب إلا أن ينوي المثْني ذلك ويشير إليه. فلا يُشكِلْ عليك هذا!

وقد قال بعض المدققين: إن عبادة المشركين لآلهتهم هي في الحقيقة عبادة لله. ووجهه ما سمعت، فإنَّ العبادة داخلة في الحمد، وليس المراد أن حكمها حكم عبادة الله، بل هي في الحكم عبادةٌ لغير الله وشركٌ، فلا تغفلْ.

هذا، والتحقيق في عبادة غير الله عزَّ وجلَّ الاكتفاءُ بأنها حمدٌ لغير مستحقه، فهي باطلة البتة.

ولا حاجة للتعمق، فإنَّ معنى "الحمدُ لله": الحمد مستحَقٌّ لله، لا أنه لا يقع إلا لله.

الجواب الثاني: أن المراد بالاستحقاق الاستحقاق الذاتي. فالذي يستحق أن يُحمَد استحقاقًا ذاتيًّا هو الله عزَّ وجلَّ وحده، ولكنه سبحانه وتعالى قد يجعل لبعض خلقه حقًّا في أن يُحمَد، فيُثني هو سبحانه عليه أو يأمر بحمده أو يأذَن فيه.

فإن قيل: فهل يجعل الله تبارك وتعالى الحقَّ لغير المستحق؟

قلت: أما على إثبات الحكمة، فالجواب أن الله تبارك وتعالى إنما يجعل لبعض خلقه حقًّا في أن يُحمد إذا اقتضت حكمته سبحانه وتعالى أن يجعل له ذلك، واقتضاء الحكمة لا أسمِّيه استحقاقًا.

فإن أبيتَ إلا أن تسمِّيه فهو استحقاق لأن يجعل له حقًّا أن يُحمد. وليس ذلك باستحقاق لأن يُحمد، وإنما يستحق أن يُحمد بجعل الله عزَّ وجلَّ له حقًّا؛ على أنَّ الاقتضاءَ التامَّ لا يتخلَّف عن الجعل.

وهذا كما تقول في التحريم مثلاً: إن الله تبارك وتعالى إنما حرَّم لحم الخنزير لاقتضاء حكمته تحريمَه، وإن اقتضاء الحكمة ليس هو نفسُه موجِبًا للحرمة، وإنما هو مقتضٍ لأن يحرِّمه الله، فلا يكون حرامًا حتى يحرِّمه الله عزَّ وجلَّ. ثم تقول: إنه إذا تمَّ اقتضاءُ الحكمة للتحريم، فلا بد أن يقع التحريم.

ثم اختلف القائلون بهذا، فزعم بعض الناس أن الإنسان قد يدرك بعقله تمامَ اقتضاء الحكمة لتحريم شيء مثلاً(١)، فيَعلم بذلك حكمَ الله تعالى بتحريمه، فيكون حرامًا عليه، لا

(١) وهم المعتزلة. انظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار (ص:٥٠٩ وما بعدها)، مجموع =

لمجرد اقتضاء الحكمة، بل لقيام البرهان على أن الله تعالى حرَّمه.

وأهل الحق على خلاف هذا القول[(١)]، لقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝﴾ [الإسراء:١٥] وغيرها من الأدلة. ووجه ذلك أن العقل البشري لا يتهيأ له إدراكُ تمامِ اقتضاء الحكمة، ولكننا نقول: إذا تمَّ اقتضاءُ الحكمة لتحريم شيء، فإن الله تبارك وتعالى يحرِّمه بواسطة رسوله، وقدرةُ الله تبارك وتعالى محيطة، وتدبيرُه شامل. فلمَّا تمَّ اقتضاءُ الحكمة لتحريم الخمر حرَّمها الله تعالى بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –.

واختلفت الحكمة باختلاف الناس، فمن كان من الناس بحضرة النبي – صلى الله عليه وسلم – فقد تمَّ اقتضاءُ الحكمة تحريمَها عليهم حين إنزال التحريم. ومن كان في بيته فإنما تمَّ اقتضاءُ التحريم عليه حين يسَّر الله تعالى بلوغَ الخبر إليه، وهكذا.

فإن قلتَ: فالأحكام التي لا يُعذَر بجهلها؟

قلتُ: الذي لا يُعذَر بالجهل لا بدّ أن يكون مقصِّرًا، فتعلقُ الأحكام به يكون عند ثبوت تقصيره؛ على أن التحقيق أن عقوبته إنما هي على تقصيره وإن اعتبرت بغيرها. كما أقوله في السكران إذا أُخِذ بمعاصي ارتكبها حالَ زوالِ عقله بسكره: أن مؤاخذته بذلك هي في الحقيقة عقوبةٌ على تناوله المسكِر. فإنَّ عقوبةَ الذنب تزداد بازدياد ما ترتَّب عليه من الفساد. ولإيضاح هذا موضع آخر، والله أعلم.

الإشكال الثاني: أن يقال: نفيُ استحقاقِ المخلوق للحمد الذاتي البتة إنما يتخرَّج على قول المجبرة الذين يقولون: ليس للإنسان فعل ولا اختيار، وإنما الله تعالى هو الذي يحرِّكه ويسكِّنه ويتصرَّف فيه كما يشاء، لا فرق بينه وبين الجماد في ذلك.

والجواب – بعون الله وله الحمد –: أنَّ الله تبارك وتعالى إنما خلق الخلقَ لعبادته. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝﴾[الذاريات:٥٦]، وهم وأجسامهم وقواهم وأموالهم وكل شيء لهم مِلكُه. ووجودهم وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم وأسماعهم وأبصارهم

= الفتاوى لابن تيمية (٩١/٨)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٣٤/٢ وما بعدها).

(١) وهم أهل السنة والجماعة. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٩١/٨)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (٣٤/٢ وما بعدها).

وغير ذلك نعمةٌ عليهم منه سبحانه وتعالى. وكذلك هدايتُه لهم وتيسيرُه إياهم للخير وغيرُ ذلك نعمةٌ منه عليهم. قال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ**﴾ [النحل:١٨] ثم وعدهم سبحانه من الثواب بما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وتوعَّدهم من العقاب بما لا يكاد أحدهم يقوَى على تصوُّرِ وصفه، فضلاً عن مشاهدته، فكيف بالوقوع فيه، فكيف بالخلود.

فلما كانوا مِلكًا له، وإنما خلقهم لعبادته، فالمحمود من أعمالهم هو ما كان عبادةً لربِّهم عزَّ وجلَّ. وعبادتُهم لربهم لا تفي بأداء ما عليهم من شكر نعمه، ومع ذلك فإنهم يعملونها راجين عليها الثوابَ، خائفين من العقاب أو النقصان. ولا تلتفِتْ إلى تنطُّعاتِ بعض المتصوفة!

وإذا كان الأمر كذلك، فالمؤدِّي ما عليه طامعًا بالثواب العظيم على فعله، خائفًا من العقاب أو النقصان إن لم يفعله لا يستحقُّ استحقاقًا ذاتيًّا أن يُحمد، ولكن الله تبارك كما تفضَّل على الخلق بخلقهم، وتفضَّل عليهم بما لا يُحصَى من النعم التي منها: هدايةُ من هداه منهم، وتوفيقه وتيسيره للعمل الصالح؛ تفضَّلَ عليهم بأن أثنى عليهم، وأمر أو أذِن بحمدهم. فله الحمد في الأولى والآخرة.

الإشكال الثالث: أن يقال: إذا كان كلُّ شيءٍ محمودٍ في العالم إنما يستحقُّ الحمدَ عليه استحقاقًا ذاتيًّا اللهُ عزَّ وجلَّ؛ لأنه ربُّ العالمين ومالكُهم ومدبِّرُهم، فإنَّ الشيطان يلقي في أنفسنا السؤال عن الذمِّ، فهل عندك من بيانٍ دامغٍ لوسوسته؟

والجواب بتوفيق الله تبارك وتعالى: أنَّ الله تبارك وتعالى ربُّ العالمين، وهو العليّ القدير الحكيم العليم، فلا يقع في العالم حركةٌ ولا سكون إلا والحكمةُ اقتضت أن يقع، حتى الفواحش التي يبغضها الله عزَّ وجلَّ ويعذِّب عليها، لولا أن الحكمة اقتضت أن تقع لما وقعَتْ[(١)]. وقد أوضحتُ هذا في (الفرائد)[(٢)].

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم (١٩٣/٢-١٩٨).

(٢) ذكر المحققون على مشروع المعلمي أنهم لم يجدوا شيئا من الفرائد التي أحال عليها المؤلف -رحمه الله- في مخطوطاته. انظر: مجموع آثار المعلمي (٨٥/٧).

ولْنقرِّبْ ذلك بمثال، فنقول: إذا علم الحاكم من إنسان أنه خائن، ثم أراد أن يجازيه بما يستحقُّ، ولم تكن قد ظهرت خيانته ظهورًا يقف عليه الأشهاد فيعرفوا استحقاقه العقوبةَ، فرأى الحاكم أن يقيم شهودًا من حيث لا يعلم الرجل، ويأتمنه على شيء يريد لذلك أن يخون، فتظهر خيانته، ويعرف الأشهاد استحقاقَه للعقاب. ألا ترى فعل الحاكم هذا، وهو تعريضُه الرجلَ للخيانة وتمكينه له منها فعلًا تقتضيه الحكمة؟ أَوَلا ترى أنَّ وقوعَ الخيانة من الرجل أوفقُ لمقتضى الحكمة، وأنَّ ذلك لا ينافي أن تكون تلك الخيانةُ بالنظر إلى ذلك الخائن قبيحةً يستحقُّ أن يعاقب عليها؟

فتدبَّرْ وأمعِنْ النظرَ يتبيَّنْ لك إن شاء الله أنَّ جميع الحركات والسكنات التي تقع في العالم إنما تقع على مقتضى الحكمة، فهي بالنظر إلى تعلُّقِها بخلق الله عزَّ وجلَّ وتمكينِه وقضائه وقدرِه محمودةٌ لا يلصق بها الذمُّ البتة، وإنما يعلَق الذمُّ ما يعلَقه منها من جهة الخلق. ولا بدع أن يخفى على الإنسان وجهُ الحكمة في أمور كثيرة، فأين علمه من علمِ عالمِ الغيب والشهادة اللطيفِ الخبير! وأين حكمته من حكمة أحكمِ الحاكمين!

وبهذا يتبيَّن أنَّ لله الحمدَ على كلِّ شيء، وفي كلِّ حال. وأنَّ المسلم إذا أصابته مصيبة، فقال: الحمد لله على كل حال، فليس ذلك من باب قول العامة: "يدٌ ما تقدِرُ على كسرها قبِّلْها"(١)، وإنما هو من باب العلم أن كل ما يقع فعلى مقتضى حكمة الله تعالى وَقَع، وأنه من تلك الجهة محمودٌ ينبغي حمدُ الله تعالى عليه. وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] وقال بعضُ السلف في حق الكفار: "إنهم يدخلون النار وحمدُ الله في قلوبهم"، وذلك لأنه انكشف لهم أنَّ دخولهم النار هو الذي تقتضيه الحكمة والعدل المحض. ولولا الطمع في الرحمة وعدم الصبر على الألم لرضُوا بمقامهم في النار.

ولولا انكشافُ الحقيقة لأهل الجنة لما طاب لهم عيش، وأقاربُهم في النار، بل ولا غيرُ أقاربهم؛ فإنَّ نفوسَ أهل الجنة بغاية الطهارة، فما بالهم كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ [المطفّفين:٣٤-٣٦] إنما ذلك لأنه انكشف لهم حقيقة الأمر، وهي أنَّ تعذيبَ الكفار هو

---

(١) انظر: الأمثال المولدة لأبي بكر الخوارزمي (ص:٨٢).

الأمر المطابق للحكمة، الموافق للعدل، الذي تفرح النفوس الطاهرة بوقوعه.

وقد يقع شيء من ذلك في الدنيا، فإنك لو رأيت أخاك وأحبَّ الناس إليك أخذ يتعدَّى على الضعفاء والأرامل والأيتام، وأكثر من ذلك، ولم يُصغِ إلى لوم لائم، حتى تعدَّى على بعض الضعفاء فاغتصبَه حليلتَه، وعلى بعض اليتامى فذبحه كما تُذبح الشاة، وغير ذلك من القبائح التي تعقل النفوس قبحَها، ثم رأيت بعد ذلك كلِّه الحاكمَ قد أخذ أخاك، وأمر بعقوبته فإنك إن كان في قلبك حبٌّ للحق وفرحٌ بالخير تفرَحْ بعقاب أخيك، وتلتذَّ به.

هذا مع تراكمِ الحجب في الدنيا، وخفاءِ الحقائق، ودنسِ النفوس. فما بالك بأهل الجنة الذين هُذِّبوا ونُقُّوا! والظاهر أن تمام الطهارة وانكشاف الحقائق إنما يقع بعد دخول الجنة. وعلى هذا فمن فضل الله تعالى ورحمته أن أذن للمؤمنين في الشفاعة قبل دخولهم الجنة كما في الأحاديث الصحيحة المفسرة.

وانظر الحديث الصحيح: "يَلقَى إبراهيمُ أباه، فيقول: يا ربِّ إنَّك وعدتَني أن لا تُخزيني يومَ يُبعثون، وأيُّ خزي أخزَى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرَّمتُ الجنة على الكافرين. ثم يقالُ لإبراهيم: ما تحت رجليك؟ انظر. فينظر، فإذا هو بذِيخٍ مُتلطِّخٍ، فيؤخَذ بقوائمه، فيُلْقَى في النار".

هكذا في "صحيح البخاري"(١). وثبت في الروايات الصحاح عند غيره: "فينظر، فإذا ذيخٌ متلطخٌ في نتنه"(٢).

وفي أخرى: "فيمسخ الله أباه ضبعًا، فيأخذ بأنفه، فيقول: يا عبدي، أبوك هو؟ فيقول: لا، وعزَّتك! (٣)".

---

(١) أخرجه في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ١٢٥﴾، (١٣٩/٤)، (ح: ٣٣٥٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، في كتاب: التفسير، باب: سورة الفرقان، (٤٢٢/٦) (ح: ١١٣٧٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، إلا أنه بلفظ (يتمرغ في نتنه).

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: الأهوال، (٦٣٢/٤) (ح: ٨٧٥٠) وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

وفي أخرى: "فإذا رآه كذا تبرَّأ منه، قال: لست أبي[(١)]".

راجع "فتح الباري" في تفسير سورة الشعراء، باب ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝﴾ **[الشعراء:٨٧]**[(٢)].

وتأويل الحديث أنَّ الله تبارك وتعالى يكشف لخليله إبراهيم عليه السلام عن حقيقة حال آزر، فإذا انكشفت له علِمَ أنه لا يصلح إلا للنار، ولا يصلح لإبراهيم إلا أن يرضى له بها ويبالغ في البراءة منه.

وقول إبراهيم – وقد قيل: أبوك هو؟ –: "لا وعزتك"، وفي الرواية الأخرى: "لستَ أبي" إنما هو – والله أعلم – مبالغة في البراءة منه، كما يقول الرجل لابنه الذي أكثَرَ من مخالفته وعصيانه: لستَ ابني. والله أعلم.

وبقية الكلام على هذا الحديث لها موضع آخر).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في الرد على المشركين الذين يزعمون أن لآلهتهم تدبيرا غيبيا:[(٣)]]

(وفي قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝﴾**[الفاتحة:٢]** ردٌّ على المشركين الذين يزعمون أنَّ لمعبوداتهم تدبيرًا غيبيًّا فوَّضه الله تعالى إليها. فبيَّن سبحانه أن الربوبية والتدبير له وحده. وبيان ذلك أن التصرفات التي تقع في الكون على وجهين:

الأول: ما يكون بمجرد أمر الله عزَّ وجلَّ.

الثاني: ما يكون على يد مخلوق من خلقه.

وانفرادُه سبحانه بالأول ظاهر. وأما الثاني فهو إما غيبي، وإما عادي.

والمراد بالغيبي ما هو خارج عن الحسِّ والمشاهدة، ومنه: تصرُّف الملائكة. وقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ بآيات أخر أنه بيده، وأن الملائكة إنما يتصرفون بأمره، فلا شأن لهواهم وإرادتهم فيه، على أنَّ هواهم وإرادتهم طاعةُ خالقهم وتنفيذُ أمره ومحبتُه وتعظيمُه ومحبةُ من يوحِّده، وبغضُ

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/٥٠٠) وعزاه لابن المنذر.

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٨٨-٩٢).

من يدعو غيره حتى من يدعوهم وعبادتهم.قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ۞ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾[الأنبياء:٢٦-٢٩]

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ الآية من باب الفرض، كقوله تعالى لرسوله: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[الزُّمَر:٦٤-٦٥]

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾﴾[النحل:٤٩-٥٠] وأكثر المشركين يتوهمون أن حال الملائكة كحال البشر في تصرُّفهم باختيارهم ظاهرًا وبهواهم ورغبتهم، ولذلك يزعمون أنه يقع منهم الطاعة والعصيان، وأنهم يتغالبون ويتحاربون، ويتسالبون ويتناهبون وغير ذلك. ثم يبنُون على هذا أنه كما أنَّ للناس أن يستعين بعضها بعضًا، ويسأل بعضهم بعضًا، ويعظِّم بعضهم بعضًا، لأجل ما أوتوه من الاختيار في النفع والضرّ؛ فدعاؤهم الملائكة سائغ من باب أولى؛ لأنهم على كل حال أعلى من البشر وأعظم قدرة.

وقد أبطل الله تعالى ذلك بما مضى وبقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء:٢٢] على ما حققته في "رسالة العبادة"(١).

والفرق بين البشر والملائكة واضح. وهو أنَّ البشر في دور الابتلاء ليظهر من يطيع منهم ممن يعصي. وذلك يتوقف على التمكين والاختيار، فلذلك جعله الله تعالى لهم. والملائكة في دور الطاعة المحضة والعبادة الخالصة، إلى غير ذلك من الفروق، كما أوضحته في "رسالة العبادة"(٢).

أما مشركو العرب فكانوا يعترفون بأنَّ التدبير الغيبي لله وحده. وإنما يثبتون للملائكة الشفاعة ويعبدونهم لأجلها. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ

(١) انظر: آثار المعلمي (٣٤٨/٢-٣١٦).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٧٨٩/٣-٧٩٤).

وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢] وقال سبحانه: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

في آيات أخر قد ذكرتُ طائفة منها، ونبَّهتُ على الباقي في "رسالة العبادة"[(١)]. وبعد اعترافهم بما ذكر كانوا يفرُّون إلى ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر: ٣]، فأبطل الله تعالى ما يتوهَّمونه من الشفاعة، وبيَّن أنَّ ما هو حقٌّ منها لا يقتضي أن يدعوا من دونه، وتمام هذا في "رسالة العبادة"[(٢)].

ومنه: تصرُّفُ الجن، وقد بسطت الكلام عليه في "رسالة العبادة"[(٣)]، وحاصله: أن الجن وإن كانوا في دور الابتلاء كالإنس، إلا أن تصرُّفهم لا يتعدى إلى الإنس، وإنما سلَّطهم الله تعالى على الوسوسة، ثم شرع لنا ما ندفعها به. فأما تسليطهم على الإيذاء فإنه نادر، ويكون بتسليطٍ خاصٍّ من الله تعالى عقوبةً لمن يستحقه من الإنس، ثم شرع له ما يتمكن به من دفع ذلك من التوبة والاستغفار والتعوذ. فتصرُّفُهم المتعلِّقُ بالإنس في غير الوسوسة شبيهٌ بتصرُّف الملائكة، وإنما يخالفه في أنه قد يكون معصية، وإنما أذن لهم فيها إذنَ تسليطٍ كما يسلِّط الله تعالى الظالمَ من الإنس على الظالم.

ومنه: تصرُّفُ أرواح الصالحين الموتى، وهذا إن قام برهان على ثبوت بعض الجزئيات منه، فحالهم كحال الملائكة، بل أولى بالتوقف على أمر الله عزَّ وجلَّ، كما أوضحته في "رسالة العبادة"[(٤)].

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٣/٧١٤-٧٢٤).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٣/٨٥١-٨٧٣).

(٣) انظر: المرجع نفسه (٣/٨١٧-٨٢٠).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٣/٨١٦، ٨٧٨).

ومنه: [تصرُّفُ][(١)] أرواحِ الأحياء بالسحر ونحوه. وقد قال تعالى في السحر: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يريد والله [أعلم][(٢)] الإذنَ الخاصَّ، وهو التسليطُ الخاصُّ لحكمةٍ تقتضي ذلك.

وبالجملة فالتصرُّفُ الغيبيُّ كلُّه بيد الله. وسيأتي لهذا مزيد إن شاء الله تعالى[(٣)].

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة:٣]

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في مناسبة الآية لما قبلها وبيان معناها:[(٤)]]

(في الإتيان بهما زيادةُ إيضاحٍ لاستحقاقه سبحانه وتعالى الحمدَ، وبيانُ أنَّ عظمتَه التي دلَّ عليها قولُه: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لا تنافي رحمتَه، وأنَّ تدبيرَه للعالمين قائمٌ على الرحمة العامة، وإن اقتضت السخطَ في بعض الأشياء.

وفي الحديث القدسي: "إن رحمتي سبقت غضبي". وفي رواية: "غلبت غضبي". والحديث في الصحيحين[(٥)].

وفيه ردٌّ لبعض شبهات المشركين الذين يشركون بالله، فيجعلوا[(٦)] بعض الحمد المختص به لغيره بدون إذنه.

قال بعضهم كقدماء المصريين: إن ربَّ العالمين في نهاية العظمة والجلالة والكبرياء، والناسُ

---

(١) زيادة من المحققين على مشروع المعلمي يقتضيها السياق. انظر: المرجع نفسه (٩٢/٧).

(٢) زيادة من المحققين على مشروع المعلمي يقتضيها السياق. انظر: المرجع نفسه.

(٣) لم يجد المحققون مزيدا على هذا في هذه الرسالة في المخطوطات، لكن المؤلف–رحمه الله– فصل هذه المسائل تفصيلا كبيرا في كتاب العبادة.

(٤) انظر: المرجع نفسه (٩٢/٧–٩٣)، وانظر: المرجع نفسه (٤٠/٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: التوحيد، باب: قول الله: **﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾** [البروج:٢١–٢٢]، (١٦٠/٩) (ح: ٧٥٥٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٢١٠٨/٤) (ح: ٢٧٥١–٢٧٥٢)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) (كذا في الأصل) قاله المحققون على مشروع المعلمي، انظر: مجموع آثار المعلمي (٩٣/٧).

في غاية الحقارة، فلا ينبغي لهم أن يتعرضوا لأن يعبدوه، بل ولا أن يذكروا اسمه؛ لأن ذلك إخلالٌ بحقِّ عظمته، وإنما قصاراهم أن يعبدوا الملائكة، ثم الملائكة يعبدون الله[(١)].

وقال بعضهم: إننا لكثرة ذنوبنا وخطايانا لا نطمع في أن يجيب الله تعالى دعاءنا، فدعَوا الملائكة وغيرهم ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[يونس: ١٨]. وتمام هذا في رسالة "العبادة"[(٢)].

هذا، وقد زعم بعضهم -كما تقدم في الكلام على البسملة- أن ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ مؤخران عن تقديم، وأن التقدير: "الحمد لله الرحمن الرحيم رب العالمين". ولا أدري ما الباعث على هذا إلا أن يكونوا رأوا اسمي الرحمة متصلين بالجلالة في البسملة، فتوهَّموا أنه يلزم اتصالهما بها هنا أيضًا. وهذا وهمٌ تكفي حكايتُه عن ردِّه!

ومناسبة اسمه "الرحمن" لاسم "الرب" واضحة، وقد قال تعالى: ﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ۝٣٦ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِ ۝٣٧﴾[النبأ:٣٦-٣٧]).

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة:٤]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في ذكر القراءات الوارد في ﴿مَٰلِكِ﴾:[(٣)]]

(في "مالك" عدة قراءات فصَّلها في "روح المعاني"[(٤)]. والذي في السبع منها: "مَلِك" بفتح، فكسر، وبالجرِّ، و"مالك" بإثبات الألف والجرِّ أيضًا[(٥)]. وكلا الوصفين ثابت لله تبارك وتعالى).

---

(١) انظر: مزيد تفصيل لهذه المسألة في مجموع آثار المعلمي (العبادة) (٣/٦٨٨-٧٠٧).

(٢) انظر: المرجع نفسه (العبادة) (٣/٨٥١-٨٧٣).

(٣) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٩٤).

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي (٨٢-٨٣).

(٥) قرأ عاصم والكسائي بالألف (مالك) والباقون من غير ألف. انظر: التيسير في القراءات السبع لأبي عمر الداني (ص: ١٥)، السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ١٤٠).

[قال العلامة المعلمي-رحمه الله- في معنى ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾:(١)]

(ويوم الدين هو يوم القيامة، كما فسّره القرآن في آخر سورة الانفطار وغيرها. والدين هنا: المجازاة. وشواهده من الكتاب والسنة والآثار وكلام العرب كثيرة.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس: "يوم الدين" قال: يوم حساب الخلائق، وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ، وإن شرًّا فشرٌّ، إلا من عفا عنه، فالأمرُ أمرُه. ثم قال: ﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ ﴿٥٤﴾﴾[الأعراف:٥٤] (١/٥١)(٢)).

[قال العلامة المعلمي-رحمه الله- في ذكر أربع فوائد من الآية:(٣)]

(ومن فوائد هذه الصفة: تقريرُ استحقاقِ الربِّ عزَّ وجلَّ للحمد واختصاصِه به، فإنَّ ظهورَ الفضل والعدل يومئذ أتمُّ، واختصاصَه بالرب تعالى أظهر، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾[الانفطار:١٩]، فإنَّ الخلق في الدنيا(٤) متمكنون من كثير من الأعمال التي يُحمدون عليها، وإن كان في الحمد ما تقدم، وتكون منهم باختيارهم؛ فأما يوم القيامة فليس فيه شيء من ذلك. وإنما فيه الشفاعة، وهي نفسها لله عزَّ وجلَّ. قال سبحانه: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ ﴿٤٤﴾﴾[الزُّمَر:٤٤] ولا تكون إلا بعد إذنه ورضاه. قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[طه:١٠٩]وقال تعالى في الملائكة: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء:٢٨] والآيات في ذلك كثيرة، والأحاديث الصحيحة في الشفاعة مبيِّنة لذلك.

ومن فوائدها: تقريرُ ربوبيته عزَّ وجلَّ، فإنَّ ظهورَ مُلكه بالضم وملكه بالكسر واختصاصَه بهما وظهورَ تدبيرِه المتقَن يكون يوم القيامة أوضحَ وأظهَر.

ومنها: تقريرُ رحمته عزَّ وجلَّ. وفي "الصحيحين" عن النبي – صلى الله عليه وسلم –

---

(١) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٩٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/١٥٦).

(٣) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة) (٧/٩٤-٩٦)، وانظر: المرجع نفسه (٢/٤١).

(٤) (في الأصل (الدين)، من سبق القلم) قاله المحققون على مشروع المعلمي. انظر: مجموع آثار المعلمي (٧/٩٥).

قال: "إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجن والإنس والبهائم والهوامِّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطِف الوحشُ على ولدها. وأخَّر الله تسعًا وتسعين رحمةً يرحم بها عبادَه يوم القيامة"(١).

ومنها: تقريرُ توحيده، والردُّ على المشركين الذين يعبدون الملائكة وغيرهم لينفعوهم يوم القيامة. فمنهم من يقول: إن معبوده يأخذ يوم القيامة بيده ويُدخله الجنة. ومنهم من يقول: إنه يشفع له، ولا بدَّ، على معنى أنه يشفع لمن شاء وهوِي، وأنه يهوى من كان يدعوه ويلتجئ إليه ويعظِّمه، وأنَّ شفاعته مقبولة حتمًا، سواء في ذلك أكان المشفوع له مستحقًّا في حكم الله أن يشفع له أم لا. ولهم في هذا تخاليط وأغاليط قد سرى كثير منها إلى المسلمين. والله المستعان.

وتمام الكلام على هذا في "رسالة العبادة"(٢).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان معنى العبادة والإله وأمور تتعلق بهما:(٣)]

والعبادة: اختلفت عباراتهم في تفسيرها.

فقيل: الطاعة(٤). وقيل: الخضوع والتذلُّل(٥). وقيل: الطاعة والخضوع مع المحبة(٦).

وهذه العبارات صالحة لتفسير عبادة الله عزَّ وجلَّ، فأما العبادة المطلقة، فلا؛ لأنَّ الخادم مثلًا يطيع مخدومه، ويخضع له، ويتذلَّل، وهو مع ذلك يحبُّه، ولا يكون ذلك عبادةً منه لمخدومه اتفاقًا.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: جعل الله الرحمة مائة جزء، (٨/٨) (ح: ٦٠٠٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، (٤/٢١٠٨) (ح:٢٧٥٢)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم.

(٢) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٣/٨٥١-٨٧٣).

(٣) انظر: مجموع آثار المعلمي (رسالة الفاتحة)، (٧/٩٦-١٠٩).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٢٧٢).

(٥) انظر: معناه عن الطبري –رحمه الله– في تفسيره (١/١٥٧).

(٦) انظر: معناه عن شيخ الإسلام –رحمه الله– في مجموع الفتاوى (١٥/١٦٢)، وابن كثير في تفسيره (١/١٣٤).

وقيل: أقصى درجات الخضوع(١). وكاد المتأخرون يطبقون عليه، مع أنه لا يفسِّر لنا العبادة المطلقة.

أما أولاً فلأنَّ للخضوع درجات، فما المراد بالأقصى منها؟

وأما ثانيًا فلأنه إن أريد الخضوع الحسِّي فنحن نرى بعض درجاته عبادة، ثم نرى أبلغ منها بكثير ليس بعبادة. فالطائف بالبيت راكبًا إذا مرَّ على الحجر الأسود، فوضع مِحجَنه عليه، ثم استلم طرفَ المِحجن؛ كان ذلك عبادة لله. والفقير إذا أخذ نعلَ الغني، فقبَّل ظاهرها، ووضعها على عينيه ورأسه؛ لا يكون ذلك عبادة.

وإن أريد الخضوع النفسي، فإن أريد به الخشوعُ وجمع الهمة، فحاله كحال الحسِّي؛ فإنا نجد كثيرًا من الناس يدخل على الأمير الكبير، فيقف أو يجلس خاشعًا جامعًا نفسه على استماع كلام الأمير والإقبال عليه، لا يكاد يخطر له خاطر إلا في الإقبال عليه. ونجد كثيرًا من الناس يقوم في صلاته مناجيًا ربَّه، ولا يخشع ذلك الخشوع. والخشوع في الصلاة عبادة وإن قلَّ، وكذلك إذا وقع في الاعتكاف والذكر وغيرها. والخشوعُ للأمير ليس بعبادة. وإن أريد ما يجمع الحسِّي والنفسي بالمعنى المذكور، فحاله كما تقدم والمثال السابق آتٍ فيه. وإن أُريد أمر آخر، فما هو؟

وقيل: العبادة: التأليه، فمن اتخذ شيئًا إلهًا فقد عبَدَه(٢). وهذه أقرب عباراتهم، ولكن كلمة "إله" غير مكشوفة المعنى، وقد اختلفت العبارات في تفسيرها. وفيها نحو ما في هذه العبارات التي في تفسير العبادة. وسنذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

وأقرب العبارات وأشهرها في تفسير "الإله" هو: المعبود، أو المعبود بحق(٣). فكلٌّ من العبادة والإله غيرُ بيِّن المعنى. ثم فسَّروا كلاًّ منهما بما يتوقَّف على معرفة الآخر.

وقد اعتنيتُ بهذه المسألة، وجمعتُ فيها "رسالة العبادة"، ونظرتُ في مواقع هاتين الكلمتين

---

(١) انظر: معناه عن الزمخشري -رحمه الله- في تفسيره (١/١٣)، والبيضاوي في تفسيره (١/٦٦). والشوكاني في تفسيره (١/٢٢).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣/٢٧٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١/١٢٣)، تفسير الزمخشري (١/٦).

وما يُقصد بهما في الكتاب والسنة، وتتبعتُ ما تيسر من معرفة أحوال من حكم الله عليه بالشرك، وفتَّشتُ عما كانوا عليه اعتقادًا وقولًا وعملاً، وتلخصت في تفسير هاتين الكلمتين.

ثم وقفتُ على عبارة لبعض[١] المشاهير من المعاصرين، وهي أن العبادة هي: "كلُّ تعظيمٍ وتقرُّبٍ قوليٍّ أو عمليٍّ لصاحب السلطان العلوي والقدرة الغيبية". وذكر أن هذا تحقيقٌ لمعنى "العبادة" أو حدٌّ لها. وكلُّ ما قيل غيره في تعريفها فهو رسم[٢].

وذكر في موضع آخر سبب تسمية مشركي العرب دعاء الأصنام وغيرها "عبادة"، وتسميتها "آلهة". قال: "وهو أنهم كانوا أهل اللغة، وكلُّ ما يُدعى ويُعتقد أنَّ له سلطةً وتأثيرًا وراء الأسباب المشتركة بين جميع المخلوقات، فاسمه في لغتهم إله ... وهذا الدعاءُ وكلُّ تعظيمٍ وعملٍ يُوجَّه إلى من يُعتقد فيه ما ذُكر، فاسمه في لغتهم عبادة".

ثم قال بعد كلام: "وينفرد اسم الإله بإطلاقه على ما عبد ولم يُعتقَد أنَّ له تأثيرًا في الخلق والتدبير كأصنام جاهلية قريش وغيرها؛ فإنهم لم يتخذوهم أربابًا، وإنما عبدوهم بالدعاء والذبائح ونحو ذلك، ليقرِّبوهم إلى الله تعالى ويشفعوا لهم عنده".

ثم قال بعد قليل: "فشرك الإلهية هو: كل دعاء وتعظيم وعمل باعثُه اعتقادُ تأثيرِ المعظَّمِ الموقَّرِ عند الله تعالى بحمله على جلب نفع أو دفع ضر، لولاه لم يفعله تعالى بمحض إرادته، فيكون له اشتراكٌ في حصول ذلك بتأثيره في إرادة الله، تعالى الله عن تأثير المؤثرات الحادثة[٣]"

فتحصَّل من عبارته الثانية أن قوله في الأولى: "لصاحب السلطان العلوي والقدرة الغيبية" المراد بها أن يكون كذلك في ادعاء واعتقاد الذي يدعوه ويتقرب إليه، سواء أكان في نفس الأمر كذلك أم لا.

---

(١) (في الأصل: (وقفت لعبارة على بعض) من سبق القلم) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٧/٩٨).

(٢) لعله محمد رشيد رضا –رحمه الله– والله أعلم. انظر: الوحي المحمدي لمحمد رشيد رضا (ص: ١٧٤)، تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٢٠١/١١).

(٣) لم أجد ألفاظ هذه النقولات الثلاثة لكن وجدت معناها وقريبا من لفظها في أكثر من موضع من تفسير محمد رشيد رضا –رحمه الله–. انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (٢٠/٣)، (٤٧٣/٧)، (٩٦/٩-٩٨)، (٣٢٢/١٠-٣٢٣).

وبهذا يندفع بعض الاعتراض على عبارته، ولكنه يبقى عدة اعتراضات.

منها: أنه إن أراد بالسلطان العلوي والقدرة الغيبية مطلق القدرة على التصرف الغيبي ورَدَ عليه أن الملائكة والجن لهم قدرة يتصرفون بها، وليسوا بآلهة اتفاقًا، ولا اعتقاد ذلك فيهم قولًا بأنهم آلهة.

وإن أراد القدرة الذاتية أي التي ليست بموهوبة ورَدَ عليه أنَّ المشركين لم يعتقدوا في أصنامهم بل ولا في الملائكة ذلك.

وإن أراد القدرة التي يصرفها صاحبها باختياره ورَدَ عليه أن الجن كذلك في الجملة. وإن أراد التي يصرفها صاحبها باختياره، وليس غيره مهيمنًا عليه، ورَدَ عليه أنَّ المشركين لم يعتقدوا في معبوداتهم ذلك. وقد تقدمت الآيات في ذلك.

فإن قيل: قد تقدم عنه أنهم اعتقدوا أنَّ معبوداتهم لها سلطة بشفاعة تَحْمِل بها اللهَ عزَّ وجلَّ على جلب نفع أو دفع ضر، لولا شفاعتهم لم يفعله تعالى بمحض إرادته.

قلت: الظاهر أنه يريد ما اشتهر عن المشركين من العرب في شأن شفاعة الملائكة، فإن أراد أنهم[1] كانوا يزعمون أنَّ الملائكة يُكرهون الله تعالى على قبول شفاعتهم، أو لا يُكرهونه، ولكنه لقربهم منه يقبل شفاعتهم، وإن لم يسبق في علمه وإرادته ذلك، فيكون في ذلك اعتقاد البَداء. وهو أنه سبحانه قد يكون يريد شيئًا، ثم يبدو له شيء لم يكن يعلمه قبل، فيدعه؛ أو أنه لا ذا ولا ذاك، ولكنه قد علم أنه في أصل إرادته يريد شيئًا، وأن الملائكة يشفعون بخلافه، وأنه لا بد حينئذ من قبول شفاعتهم؛ فليس في اعتقاد مشركي العرب شيء[2] من هذا، كما دلَّت الآيات السابقة وغيرها، ممّا سُقتُه في "رسالة العبادة"[3].

والذي يتحصَّل مما كانوا يقفون عنده في شفاعة الملائكة أنهم مقرَّبون عند الله عزَّ وجلَّ، وأنه إن لم يأذن لهم بالشفاعة في شيء أَذِن لهم في غيره، وإذا لم يقبل شفاعتهم في شيء قَبِلها في غيره، وأنَّ شفاعتهم من جملة الأسباب التي اعتدَّت بها الشرائع، كدعاء الله عزَّ وجلُّ

---

(١) (في الأصل (أنها)، سبق قلم) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٧/٩٩).

(٢) (في الأصل (شيئا)، سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه (٧/١٠٠).

(٣) انظر: المرجع نفسه (العبادة) (٣/٧١٤-٧٢٤، ٨٥١-٨٧٣).

والتضرع إليه وطاعته، فإنَّ ذلك كلَّه مما يُرجى به رضوانُ الله وعفوُه وغيرُ ذلك من تفضُّل بنفعٍ أو دفع ضرٍّ ومعلومٌ أنَّ اعتقادَ ذلك لا يلزم منه القولُ بالبداء، ولا إنكارُ سبقِ علم الله عزَّ وجلَّ بكل ما يكون. وكيف يلزم ذلك، وبه بعثت الرسل ونزلت الكتب وشرعت الشرائع؟

وإنما كان يبقى عند المشركين أنهم يزعمون أنَّ ذلك القدر الباقي للملائكة من الشفاعة مسوَّغ لأن يدعوهم الإنسان ويعظِّمهم ويسأل منهم الشفاعة وأن الله تعالى يرضى ذلك، وأن الملائكة يشفعون لمن فعل ذلك. وجاء الإسلام بأنَّ ذلك القدر لا يسوِّغ ما ذُكِر، وأنَّ الله لا يرضاه ولا يأذن فيه، وأنَّ الملائكة أنفسهم يتبرؤون ممن فعله، ويبغضونه ويعادونه. ثم يَرِد عليه أيضًا أنَّ المشركين لم يكونوا يعتقدون للأصنام قدرةً ما ولا تأثيرًا، وإنما هي عندهم تماثيل للملائكة، فيقولون: إنَّ الصنم إذا جُعل تمثالًا للملَك ورمزًا له صار له علقةٌ(١) معنويةٌ بالملك، بحيث يكون تعظيمُ الصنم تعظيمًا لذلك الملك، كما جرت به العادة في احترام تماثيل البشر العظماء أنه معدود عند الناس احترامًا لصاحب التمثال، ومع ذلك سميت الأصنام آلهة، وتعظيمها عبادة. وقد بقي وجوه أخرى لا أطيل بها.

والذي تلخَّص لي في "رسالة العبادة"(٢) بعد النظر في النصوص القرآنية ومقابلة بعضها ببعض، والنظر في أحوال المشركين من الأمم المختلفة وغير ذلك = أن العبادة هي: خضوعٌ يُطلَب به نفعٌ غيبيٌّ.

وأردت بالخضوع ما يشمل الطاعة والتعظيم، وبالنفع الغيبي ما هو وراء الأسباب العادية. ثم إن كان ذلك الخضوع مأذونًا فيه من الله تعالى بسلطان بيِّن وبرهان واضح، فلا يكون إلا عبادةً له سبحانه وتعالى، سواء كان في الصورة له كالالتجاء والتضرع إليه، أم كان في الصورة لغيره كالطواف بالكعبة وتقبيل الحجر الأسود ووضع الجبهة عليه، وكلّ ما كان عليه برهان من الله وسلطان منه، من الثناء على الملائكة والصلاة عليهم، والثناء على الأنبياء والصالحين

---

(١) العلق: هو أن يناط الشيء بالشيء العالي. انظر: معجم المقاييس لابن فارس (علق) (١٢٥/٤)، لسان العرب لابن منظور (علق) (٢٦١/١٠).

(٢) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٧٣٣/٣).

واحترامهم وغير ذلك.

وإن لم يكن به برهانٌ من الله عزَّ وجلَّ ولا سلطانٌ منه، فهو عبادةٌ لغيره، ولا يكون شيء من هذا إلا وفيه خضوع لغير الله عزَّ وجلَّ. ومن ذلك: الأحبار والرهبان والرؤساء والآباء والشيطان والهوى.

ولا فرق في كون الخضوع طلبًا للنفع الغيبي عبادةً بين أن يكون النفع مطلوبًا من المخضوع له نفسه، أم من غيره بواسطة شفاعته، أم من غيره بسبب الخضوع له. فمن الحقّ في الصورة الأولى: التضرُّعُ إلى الله عزَّ وجلَّ طلبًا للنفع منه.

ومنه في الثانية: القدرُ الذي عليه سلطانٌ من الله عزَّ وجلَّ من احترام الأنبياء والصالحين.

ومنه في الثالثة: القدرُ الذي عليه سلطان من احترام الكعبة والحجر الأسود.

ومن الباطل في الصورة الأولى: التضرعُ إلى الملائكة لينفعوا، على زعم أنهم يفعلون[1] ما يشاؤون.

ومنه في الثانية: التضرعُ إليهم ليشفعوا كما كان مشركو العرب يصنعونه.

ومنه في الثالثة: تعظيم الأصنام.

وكل ما ادُّعِي له أو اعتُقِد أنه يستحق أن يُعبد، فقد ادُّعِي له أو اعتُقِد أنه إله.

فالإله هو الذي يستحق أنَّ يُعبَد. فإن كان استحقاقه حقًّا فهو إله حق. وهو الله وحده لا شريك له. وإن كان استحقاقه باطلاً، فهو إله باطل.

وكلُّ مَن عبد شيئًا من دون الله، أي خضع له طلبًا لنفع غيبي بدون سلطان من الله تبارك وتعالى، فقد اتخذه إلهًا وسوَّاه بربِّ العالمين في استحقاق أن يُعبَد.

وذلك أنَّ العقولَ والفِطَر كافيةٌ في العلم بأنَّ الله تبارك وتعالى مستحقٌّ أن يُخضع له طلبًا للنفع الغيبي، فمن ادَّعى لغيره ذلك بغير سلطان من الله تعالى، فلا بدَّ أن يكون مستندًا إلى الكذب على العقل، ولو بواسطة أو وسائط. فكأنه يقول: إن العقل كافٍ في العلم بأنَّ هذا الروح أو غيره مستحق أن يخضع له طلبًا للنفع الغيبي، فتلك تسويةٌ له بربِّ العالمين، فاعلم ذلك.

---

(١) (في الأصل: (ما يفعلون)، سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٠٢/٧)

وقد أقمت – بحمد الله تبارك وتعالى – البراهين على هذا التفصيل في "رسالة العبادة"[(١)].

وإذا يسَّر الله تبارك وتعالى فسيأتيك كثير منه في مواضعه.

وهذه أمور يجب استحضارها:

الأمر الأول: أن هذا المعنى كان بيِّنًا في الجملة عند العرب الذين خوطبوا بالقرآن، إلا أنَّ هناك دقائقَ قد كان يخفى على كثير منهم أنها عبادة وتأليه.

فمن ذلك: الخضوع بالطاعة. فقد روى ابن جرير وغيره عن عدي بن حاتم أنه لما سمع قول الله تعالى في أهل الكتاب: ﴿**ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٣١**﴾[التوبة: ٣١]، قال عدي: قلت: يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم. فقال: "أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه، ويُحِلُّون ما حرَّم الله فتُحِلُّونه؟ " قال: قلت: بلى. قال: "فتلك عبادتهم"[(٢)].

وقد ذكرتُ هذا الحديث والكلام عليه وشواهده من كلام الصحابة والتابعين في "رسالة العبادة"[(٣)].

فالقوم أطاعوا أحبارهم ورهبانهم في التحريم والتحليل، وعدُّوا ذلك دينًا ينفعهم الله تعالى به ويجازيهم بحسبه. فتلك الطاعةُ خضوعٌ يُطلَب به نفعٌ غيبي، ولم ينزل الله تعالى به سلطانًا، فهو عبادة لغيره.

وقد خفي هذا المعنى على عدي بن حاتم رضي الله عنه حتى فسَّره له النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم خفي هذا المعنى على بعض رواة هذا الحديث نفسه حسبما رواه الترمذي بلفظ: "أما، إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا ستحلُّوه، وإذا حرَّموا

(١) انظر: المرجع نفسه (العبادة) (٣/٧٣١-٧٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢١٠)، وأخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة التوبة، (٥/٢٧٨) (ح: ٣٠٩٥)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقال الترمذي حديث غريب، وحسنه الألباني، والبيهقي في سننه الكبرى، في كتاب: آداب القاضي، باب: ما يقضي به القاضي ويفتي به، (١٠/١١٦) (ح: ٢٠٨٤٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٣/٦٥٤-٦٦١).

عليهم شيئًا حرَّموه"[١].

وأخبر الله تعالى عن المشركين بأنهم يعبدون الشيطان. ولذلك وجهان:

فأما الوجه الأول: فهو طاعتهم إياه فيما يوسوس لهم به من شرع الدين، واتخاذهم ذلك دينًا يرجون به النفع من الله عزَّ وجلَّ. وتلك عبادة، ولا سلطان لهم، فهي عبادة لغير الله تعالى.

وقد خفي هذا عن الخوارج، فتوهموا أنَّ طاعة الشيطان شرك مطلقًا، فحكموا على عصاة المسلمين بأنهم مشركون، مع أنَّ عصاة المسلمين وإن أطاعوا الشيطان فلم يتخذوا ما وسوس لهم به دينًا، وإنما أطاعوا لهوى أنفسهم عالمين معترفين بأن ذلك معصية لله عزَّ وجلَّ يخافون عقابه عليها، فلم يطلبوا بتلك الطاعة نفعًا غيبيًّا.

وخفي كذلك على أكثر المفسِّرين، فقالوا: إنَّ ما جاء في القرآن من ذكر عبادة الشيطان والشرك به ليس على حقيقته، وإنما المراد بذلك مطلق الطاعة المذمومة التي لا تكون عبادةً ولا شركًا على الحقيقة.

أما الوجه الثاني: فقد بينته في "رسالة العبادة"[٢]، ولعله يأتي في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

ونحو[٣] هذا وقع فيما جاء في القرآن من ذكر تأليه الهوى.

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة التوبة، (٥/٢٧٨) (ح: ٣٠٩٥)، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، وقال الترمذي حديث غريب، وحسنه الألباني.

(٢) ذكر المصنف لعبادة الشياطين ثلاثة وجوه:

ما تقدم ذكره وهو طاعتهم للشيطان فيما يوسوس لهم به من شرع الدين.

كانوا يعبدون إناثا غيبيات يزعمون أنهن بنات الله تعالى، وأنهن الملائكة، فرأت الشياطين أنه لا إناث غيبيات إلا منهم، ولذلك عمدت شيطانة فتسمت بالعزى ولزمت الصنم المجعول للعزى وقس على ذلك.

أن من عادة الشياطين اعتراض العبادات الباطلة حتى تكون في الصورة كأنها لهم.

انظر: مجموع آثار المعلمي (العبادة) (٣/٧٢٥-٧٣٠).

(٣) (في الأصل: (ونحوه)، سبق قلم). قاله المحققون على مشروع المعلمي. انظر: المرجع نفسه (١٠٥/٧).

ومما كان يخفى على بعض منهم أنه عبادة أو قد يكون عبادة: القسَم بغير الله، والطِّيَرة، وقولهم: ما شاء الله وشاء فلان، والتمائم، والتِّوَلة، وغيرها. وقد بسطت الكلام على ذلك في "رسالة العبادة" والحمد لله. وقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعذرهم فيما يخفى عليهم، ويبيِّنه لهم. وهكذا أصحابه رضي الله عنهم[١].

والحاصل: أنَّ الخفاء قد يكون في كون الفعل خضوعًا، وقد يكون في كونه يُطلَب به نفع، وقد يكون في كون النفع غيبيًّا، وقد يكون في كونه لا سلطان عليه.

ولهذا جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل"[٢]. وقد ذكرت هذا الحديث في "رسالة العبادة" بطرقه وشواهده، والدليل على أنه أراد به الشرك الحقيقي لا مجرد الرياء[٣].

الأمر الثاني: أنه لا يلزم من كون الفعل في نفسه عبادةً لغير الله وشركًا أن يكون الفاعل مشركًا. بل لا يُحكَم بشركه حتى يُعلم أنه ليس له عذر، وأنَّ الحجة قد قامت عليه. وقد بسطتُ هذا حقَّ البسط في "رسالة العبادة"[٤]، ودلَّلت عليه بالكتاب والسّنة وأقوال السلف ومَن بعدهم من أهل العلم. وبيَّنتُ أنه قد يكون الفعل في نفسه شركًا، والفاعلُ من خيار عباد الله تعالى وأوليائه؛ لعذره في ذلك الفعل وصلاحه في نفسه.

الأمر الثالث: أنَّ البدع في الدين كلها تؤول إلى عبادة غير الله، ولولا العذرُ لكان كلُّ مبتدع مشركًا. وقد بسطتُ هذا في موضعه[٥]، ولله الحمد.

---

(١) انظر: تفصيل ذلك، المرجع السابق (العبادة) (٣/٩٤٧-١٠٣٩).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٣٢/٣٨٣-٣٨٤) (ح: ١٩٦٠٦) عن أبي موسى الأشعري، وصححه المعلمي. انظر: مجموع آثار المعلمي (العبادة) (٢/١٤٣-١٤٥)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، في كتاب: الأذكار، باب: فضل الدعاء (ص:٢٥٠) (ح: ٧١٦)، وصححه الألباني.

(٣) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٢/٥٥، ١٤٣-١٤٥)، وانظر تفصيل القسم بغير الله تعالى، المرجع نفسه (٣/٩٨٩-١٠٣٨).

(٤) انظر: المرجع نفسه (٢/١٢٦، ١٤٣-١٤٧، ٧٩-١٩٨، ٣٢٩)، (٣/٦٨٣-٦٨٤، ٨٢٤-٨٢٨، ٨٨٣-٨٨٤، ٨٩٨، ٩٠٦، ٩١٤-٩٤٦).

(٥) انظر: المرجع نفسه.

الأمر الرابع: أنَّ السلطانَ المذكورَ في تعريف العبادة: المرادُ به البرهانُ المفيدُ للقطع، إما بنفسه، وإما بأصله. فالذي بنفسه فكصريح القرآن والسنة القطعية.

وأما بأصله فكالدلائل الظنية التي قام البرهان القطعي على وجوب العمل بجنسها.

وذلك كدلالة ظنية من الكتاب، فإنَّ كونَ ظواهِر الكتاب حجةً ثابتٌ قطعًا، وكونَه يلزم العالم العمل بما ظهر له من الكتاب بعد النظر والاجتهاد ثابتٌ قطعًا.

الأمر الخامس: أنَّ هذا التفسير الذي فسرتُ به العبادةَ مقتبَس من نصوص لا تحصى من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم. ومن أقوالهم ما هو صريح فيه أو مستلزم[١] له حتمًا؛ ولكنها خبايا في الزوايا، وشذَرات في الفلَوات، قد التقطتُ ما عثرتُ عليه منها في "رسالة العبادة".

الأمر السادس: أنني أعترف بأنَّ العقل يستبعد بل يكاد يُحيل أن يكون هذا الأمر الذي هو أسُّ الإسلام وجوهرُه وهو معنى عقد أنه لا إله إلا الله غفل عنه أكثر العلماء، إن لم نقل: كلُّهم، حتى آل إلى ما نراه من الخفاء، فصارت تفسيراتهم للإله والعبادة على ما سمعت، وصار الكلام في التفاسير وشروح الحديث وكتب الفقه على ما يعرفه من طالعها. ولكني لما قام عندي من البراهين مع ما التقطتُه من خبايا الزوايا من كلام العلماء لا أجبُنُ عن إظهار هذا الأمر. وقد بان لي السببُ المؤدِّي إلى تلك الغفلة.

وهي أنَّ السلف من الصحابة وعلماء التابعين كانوا يرون أنَّ معنى الإله والعبادة واضح، فقد كان المشركون أنفسهم يعرفونه. وما خفي من دقائقه يُعذَر مَن جَهِله حتى يبيَّن له.

ثم إنَّ العلماء اصطدموا بالكلام فيما يتعلق بالعقائد في صفات الله تعالى وغيرها من جهة، وبتقديم الرأي والقياس على السنة من جهة أخرى؛ فانصرفت وجوههم إلى دفع ذلك.

ولما حدثت البدع التي هي في نفسها شرك كانوا ربما يفرغون للشيء بعد الشيء منها، فيزجروا عنه ويبيِّنوا أنه بدعة، ويرون أن صاحبه لا يُعدُّ مشركًا لعذره.

ثم انفردت طائفة منهم لحفظ العقائد، وطائفة للفقه، وطائفة لحفظ الحديث، إلى غير ذلك، فاقتصر أهل العقائد على ما اشتهر فيه الخلاف، فذكروا التوحيد في كتبهم، يعنون أنه

---

(١) (في الأصل: (مستلزمًا)، سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه (١٠٧/٧).

ليس مع الله ربٌّ غيره قديم، وأهملوا مسألة العبادة لعدم اشتهار الخلاف فيها. وصرَّح بعضهم كالسعد التفتازاني بأنها مسألة شرعية(١)، يعني وهُم إنما يبحثون بالعقليات، فاتَّكلوا فيها على الفقهاء.

والفقهاء يقولون: هذه أساس العقائد ورأس الإسلام، فيتَّكلون على علماء العقائد.

وأما علماء التفسير وشُرَّاح الحديث فاتكالُهم أظهر.

وبعد هذا الاتكال صار من يبحث عن معنى لا إله إلا الله يراجع كتب العقائد، فيجد فيها الكلام على توحيد الربوبية، أي أنه ليس مع الله تعالى ربٌّ قديمٌ غيره. وقد عبَّروا عنها بقولهم: "الإله واحد، هو الله عزَّ وجلَّ، ويمتنع وجود إلهين أو أكثر"، أو نحو ذلك. فيظن هذا المسكين أنَّ معنى (لا إله إلا الله): لا واجب الوجود إلا الله، ثم يظن أن العبادة هي الخضوع والطاعة لمن يعتقد أنه واجب الوجود، إلى أمور أخرى قد شرحتُ بعضها في "رسالة العبادة"(٢). والحاصل أنَّ ذلك الاستبعاد العقلي في محلِّه، ولكن الغفلة واقعة يقينًا. وأظهر شواهدها: عباراتهم في تفسير العبادة، وقد رأيتها، ومن نظر وتدبَّر ازداد يقينًا. والشأن إنما هو في تحقيق ما غفل عنه، وقد ذكرتُ هنا ما تيسَّر، وإذا أذن الله تعالى فسترى كثيرًا من ذلك في مواضعه. وقد استوعبتُ أكثر ذلك في "رسالة العبادة"(٣)، أسأل الله تعالى من فضله تيسير إتمامها ونشرها. والحمد لله أولًا وآخرًا.

وإذ قد اتضح إن شاء الله معنى العبادة، فليتمَّمْ تفسيرُ الجملة(٤).

---

(١) انظر: شرح المقاصد للتفتازاني (١/١٠-١٣).

(٢) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٢/٣٣٢-٣٨٦).

(٣) عقد فصلا في تحقيق مناط التأليه والعبادة. انظر: المرجع نفسه (٣/٧٣١-٧٤٩).

(٤) الكلام فيه إشكال إذ أنه غير متسق لأنه يفسر ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ ثم أراد أن يتمم تفسير جملة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾.

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في مناسبة الآية لما قبلها:[١]]

(فاعلم أنَّ فيها احتمالات، الصحيح منها أنها إنشائية، أريد بها إنشاء معنى يوجد بهذه العبارة، وذاك حقيقة الإنشاء[٢].

وذلك أن المؤمن إذا تلا من أول السورة إلى هنا متدبِّرًا حق التدبر امتلأ قلبُه بتعظيم ربِّه عزَّ وجلَّ، واستغرق في ذلك حتى كأنه يرى الأمر مشاهدةً، وانجلى له حقَّ الانجلاء أنه لا يستحق العبادة غيره تعالى، فيقبل القلب إلى الربِّ عزَّ وجلَّ مصدِّقًا ما قام بالقلب وسرى إلى الجوارح، فينشئها بهذه الجملة. فتدل هذه الجملة أولًا وبالذات على العبادة المنشأة بها، ثم تدلُّ بمعونة ما تقدم على العبادة القائمة بالقلب ثم بالجوارح، وتدلُّ بواسطةِ أن المقتضي لما ذكر هو ما تقدَّم من أول السورة إلى هنا، وهي حقائق ثابتة لا تحول ولا تزول، ولا تتغيَّر ولا تتبدَّل على التزام التالي أن يعبد الله تعالى دون غيره في بقية عمره).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في وجه التعبير بلفظ الجمع ﴿نَعْبُدُ﴾[٣]]

(وبعد ما كتبتُ ما تقدَّم، أردتُ أن انظر في وجه التعبير بلفظ الجمع، فرأيتُ ما قدَّمتُه هنا يرشد إلى نكتة لا بأس بذكرها.

وهي أنه – كما تقدَّم – ورد الخضوعُ أولاً على القلب، ثم سرى إلى الجوارح، ثم تلاها اللسان، فأشير إلى ذلك بصيغة الجمع، حتى كأنَّ اللسان عبَّر عن نفسه وعن القلب والجوارح.

ونكتة أخرى، وهي أنَّ مِن شأن الإنسان المتواضع الذي يعرف قدر نفسه أنه إذا اتفق له ظهورٌ بمظهر يدلُّ على العظمة زاده ذلك خضوعًا في نفسه وتمسكنًا، كما روي أن النبي –

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٠٩/٧)، وانظر: المرجع نفسه (٧٧٠/٣)، (٤٠٩/٤).

(٢) فالجملة الإنشائية التي لم تشتمل على خبر، وإنما أنشأ النطق بها حدثا ما، كالأمر والنهي والاستفهام. انظر: موجز البلاغة لابن عاشور (ص:١١)، البلاغة العربية لعبدالرحمن حبنكة (١٦٧/١).

(٣) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٠٩/٧-١١٠).

صلى الله عليه وسلم – لما دخل [مكة] يوم فتحها دخل وذقنُه على رحله متخشِّعًا[١].

فالتالي الممتلئ خضوعًا وتذللًا إذا جاء إلى قوله: ﴿نَعۡبُدُ﴾ ورأى ما في ظاهر الكلمة من مظهر العظمة زاده ذلك خضوعًا وتخشُّعًا، كأنه يقول في نفسه: ومَنْ أنا! ومَنْ أكون! وهذه وكثير من أمثالها من مُلَح العلم[٢]، والذي ينبغي اعتماده أن السورة تعليم من الله عزَّ وجلَّ لعباده، فكأنه قال لهم: قولوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ إلخ، كما مرَّ عن ابن جرير[٣]، فجاء "نعبد ونستعين" على حسب ذلك).

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: المغازي والسير، (٤٩/٣) (ح: ٤٣٦٥)، وقال الحاكم حديث صحيح على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي، والبيهقي في دلائله، في جماع: أبواب فتح مكة حرسها الله تعالى، باب: دخول النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وهيئته.. (٦٩/٥) (ح: ١٨٠٣) كلاهما عن أنس رضي الله عنه.

(٢) وقيل من اللطائف وتوجيه الجمع في هذه الآية:

أنه قصد به الإخبار عن نفسه وعن جنسه من العباد قاله الرازي والبيضاوي وابن كثير والشوكاني وابن عاشور.

أنه يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له إذا كنت في العبادة فأنت عظيم وجاهك عريض فقل نون العظمة في الصلاة ولا تقلها خارج الصلاة ليظهر للكل أن العبد لله ملك في الدنيا والآخرة كما ذكره الرازي وابن كثير.

أنه ألطف في التواضع من (إياك أعبد) لما فيه من تعظيمه لنفسه من جعله وحده أهلا لعبادة الله كما ذكره الرازي وابن كثير.

(كأن العبد يقول : إلهي ما بلغت عبادتي إلى حيث أستحق أن أذكرها وحدها ؛ لأنها ممزوجة بجهات التقصير ، ولكني أخلطها بعبادات جميع العابدين ، وأذكر الكل بعبارة واحدة وأقول إياك نعبد). قاله الرازي. (أن المؤمنين أخوة فلو قال إياك أعبد لكان قد ذكر عبادة نفسه ولم يذكر عبادة غيره ، أما لما قال إياك نعبد كان قد ذكر عبادة نفسه وعبادة جميع المؤمنين شرقاً وغرباً فكأنه سعى في إصلاح مهمات سائر المؤمنين). قاله الرازي.

انظر: تفسير الرازي (١٥٠/١-١٥١)، تفسير البيضاوي (٦٧/١)، تفسير ابن كثير (١٣٥/١)، تفسير الشوكاني (٢٢/١)، تفسير ابن عاشور (١٨٦/١).

(٣) انظر: (ص: ١٦٠).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في مناسبة ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ لما قبلها:[١]]

وإذا قال العبد مع ما صار فيه من حال الخضوع والخشوع: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ ، وقد سبق أنها بمعونة المقام تدلُّ على التزام العبادة لله تعالى دون غيره في المستقبل، علِمَ ما هو عليه من الضعف والعجز والظلم والجهل، فاضطُرَّ إلى أن يقول: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ فينشئ بهذه الجملة استعانة بربه دون غيره على ما التزمه من العبادة).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان متعلق الاستعانة:[٢]]

(وفي "الكشاف": "والأحسن أن يراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة، ويكون قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا﴾ بيانًا للمطلوب من المعونة، كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسنَ لتلاؤمِ الكلام وأخذِ بعضِه بحجزةِ بعض"[٣].

حكاه في "روح المعاني"، ثم قال: "ووجه التخصيص حينئذ كمالُ احتياج العبادة إلى طلب الإعانة، لكونها على خلاف مقتضى النفس ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾ [يوسف:٥٣]. والقرينة مقارنة العبادة، ولا خفاء في وضوحها"[٤].

ثم قال: "والإنصاف عندي أنَّ الحمل على العموم أولى ... "[٥].

والحاصل أنه اختار العموم، ثم اختار أن الصراط عامٌّ، فقال: "فإنه أعمُّ من العبادات والاعتقادات والأخلاق والسياسات والمعاملات والمناكحات وغير ذلك من الأمور الدينية، والنجاة من شدائد القبر والبرزخ والحشر والصراط والميزان، ومن عذاب النار، والوصول إلى دار القرار والفوز بالدرجات العُلى. وكلُّها مفتقِرٌ إلى إعانة الله تعالى وفضله. وأيضًا طرقُ الضلالات التي يستعاذ منها بغير المغضوب عليهم ولا الضالِّين لا نهاية لها ... "[٦].

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١١٠/٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١١٠/٧-١١٢).

(٣) انظر: تفسير الزمخشري (١٥/١).

(٤) انظر: روح المعاني للألوسي (٩١/١).

(٥) انظر: المرجع نفسه.

(٦) انظر: المرجع نفسه.

قال عبد الرحمن: لا خفاءَ أنَّ المقام إنما يقتضي الاستعانة على العبادة التي التزموها. وكلُّ الصيد في جوف الفَرا[١]. فإنَّ الاعتقادات الدينية ترجع إلى العبادة، فإنَّ في اعتقاد الحق طاعةً لله وخضوعًا له إذا خالف الهوى، وذلك عبادة. والأخلاق المحمودة مع حسن النية عبادة، والأحاديث في فضائل حسن الخلق معروفة. والسياسات المحمود منها ما كان المقصودُ منه إقامةَ الحق والعدل وتنفيذَ أحكام الله عزَّ وجلَّ، وما قُصِد به ذلك كان عبادة. والمعاملات إذا التُزِم فيها الأخذُ بالحلال، واجتنابُ الحرام والشبهات، والقيامُ بمصالح المسلمين، والاستعانةُ على طاعة الله عزَّ وجلَّ كانت عبادة. وكذلك المناكحات. وفي الحديث: "وفي بُضْعِ أحدكم أجرٌ"[٢]. وعلى هذا القياس. على أنَّ مِن لازمِ الإعانة على العبادة تيسيرَ المعيشة والأمن وغير ذلك، فإنَّ مَن نكِدَ عيشُه انشغل قلبُه عن العبادة، كما هو معروف. وأما الأمور الأخروية فتبعُها للعبادة واضح.

وكأنه غلب على أبي الثناء[٣] ما جرى به العرفُ الحادثُ من اختصاص العبادات بما يذكر في صدور كتب الفقه، وهو الصلاة والزكاة والصيام والحج. وهو وهْمٌ حتمًا، وقد عرفت حقيقة العبادة).

(١) الفرا: حمار الوحش، قال الميداني: (أصل المثل أن ثلاثة نَفَرٍ خرجوا متصيدين فاصطاد أحدُهم أرْنَباً والآخر ظبيا والثالث: حماراً فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظبي بما نالا وتطاولا عليه فقال الثالث : كُلُّ الصَّيْدِ فِي جوف الفَرا أي هذا الذي رُزِقْتُ وظَفِرْتُ به يشتمل على ما عندكما وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعْظَمُ من الحمار الوحشي). انظر: مجمع الأمثال للميداني (١٣٦/٢)، وجمهرة الأمثال للعسكري (١٦٢/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (٦٩٧/٢) (ح: ١٠٠٦) عن أبي ذر رضي الله عنه إلا أن بدل (أجر) (صدقة).

(٣) كنية محمود بن عبد الله، شهاب الدين، الحسيني الآلوسي، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، له من الكتب (روح المعاني) في التفسير، و (كشف الطرة عن الغرة) وغيرها، مات سنة ١٢٧٠هـ. انظر: جلاء العينين لأبي البركات الألوسي (ص:٥٧)، الأعلام للزركلي (١٧٦/٧).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في حل إشكال حاجة الناس لإعانة بعضهم بعضها:[(١)]]

(هذا، وكثير من الناس يستشكل ما اقتضته الآية من نفي الاستعانة بغير الله عزَّ وجلَّ، ويقولون: إنَّ مصالح الدنيا وكثيرًا من مصالح الدين إنما تقوم بتعاون الناس، وما من أحدٍ إلا وهو يحتاج إلى أن يستعين غيره من الناس، حتى على العبادة.

وهذا مبني على أن الجملة خبر، والمضارع للاستمرار، أي أن من عادتنا المستمرَّة أن لا نستعين إلا بك؛ أو عن الحال، والاستقبال، أي لا نستعين ولن نستعين إلا بك؛ أو عن المستقبل فقط.

وليس الأمر كذلك. وإنما هي إنشائية لطلب المعونة، والطلب يُوجَد بنفس الجملة، كما لا يخفى على من عرف الفرق بين الخبر والإنشاء.

والنفي إنما هو بحسب ذلك. فكأنهم قالوا: استعانتنا هذه بك، وليست بغيرك. وحَسُنَ ذلك لأن تلك الاستعانة نفسها طلب للنفع الغيبي، فهي عبادة، فناسب أن تُقصَر، كما قُصِرت العبادة، تقريرًا للتوحيد الذي بنيت عليه السورة.

وثَمَّ مناسبات أخرى لا أطيل بذكرها، فتدبَّرْ. ونسأل الله التوفيق والهداية).

﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في توجبه ترك العطف:[(٢)]]

(تقدم عن صاحب الكشاف - وتبعوه في توجيه ترك العطف إذ لم يقل: "واهدنا" مع أن الجملتين إنشائيتان متناسبتان، كما لا يخفى - أن هذه الجملة استئناف بياني. ومعناه أن تكون الجملة الثانية جواب سؤالٍ من شأن مَن يسمع الأولى أن يسأله. فقال كما مرَّ: "كأنه قال: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا"[(٣)].

وفي النفس من هذا، فإنَّ وجه الحسن في الاستئناف البياني على ما ذكروه إنما يتحقق في خطاب الناس. فالأولى أن تكون هذه الجملة بدلاً من الأولى.

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (٧/١١٢-١١٣).

(٢) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (٧/١١٣-١١٤).

(٣) عند تفسيره ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وفي "مغني اللبيب":[(١)] [الجملة السابعة: التابعةُ لجملةٍ لها محلٌّ. ويقع ذلك في بابي النسق والبدل خاصة ... والثاني شرطُه كونُ الثانيةِ أوفى من الأولى بتأدية المعنى المراد نحو ﴿**وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعۡلَمُونَ ١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنۡعَٰمٖ وَبَنِينَ ١٣٣ وَجَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ١٣٤**﴾[الشعراء:١٣٤]، فإنَّ دلالةَ الثانيةِ على نعم الله مفصَّلةٌ بخلاف الأولى، وقوله:

أقولُ لَه ارْحَلْ لا تُقيمنَّ عندَنا[(٢)]:

فإنَّ دلالة الثانية على ما أراده من إظهار الكراهية لإقامته بالمطابقة، بخلاف الأولى[(٣)]]. ولا خفاء أنَّ هذا الشرط مُتحقِّق هنا. وفي البدلية هنا نكتة لطيفة، فإنه اشتهر أن المبدَل منه على نية الطرح[(٤)]. وهذا مناسب هنا لأن مِن لازمِ طلب الإعانة إثباتَ قدرة للنفس. وذاك وإن كان حقًّا في الجملة، ولكنَّ المقامَ مقامُ خضوع وتذلُّل، وهو يستدعي إظهار تمام العجز. وهذا تُعبِّر عنه هذه الجملة: ﴿**ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦**﴾[الفاتحة:٦]، فتأمَّلْ! والله أعلم).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معنى الهداية:[(٥)]]

(والهداية: من هداية الطريق. وقد جاء عن العرب إطلاقُ الهُدَى على الطريق[(٦)]. فإما أن يكون هذا هو الأصل، وإن كاد يُنسَى، والهداية مشتقَّة منه وإن اشتهرت؛ وإما العكس، والله أعلم.

وهداية الطريق في الجملة: الإرشاد إليها، ولكنها تكون على أوجه: فافْرِضْ أنه رأيتَ عبدًا تائهًا في فلاةٍ فيها سُبُل، وتعلم أنَّ خيره وصلاحه في الذهاب إلى سيِّده، فقد تكتفي

---

(١) ترك المؤلف –رحمه الله– بياضا وما أضيف بين الحاصرتين من المغني هو من فعل المحققين على مشروع المعلمي. انظر: مجموع آثار المعلمي (١١٤/٧).

(٢) لم أقف على قائله، ويذكر في كتب النحو والأدب من غير نسبة لقائله.

(٣) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (٥٥٦/١-٥٥٧).

(٤) انظر: حاشية الصبان على شرح الأشموني (٢١١/٢)، وهمع الهوامع للسيوطي (٢٥٨/٢).

(٥) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١١٤/٧-١١٧).

(٦) انظر: معجم المقاييس لابن فارس، كتاب: الهاء، (هدي)، (٤٢/٦)، لسان العرب لابن منظور، فصل الهاء، (هدي)، (٢٥٣/١٥-٢٥٤).

بأن تدلَّه على رأس الطريق التي ينبغي له سلوكُها لِيصلَ إلى بيت سيده، فتقول له: هذه أو تلك هي الطريق التي توصلك. فهذا الوجه الأول.

وقد يكون العبد أحمق يستكبر عن قبول إرشادك، أو يكون هناك من يريد به الشرَّ، يشير له إلى طريق أخرى، فيميل إليه، فتأخذ بيد العبد، وتجرُّه إلى الطريق الموصلة إلى بيت سيِّده، وتقيمه عليها، وتحمله على سلوكها، ثم لا تزال تلطُف به مرة وتشتدُّ عليه أخرى، حتى يذعن أخيرًا لسلوكها. فهذا الوجه الثاني.

ثم بعد قيامه أو إقامتك إياه على رأس الطريق قد تنعتُ له الطريق من هناك إلى بيت سيِّده. فهذا الوجه الثالث.

وقد تتقدَّمه، وتسير معه، تدلُّه على الطريق، تاركًا الخيرة له في كل موضع. فإن استمرَّ على موافقتك لم تفارقه حتى توصله إلى بيت سيِّده. وإن أدركه الحمق في بعض الطريق، فأبى إلا الخروج منها، تركتَه وشأنَه. فهذا هو الوجه الرابع.

وقد تتقدَّمه، وتسير معه أيضًا عازمًا أن تُوصِلَه ولا بدّ، فأنت تأخذه بالوعد والوعيد، وتُبعد عنه ما من شأنه أن يحمله على المخالفة، وتحرُسُه ممن يريد أن يُضِلَّه، وتَصرِفه عن المخالفة بالإكراه أو قريبٍ منه في بعض الأوقات. وهكذا حتى تُوصلَه. وهذا هو الوجه الخامس. والهداية إلى صراط الحق جارية على نحو هذا.

فالوجه الأول: يقع من الله عزَّ وجلَّ بإرساله الرسل، ومن الرسل ثم من أتباعهم بالدعوة.

قال تعالى لرسوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ**﴾ **[الشورى:٥٢-٥٣]** وقال سبحانه: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٧٣ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ۝٧٤**﴾ **[المؤمنون:٧٣-٧٤]**

والوجه الثاني: لا يكون إلا من الله سبحانه وتعالى بتصريفه قلبَ مَن يريد حتى يُدخله في الدين. ولو تركه واختيارَه لما فعَل. وهذا المعنى هو المراد في قول الله عزَّ وجلَّ:﴿**إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ**﴾**[القصص:٥٦]** وآيات أخر.

والوجه الثالث: من الله تبارك وتعالى بما أوحى إلى رسوله من البيِّنات في العقائد والأحكام، ومِن رسله، ثم من أتباعهم، بالبيان.

والوجه الرابع: إن كان فإنما يكون من الله تبارك وتعالى في حقِّ العبد الذي يكثر خلافه. والله أعلم.

والوجه الخامس: إنما يكون من الله تبارك وتعالى فيمن أراد به الخير، ولا يكاد يرجى ذلك إلا لمن يكون الغالب عليه الخير، وإنما تقع منه الفلتة بعد الفلتة.

والمؤمنون يسألون ربهم الهداية التامَّة، وهي الوجه الخامس، وهي المرادة هنا؛ ولذلك أخرج ابن جرير وغيره عن ابن عباس أنه قال في تفسيرها: يقول: أَلْهِمْنا الطريق الهادي[1]. والإلهام هو الإلقاء في القلب. ومعلومٌ أنَّ تصرفاتِ الإنسان كلها تبعٌ لما يقع في قلبه. فإذا كان الله تعالى يلهمه في كلِّ شيء حبَّ الحق والرغبةَ فيه، وبغضَ الباطل والنفرةَ عنه، جرت أعمالُه كلُّها على الحق. وذلك هو غاية الهداية على الوجه الخامس.

وقد تكون بإلقاء خاطر آخر كخوفٍ من الناس وحياءٍ منهم وتذكيرٍ لأمر آخر، أو بإنساء موعد، أو بإقامة مانعٍ يصرف الله تعالى بذلك عن المعاصي، وقد تكون بغير ذلك؛ فإنَّ التدبير بيده عزَّ وجلَّ، فلا يمكن إحصاءُ الأسباب. التي يهدي بها مَن أحبَّ هدايتَه.

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في معنى ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾:[2]]

(والصراط المستقيم: قال ابن جرير: "أجمعت الحجة من أهل التأويل جميعًا على أنَّ الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه[3]".

وقد اختلفت عبارات السلف في المراد به هنا.

فعن علي وابن مسعود[4] أنه كتاب الله. وجاء هذا مرفوعًا عن النبي – صلى الله عليه وسلم –[5].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦٦/١).

(٢) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١١٧/٧-١١٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٧٠/١).

(٤) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن من أهل مكة، من أكابر الصحابة فضلاً وعقلا، ومن السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة ٣٢هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١٨٣/٣)، الأعلام للزركلي (١٣٧/٤).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٧٣/١) وضعف الحديث محققو الطبري.

ورُوي عن جابر[1] وابن عباس وغيرهما، قالوا: هو الإسلام[2].

وعن أبي العالية[3] والحسن[4]: هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحباه من بعده أبو بكر[5] وعمر[6].

في عبارات أخر لا اختلاف بينها بحمد الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ امتثال ما في كتاب الله تعالى هو الإسلام، والذي كان عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وصاحباه هو الإسلام. هذا، وقد عُرِفَ أن لكل إنسان سيرة يسيرها في عمره في اعتقاده وأخلاقه وآدابه وأعماله وأقواله[7]، فهي طريقُه. فمن أَتبع في ذلك كلِّه كتابَ الله وسنةَ رسوله والسلف الصالح فهو على الصراط المستقيم. ومن أخلَّ في شيء من ذلك كان في طريقه من العِوج بمقدار إخلاله.

(١) هو جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام، أنصاري، سلمي، صحابي، شهد بيعة العقبة، وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة. أحد المكثرين من الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم، مات سنة ٧٨هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤٩٢/١) ، الأعلام للزركلي (١٠٤/٢).

(٢) انظر: المرجع نفسه (١٧٣/١، ١٧٥).

(٣) هو رفيع بن مهران، أبو العالية، الرياحي مولاهم البصري، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين، وكان ثقة ثبتا عند علماء الحديث، وتوفي عام ٩٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٧/٤)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٨٤/٣).

(٤) هو الحسن بن يسار البصري، تابعي، كان أبوه يسار من سبي ميسان، مولى لبعض الأنصار، ولد بالمدينة وكانت أمه ترضع لأم سلمة، رأى بعض الصحابة، وسمع من قليل منهم، كان شجاعا، جميلا، ناسكا، فصيحا، عالما، ومات سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٦٣/٤)، الأعلام للزركلي (٢٦٢/٢).

(٥) هو عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر، من تيم قريش، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم، من أعاظم الرجال، وخير هذه الأمة بعد نبيها، ولد بمكة، ونشأ في قريش سيدًا، موسرًا، عالما بالأنساب، مات سنة ١٣هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣٤/٦)، الأعلام للزركلي (١٠٢/٤).

(٦) انظر: المرجع نفسه (١٧٥/١).

(٧) (في الأصل: (واقو) لم يكمل كتابة الكلمة) قاله المحققون على مشروع المعلمي. انظر: مجموع آثار المعلمي (١١٨/٧).

ويمكنك أن تتصوَّر الصراطَ العامَّ الذي هو الإسلام، وتتصوَّر وسطه طريقًا للتقوى العامة، وتتصوَّر عن يمين طريق التقوى وشمالها طريقين للتقصير في الفضائل دون ما بعده، وعن يمين ذلك وشماله طريقين لارتكاب المكروهات، وعن يمين ذلك وشماله طريقين لارتكاب الصغائر دون ما بعده، وعن يمين ذلك وشماله طريقين لارتكاب الكبائر دون البدع، وعن يمين ذلك وشماله طريقين للبدع. وذلك حدُّ السِّراط يَمنةً ويَسرةً، وليس بعده إلا الكفر.

وتمام الكلام على هذا يطول، فله موضع آخر. وعسى أن أبسطه في الفرائد إن شاء الله تعالى[١]).

﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في أهمية أن يكون الدعاء على الصراط المستقيم والتحقق بما فيه:[٢]]

(هذا، والدعاءُ نفسه عملٌ ينبغي أن يكون على الصراط المستقيم. وذلك بأن يكون عن يقينٍ صادقٍ وافتقارٍ وخضوعٍ إلى غير ذلك. والذي يجب التنبيه عليه ههنا أن يكون الداعي باذلًا جهدَه في حصول ما يدعو به ساعيًا في تحصيل أسبابه العادية جهده. فقارئ الفاتحة إذا كان بغاية الحرص على تعرُّف الصراط المستقيم لازمًا جهدَه ما عرف منه، متباعدًا عن خلافه، مؤثِرًا له على هواه؛ وسلطانُ الهوى شديدٌ، ومسالكُه كثير فبشِّرْه بالإجابة إذا قال: اهدنا السراط المستقيم.

وأرى أنَّ الله تبارك وتعالى نبَّهنا على هذا، وأجاب هذا الدعاء في الجملة، فهدانا نوعًا عظيمًا من الهداية بقوله سبحانه: ﴿صِرَاطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]. فإنَّ هذا وإن كان من تتمة الدعاء، ولكن هذه سنَّة معروفة للأذكار والأدعية الواردة في الكتاب والسنة، كما في دعاء الاستغفار الثابت في الصحيح: "سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك"[٣]. فلا بدَّ أن يعرف الإنسان معاني هذه الكلمات، ويتحقق بها،

---

(١) (لم أجد (الفرائد) المشار إليها في الأصل) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٢) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١١٨/٧-١٢١).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الأدب، باب: في كفارة المجلس، (٢٢٣/٧) (ح: ٤٨٥٩)، =

وإلا كان كاذبًا. مثلًا إذا لم يعزم التوبة، فكيف يقول: "وأتوب إليك"!

وكذلك في الحديث الآخر في "صحيح البخاري" عن النبي - صلى الله عليه وسلم - "سيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهمَّ أنتَ ربِّي [لا إله إلا أنت] خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ"(١). فإذا كان الداعي لهذا مخِلًّا بما يستطيعه مما عاهد عليه ربَّه، ووعد من نفسه من الطاعة والاتباع؛ فكيف يقول هذا!

وكذلك إذا تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام:١٦٢] أو دعا بها في الافتتاح مع أنَّ الظاهر أن المعنى: لله أصلِّي، ولله أنسُكُ، ولله أحيا، ولله أموت فمن كان يحيى ليأكل ويشرب ويلهو ويلعب في معصية الربِّ، فكيف يقول هذا! وكذلك من كان يكره أن يموت في سبيل الله، وله هوى أو عصبية أو غير ذلك، ولا يكره أن يموت في الدفع عنها.

فهذه الأذكار والأدعية وأمثالها، فيها تنبيهٌ للعبد وحملٌ له على أن يُجهد نفسَه أولاً على التحقُّق بما فيها، وعلى الأقلِّ يعقدُ عزمَه وهمتَه، ويُخلِصَ نيتَه للتحقُّقِ بذلك في الحال والتزامِه في الاستقبال، ثم يقولُها.

ففي قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] تنبيهٌ لنا أنَّ على المسلم أن يكون حريصًا على اتِّباعِ المنعَمِ عليهم ومخالفةِ المغضوبِ عليهم والضالِّين. فإذا كان ذلك وتلا الفاتحة، وذكر ما فيها من الدعاء، كان شرطُه - وهو بذلُ وسعِه فيما يستطيعه مما دعا به - حاصلًا، فيستحقُّ الإجابة. وإلَّا كان بمنزلة من يرى حريقًا في جانب البلد، وهو يقدر على أن يباعدَ نفسه عنه، فلا يفعل، بل يقتصر على الدعاء؛ فكيف إذا كان يسعى إلى الحريق، ويدنو منه، ويقول مع ذلك: اللهمَّ باعِدْني عن الحريق!

وأما ما في قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾[الفاتحة:٧] إلخ من الهداية، فهو الدلالة

= عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، وصحح إسناده محققاه، والترمذي في جامعه، في كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا قام من المجلس، (٥/٤٩٤) (ح: ٣٤٣٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار، (٦٧/٨) (ح: ٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

على أنَّ الصراط المستقيم هو سراطُ هؤلاء دون أولئك. وهذا أصل عظيم، ولا سيما بعد القرن الأول؛ فإنَّ البدع والضلالات انتشرت وأُلصِقت بالدين، وأصبح كثير منها عند كثيرٍ من الناس، أو أكثرِهم، حتى كثيرٍ من المشهورين بالعلم والولاية هو من نفس الدين، بل من صلبه! بل عند جماعة منهم هو الدين! وتمييزُ هذا بمجرد العقل والاستحسان، أو بالنظر في كتب المتأخرين، أو بسؤال أكثرهم لا مطمع فيه. وإنما يتميَّز ذلك بالرجوع إلى صراط المنعَم عليهم.

وكذلك مناظرةُ أصحاب البدع لا تكاد تغني شيئًا إلا بالرجوع إلى هذا الأصل).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في جواب إشكال التفصيل في وصف الصراط المستقيم مع أنه لا يخفى على الله سبحانه وتعالى:[(١)]]

(وبما ذكرته من التنبيه والهداية يندفع إشكالٌ ليس بالهيِّن. وهو أن يقال: إن المتبادر إلى الفهم أنَّ مثل هذا التركيب إنما يُقصَد به بيانُ الصراط المستقيم وتمييزُه حتى يتبيَّن للمخاطب ولا يشتبه عليه. وهذا محال هنا[(٢)]، لأن الله تبارك وتعالى عالم الغيب والشهادة، فإذا دعاه العبد بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾[الفاتحة:٦] فهو سبحانه أعلم به. فما الحاجة إلى البيان والتمييز؟

وقد علمتَ بحمد الله أنَّ الأمر هنا بالعكس، وإنَّما هذا في المعنى بيان من الله عزَّ وجلَّ، أراد أن يُبيِّن للتالي ويُميِّز له ما هو الصراط المستقيم، فتدبَّرْ).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في إعراب ﴿صِرَٰطَ﴾:[(٣)]]

(وقد ذكروا في إعراب ﴿صِرَٰطَ﴾ أنه بدل من ﴿ٱلصِّرَٰطَ﴾ قالوا، والعبارة للبيضاوي: "وهو في حكم تكرير العامل من حيث إنه المقصود بالنسبة. وفائدته: التوكيد والتنصيص على أنَّ طريقَ المسلمين هو المشهودُ عليه بالاستقامة، على آكدِ وجهٍ وأبلَغِه، لأنه جُعِل كالتفسير والبيان له ... [(٤)]".

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٢١/٧).

(٢) (في الأصل: (هذا) سبق القلم.) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٢١/٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٢١/٧-١٢٢).

(٤) انظر: تفسير البيضاوي (٧٣/١-٧٤).

قال الشيخ زاده(١): " ... وأنه علم في الاتصاف بها، لأنه لو لم يكن كذلك لما صحَّ جعلُه كالتفسير والبيان للصراط المستقيم، وكالمزيل لما فيه من الإجمال والإبهام(٢)".

أقول: أما النكتة الأولى، فقد يعارضها ما اشتهر عندهم أن البدل على نية الطرح والرمي.

وأما الثانية: فيقال لهم: وما فائدة هذا التنصيص هنا؟

والحاصل: أنَّ القوم عرفوا أنَّ الظاهرَ هو التفسير والبيان وإزالةُ الإجمال والإبهام، ولكنهم رأوا أن هذا لا يصح في خطاب الله عزَّ وجلَّ، فتكلَّفوا ما سمعتَ. وقد علمتَ ما عندي، والله يتولَّى هداك!).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان المنعم عليهم:(٣)]

(هذا، وقد اختلفت عبارات السلف في بيان مَن هم المنعَم عليهم.

فعن ابن عباس: أنهم الملائكة والنبيُّون والصدَّيقون والشهداء والصالحون(٤).

وهذا مأخوذ من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۝٦٦ وَإِذًا لَّأٓتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٦٧ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٦٨ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٦ – ٦٩].

وعن ابن عباس أيضًا: أنهم المؤمنون(٥).

وعن الربيع(٦): النبيون(٧).

---

(١) هو محمد (محيي الدين) بن مصطفى (مصلح الدين) القوجوى، مفسر، ومن فقهاء الحنفية، له من الكتب: (حاشية على أنوار التنزيل للبيضاوي) و (شرح الوقاية) في الفقه، وتوفي عام ٩٥١هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/٩٩)، معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٣/٧٢١).

(٢) انظر: حاشية شيخ زاده (١/٩٦).

(٣) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (٧/١٢٢–١٢٤)، وانظر: المرجع نفسه (١١/٥٨٠–٥٨١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١/١٧٨).

(٥) انظر: المصدر نفسه.

(٦) هو الربيع بن أنس، البكري، البصري ثم الخراساني، روى عن أنس بن مالك وأبي العالية، وروى عنه أبو جعفر الرازي والأعمش، وكان عالم مرو في زمانه، قال النسائي عنه: ليس به بأس، وتوفي سنة ١٣٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/١٦٩)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٣/٢٠٧).

(٧) انظر: المصدر نفسه.

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[١]: أنهم النبي - صلى الله عليه وسلم ومَنْ معه[٢].
وقد مرَّ عن أبي العالية والحسن ما يفيد أنهم النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر.

أقول: لا تخالُفَ بحمد الله بين هذه الأقوال. فأما في مقام الدعاء، فهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وكلُّهم مؤمنون مسلمون لربِّهم عزَّ وجلَّ.

ومن قال: النبيون، فلأنهم الأصل.

وأما في مقام التنبيه على الاتباع والبيان، فعلى التالي أن ينظر من يعرف بسيرتهم من المنعَم عليهم قطعًا، فيتأثرها. فإنه إذا علم أنَّ فلانًا من المنعَم عليهم قطعًا، فلا بدَّ أن يكون صراطُه هو صراطَ جميعهِم، وهو الصراط المستقيم. فقد سمَّى الله تعالى لنبيِّه جماعةً ممن قبله من الأنبياء، ثم قال: ﴿**فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ**﴾ **[الأنعام: ٩٠]**.

وأما أصحابه - صلى الله عليه وسلم -، ورضي عنهم، فقد علموا أنَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - منعَم عليه قطعًا، وأنَّ صراطَه هو صراطُ المنعَم عليهم، وأنه الصراط المستقيم، فكان التنبيه في حقهم والدلالة على اتباعه.

وهكذا من جاء بعدهم. ويزاد في حقِّهم بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابُه الذين تحقَّق أنهم منعَم عليهم. فإذا لم يُعرَف الحكم أو السنة أو الأدب أو نحو ذلك من الكتاب والسنة نُظِرَ في إجماع الصحابة. ولذلك خصَّ أبو[٣] العالية أبا بكر وعمر لِتيسُّر معرفةِ إجماع الصحابة في عهدهما. وإذا لم يكن إجماعٌ فقولُ الواحد من الصحابة، فقولُ الصحابي أولى من غيره، ولا سيَّما من قامت الحجة على أنه بخصوصه من المنعَم عليهم كالخلفاء الأربعة وغيرهم. وقِسْ على هذا.

ومن إجماعهم: تركُهم لكثير من الأمور التي انتشرت بين المسلمين بعدَهم على أنها من

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر وصفوان بن سليم، وعنه ابن وهب وعبد الرزاق ووكيع، تكلم فيه علماء الحديث وضعفوه، وولاه يزيد على مكة، وتوفي عام ٦٥هـ. انظر: تهذيب التهذيب (١٦١/٦)، الأعلام للزركلي (٣٠٧/٣).

(٢) انظر: المصدر نفسه (١٧٩/١).

(٣) (في الأصل: (أبا العالية)، سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٢٣/٧).

الدين. فنقول: هذا الفعل بدعة؛ لأنه لم يكن في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه. ولو كان من الدين لما اتَّفقوا على تركه. والله أعلم).

﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة:٧]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في ما ورد على (غَيْرِ) من التعريف والتنكير:(١)]

(قال أهل العربيّة: إن كلمة "غير" لا تتعرف بالإضافة إلى المعرفة لتوغُّلها في الإبهام. واستثنى جماعة من محققيهم(٢) ما إذا وقعت بين متضادين معرفتين، وذلك لزوال الإبهام؛ وهي ههنا كذلك(٣).

فمن قال: لا تتعرَّف، حمَلَها في هذا الوضع على أنها بدل من "الذين". وإبدالُ النكرة من المعرفة جائز عند البصريين بشرط حصول الفائدة.

وقال الكوفيون: لا يجوز إلا إذا اتَّحد اللفظُ ونُعِتت النكرةُ (٤)، كما في قوله تعالى: ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦﴾ [العلق: ١٥، ١٦].

وقال جماعة – وعليه جرى ابن جرير–: إن الموصول مع صلته يضعف تعريفه، فيصح إبدالُ النكرة منه(٥).

وقال بعضهم: هي نعت لِ "الذين"(٦)، إما بأن تكون هي معرفة لوقوعها بين متضادَّين معرفتين، وإما لضعف تعريف الموصول.

والذي يظهر أنه على فرض أن "غير" لا تتعرف بوقوعها بين متضادين معرفتين، فعلى الأقل تقرب من المعرفة. فهي قريبة من المحرفة(٧)، و"الذين" بصلته قريب من النكرة، فالتقيا،

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٢٤/٧–١٢٥).

(٢) كالسيرافي. انظر: توضيح المقاصد للمرادي (١٩١/١).

(٣) انظر: المرجع نفسه، وحاشية الصبان على شرح الأشموني (٢٢٨/٢).

(٤) انظر: توضيح المقاصد للمرادي (١٠٤٢/٢).

(٥) انظر: تفسير ابن جرير (١٨٠/١).

(٦) نسب إلى سيبويه. انظر: روح المعاني للألوسي (٩٤/١).

(٧) كذا في مجموع آثار المعلمي (١٢٥/٧) ولعل الصواب (المعرفة).

فيصح البدل والنعت.

هذا، والأولى هنا البدل، لأن البصريين - والاعتماد عليهم - لم يشترطوا له إلا حصول الفائدة. وصحته هنا قائمةُ الحجةُ بها على الكوفيين بما ذكرنا).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في أهمية اجتناب ما عليه المغضوب عليهم والضالون:(١)]

(هذا، والفائدة على نحو ما تقدم. أي أنَّ في هذا تنبيهًا للمؤمنين على أخذ أنفسهم باجتناب ما عليه المغضوب عليهم والضالُّون.

وفيه هدايةٌ لهم بأنَّ المغضوب عليهم والضالِّين وإن كانوا في الأصل أو بزعمهم متَّبِعين صراطَ الأنبياء المنعمَ عليهم، فهم أنفسُهم غيرُ منعَم عليهم، فطريقُهم مخالفٌ لصراط المنعَم عليهم، فهو مخالفٌ للصراط المستقيم).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في حكمة عدم التصريح بفاعل الغضب سبحانه:(٢)]

(وقوله: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ كان الظاهر أن يقال: الذين غضبتَ عليهم. ومن الحكمة - والله أعلم - في العدول عن ذلك هنا أنَّ الفاتحَة سورةُ رحمةٍ مكرَّرةٍ وحمدٍ وثناءٍ، والتصريحُ بنسبة الغضب [إلى](٣) الله تعالى لا يساعد ذلك في بادي النظر، وإن كان غضبُ الله على من غضِبَ عليه هو من لوازم الرحمة العامَّة، وهو مقتضٍ لحمد الله تعالى عليه؛ لأنه مع صرف النظر عن الرحمة العامَّة مقتضى الحكمة البالغة.

ومن الحكمة في ذلك - والله أعلم - تنبيهُ المتدبِّر على أنَّ المدار على الرحمة، وأنَّ الغضب كالعارض. ولذلك اشتَقَّ اللهُ لنفسه أسماءً من الرحمة والرأفة ونحوها، ولم يشتقَّ لنفسه اسمًا من الغضب. وفي "الصحيحين" في الحديث القدسي: "إنَّ رحمتي سبقت غضبي"(٤).

ومن الحكمة - والله أعلم - تعليمُ العبادِ حسنَ الأدب مع ربِّهم عزَّ وجلَّ، فلا ينسبون إليه تصريحًا ما قد يُوهِم.

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٢٥/٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٢٦/٧).

(٣) إضافة من المحققين يقتضيها السياق. انظر: آثار المعلمي (١٢٦/٧).

(٤) قد مر تخريجه.

ومنها - والله أعلم - تأنيسُ المؤمن؛ لأنه إذا تلا هذه السورة متدِّبرًا حقَّ التدبُّر، فقد صار على حالٍ عظيمةٍ من الخضوع والتعظيم لربِّه عزَّ وجلَّ والتوحيدِ والحرصِ على الاهتداء واتباعِ الصراط المستقيم وصدقِ الإقبال على ربه عزَّ وجلَّ وغير ذلك، فاستحقَّ إيناسَه بأن لا يقع بعد ذلك كلِّه تصريحٌ بنسبة الغضب إلى ربِّه عزَّ وجلَّ. فإنْ تدبَّر وعرَفَ أنَّ المعنى على ذلك آنسه العدولُ عن التصريح لما فيه من التنبيه على الحِكَم المذكورة).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في معنى الضلال:[(١)]]

وقوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي وغيرِ الضالِّين. والضلالُ خلاف الاهتداء. فالمعنى: وغيرِ الذين ضلُّوا عن سبيل الحق.

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في حكمة عدم التصريح بفاعل الإضلال سبحانه:[(٢)]]

(ولم يقل: "ولا الذين أضللتَ"، لنحو ما تقدَّم، وللتنبيه على أنَّ أصلَ الضلال إنما يجيء من العبد نفسه، فأما إضلالُ الربِّ عزَّ وجلَّ لمن شاء، فإنما يقع عقوبةً لمن اختار الضلال لنفسه وأصرَّ عليه. قال تعالى: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [البقرة:٢٦].

وسيأتي - إن شاء الله تعالى - الكلام على ذلك[(٣)]).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان المغضوب عليهم والضالين:[(٤)]]

(هذا وقد جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وعن جماعة ممن بعده من الصحابة والتابعين أنَّ المراد بالمغضوب عليهم: اليهود، وبالضالِّين: النصارى[(٥)].

وفي القرآن ما يشهد لذلك. وهو الذي يقتضيه السياق، لأنه قد تقدَّم ذكرُ الذين أنعم الله

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (١٢٧/٧).

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) لم يجده المحققون في الأصل. انظر: آثار المعلمي (١٢٧/٧).

(٤) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة). (١٢٧/٧-١٢٨).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده (١٢٤/٣٢) (ح: ١٩٣٨١) وصححه محققوه، والطبراني في الكبير (٩٩/١٧) (ح: ١٣٩٢٥) كلاهما عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

عليهم، وبيَّن أنَّ رؤوسهم الأنبياء ثم أتباعهم وقد عُرف أنَّ اليهودَ كان أوائلُهم من أتباع الأنبياء كموسى وهارون، وكان فيهم بعد ذلك عدد من الأنبياء، وأنَّ النصارى من أتباع عيسى مع اتباعهم لموسى وهارون ومَن بعدهما، وأواخر الأمتين يزعمون أنهم كأوائلهم ومعروفون بين الناس أنهم في الجملة من أتباع الأنبياء فقد يُتوهَّم دخولُ اليهود والنصارى في المنعَم عليهم، فربَّما يحمل ذلك على اتباعهم في بعض الأشياء توهُّمًا من الصراط المستقيم. هذا مع كثرة ملابسة المسلمين لهاتين الأمتين.

فاقتضت الحكمةُ أن يبيِّن الله عزَّ وجلَّ لعباده خروجَ اليهود والنصارى عن المنعَم عليهم، وبيِّنٌ سببُ ذلك، وهو أنَّ اليهود خرجوا في الواقع عن الصراط المستقيم الذي كان عليه موسى وهارون ومَن بعدهما من الأنبياء خروجًا أوجَبَ عليهم الغضبَ، وأنَّ النصارى خرجوا عن الصراط المستقيم الذي كان عليه عيسى والأنبياء من قبله، وضلُّوا الضلالَ البعيدَ. فعُلِمَ بذلك أنَّ ما هم عليه مخالفٌ للصراط المستقيم وأنَّ ما بأيديهم من الكتب لا يوثق بها. وزعم جماعة من المتأخرين أن الأَولى حملُ المغضوب عليهم والضالين على العموم، أي كُلِّ مغضوب عليه وكلِّ ضالٍّ[١].

وأقول: لا حاجة إلى هذا؛ لأنه مع مخالفته للمأثور، ومخالفته للسياق، وإخلاله ببعض الفوائد المتقدمة، ليس فيه فائدة. على أنَّ حاصله حاصلٌ أيضًا مع التفسير المأثور، فإنه إذا عُلِمَ أنَّ اليهودَ مغضوبٌ عليهم، لا منعَم عليهم، فصراطُهم مخالفٌ للصراط المستقيم، فعلى المسلم الحذرُ مما هم عليه؛ وأنَّ النصارى ضالُّون غيرُ منعَم عليهم، فكذلك كان في ذلك تنبيه[٢] على أنَّ كلَّ من تحقَّق أنه مغضوب عليه أو ضالٌّ، فالحال فيه كذلك. والله الموفق، لا إله إلا هو).

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (١/٩٦).

(٢) (في الأصل: "تنبيهًا"، سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي (٧/١٢٨).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في صفة الغضب لله سبحانه وتعالى:[(١)]]

(قال ابن جرير: "اختُلِف في صفة الغضب من الله جلَّ ذكرهُ، فقال بعضهم: غضبُ الله على من غضِبَ عليه من خلقه إحلالُ عقوبته بمن غضِبَ عليه ... وقال بعضهم: غضبُ الله على من غَضِب عليه من عباده ذمٌّ منه لهم [ولأفعالهم][(٢)] وشتمٌ منه لهم بالقول. وقال بعضهم: الغضب معنى مفهوم كالذي يُعرف من معاني الغضب، غيرَ أنه وإن كان كذلك من جهة الإثبات، فمخالفٌ معناه [منه] معنى ما يكون مِن غضب [الآدميين] الذين يُزعجهم ويُحرِّكهم ويَشُقُّ عليهم ويؤذيهم، لأنَّ الله جلَّ ثناؤه لا تحلُّ ذاتَه الآفاتُ، ولكنه له صفة، كما العلمُ له صفةٌ، والقدرة له صفة، على ما يُعقَل من جهة الإثبات، وإن خالفتْ معاني ذلك معانيَ علوم العباد، التي هي معارف القلوب وقواهم التي تُوجَد مع وجود الأفعال وتُعدَم مع عدمها"[(٣)].

أقول: القولان الأولان كأنهما لبعض معاصريه أو متقدِّميه قليلاً ممن خاض في هذه الأشياء. فأمَّا السلفُ فلم يشتبه عليهم الأمر، لأنَّ معنى الغضب في حدِّ ذاته معنى مكشوف، والعرب تفهمه مطلقًا، ثم تنسبُه وتفهم نسبتَه إلى من اتصف به على حسب ما يليق به. وقد علموا أنَّ الربَّ عزَّ وجلَّ ليس من جنس خلقه، فلا يفهمون من نسبة الغضب إليه سبحانه أنَّ غضبه كغضب الإنسان من كل وجه، حتى يلزمَه كلُّ ما يلزم غضبَ الإنسان.

ومَن تأمَّل المواقع التي نُسب الغضبُ فيها إلى الربِّ عزَّ وجلَّ في الكتاب والسنَّة علم أنَّ غالبها لا يحتمل التأويل. والله الهادي إلى سواء السبيل).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في تضمن الفاتحة للربوبية المستلزمة للألوهية][(٤)]

(إن كلَّ آيةٍ ذكر الله تعالى بها نفسه بأنه الخالق أو الرازق أو غير ذلك من نعوت

---

(١) انظر: آثار المعلمي (تفسير سورة الفاتحة) (٧/١٢٩-١٣٠).

(٢) ما بين الحاصرتين هنا وفيما يأتي من فعل المحققين على آثار المعلمي. (٧/١٢٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٨٨-١٨٩).

(٤) انظر: آثار العلامة المعلمي (العبادة) (٣/٧٢١).

الكمال، وكان مساق الكلام على إقامة الحجَّة على المشركين، فهي من هذا القبيل؛ إذ لو لم يكن المشركون يقرُّون بأن الله عزَّ وجلَّ هو وحده فالق الإصباح وجاعل الليل سكنًا إلخ، لكان ذكر ذلك دعوى فقط لا تكون حجَّةً عليهم في إبطال شركهم، والحكيم لا يحتجُّ بما هو دعوى مجرَّدةٌ.

ومن هذا القبيل: الفاتحة، فلولا أن المشركين يعترفون بأن الله عزَّ وجلَّ ربُّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لما كان في ذلك حجَّةٌ عليهم، يَثبُت بها ما تضمَّنه قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥**﴾ [الفاتحة:٥].

فإن قلت: فإنهم لا يؤمنون بيوم الدين، قلت: لكنهم لو قيل لهم: إذا فُرِض أن يوم الدين حقٌّ، فمَن يكون مالكه؟ لقالوا: الله.

فتدبَّر هذا المعنى حقَّ تدبُّره، ثم اقرأ القرآن تجدْه مملوءًا بالحجج على أن المشركين كانوا يعترفون بالله عزَّ وجلَّ وصفاته، وإنما نازعوا في انفراده باستحقاق العبادة، والله أعلم).

سورة البقرة

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في ترابط سورة الفاتحة بالبقرة](١)

(سورة الفاتحة ارتباط آياتها ظاهر، وارتباطها بسورة البقرة سيأتي – إن شاء الله تعالى – بيانه عند الكلام على الآية (١٤٢) من البقرة(٢).

وأيضًا، النتيجة المطلوبة في الفاتحة: هداية الصراط المستقيم، صراط المنْعَم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

وفي أول البقرة: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝**﴾[البقرة:٢]، ثم بيَّن فيها أحوال الفرق الثلاث، فكأنه في سورة البقرة شرع في إجابة الدعاء الذي في الفاتحة من وجهٍ، والله أعلم).

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في ترابط آيات البقرة:](٣)

(بدأ الله – عزَّ وجلَّ – بذكر القرآن، ووصفه بأنه لا ريب فيه وأنه هدى؛ فاقتضى ذلك قسمة الناس إلى قسمين: مهتدٍ، وغير مهتدٍ.

فقدَّم سبحانه وتعالى المهتدين لفضلهم، وبيَّن صفتهم إلى تمام خمس آيات، ختمها ببيان ثوابهم إجمالًا، وهو قوله: ﴿**وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝**﴾.ثم عقبه بذكر غير المهتدين، وقسمهم إلى قسمين: كافر صريح، ومنافق.

وقدَّم الكافر لأمرين:

---

(١) انظر: آثار المعلمي (١٣٩/٧).

(٢) تناسب السور مبني على القول بأن ترتيب السور توقيفي، والتناسب بين الآيات أو السور مما اختلف فيه أهل العلم:

-فكثير من العلماء -إن لم يكن أكثرهم- يعده علما عزيزا شريفا يشرع تطلبه والبحث عنه.

-وبعضهم جعله من التقول على الله بلا علم، ولا ترابط بين آيات نزلت بحسب الوقائع المختلفة.

-ولعل الأقرب –والله أعلم- القول الأول لكن بشروط مشابهة أو مطابقة للتفسير بالرأي، فمنها أن لا يجزم بأن المناسبة هي مراد الله، وأن تنسجم مع السياق، وأن لا يتكلف تطلبها في كل موضع مع اليقين بأن الله له حكمة فيها لكن قد تعزب عنا.

انظر: البرهان للزركشي (٣٥/١-٥٢)، الاتقان للسيوطي (٣٦٩/٣-٣٨٩)، علم المناسبات في السور والآيات لبازمول (ص:٣٢-٣٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي (رسالة ارتباط الآيات في سورة البقرة) (١٣٩/٧-١٨٦).

الأول: أنه أقل شرًّا من المنافق.

والثاني: لأنه في الطرف الآخر من الأقسام، والمنافق مذبذب، كما تقول: "طويل، وقصير، ومتوسط".

فبيَّن تعالى صفة الكافر في آيتين (٦ - ٧) ختمهما ببيان عقوبتهم إجمالًا، وهو قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾[البقرة:٧]

ثم عقَّبه بذكر المنافقين، فذكر وصفهم في ثلاث آيات (٨ - ١٠) ذكر في آخرها عقوبتهم إجمالًا، وهو قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[البقرة:١٠].

وخُصَّ الأولون بـ ﴿عَظِيمٌ﴾ لعظمة ذنبهم ظاهرًا لمجاهرتهم. والمنافقون بـ ﴿أَلِيمٌ﴾ لأنَّ كفرهم غير عظيم في الصورة، ولكنه أشد ضررًا وإيذاءً، وذلك يناسب الإيلام.

ولما كان من المنافقين ذنبان: أحدهما الكفر الذي هو التكذيب، وثانيهما: الكذب بيَّن الله تعالى أنهم يستحقون على كل منهما عذابًا أليمًا. فنبَّه على الأول بقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكَذِّبُونَ ۝١٠﴾[البقرة:١٠]على قراءة من قرأ بالتشديد، وعلى الثاني بقوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾[البقرة:١٠]على قراءة من قرأ بالتخفيف[1].

ولما كان كذبهم لم يتقدم منه إلا قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة:٨]، وقد أراد الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله: ﴿يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾[البقرة:١٠] ما هو أعمُّ من ذلك، وقد تقدم في وصفهم: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[البقرة:٩] ، وهذا مجمل اقتضت الحكمة أن يفصل كذبهم ومخادعتهم، خصوصًا والسورة مدنية، وفتنة المنافقين بالمدينة، وذلك يقتضي الإفاضة في شأنهم. فبيَّن الله عَزَّ وَجَلَّ كذبهم ومخادعتهم، وأفاض في شأنهم إلى تمام عشرين آية من السورة (١١ - ٢٠). ثم وجَّه الله عَزَّ وَجَلَّ الخطاب إلى عامة الناس - الشامل للثلاث الفرق - بالأمر بعبادته، أي: وحده، كما يدل عليه السياق، ونبهنا على حكمة عدم التصريح به في الفوائد[2]. وبيَّن مقتضيات إفراده بالعبادة في آيتي (٢١ - ٢٢)، ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا

---

(١) قرأ الكوفيون بفتح الياء مخففا والباقون بضمها مشددا. انظر: التيسير للداني (ص: ٦٠)، والتحبير لابن الجزري (ص: ٢٨٢).

(٢) (لم نجدها في الأصل). قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر(٧/١٤١).

عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾[٢٣ - ٢٤].

وهذا مع اتصاله بما قبله مرتبط بأول السورة: ﴿الٓمٓ ۝١ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَ﴾[١ - ٢].

وهذا من عجائب القرآن: تجد السورة كالشجرة لها أصل ولها فروع، فإذا طال فرع من الفروع، وانتهى منه، وأراد الشروع في فرعٍ آخر لم يكتف بالرجوع إلى الأصل، بل يربط أول الفرع الثاني بآخر الفرع الأول؛ فيكون الارتباط من جهتين.

ولما جاء في آية (٢٤): ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ۝٢٤**﴾، وكان فيه تفصيل لما أجمل سابقًا من عذاب الكفار والمنافقين في قوله: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾، ﴿عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ اقتضى الحال أن يفصل أيضًا نعيم المؤمنين الذي أجمل بقوله في أول السورة: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥﴾، ففصله في آية (٢٥)، وذكر فيها ثمر الجنة وتشابهه والأزواج المطهرة؛ ليرتبط بما بعده من قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا... ﴾ [آيتي: ٢٦ - ٢٧]؛ فإن الثمرة وتشابهها، والأزواج وطهارتها، يصدق عليهما أنهما مثل لنعيم الجنة. قال تعالى: ﴿**۞مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ**﴾ [الرعد: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ**﴾[محمد: ١٥].

هذا مع أن قوله: ﴿**۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا**﴾ [آية ٢٦] موجه بالذات إلى إنكار المنافقين المثلين المتقدمين فيهم في أول السورة - كما جاء عن ابن مسعود وجماعة من الصحابة[(١)]- ولكن لم يكتف بهذا الربط لما قدمنا.

---

(١) وهو أحد الأقوال في المعنى الذي أنزل الله بسببه هذه الآية وهو قول ابن عباس واختيار الطبري وابن كثير.

القول الثاني: أنه مثل ضربه الله للدنيا، أن البعوضة تحيا ما جاعت فإذا سمنت ماتت وكذلك هؤلاء الذين ضرب الله لهم هذا المثل، إذا امتلأوا من الدنيا ريا أخذهم الله. وهو قول الربيع بن أنس، وضعفه الألوسي إذ لا مناسبة له بما قبله.

القول الثالث: أنه قصد به أن الله لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئا ما قل منه أو كثر وهو قول قتادة واختيار البغوي والزمخشري والرازي.

انظر: تفسير الطبري (٣٩٩/١-٤٠١)، تفسير البغوي (١٠٠/١)، تفسير الزمخسري (١١/١-١١٢)، =

وعبر في آية (٢٦) بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ولم يقل: (نافقوا)، وإن كان السياق يبين أنهم المراد؛ لأمرين:

الأول: الإشارة إلى أن الكفار المصرحين قد يشاركون المنافقين في ذلك.

الثاني: أن يربط الآيتين بآية: (٢٨)، وهي قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ ، ولم يكتف بارتباطها بما قبل ذلك لما تقدم(١).

وقال في هذه الآية: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ...﴾، اختار هذه الأوصاف ليربط الآية بآية (٢٩) قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ...﴾[٢٩]، مع أن هذه الآية مرتبطة بقوله في آية (٢٢): ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ ثم قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً...﴾[٣٠]، وهذا مرتبط بما قبله من حيث خلق الناس، وخلق السماء والأرض.

ثم أفاض في قصة خلق آدم إلى آية: (٣٩)، وجاء في آيتي (٣٨ - ٣٩) ما هو من تمام القصة، ويصلح للارتباط بما بعده، وهو قوله: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة:٣٨-٣٩]. وبعده: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ... ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾[٤٠ - ٤١]. وارتباط ذلك بما قبله ظاهر؛ فإن بني إسرائيل ممن دخل تحت قسم الكفار الماضي أول السورة ثم المتكرر - كما بينًا - إلى أن ذكر متصلًا بهذه الآية.

وأيضًا، فقد مر أول السورة في صفة المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [آية ٤].

وأيضًا، فإن في صفة الجنة ما يتعلق بأهل الكتاب، فإنهم زعموا أن ليس فيها أكل ولا شرب ولا نكاح.

وكذا في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا...﴾ [آية ٢٦]إلخ؛ ففي "إنجيل متى"

= تفسير الرازي (١/٢٨٤)، تفسير ابن كثير (١/٢٠٧) تفسير الألوسي (١/٢٠٦).

(١) في الصفحة السابقة.

إصحاح (١٣): "١٠: فتقدم التلاميذ وقالوا له: لماذا تكلمهم بأمثال؟ ١١: فأجاب، وقال: لأنه قد أُعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات، وأما لأولئك فلم يُعطَ. ١٢: فإنَّ من له سيُعطى ويزاد، وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه".

وكذا في قصة خلق آدم ما يتعلق بأهل الكتاب، فإن القصة في كتابهم، وقد بدَّلوا فيها وحرَّفوا، ففيما تقدم تصديق القرآن ما معهم، مع إصلاح ما ضلُّوا عنه.

ومع هذا، فقوله هنا: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ﴾ [آية ٤١] في وصف الكتاب؛ فهو مرتبط بأول السورة.

وهنا احتمالان:

الأول: أن يكون قسم الكفار المتقدم شاملًا لأهل الكتاب، ثم خصَّهم بذكر هنا وفيما سيأتي(١)، لما يختصُّ بهم من العبر.

الثاني: أن يكون المراد بالكفار سابقًا المشركون خاصة، وأخَّر ذكر أهل الكتاب إلى هنا.

وعلى كل حال، فقد تمت الأقسام العقلية بالنسبة إلى الإيمان بالكتاب، وهي أربعة: مصدق ظاهرًا وباطنًا، وهم: المؤمنون.

مرتاب ظاهرًا وباطنًا، وهم: المشركون.

مصدق ظاهرًا فقط، وهم: المنافقون.

مصدق باطنًا فقط، وهم: أهل الكتاب. والله أعلم.

ثم أفاض في شأن بني إسرائيل، والارتباط ظاهر، إلى آية (١٠٣).

وأما آية (١٠٤): ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا**﴾

فارتباطها ببني إسرائيل أن العرب تستعمل هذه الكلمة بمعنى: انظرنا، وهي بلسان اليهود شَتْم؛ فكان الصحابة ربما خاطبوا النبي - صلى الله عليه وسلم - بها، بمعنى "انظرنا"، فاهتبلها(٢) اليهود، فكانوا يخاطبونه هم بها مُسرِّين في أنفسهم معنى الشتم، فنهى الله تعالى

---

(١) انظر: آية (١٠٩، ١٢١-١٤٢).

(٢) أي اغتنمها. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (هبل) (٣١/١١)، لسان العرب لابن منظور (هبل) (٦٨٧/١١).

المؤمنين عن مخاطبة النبي – صلى الله عليه وسلم – بها أصلًا؛ ليقطع دسيسة اليهود[1].

آية (١٠٥) ارتباطها بأهل الكتاب ظاهر. وأما بالآية قبلها فلأن إنزال الله تعالى الأمر بترك ﴿رَٰعِنَا﴾ واستبدالها بـ ﴿ٱنظُرْنَا﴾ خير أنزله الله، ولا بد أن يكرهه أهل الكتاب لحسمه دسيستهم.

ولما كان الحكم عامًّا ضمَّ إلى أهل الكتاب المشركين.

وفي الآية تمهيد لنسخ القبلة؛ فإن استقبال الكعبة من الخير والرحمة الذي اختص الله تعالى به المسلمين.

(١٠٦) قوله تعالى: ﴿۞مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾﴾:

ارتباطها بالذي قبلها من جهة أن المنع من قول ﴿رَٰعِنَا﴾ نسخ في الجملة، فإن قولها كان جائزًا قبل ذلك؛ بدليل إقرار النبي – صلى الله عليه وسلم – عليها مدة، ثم نسخ ذلك بالآية المتقدمة (١٠٤)، وذلك لما اتخذها اليهود وصلة إلى الاستهزاء.

ولها ارتباط بالآية التي قبلها؛ لما قدمنا أن فيها تمهيدًا لنسخ القبلة. ولها تعلق بالفرع، وهو شأن بني إسرائيل، من حيث إن فيها ردًّا عليهم لأنهم ينكرون النسخ. وهي مع ذلك متعلقة بأصل السورة، قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾[١ - ٢].

وفيها تمهيد لما يأتي من نسخ القبلة، وجعلت قبل ذلك بمدة حتى لا ينزل نسخ القبلة إلا وقد استقر في نفوس المسلمين حكم النسخ، واطمأنوا به، فلا يرد عليهم نسخ القبلة بغتة، فينفروا منه، والله أعلم.

فأما تمام الآية، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، فالذي يحضرني أنه يظهر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه رضي الله عنهم شقَّ عليهم النسخ؛ لأنه يفتح للكفار من أهل الكتاب والمشركين باب الشغب والطعن في القرآن[2]، كما يشير إليه ربط الآية بأول السورة، وربما يكون ذلك سببًا لامتناع جماعة عن الإسلام، أو ارتداد جماعة

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٦٠/٢)، العجاب لابن حجر (٢٤٣/١-٢٤٤).

(٢) انظر:تفسير القرطبي (٦١/٢)، العجاب لابن حجر (٣٤٧/١-٣٥٠).

من المسلمين. فسلَّى الله عزَّ وجلَّ رسوله - صلى الله عليه وسلم -بقوله: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، أي: فهو يقدر على هداية الناس جميعًا، ويقدر على منعهم من الشغب، ويقدر على إقامة البرهان على بطلان شغبهم، ويقدر على دفع ما خشيته من كون النسخ ربما يمنع جماعة من الإسلام أو حمل بعض المسلمين على الارتداد.

وأكد ذلك بآية (١٠٧) وقال في آخرها: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾، علاقتها بما قبلها أن من جملة ما خشوه أن يشغب عليهم الكفار، وأن يمتنع جماعة من الإسلام، ولو أسلموا لكثر المسلمون وتقوَّوا بهم؛ وأن يرتدّ بعض المسلمين، فيقلَّ المسلمون ويذلُّوا. فأخبرهم تعالى أنه ليس لهم ولي ولا نصير غيره، وإذًا فلا معنى لخشيتهم أن لا يكثر أولياؤهم وأنصارهم.

وعبَّر بضمير الجمع في هذا على معنى: لك ولأصحابك. وبذلك تتصل الآية بما بعدها.

آية (١٠٨): ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ خطابٌ للصحابة لتضمن قوله: ﴿لَكُم﴾ إياهم. ففي الآية هذه اللطيفة، وهو أنه بخطاب واحد وجَّهَ ما يناسب حال النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه، وما يناسب حاله وحال الصحابة إليهم جميعًا، وما يناسب أصحابه فقط إليهم فقط، وميَّز بين الأخيرين بالقرائن.

﴿تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ تشبيه السؤال بالسؤال في مطلق كون كل منهما سؤالًا فيه جرأة على الله تعالى وعلى رسوله - صلى الله عليه وسلم -. فالسؤال الذي أنكره الله على المسلمين يتناول أن يسألوه أن لا يقع في الشرع نسخ في القرآن ولا في الأحكام؛ لخشيتهم الأمور السابقة. وبهذا ظهر علاقة الآية بما قبلها.

وقوله تعالى في آخرها: ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ مرتبط بما قبله من جهتين:

الأولى: الإشارة إلى أن الإصرار على السؤال المذكور بعد أن نهى الله تعالى عنه كفر.

والثاني: تحذير الضعفاء أن يقع في أنفسهم ارتياب بسبب النسخ.

(١٠٩) ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ هذا يبين ما قدمنا أن الكفار طعنوا في القرآن والإسلام بسبب النسخ ليردُّوا المسلمين عن دينهم.

وإخبار الله عَزَّ وَجَلَّ المسلمين بهذا يحملهم على بغض أهل الكتاب وحب الانتقام منهم، فعقبه تعالى بقوله: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩﴾، فيقدر على أن يهديهم أو يهلكهم أو يسلطكم عليهم.

(١١٠) ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾

ارتباطها بما قبلها أن المعنى – والله أعلم –: أعرضوا عن أهل الكتاب، واشتغلوا عنهم بما كُلِّفتم؛ فإن اشتغالكم بذلك – مع ما فيه من الخير الذاتي – يغيظ أهل الكتاب ويحزنهم؛ لأنهم يكرهون لكم الخير، ويودون أن يردوكم عن دينكم، كما تقدم في آيتي (١٠٥) و (١٠٩).

وقوله: ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ...[١]﴾ تمهيد للرد على أهل الكتاب فيما ادعوه في آية (١١١). وبذلك علم الربط.

أمّا (١١٢) ظاهر[٢].

(١١٣) ارتباطها بما قبلها ظاهر أيضًا، وبيَّن بها اختلاف اليهود والنصارى تمهيدًا لما يأتي في شأن القبلة؛ فإن القبلة مما اختلفوا فيه، والمراد بالذين لا يعلمون: المشركون[٣].

(١١٤) ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ﴾

ارتباطها بما قبلها أننا قدمنا أن في الآية التي قبلها إشارة إلى شأن القبلة، وذكر المساجد في هذه الآية إشارة إلى المسجد الحرام. فقد ثبت أن استقباله وحجّه من شريعة إبراهيم وموسى، ولكن اليهود والنصارى لكونهم بني إسحاق حسدوا بني أخيه إسماعيل، فحرفوا

---

(١) (في الأصل: "وما تعملوا من خير ... "، وهو سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي (١٤٩/٧).

(٢) يتضح ذلك بقراءة الآيات (وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١١٢)[البقرة:١١١-١١٢])

(٣) وهو قول الجمهور كما نسبه إليهم القرطبي. انظر: تفسير الطبري (٥١٦/٢-٥١٧)، تفسير القرطبي (٧٦/٢).

آيات التوراة وبدَّلوها، وبذلك منعوا قومهم أن يحجوه فيذكروا الله فيه، وأن يستقبلوه. وسعوا في خرابه، أي بإنكارهم أن يكون له فضل أو مزية.

وَبَّخَهم سبحانه على جحدهم فضيلة المسجد الحرام، وحجه، واستقباله، بإشارة لا يتحققها إلا من قرأ التوراة، كرمًا منه تعالى؛ للمعنى الذي تقدم في آية (١٠٩) من الأمر بالعفو عنهم والصفح.

وقد بيَّن الله تعالى هذا في عدة آيات، منها قوله: ﴿...وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]. ومع هذا فالآية تشمل المشركين في إخراج المسلمين من مكة ومنعهم المسجد، وقد نبَّه على ذلك بذكر المشركين في الآية التي قبلها كما مر، والله أعلم.

فلما أمكن أن يقول أهل الكتاب، أو من قرأ التوراة من غيرهم، أو من أوغل في تدبر القرآن: فما بال محمد وأصحابه مع هذا يستقبل بيت المقدس؟

قال تعالى:آية (١١٥): ﴿**وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥**﴾

أي: فاستقبال موضع مخصوص ليس أمرًا مقصودًا لذاته، وإنما يتعيَّن الموضع المخصوص إذا عيَّنه الله عزَّ وجلَّ، فتجب طاعته. وقد أمر محمدًا وأصحابه باستقبال بيت المقدس لحكمةٍ يعلمها، فكان هو قبلتهم حينئذ طاعة لله تعالى، وذلك لا يقدح في كون الكعبة هي القبلة الأصلية. وبهذا علم الارتباط. ويؤيد التفسير المذكور آية (١٤٢) من هذه السورة.

(١١٦) ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ**﴾ القائلون هم اليهود والنصارى في عزير، والنصارى في عيسى، والمشركون في الملائكة.

وقد مر ذكر الثلاث الفرق في آية (١١٣)؛ فإن المراد بالذين لا يعلمون: المشركون. والله أعلم. وبهذا علم الارتباط.

(١١٧) ظاهر[1].

(١١٨) المراد بالذين لا يعلمون: المشركون، كما تقدم، وبالذين من قبلهم: اليهود، وكذا

---

(١) يتضح ذلك بقراءة الآيات: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧**﴾ [البقرة:١١٦-١١٧].

النصارى. والله أعلم. وبهذا علم الارتباط.

(١١٩) الآية ردٌّ عليهم في قولهم في الآية السابقة، وإرشادٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم - أن لا يحرص على إحداث آية، ومثله في القرآن كثير، والارتباط ظاهر.

(١٢٠) ظاهر[١].

(١٢١) ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾ ارتباطها بما قبلها ظاهر، والآية إشارة إلى كتمانهم شأن الكعبة ومحمد -صلى الله عليه وسلم-.

(١٢٢) و (١٢٣) مناشدة لأهل الكتاب أن لا يكتموا شأن الكعبة ومحمد - صلى الله عليه وسلم -.

(١٢٣) إلى (١٤١): بعد أن لاطفهم الله عَزَّ وَجَلَّ فيما تقدم بأن عاتبهم في شأن ما يعلمونه في الكعبة ومحمد - صلى الله عليه وسلم - بكلام لا يكاد يفهمه غيرهم، كما هي الطريقة المحمودة في النصيحة أن تكون سرًّا لم ينجع ذلك فيهم، فتعين أن يصارحهم ويكشف الغطاء عن حقيقة الأمر؛ فكان ذلك في هذه الآية وما بعدها. فظهر تمام الارتباط بحمد الله تعالى.

وذكر الفاضل المعلّم عبد الحميد الفراهي[٢] في كتابه "الرأي الصحيح في مَن هو الذبيح" - وهو كتاب نفيس - أن في الآيات إشارة إلى أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام، وأن الله تعالى لم يصرِّح بذلك عفوًا عن أهل الكتاب -كما قدمناه - وكراهية أن يؤدي التصريح به إلى فتح باب المناقشة في أمرٍ غيرُه أهمُّ منه. انظر التفصيل في الكتاب المذكور[٣].

(١٤٢) ﴿۞سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ

---

(١) يتضح ذلك بقراءة الآيات: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ١٢٠﴾[البقرة:١١٩-١٢٠].

(٢) هو عبد الحميد بن عبد الكريم، حميد الدين، الأنصاري، الفراهي، من علماء الهند المحققين الفضلاء، وله عدة رسائل في التفسير وعلوم القرآن كتفسير سورة الذاريات والتحريم والفيل، وتوفي -رحمه الله- في عام ١٣٤٩هـ. انظر: آثار المعلمي، مقدمة (رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل للمعلم عبدالحميد الفراهي) (٨/٦-١٢).

(٣) انظر: الرأي الصحيح (ص:٩٠ وما بعدها).

وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾:

ارتباطها بما قبلها ظاهر مما ذكرناه، فقد مهَّد الله تعالى للقبلة فيما قبل - ونبهنا على ذلك في آية (١٠٥) و (١٠٦) وغير ذلك بما ذكرناه - إلى أن أتم التمهيد بقصة إبراهيم عليه السلام.

وقوله في الآية: ﴿**يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ ظاهر في أنَّ الكعبة هي القبلة الأصلية.

وسيأتي في هذه السورة، وفي هذا السياق، عدة أحكام مما بدله أهل الكتاب، أو اختلفوا فيه، أو كان مشدَّدًا عليهم وخُفِّف عن هذه الأمة، أو نحو ذلك(١).

وربما يذكر مع بعضها ما يناسبه مما بدَّله المشركون من شريعة إبراهيم عليه السلام(٢). وذكر في أوائل هذا الباب هذه الجملة: ﴿**يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ **[١٤٢]**، وفي آخره: ﴿**فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾**﴾ **[٢١٣]**. وهذا كالتفصيل لقوله أول السورة: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ **[٢]**.

وبهذا علم ارتباط الفاتحة بسورة البقرة، وعلم صحة تفسير المغضوب عليهم والضالين باليهود والنصارى. والله أعلم.

(١٤٣) أولها بيان لاستحقاق هذه الأمة الهداية إلى الصراط المستقيم، وآخرها بيان لحكمة أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أولاً باستقبال بيت المقدس، مع أن الكعبة هي القبلة الأصلية.

وقوله: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ**﴾ أي: ومنه صلاتكم إلى بيت المقدس.

(١٤٤) الحكم باستقبال الكعبة، وفضيحة أهل الكتاب بأنهم يعلمون أنه الحق.

(١٤٥) الارتباط ظاهرٌ(٣).

---

(١) انظر: آية (١٧٨، ١٨٣، ١٨٩).

(٢) انظر: آية (٢٠٣).

(٣) يتضح ذلك بقراءة الآيات: ﴿**قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ**﴾ =

(١٤٦) إيضاح لمعرفة أهل الكتاب بأن استقبال الكعبة هو الحق.

(١٤٧) ظاهرٌ[(١)].

(١٤٨) يريد – والله أعلم –: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من المسلمين ﴿وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ في استقبال المسجد الحرام، فالشرقيُّ وجهته الغرب، والغربيُّ وجهته الشرق، وهكذا، فأنتم سواء في استقبال المسجد الحرام، وتختلفون بالأعمال، ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾. فتضمن هذا أمرين:

الأول: تفرقهم في البلاد.

الثاني: اجتماعهم في استقبال موضعٍ واحد.

فقال تعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ أي – والله أعلم –: أنكم متفرقون في البلاد، وقد جمعكم بتوجهكم إلى المسجد الحرام، وسيجمعكم بذواتكم يوم القيامة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وذكر الجمع الأخروي ههنا لمناسبة التفرق والجمع الحكمي وللحض على استباق الخيرات، فظهر الارتباط في الآية.

(١٤٩) و (١٥٠) الارتباط ظاهرٌ[(٢)].

(١٥١) أي – والله أعلم – جعلنا لكم قبلة في بلادكم ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ بلسانكم.

(١٥٢) ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ أي: فإن النعم المتقدمة تستدير منكم ذكري وشكري، على أن ذكركم وشكركم لا أخليه عن ثوابٍ جديد، ولا

= ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾)[البقرة: ١٤٤-١٤٥].

(١) يتضح ذلك بقراءة الآيات: (ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾)[البقرة: ١٤٦-١٤٧].

(٢) يتضح ذلك بقراءة الآيات: (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾)[البقرة: ١٥٠].

أكتفي بكونه لي في مقابل تلك النعم.

بيَّن هذا بقوله: ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾، واستغنى به وبآيات آخر عن أن يقول: "واشكروني أزدكم".

(١٥٣) يريد - والله أعلم -: استعينوا على الذكر والشكر المأمور بهما في الآية السابقة. وفي الحديث أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لمعاذ[١]: "إني أحب لك ما أحب لنفسي، فلا تترك أن تقول عند كل صلاة: اللهم أعِنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"[٢] أو كما قال.

ومناسبته للآية ظاهر[٣].

فأما الاستعانة بالصبر فظاهر، وأما الاستعانة بالصلاة فلأن من شرائطها وأركانها ما يساعد على ذلك. وأيضًا، فقد أخبر الله تعالى أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.

ولما أمرهم في هذه الآية بالصبر، وأخبر أنه مع الصابرين، ضرب لهم مثلاً لتلك المعية، وجعل المثل في أشرف مواطن الصبر وأشرف المعيَّات، وهو آية (١٥٤)، فالربط ظاهر.

(١٥٥) فصل فيها مواطن الصبر، وبيَّن فيها وفي آية (١٥٦) صفة الصبر الظاهرة، وهي الاسترجاع عند المصيبة.

وليس المراد - والله أعلم - قول هذه الكلمة مجرَّدًا، بل قولها مع استحضار معناها ورسوخه في القلب، وأن لا يعمل ما يخالفه، إلا ما أذن فيه الشرع مما يغلب الإنسان من البكاء بغير نَوح ولا صوت ولا شكوى.

---

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، صحابي جليل، إمام الفقهاء، وأعلم الأمة بالحلال والحرام، أسلم وعمره ثماني عشرة سنة، شهد بيعة العقبة، ثم شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة ١٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٤٣/١)، الأعلام للزركلي (٢٥٨/٧).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: فضائل القرآن، باب: في الاستغفار، (٦٣١/٢) (ح: ١٥٢٢)، وذكره محققه بأن إسناده صحيح، والنسائي في المجتبى، في كتاب: السهو، باب: نوع آخر من الدعاء، (٥٣/٣) (ح: ١٣٠٣)، كلاهما عن معاذ رضي الله عنه، لكن ذكره المؤلف بمعناه وإلا لفظه عند أبي داود (يا معاذ، والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك).

(٣) كذا في الأصل.

(١٥٧) ذكر فيها أجر الصابرين.

(١٥٨) قد مضى ذكر استقبال البيت الحرام، وآخر آية فيها ذكره (١٥٠). ثم فرع عن ذلك الامتنان بهذه النعمة، وذكر نعمٍ أخرى تشابهها وتتصل بها. ثم نبههم على شكر ذلك، وبيَّن لهم طريق الشكر، على حسب ما قدمنا. وفي هذه الآية (١٥٨) رجع إلى ما يناسب استقبال البيت ويتصل به ويشبهه في كتمان بني إسرائيل إياه، وتبديلهم له، وهدى الله سبحانه المسلمين إلى صراط مستقيم. راجع الكلام على آية (٢٤٢). وهذا الأمر هو شأن الصفا والمروة. وقد حقق هذا البحث المعلِّم عبد الحميد الفراهي في كتاب "الرأي الصحيح"، فانظره[1].

وقد مر قبل آيات ذكر إبراهيم عليه السلام، وفيها ذكر المناسك.

(١٥٩) ذكر فيها إثم الذين يكتمون ما أنزل من البينات والهدى. وعلاقتها بما قبلها ما قدمنا أن أمر الصفا والمروة مما كتموه.

(١٦٠) تتمة ما قبلها.

(١٦١) هي في معنى التعليل للآيتين قبلها؛ فإن في اللتين قبلها لعن الكاتمين لما أنزل إلا من تاب، وفي هذه أن من كفر ولم يتب بأن مات كافرًا استحق اللعن والخلود في العذاب. فكأنه قال: إن الكتمان المذكور كفرٌ، والإصرار عليه إلى الموت موت على الكفر، ومن كفر ومات على الكفر فهذا جزاؤه.

(١٦٢) تتمة لما قبلها.

(١٦٣) علاقتها بما قبلها أن الشر[2] كفرٌ، وقد مضى فيما قبلها ذكر الكفر وجزائه، وأبطل في هذه بعض أنواع الكفر، وهو الشرك.

ولها علاقة أمتن من هذه، وهو الإشارة إلى بني إسرائيل بأنهم لم يكتفوا من الكفر بكتمان ما أنزل الله، بل كفروا أيضًا بالشرك.

وقد بين تعالى هذا المعنى في آية (١٦٥) أي: عقب هذه الآية وتتمتها.

---

(١) انظر: الرأي الصحيح للفراهي (ص: ٥٤-٦٢، ٩٧-١٠٥).

(٢) كذا في المطبوع في مجموع آثار المعلمي (١٥٦/٧)، ولعل الصواب (الشرك) والله أعلم.

(١٦٤) تتمة للتي قبلها.

(١٦٥) بيان لنوع من الشرك، وهو شرك بني إسرائيل، كما صرح به تعالى في قوله: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. وقال تعالى لرسوله أن يقول لهم: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وفسَّر الصحابة وغيرهم هذه الآية - أعني (١٦٥) من البقرة - بمثل تفسير الآيتين المذكورتين: أن المراد بالأنداد المتبوعون من البشر، المطاعون في شرع الدين، ولا ينبغي أن يطاع فيه إلا الله تعالى(١). وجاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم - تفسير اتخاذهم أحبارهم ورهبانهم أربابًا بنحو ذلك(٢).

ويدل عليه آية (١٦٦) فإنها مبينة أن الأنداد هم المتبوعون. وكذا آية (١٦٧)؛ فإنها تتمة للتي قبلها.

(١٦٨) قد تبين أنّ في الآيات التي قبلها بيان أن طاعة غير الله تعالى في شرع الدين شرك. وفي هذه الآية النهي عن نوع من ذلك وقع فيه العرب وغيرهم وبدَّلوا شرع إبراهيم، كما بدل أهل الكتاب ما في الكتاب؛ وهو: تحريم ما أحل الله تعالى بغير سلطانٍ منه؛ وبيان أن ذلك من اتباع خطوات الشيطان أي: واتباعه في ذلك عبادة له، كما كان اتباع بني إسرائيل لأحبارهم ورهبانهم في نحو ذلك عبادة لهم. راجع الكلام على آية (١٤٢).

(١٦٩) تتمة للتي قبلها.

(١٧٠) بيان لتمام مشابهة المشركين لليهود، فإن المشركين يعرضون عما أنزل الله اتباعًا لآبائهم، كما أن اليهود يعرضون عما أنزل الله اتباعًا لآبائهم وأحبارهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٨٠).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة التوبة، (٥/٢٧٨) (ح: ٣٠٩٥)، وقال الترمذي: حديث غريب، وحسنه الألباني، والبيهقي في سننه الكبرى، في كتاب: آداب القاضي، باب: ما به يقضي القاضي ويفتي به، (١٠/١١٦) (ح: ٢٠٨٤٧) كلاهما عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(١٧١) بيانٌ لجهل المشركين في ذلك الفعل، وهو الإعراض عما أنزل الله تعالى مع دعاء الرسول إليه اتباعًا لآبائهم.

(١٧٢) تحذير للمؤمنين أن يصنعوا كما صنع الكفار من تحريم ما أحل الله تعالى، وبيان أن ذلك شرك.

(١٧٣) تفصيل لما حرمه الله؛ ليقف المؤمنون عنده فلا يحرموا غيره بغير سلطان من الله تعالى.

(١٧٤) وعيدٌ للذين يكتمون ما أنزل الله تعالى في الكتاب من الحلال والحرام وغيره، وهو شاملٌ لأهل الكتاب وغيرهم. وكأن أهل الكتاب - والله أعلم - كانوا يعلمون من الكتاب بطلان تحريم ما حرمه المشركون ويكتمونه.

وثَمَّ ارتباط أقوى من هذا، وهو أنه عدَّ في الآية السابقة في المحرمات لحم الخنزير، والنصارى يستحلونه، مع أنه حرامٌ في التوراة والإنجيل، وكأنهم كانوا يكتمون ذلك.

(١٧٥) تتمة التي قبلها.

(١٧٦) تعليل لما تقدم بأن الله نزل الكتاب بالحق، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[1] [يونس: ٣٢]، وبيان ضلال أهل الكتاب الذين اختلفوا فيه.

ومما اختلفوا فيه: الحلال والحرام، كلحم الخنزير - الماضي قريبًا - فهدى الله الذين آمنوا إلى صراط مستقيم. وفي ذلك تحذير للمسلمين من مثل فعلهم.

(١٧٧) ارتباط الآية بالتي قبلها أن مسألة القبلة مما اختلف فيه أهل الكتاب، فهدى الله الذين آمنوا إلى صراط مستقيم.

وهي مع ذلك منبهة للمسلمين أن لا يغتروا بكون الله تعالى هداهم للقبلة الحق، فيقصروا في البر وعمل الخير.

(١٧٨) فيها حكم القصاص. وارتباطها بما قبلها: أن حكم القصاص كان مشددًا على بني إسرائيل، والآيات السابقة متعلقة بهم كما علمت.

---

(١) (في الأصل بين القوسين: "وماذا ... "، وهو سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٥٩/٧).

وقد نبه الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٌۗ﴾ أي – والله أعلم – تخفيفًا بالنسبة إلى ما كان عليه الحكم في بني إسرائيل، من تعيُّن القَوَد. صح هذا عن ابن عباس وغيره[١]. انظر الكلام على آية (١٤٢).

(١٧٩) تتمة للتي قبلها.

(١٨٠) ...[٢].

(١٨٣) إلى (١٨٧) حكم الصيام مما كان ثابتًا على بني إسرائيل، وقد نصَّ الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾. وهو مما اختلفوا فيه، فهدى الله الذين آمنوا إلى صراط مستقيم. راجع الكلام على آية (١٤٢).

(١٨٨) علاقة الآية بآيات الصيام أن الصيام منعٌ موقَّت عن أكل الطعام مطلقًا، وهذا منعٌ مؤبد عن أكل الأموال بالباطل.

وهذا يشبه قوله – صلى الله عليه وسلم –: "المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"[٣]. وأمثلة ذلك في الحديث كثيرة. فكأنه قيل هنا: الصائم من صام عن أموال الناس بالباطل. وعلاقتها ببني إسرائيل أن الرشوة كانت فاشيةً فيهم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٧٣-٣٧٥).

(٢) (بياض في الأصل بقدر ثمانية أسطر) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٥٩/٧)، وذكر مناسبتها البقاعي –رحمه الله– بقوله (ولما حث سبحانه وتعالى على بذل المال ندباً وإيجاباً في حال الصحة والشح وتأميل الغنى وخشية الفقر تصديقاً للإيمان وأتبعه بذل الروح التي هو عديلها بالقتل الذي هو أحد أسباب الموت أتبع ذلك بذله في حال الإشراف على النقلة والأمن من فقر الدنيا والرجاء لغنى الآخرة استدراكاً لما فات من بذله على حبه). انظر: نظم الدرر (٣٣٥/١).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه منه (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)، في كتاب: الإيمان، باب: المسلم من سلم..، (١١/١) (ح: ١٠) عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، وأخرج أحمد في مسنده (والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم) (٤٩٩/١٤) (ح: ٨٩٣١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وحكم محققوه بأن إسناده قوي.

(١٨٩) أحكام الأهلَّة مما بدله بنو إسرائيل. وفي "الزبور" الذي بأيدي اليهود والنصارى الآن، مزمور (٨١) فقرة ٣ – ٤: "انفخوا في رأس الشهر بالبُوق عند الهلال لِيوم عِيدِنا؛ لأن هذا فريضة لإسرائيل [حكمٌ لإله يعقوب][١]، جعله شهادةً في يوسف عند خروجه على أرض مصر".

ومن مزمور (١٠٤) فقرة ١٩: "صَنَع [الربُّ][٢] القمرَ للمواقيت".

وهذان النصان ظاهران في أن حكم شريعتهم اعتبار الشهور بالهلال نفسه، كما هو عند المسلمين، ولكنهم بدلوا ذلك وتأولوا.

ومما بدَّله المشركون من شريعة إبراهيم عليه السلام، والتبديل أخو التبديل، فهدى الله الذين آمنوا إلى صراط مستقيم. انظر الكلام على آية (١٤٢).

وقوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ...﴾ إلخ: الصحيح أنه في شأن الحج، كان الأنصار إذا[٣].

(١٩٠) الآية في القتال في الأشهر الحرم.

(١٩١) إلى (١٩٤): كما منع عن الاعتداء في الأشهر الحرم، فكذلك نهى عنه في المسجد الحرام.

(١٩٥) مر في الآيات السابقة الأمر بالقتال في الجملة، فنبه على أمرٍ لا بد منه فيه.

(١٩٦) إلى (٢٠٣): قد بيَّن في آية (١٨٩) أن الأهلة مواقيت للناس في الحج، فبيَّن في الآيات السابقة من أحكامها ما بدله المشركون في شأن الأشهر الحرم. وبيَّن في هذه الآيات أحكام الحج؛ لأنه مما بدله أهل الكتاب، وبدل المشركون بعض أحكامه.

(٢٠٤) إلى (٢٠٧): هذه الآيات كالتكملة للتقسيم المذكور في آية (٢٠٠)؛ فإنه أمر

---

(١) (زيادة منّي من المزمور المذكور، للإيضاح) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٦١/٧).

(٢) (زيادة من المؤلف) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٣) (كتب بعدها: "أحرم أحدهم"، ثم ضرب عليه ولم يكمل. ولعله أراد أن ينقل ما أخرجه البخاري(١٨٠٣) عن البراء يقول: "...كانت الأنصار إذا حجُّوا فجاؤوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها. فجاء رجل من الأنصار، فدخل من قبل بابه، فكأنه عُيِّر بذلك، فنزلت: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ﴾). قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

فيها بذكر الله تعالى عند قضاء المناسك، ثم قال: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠٢].

والأول: حال المشركين الذين لا يرجون الآخرة، فكانوا إذا دعوا الله تعالى دعوه لدنياهم، والثاني: شأن المؤمنين. وهو تقسيم تامٌّ بالنسبة للدعاء. ولكن التقسيم بحسب الدعاء يتحول إلى التقسيم المطلق، والتقسيم المطلق أن يقال مثلاً: منهم كافر صريح، ومنهم منافق، ومنهم مؤمن يحب الدنيا، ومنهم مؤمن لا يبالي بها. فالمنافق لم يدخل في آية (٢٠٠) أصلاً؛ لأنها مبنيَّة على دعاء المرء بينه وبين ربه، والنفاق عن هذا بمعزل.

وأما المؤمن الذي لا يبالي بالدنيا، فإنه وإن دخل فيها لأنه أيضًا يقول: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝﴾، إلا أنه كالخارج عنها؛ لما يوهمه ظاهرها من استواء الدنيا والآخرة عند الداعي.

فبدأ الله عَزَّ وَجَلَّ بما يتعلق بالسياق من أحكام الحج، لأنه الأولى، ولأن الكلام على شأن المنافق يستدعي إطالة.

والكلام على المؤمن الذي لا يبالي بالدنيا، الأنسب أن يكون بعد حال المنافق؛ ليتبين فضله، كما يقال: ما يعرف قدر النعمة إلا من قاسى الشدائد قبلها.

ثم بين سبحانه وتعالى شأن المنافق في آية (٢٠٤) إلى (٢٠٦)، وبيَّن حال المؤمن الذي لا يبالي بالدنيا في آية (٢٠٧).

(٢٠٨): (السَّلْم)(١): الإسلام، و (كافة) حال منه. أي: ادخلوا في جميع شرائعه.

أخرج ابن أبي حاتم(٢) عن ابن عباسٍ قال في الآية: "يعني مؤمني أهل الكتاب؛ فإنهم

---

(١) (كذا ضبط المؤلف (السَّلْم) بفتح السين) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٦٣/٧). وهي قراءة الحرميين والكسائي وأبي جعفر والباقون بكسر السين. انظر: التيسير للداني (ص:٦٤)، وتحبير التيسير لابن الجزري (ص:٣٠٣).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس، شيخ الإسلام، من كبار حفاظ الحديث الي البلاد مع أبية وبعده، وأدرك الاسانيد العالية، كان إماماً في معرفة الرجال، له من الكتب (الجرح =

كانوا مع الإيمان بالله مستمسكين ببعض أمر التوراة والشرائع التي أنزلت فيها. يقول: ادخلوا في شرائع دين محمد، ولا تدعوا منها شيئًا ... "[١].

وأخرج ابن جرير عن عكرمة[٢] قال: "نزلت في ثعلبة وعبد الله بن سلام و....، وكلهم من يهود، قالوا: يا رسول الله! يوم السبت كنا نعظمه، فدعنا فَلْنُسْبِتْ فيه، وإن التوراة كتاب الله، فدعنا فلنقم بها بالليل. فنزلت"[٣]. انظر الكلام على آية (٢١٣). ذكرهما في "الدر المنثور"[٤]، وذكر آثارًا أخرى توافق ذلك وتوضحه، منها ....[٥]

قد يقال: لا مانع من بقاء الآية على عمومها، ويكون الذين آمنوا بمحمد - صلى الله عليه وسلم - من أهل الكتاب داخلين فيها دخولًا أوّليًّا بمعونة السياق؛ فإن الأحكام السابقة كلها لها علاقة بأهل الكتاب، كما قدمناه، وسيأتي ذكرهم قريبًا[٦] وبيان أنهم بدَّلوا نعمة الله كفرًا.

وبهذا ظهر الارتباط.

(٢٠٩) و (٢١٠) تتمة لما قبلهما.

(٢١١) قد تقدم ذكر بني إسرائيل، ولم يزل الكلام متصلاً بهم إلى هنا، كما قدمنا. والمراد بالآيات ما يعمُّ ما تقدَّم تفصيله، فكأنه قال: هذه الآيات التي تقدمت من جملة الآيات التي آتيناهم إياها، وأنعم الله عليهم بها، فبدَّلوا نعمة الله كفرًا.

= والتعديل)، (الرد على الجهمية)، توفي سنة ٣٢٧هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٣٤/٣)، الأعلام للزركلي (٣٢٤/٣).

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣٧٠/٢).

(٢) هو عكرمة بن عبد الله مولى عبد الله بن عباس، وقيل لم يزل عبدًا حتى مات ابن عباس وأعتق بعده، تابعي مفسر محدث، من أعلم الناس بالتفسير والحديث، أمره ابن عباس بإفتاء الناس، توفي سنة ١٠٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/٥)، الأعلام للزركلي (٢٤٤/٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٥٥/٤-٢٥٦).

(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٤٩١/٢).

(٥) (ترك المؤلف هنا بياضًا) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٦٤/٧).

(٦) انظر: (آية ٢١١).

(٢١٢) هي بيانٌ لسبب ما تقدم في الآية قبلها، من تبديل بني إسرائيل نعمة الله كفرًا.

(٢١٣) هذا الكلام جامعٌ لما تقدم تفصيله وغيره مما كان من جنسه، فقد تقدم أن بعض الأشياء بدلت من شريعة إبراهيم عليه السلام فمن بعده من الأنبياء عليهم السلام. والمراد بقوله في هذه الآية: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ آدم عليه السلام وذريته؛ فإنهم كانوا كل الناس، وكانوا أمة واحدة مؤمنة، إلى مدة من الزمان، الله أعلم بها[١].

وقوله: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ...﴾ يريد – والله أعلم –: فاختلفوا، فبعث الله ... كما يدل عليه تعليله بقوله: ﴿لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ وقوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ﴾ أي في الكتاب، كما هو ظاهر. كأنه قال – والله أعلم –: فاختلفوا في الكتاب، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ وهم بنو إسرائيل، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ محمدًا وأمته ﴿لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: بنو إسرائيل ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾. انظر ما تقدم من الكلام على آية (١٤٢).

وقد تقدم في الكلام على آية (٢٠٨) أن الذين أسلموا من اليهود استأذنوا النبي صلَّى الله عليه وسلم أن يسبتوا، فنهاهم الله عزَّ وجلَّ.

وفي "الدر المنثور": "وأخرج عبد الرزاق وابن جرير وابن المنذر[٢] وابن أبي حاتم عن أبي هريرة في قوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾ قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: نحن الأولون والآخرون. الأولون يوم القيامة، وأول الناس دخولًا الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم؛ فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق. وهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، فهدانا الله؛ فالناس لنا فيه تبع، فغدًا لليهود وبعد غدٍ

---

(١) أخرج الحاكم في مستدركه، في كتاب: التفسير، باب: تفسير حم عسق، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان بين آدم و نوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فلما اختلفوا بعث الله النبيين والمرسلين وأنزل كتابه فكانوا أمة واحدة، وصححه الحاكم على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر، نيسابوري، من كبار الفقهاء المجتهدين، لم يكن يقلد أحدًا، لقب بشيخ الحرم، أكثر تصانيفه في بيان اختلاف العلماء، منها: (المبسوط) و(الأوسط في السنن)، وتوفي ٣١٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٤/٤٩٠)، الأعلام للزركلي (٥/٢٩٤).

للنصارى"[١].

والحديث في "الصحيح" من طريق عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه[٢]، أخي وهب بن منبه[٣]، قال: هذا ما حدثنا [به] أبو هريرة، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "نحن الآخرون السابقون يوم القيامة"[٤] فذكره بمعناه.

وهو ثابت في "الصحيح" أيضًا من طرق أخرى عن أبي هريرة[٥]. وثبت في "الصحيح" أيضًا عن حذيفة[٦].

وفي التوراة التي بأيدي أهل الكتاب الآن ما يشهد لمعناه، وإن كان غنيًّا عن الشهادة. وهكذا في الأناجيل التي بأيدي النصارى الآن بشارة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته وأنهم الآخرون الأولون.

وهذا مبسوط في موضع آخر مع بسط معنى الحديث، والمقصود هنا بيان الارتباط.

---

(١) انظر الدر المنثور للسيوطي (٢/٤٩٨)، أخرجه مسلم في صحيحه بمعناه بدون ذكر الآية، في كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة..، (٢/٥٨٥) (ح: ٨٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو همام بن منبه بن كامل اليماني الصنعاني، أبو عقبة: صاحب أقدم تأليف في الحديث، من ثقات التابعين، من أبناء الفرس في صنعاء، لازم أبا هريرة رضي الله عنه، توفي سنة ١٣١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/٣١١)، الأعلام للزركلي (٨/٩٤).

(٣) هو وهب بن منبه الصنعاني الذماري، أبو عبد الله: مؤرخ، كثير الاخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الاولين ولا سيما الإسرائيليات، يعد في التابعين، ولد ومات بصنعاء وولاه عمر بن عبد العزيز قضاءها، ومات سنة ١١٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٥٤٤)، الأعلام للزركلي (٨/١٢٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأيمان والنذور، باب: (قول الله [لا يؤاخذكم الله باللغو..])، (٨/١٢٨) (٦٦٢٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوضوء، باب: البول في الماء الدائم، (١/٥٧)، (ح:٢٣٨).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، (٢/٥٨٥) (ح: ٨٥٦).

(٢١٤) تعلقها بما قبلها ظاهر، ولها نظر إلى الآيات التي ذكر فيها القتال (١٩٠ - ١٩٥). بيَّن الله عَزَّ وَجَلَّ بالآيات المتقدمة هدايته هذه الأمة إلى ما اختلف فيه من قبلهم، ثم أعقبه بأن هذه الهداية إنما ثمرتها دخول الجنة، ولكن دخول الجنة لا بد له من سعي، وكان مقتضى ذلك أن يكون السعي أعظم من سعي الذين قبلنا؛ لأن الهداية التي منحت لنا أعظم من الهداية التي كانت لهم، ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ خفف عن هذه الأمة فلم يبتلهم بأعظم مما كان على من قبلها، بل جعله مثله.

(٢١٥) ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في الآية السابقة الابتلاء بالبأساء والضراء وزلزال الخوف، ثم عقبه في هذه بنوعٍ من الابتلاء بالبأساء والضراء وهو إنفاق المال؛ ولذلك - والله أعلم - أعرض عن إجابتهم ببيان المقدار الذي ينفقونه، وبين لهم المصرف، فكأنه أحال التقدير إلى اختيارهم؛ لأن ذلك أظهر في الابتلاء. ألا ترى أن الابتلاء بعمل معين، إذا عمله العبد، لا يظهر به إلا امتثاله.

فأما محبته لسيده وتفانيه في رضاه، فإنه لا يظهر إلا بأن يرغبه في عملٍ ويدع له فيه طرقًا للاعتذار إن لم يوفه. فإنه إن لم يكن صادق المحبة لسيده، والتفاني في رضاه، لم يبالغ في الشق على نفسه، بل يتكل على أن له معاذير. وإن وفي ذلك العمل، وبالغ فيه جهده، ولم يجنح إلى ما يلوح له من الرخصة، فهو الغاية.

وأنت إذا تأملت وجدت هذا الابتلاء بهذه الصفة من أشد الابتلاء. فإن قلت: فماذا صنع الصحابة؟

قلت: في "الدر المنثور": "أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنَّ نفرًا من الصحابة حين أمروا بالنفقة في سبيل الله أتوا النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: إنا لا ندري ما هذه النفقة التي أمرنا بها في أموالنا، فما ننفق منها؟ فأنزل الله: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ**﴾ [البقرة: ٢١٩]، وكان قبل ذلك ينفق ماله حتى ما يجد ما يتصدق به ومالا يأكل، حتى يتصدق عليه"[1].

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/٥٤٧-٥٤٨).

وفيه: "وأخرج عبد بن حميد[١] عن الحسن في قوله: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾، قال: ذلك أن لا تجد (كذا)[٢] مالك، ثم تقعد تسأل الناس"[٣].

وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، وابدأ بمن تعول"[٤].

وفي رواية لمسلم وغيره: "أفضل الصدقة ما ترك غنًى، واليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول" تقول المرأة: إما أن تطعمني وإما أن تطلقني، ويقول العبد: أطعمني واستعملني، ويقول الابن: أطعمني، إلى من تدعني[٥]؟

وهذه الآية أعني: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ تأتي بعد ثلاث آيات؛ فعلم بذلك أن الصحابة رضي الله عنهم بعد نزول آية (٢١٥) بذلوا أقصى مجهودهم، حتى كان أحدهم ينفق جميع ماله ولا يدع لنفسه وأهله شيئًا.

وبذلك ظهر حبهم لله عزَّ وجلَّ، وتفانيهم في رضاه، وتمَّ لهم النجاح في ذلك الابتلاء، ولذلك ردهم الله عزَّ وجلَّ إلى الاعتدال ثانية، والله أعلم.

---

(١) عبد بن حميد بن نصر الكسي، أبو محمد، من حفاظ الحديث، قيل اسمه عبد الحميد، وخفف نسبته إلى كس (من بلاد السند)، من كتبه (تفسير) للقرآن الكريم، و(مسند) في الحديث، توفي سنة ٢٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢/٢٣٥)، الأعلام للزركلي (٣/٢٦٩).

(٢) (صوابه: "أن لا تجهد"، كما في "تفسير ابن كثير" (١/ ٢٤٣) عن عبد بن حميد). قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٧/١٦٨).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/٥٤٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (٢/١١٢) (ح:١٤٢٦)، عن أبي هريرة رضي الله عنه لكن بلفظ (خير الصدقة..)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: بيان أن اليد العليا..، (٢/٧١٧) (ح: ١٠٣٤)، عن حكيم بن حزام رضي الله عنه بلفظ (أفضل الصدقة أو خير الصدقة).

(٥) لم أجده عنده مسلم، ووجدته عند البخاري في صحيحه، في كتاب: النفقات، باب: وجوب النفقة على الأهل والعيال، (٧/٦٣) (ح: ٥٣٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وبين أن قوله (تقول المرأة..) مدرج منه رضي الله عنه.

(٢١٦) ذكر في هذه الآية ما يتعلق بالابتلاء بزلزال الخوف، وهو وجوب القتال المارُّ في آية (٢١٤).

(٢١٧) هي كالتتمة للتي قبلها، مع إيضاح الابتلاء، ولكن أن يكون بيان حكم القتال في الشهر الحرام على هذا الأسلوب فيه ابتلاءٌ أيضًا؛ فإنه قال: ﴿**قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌۖ**﴾ أي: مفسدة كبيرة، ﴿**وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ**﴾ يريد - والله أعلم - أن هاتين المفسدتين متعارضتان، وهما: ابتداء المسلمين القتال في الشهر الحرام، واستمرار المشركين على الصد عن سبيل الله وما معه. ففي هذا التنبيهُ على حلِّ القتال في الشهر الحرام؛ لأنه وإن كان معه مفسدة ففي تركه مفسدة أكبر.

ولكن بقي مجالٌ للتكاسل عن القتال فيه، بأن يقال: قد أخبر الله تعالى أنه كبير. وأما مفسدة استمرار المشركين على ما هم عليه، فإنها وإن كانت أكبر إلا أنه بعد انقضاء الشهر الحرام يكون السعي في دفعها.

(٢١٨) هي تتمة للتي قبلها. وفيها تعرض لبيان ثواب الثابتين، وفي التي قبلها جزاء المرتدين.

(٢١٩) أولها في شأن الخمر والميسر، قال تعالى: ﴿**قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ**﴾. وهذا ابتلاء أيضًا، وحاله كحال القتال في الشهر الحرام، فقد بيَّن هناك أن في القتال فيه مفسدة، وفي عدم القتال مفسدة أكبر، وترك هناك طريقًا للعذر.

وكذا هنا، بيَّن أن في الخمر والميسر منافع للناس، وفيهما إثم كبير، وكان محتملًا أن المراد بالإثم فيهما الإثم في مجرد تعاطيهما، أو المتوقع مما يؤديان إليه من العداوة والبغضاء والصد عن الصلاة وغير ذلك. ويمكن الترخُّص بأن يقول قائل: سأتعاطاهما مع الاحتراز عما ينشأ عنهما مما فيه إثم.

وبذلك اتضح لك ما قدَّمناه من الابتلاء في شأنهم، وأنه كالابتلاء بالقتال في الشهر الحرام.
وقوله تعالى: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ**﴾ هذا متعلق بالابتلاء في النفقة المتقدمة، وقد مرَّ البيان في الكلام على آية (٢١٥).

وأخره إلى هنا إشارة إلى تأخر نزوله مدة؛ ليظهر أن الابتلاء استمر مدة غير قصيرة، وأنهم تماروا فيه. ولذلك لما لم يطل الابتلاء بتقديم الصدقة بين يدي النجوى عقب الأمر بها بنسخه. وليكون فيه تنبيه على ما ينبغي للمؤمنين من الثبات عند الابتلاء، كأن قال: إني ابتليتكم في النفقة فوفيتم وأبلغتم، فلما تحملتم ذلك فرَّجتُ عنكم وخفَّفتُ، فكذلك ينبغي أن تعملوا في الابتلاءات الأخرى، فلا تجنحوا إلى جانب الرخصة، فإنكم إن لم تجنحوا أمكن أن يخفف الله عنكم شيئًا ما، كما خفف عنكم في النفقة.ولهذا عقب هذا بقوله: ﴿**كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾**﴾.

ويمكن أن يكون في جعلها - أعني قوله: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ**﴾ في هذا الموضع ابتلاء آخر؛ فإن المائل إلى الرخصة قد يتشبث بها قائلًا: إن الله تعالى يريد منا اليسر، ولهذا لما شددنا على أنفسنا في النفقة لم يرض لنا ذلك، بل ردَّنا إلى الاعتدال، فكذلك ينبغي أن لا نشدد في القتال في الشهر الحرام، وفي الخمر والميسر.

فإن قلت: فهل نجحوا في الابتلاء في القتال في الشهر الحرام، وفي الخمر والميسر، كما نجحوا في الابتلاء بالإنفاق؟

قلت: الذي يظهر لي أنهم نجحوا في شأن القتال، ونجح غالبهم في شأن الخمر والميسر.
فإن قلت: فهل خفَّف الله عنهم، كما وعدهم بوضعه آية العفو عقب الابتلاء؟

قلت: أما في شأن القتال في الشهر الحرام فنعم، فقد جاء في الروايات أنهم قاتلوا فيه(١)، ثم نزلت بعد ذلك آيات النهي عن القتال في الشهر الحرام، بعضها في سورة التوبة، وبعضها في سورة المائدة، وكان نزولها بعد هذا.

وأما في الخمر والميسر فلم يخفف. والسبب في ذلك - والله أعلم - أولًا: أن بعضهم ترخَّص في الخمر بعد ذلك، ولعل بعضهم ترخَّص في الميسر أيضًا.

وثانيًا: أن الذين لم يترخصوا تبيَّن لهم عظمُ المفسدة في الخمر والميسر، فحرصوا بأنفسهم على أن يحرِّمهما الله عزَّ وجلَّ البتة، كما ثبت ذلك عن عمر وغيره(٢)، والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٣/٤٠ وما بعدها)، الدر المنثور للسيوطي (٢/٥٤٠، ٥٤٣).

(٢) أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: الأشربة، باب: في تحريم الخمر، (٥/٥١٤) (ح: ٣٦٧٠)، =

وليس فيما قدمنا ما ينافي الحكمة المشهورة في تحريم الخمر؛ فإن الله تعالى حرمه تدريجًا، فأنزل أولًا الآية المذكورة، ولم يصرح فيها بالتحريم، إلى آخر ما تبين به هذه الحكمة، وعدم المنافاة ظاهرٌ بأدنى تأمل، والله أعلم.

(٢٢٠) أولها متعلق بالتي قبلها، وقوله: ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ**﴾ الآية رخصة أخرى تشبه التي قبلها.

أخرج أبو داود[(١)] والنسائي[(٢)] وابن جرير وغيرهم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما أنزل الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[الأنعام: **١٥٢**] و ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ**﴾ الآية [النساء: **١٠**] انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه فيحبس له، حتى يأكله أو يفسد، فيرمى به. فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فنزلت"[(٣)].

(٢٢١) هي متعلقة بآية (٢١٧) أعني قوله: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُواْ**﴾؛ لأن مناكحة المشركين مما يدعو إلى الردة، وقد علل تعالى النهي عن

= وصحح إسناده محققه، والترمذي في جامعه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: سورة المائدة، (٢٥٣/٥) (ح: ٣٠٤٩)، كلاهما عن عمر رضي الله عنه.

(١) سليمان بن الاشعث بن إسحاق بن بشير الازدي السجستاني، أبو داود: إمام أهل الحديث في زمانه، أصله من سجستان، رحل رحلة كبيرة وتوفي بالبصرة، له من الكتب: (السنن) وهو أحد الكتب الستة، و (الزهد)، وتوفي ٢٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠٣/١٣)، الأعلام للزركلي (١٢٢/٣).

(٢) أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النسائي: صاحب السنن، القاضي الحافظ، شيخ الاسلام، أصله من نسا (بخراسان) وجال في البلاد واستوطن مصر، له من الكتب: (السنن الكبرى) و (خصائص علي)، توفي سنة ٣٠٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢٥/١٤)، الأعلام للزركلي (١٧٠/١).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣٥٠/٤)، وأبو داود في سننه، في كتاب: الوصايا، باب: مخالطة اليتيم في الطعام، (٤٩٣/٤) (ح: ٢٨٧١) وضعف إسناده محققه، والنسائي في المجتبى، في كتاب: الوصايا، باب: ما للوصي..، (٢٥٦/٦) (ح: ٣٦٦٩)، كلهم عن ابن عباس رضي الله عنهما.

المناكحة بذلك، إذ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ﴾.

أما علاقتها بالتي قبلها - أعني (٢٢٠) - فهي والله الأعلم - أن في آية (٢٢٠) الإذن بمخالطة اليتامى، وتعليلها بقوله: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْۚ﴾ أي: في الدين. وفي هذه - أعني آية (٢٢١) - النهي عن مناكحة المشركين، والمناكحة تقتضي المخالطة، وعللها بكونهم يدعون إلى النار؛ فالعلاقة كعلاقة أحد الضدين بالآخر، كما في السماء والأرض، والأبيض والأسود، ونحو ذلك.

(٢٢٢) علاقتها بالتي قبلها ظاهرة، ولها نظر إلى الأمور التي اختلف فيها أهل الكتاب، كما تقدم الكلام عليه؛ فإن مخالطة الحائض مما اختلفوا فيه، وشَدَّد فيه اليهود أو شُدِّد عليهم.

(٢٢٣) علاقتها بالتي قبلها ظاهرةٌ، من حيث خصوص قربان النساء، ومن حيث الهداية لما اختلف فيه أهل الكتاب، كما يعلم من سبب النزول[1].

(٢٢٤) علاقتها بالتي قبلها ظاهرة. فهذه - أعني آية (٢٢٤) - كالمقدمة للتي بعدها، أي آية (٢٢٥)، وعلاقة هذه بآية (٢٢٣) واضحة[2].

(٢٢٥ - ٢٣٧) ارتباط الآيات بما قبلها، والارتباط بينها واضح. ولآيات الطلاق نظرٌ إلى ما تقدم من الأحكام التي اختلف فيها أهل الكتاب، فهدى الله الذين آمنوا الصراط المستقيم فيها؛ فإن الطلاق مما اختلفوا فيه.

(٢٣٨ - ٢٣٩)[3] في الآية الثانية صلاة الخوف، وإنما يكون ذلك في الجهاد؛ فلها نظرٌ إلى آية (٢١٨) وما قبلها التي في شأن الجهاد، والأولى كالمقدمة لها. ثم علاقة الأمر بالصلاة بأحكام النكاح:

أولًا: ما يظهر من آخر الآية الثانية: ﴿كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ٢٣٩﴾، كأنه

(١) انظر: العجاب لابن حجر (١/٥٥٦)، لباب النقول للسيوطي (ص: ٣٦).

(٢) يتضح ذلك بقراءة الآيات: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٢٢٣ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٢٤ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ٢٢٥﴾ [البقرة:٢٢٥].

(٣) وللمؤلف -رحمه الله- رسالة مفردة صغيرة في ارتباط هاتين الآيتين بما قبلها وخلاصتها ما سيذكره هنا. انظر: آثار المعلمي (٧/١٨٩-١٩١).

قال: فكما علمكم الله تعالى من أحكام النكاح ما فيه صلاحكم، ولم تكونوا تعلمون ذلك، وهداكم لما اختلف فيه الذين من قبلكم فاشكروه، وأعظم الشكر المحافظة على الصلاة.
وفي "الصحيح": "ما تقرَّب إليَّ عبدي بأفضل من أداء ما افترضته عليه[١]".

وفيه: "خير أعمالكم الصلاة"[٢].

وثانيًا: أن في آيات الطلاق والنكاح بيان العدل في معاملة النساء، وفي بعضها التخفيف عنهن، وفي بعضها تشديد ما، ولكن الباري عزَّ وجلَّ يرشدنا إلى العفو.

ثم في آية (٢٣٧): ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وفي (٢٣٩) بيان عفو الله عَزَّ وَجَلَّ عنا بأن لم يكلِّفنا ما يشقُّ علينا من المحافظة على صفة الصلاة في حال الخوف. وأما آية (٢٣٨) فهي كالمقدمة للتي بعدها، كما مر.

فكأنه تعالى يقول: كما عفوت عنكم فاعفوا أنتم أيضًا، وكما خففت عنكم فخففوا أنتم أيضًا. وبهذا عُلِمَ وجهٌ لتوسيط هاتين الآيتين بين أحكام الطلاق وما معه ممَّا يتعلق بالأزواج.

وها هنا نكتة لطيفة لتوسيط هاتين الآيتين، مع ما يظهر من بعد المناسبة. وهي الإشارة إلى عظم شأن الصلاة، لأن عادة الناس أن المتكلم إذا كان في أثناء كلامٍ مهمٍّ، أن يحرص على اتصاله، فلا يقطعه بكلام آخر، ثم يعود، إلا إذا كان ذلك الكلام الآخر أعظم أهمية.

(٢٤٠ - ٢٤٢) من تمام أحكام الأزواج، وقد تقدم وجه توسيط آيتي (٢٣٨ - ٢٣٩). ولهاتين ارتباط بهما أيضًا، من جهة أن في تينك إرشادًا إلى شكر تلك النعمة - كما مر - وفي هاتين نوع من الشكر، وهو الوصية للأزواج، وتمتيع من طلق منهن. وفي تينك ذكر القتال عند الخوف، وفي هاتين ذكر الوفاة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الرقاق، باب: التواضع، (١٠٥/٨) (ح: ٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٦٠/٣٧) (ح: ٢٢٣٧٨)، وابن ماجه في سننه، في كتاب: الطهارة وسننها، باب: المحافظة على الوضوء، (١٨٤/١) (ح: ٢٧٦) كلاهما عن ثوبان رضي الله عنه وصحح الحديث محققو كلا الكتابين.

(٢٤٣ - ٢٥٢) هذه الآيات مرتبطة بآية (٢٣٩)، ثم بالآيات المتقدمة في شأن الجهاد. ولها نظرٌ إلى شأن بني إسرائيل، كما لا يخفى.

وقوله تعالى (٢٥١): ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ تنبيه على حكمة الجهاد. قد علم الله عَزَّ وَجَلَّ ما سيحدث من طعن بعض الملحدين في الجهاد، وعلم أن منهم من لا يؤمن بالأنبياء، فأجابه بما ذكر؛ وأن منهم من يدعي الإيمان بالأنبياء، ويطعن علي المسلمين في الأمر بالجهاد، فأجابه سبحانه وتعالى بأن الأنبياء الذين يدعي الإيمان بهم كانوا يجاهدون أيضًا.

وأوضح هذا بقوله في آخر آية (٢٥٢): ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾﴾أي: فلا بدع أن تؤمر بمثل ما أُمِروا به.

وكما أن في هذا ردًّا على الطاعنين، ففيه تحريض للنبي - صلى الله عليه وسلم - وأمته على الجهاد، كما لا يخفى.

وعلم سبحانه وتعالى أن الطاعنين ربما يقولون: إن الجهاد في شريعة محمد - صلى الله عليه وسلم - أوسع مما كان أمر به الأنبياء الأولون عليهم السلام، فأجابهم تعالى بقوله: (٢٥٣): ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ كأنه تعالى يقول: فإن فضلك الله تعالى بشيء، كالرسالة إلى الخلق كافة، والأمر بجهاد جميع الأمم؛ فلا بدع في ذلك، فإنه تعالى كذلك فضَّل بين الأنبياء السابقين في الشرائع والأحكام والآيات.

وعلم عزَّ وجلَّ أن الطاعنين ربما يقولون: سلمنا ظهور الحكم في مشروعية جهاد الوثنيين، فأي حجة لمشروعية جهاد أتباع الأنبياء السابقين؟

فأجابهم تعالى بقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾، فكأنه تعالى يقول: إن المنتسبين إلى الأنبياء، كاليهود والنصارى، قد قاتل بعضهم بعضًا، وحجتهم أن المؤمنين منهم قاتلوا الكافرين منهم أيضًا، فتبين بهذا اعتراف من يدعي الإيمان منهم بوجوب قتال من كفر منهم. فثبت بذلك صحة قتال محمد - صلى الله عليه وسلم - وأمته لمن ثبت لديهم كفره من أهل الكتاب، وقد ثبت أن كل من لم يؤمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - منهم فهو كافر.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ فيه رد على الطاعنين في الجهاد، مع اعترافهم بربوبية الله عزَّ وجلَّ؛ فإن اعترافهم بربوبيته تعالى يتضمن اعترافهم بأن اقتتال أهل الكتاب كان بقضائه وقدره، لحكمة يعلمها عزَّ وجلَّ. وإذا كان كذلك فاستبعادهم أن يأمر بالقتال مع ظهور ...[١]، كيف وهو سبحانه عزَّ وجلَّ يفعل ما يريد؟

(٢٥٤) علاقتها بما قبلها ظاهرة؛ لأن ما قبلها في شأن الجهاد، وهي في الإنفاق في الجهاد وإن شملت الإنفاق في غيره. ولها ارتباط بآخر الآية التي قبلها، أعني قوله: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾؛ فإن هذا كالتمهيد لقوله في آية (٢٥٤): ﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾.

والمراد – والله أعلم – خلة وشفاعة تخالف ما يريد الله تعالى. دل عليه السياق، وقوله في الآية التي بعدها: ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وآيات أخرى.

ثم إنّ نفي الخلة والشفاعة (أي: بالقيد المذكور) عامٌّ في حقِّ المؤمنين وغيرهم. أما المؤمنون فالخطاب لهم، وأما غيرهم فنبه الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾. وتضمنت هذه الجملة ردًّا على الطاعنين في الجهاد أيضًا، فإنهم يزعمون أنه ظلم، فبين تعالى أن الكافرين هم الظالمون بإلجائهم المسلمين إلى قتالهم.

وتضمنت أيضًا الحض على الإنفاق، وأن البخل بالمال عن سبيل الله هو من شأن الكافرين، فلا ينبغي للمؤمنين.

(٢٥٥) آية الكرسي علاقتها بما قبلها أن في تلك نفي الخلة والشفاعة التي يرجوها المشركون، كما علمت؛ وفي هذه – آية الكرسي – البرهان على انقضائها.

وقوله في أولها: ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ان كان المشركون لا يعترفون به، فإنه لم يلتفت إلى إنكارهم؛ لأنه عقبه بالبرهان على ذلك.

وقوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الآية مما يعترف به المشركون، كما نص تعالى عليه في آيات أخرى، وبسطناه في موضعه[٢].

---

(١) (هنا كلمات لم تظهر في الأصل) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٧٧/٧).

(٢) انظر: رسالة العبادة للمؤلف –رحمه الله–.

وقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ مما يعترف به المشركون، كما بينه تعالى بقوله: ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٨ - ٨٩].

ولهذا - والله أعلم - ذكره في آية الكرسي بالاستفهام. ولعل في هذا إشارة إلى حقِّيَّة جهادهم؛ لأنه ظهر به أنه لا عذر لهم في البقاء على الشرك.

وهذا لا يشمل أهل الكتاب، ولكن قد بيَّن في آيات أخر ما يماثله في حق أهل الكتاب، بل هو أقوى منه. وذلك قوله تعالى فيما تقدم من هذه السورة: ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ... ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ ...﴾ [البقرة: ١٤٤ - ١٤٦].

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ الضمير للشفعاء المفهومين مما سبق، وخصه ابن عباس ثم مقاتل بالملائكة(١)؛ لأمور:

الأول: أن المشركين إنما يرجون شفاعة الملائكة.

الثاني: أن نظائره في القرآن هي في شأن الملائكة؛ كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨].

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾، وهذا دفع لما يتوهم أنه محتاج إلى من يعينه على حفظهما، وإنما يتوهم احتياجه في حفظهما إلى الملائكة.

وقد يكون في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾ إشارة إلى معنى يدفع شبهات الطاعنين على الجهاد؛ لأن فيها بيان إحاطة علمه تعالى، وقصور علم ملائكته، فضلًا عن غيرهم.

فكأنه يقول: هَبُوا يا معشر الطاعنين أنكم لم تفهموا حكمة الجهاد وعدله، فذلك لا يدل على عدم الحكمة والعدل فيه؛ لأن علمكم قاصر، وعلم الله تعالى - وهو شارع الجهاد - محيط. فينبغي لكم أن تنظروا في الأدلة الأخرى القاضية بأن هذا الجهاد من أمر الله تعالى،

---

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١٧٦/٣)، زاد المسير لابن الجوزي (٣٠٣/١).

وتقنعوا بذلك، وإن لم يظهر لكم حكمة الجهاد وعدله في نفسه.

(٢٥٦) ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ...﴾ قد علمت مما تقدم في الكلام على الآيات المتقدمة، من آية (٢٤٣) إلى هنا، أنها تدور على بيان حكمة الجهاد، ودفع المطاعن التي ربما تورد عليه. وأيضًا، فهذه قرينة توجب حمل هذه الجملة ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ على ما لا ينافي الجهاد، ما دام يمكن حملها على ذلك، ولو بنوعٍ من التجوُّز. هذه هي القاعدة العقلية المطردة في فهم الكلام، ولا ينكرها أحد من العقلاء.

وأيضًا، الكلام بعد هذه الجملة كله مما يؤيد الأمر بالجهاد، كما يأتي إن شاء الله. وهاك تفصيل ذلك:

أولًا: حكمة الجهاد التي تقدمت في آية (٢١٥).

٢ - ما تقدم من كونه كان مشروعًا في الشرائع المتقدمة.

٣ - ما تقدمت الإشارة إليه في آية (٢٥٤).

٤، ٥ - ما تقدمت إليه الإشارة في الكلام على آية الكرسي (٢٥٥).

٦ - قوله تعالى عقب هذه الجملة: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

٧ - قوله تعالى عقب ذلك: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾(1) على ما يأتي إيضاحه أيضًا إن شاء الله تعالى.

٨ - قوله تعالى عقب ذلك: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٧] على ما يأتي إيضاحه أيضًا إن شاء الله تعالى.

٩ - الآيات الآتية في الأمر بالإنفاق، وهي في هذا السياق، كما يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى.

وختام العشرة: ختام هذه السورة: ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾(2) [البقرة: ٢٨٦].

---

(١) (في الأصل: " ... فقد هدي إلى صراط مستقيم"، وهو سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٧/١٨٠).

(٢) (في الأصل: "وانصرنا ... "، وهو أيضًا سهو) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

وهناك وجوه أخرى تدل على ما قدمناه، أو على تخصيص الجملة المذكورة، أو نسخها؛ فيترجح دلالتها على المعنى الأول لموافقته بقية الأدلة.

منها: أن نزول سورة البقرة كان عقب الهجرة، وقد نزل بعدها سور وآيات في الأمر بالجهاد، وجاهد النبي – صلى الله عليه وسلم – بنفسه، واستمر حكم الجهاد إلى وفاته – صلى الله عليه وسلم –، فإنه عند وفاته كان قد جهز جيشًا مع أسامة بن زيد، ولم يزل يحض على تنفيذه إلى آخر رمق. دع جهاد الصحابة وإجماعهم – والأمة من بعدهم – على الجهاد. إذا علمت ما تقدم فاعلم أن المفسرين متفقون – فيما أعلم – على أن المعنى: لا إكراه على الدخول في الدين.

واختار الصاوي[١] في "حواشيه على الجلالين" بأن (في) بمعنى (على)[٢]،كما في قوله: ﴿**وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ**﴾ [طه: ٧١] ؛ فالمعنى: لا إكراه على الدين. ولكن من يقول بأن استعمال (في) موضع (على) لا يكون إلا لنكتة يطلب النكتة هنا، ولم أستحضر نكتة. وعندي أن في الكلام تضمينًا، ضمن الإكراه معنى الإدخال لتؤدي الكلمة المعنيين معًا، ونبه على ذلك بتعدية الإكراه بـ (في) التي يعدى بها الإدخال، فصار المعنى: لا إدخال في الدين بالإكراه. والتضمين كثير في القرآن وغيره. والمراد بالنفي عندي ظاهر، أي: لا يمكن الإدخال في الدين بالإكراه.

والمراد بالدين هنا الإيمان، بدليل قوله في السياق: ﴿**فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ**... ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

ودليل ثانٍ وهو: أن الإيمان هو الذي لا يمكن الإدخال فيه بالإكراه.

ودليل ثالث وهو قوله تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾ [يونس: ٩٩] كما يأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى.

---

(١) هو أحمد بن محمد الخلوتي، الشهير بالصاوي: فقيه مالكي، نسبته إلى (صاء الحجر) في إقليم الغربية، بمصر، توفي بالمدينة المنورة، من كتبه: (حاشية على تفسير الجلالين) و(الفرائد السنية) شرح همزية البوصيري، توفي سنة ١٢٤١هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٢٤٦/١)، معجم المطبوعات ليوسف سركيس (٣٧٦/١).

(٢) انظر: حاشية الصاوي (٥٠/٣).

ولك أن تبقي كلمة " ﭐلدِّينِۖ" على عمومها الشامل للإيمان والإسلام والإحسان، كما في حديث جبريل[(١)]. والإيمان هو الأعظم. مع أن الإسلام والإحسان لا يمكن الإدخال فيه بالإكراه؛ لأن تحققه متوقف على الإيمان، فغير المؤمن لا يمكن أن يصلي أو يصوم أو يحج أو يعمل شيئًا من الأعمال الدينية؛ لأنه إذا عمل الأعمال التي تسمى في الظاهر صلاةً لم تكن أعماله تلك صلاة شرعية التي هي من الدين. وهكذا.

وأيضًا، فالأعمال الدينية يتوقف الاعتداد بها من الدين على النية، والنية لا يمكن تحصيلها بالإكراه.

فإن قلت: فما وجه ارتباط هذه الجملة بما قبلها؟

فالجواب: أن الله عزَّ وجلَّ لما قدم بيان حكمة الجهاد، وكونه حقًّا من عنده – كما تقدم بيانه – وبيَّن وضوح الحق وسقوط أعذار الكفار، وأنهم هم الظالمون كان ذلك مظنة لأن يحمل المسلمين على الغلو في الجهاد حبًّا للحق ورغبة في قبول الناس به، فدفع الله تعالى هذا ببيانه أن الدين لا يحصل بالإكراه.

فدل بذلك على أن الجهاد ليس المقصود منه الإكراه على الدين، وإنما المقصود منه حكم أخرى بيَّن الله تعالى بعضها فيما سبق، وبعضها يفهمه العقلاء، وباقيها يعلمها الله تعالى، كما تقدمت الإشارة إليه في آية الكرسي.

فإذا كان كذلك فعلى المسلمين أن يقتصروا من الجهاد على ما شرعه الله تعالى، ولا يغلوا فيه؛ فإن الغلو إنما يبعثهم عليه الرغبة في دخول الناس في الدين، ودخول الناس في الدين لا يحصل بالجهاد.

وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ كأنه – والله أعلم – جوابٌ عن سؤال مقدر، كأن المسلمين قالوا: فكيف نصنع في حمل الناس على الحق؟ فأجابهم تعالى بذلك، أي: إنّه ليس عليكم إلا البلاغ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل..، (١/١٩) (ح: ٥٠)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان..، (١/٣٦) (ح: ٨)، عن عمر رضي الله عنه.

وقوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ...﴾ [البقرة: ٢٥٦] من تتمة الجواب، أي إن من قبل الإيمان برضاه واختياره، فنفسَه نَفَعَ، ومن أبى فنفسه ضرَّ. والله أعلم. ويمكن بيان الارتباط بأكثر من هذا، ولكن يحتاج إلى إطالة، وفي هذا كفاية إن شاء الله تعالى.

فإن قال قائل: أنا لا أسلِّم أن معنى ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ﴾ لا إكراه على الدين - كما قلت - وإن اتفق عليه المفسرون، بل الظاهر عندي أن المعنى: ليس في أحكام الدين حكم بالإكراه. أي أعم من أن يكون إكراهًا على الإيمان أو على عملٍ ما من الأعمال مطلقًا. قلت: السياق يأبى هذا، ولا سيما قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾، وقوله في آية يونس: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩] ومع ذلك، فلا بأس أن نتكلم على هذا المعنى، فأقول: المتبادر إلى الأذهان أن الإكراه ظلمٌ مذموم؛ فلو قيل لك: إن في إقليم كذا ملكًا يكره الناس، تبادر إلى ذهنك أنه ظالم.

فإذا وافقت على هذا ساغ لنا أن ندعي أن الإكراه الحقيقي هو ما يكون ظلمًا، بدليل التبادر المذكور. فلا يشمل ما يسمى إكراهًا وليس بظلم، كإكراه المريض على الدواء، والصبي على التعليم.

ولو قيل لك - بدل المثال المتقدم -: إن في بلد كذا ملكًا يكره الأطفال على التعلم، ويكره العامَّة على تعلُّم الصنائع المفيدة، ويكره الرعية على القيام بما تتوقف عليه مصلحة شرف الأمة واستقلالها من النفقات، ويُكره الصالحين للقتال على القتال في الدفاع عن الأمة وشرفها، وأشباه ذلك لم يتبادر إلى ذهنك من هذه الصفات أن الملك ظالم، بل بالعكس نفهم أن الواصف يصفه بالحكمة والعدل.

فإن سلمت هذا، قلنا: إن الإكراه في الآية المراد به الإكراه الحقيقي، وهو ما يكون ظلمًا.

وإن بقي في نفسك شيء من هذا، فلا بأس أن نفرض أن الإكراه يشمل الضربين حقيقة، ولكن نقول: أريد منه ها هنا الضرب الأول خاصة، بمعونة القرائن والأدلة التي قدمناها، وذلك على سبيل المجاز، لما كان الضرب الثاني المقصود منه المصلحة والعدل والمنفعة مما يحسِّنه العقل، فكان ينبغي للناس أن يقبلوه برضاهم واختيارهم، ولا يلجئوا المصلح إلى

إكراههم عليه. ولذلك صح تخصيص الإكراه بالضرب الأول، وكان الثاني غير معتدٍّ به ولا منظورٍ إليه.

وعليه فالمعنى: وليس في أحكام الدين إكراه يكون ظلمًا. وهذا صحيح، بل ليس فيها ظلمٌ البتة، والحمد لله. وقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ الآية يؤيد ذلك[1].

---

(١) (هنا انتهت مسودة هذه الرسالة) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٨٦/٧).

﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾

[البقرة: ١-٥]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في تفسير أول خمس آيات من البقرة:[(١)]]

﴿لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة: ٢]:

الريبُ - والله أعلم - شكٌّ في صدق الخبر ونحوه[(٢)]، فإذا شككت في صدق مخبر فذاك ريب، وكذا إذا شككت في عفة مَن يتظاهر بالعفة؛ حتى لقد يقال فيما إذا شككت في نزول المطر، وقد ظهرت أماراته من تراكم السحاب والرعد والبرق.

﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢﴾

أي هدى لهم بالفعل، به اهتدوا، وبه يهتدون. فلا ينافي أن يكون هدى لغيرهم بالقوة، لأنّ المتقين قد كانوا غير متقين، وإنّما استفادوا التقوى والهدى منه. فإن لم تستفد منه التقوى والهدى فذاك نقصٌ فيك[(٣)]. ثم يتفاوت الهدى بتفاوت التقوى.

﴿**ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ**... ﴾: صفات كاشفة[(٤)]. وللصفة الكاشفة فوائد:

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (رسالة في تفسير أول سورة البقرة ١-٥) (١٣٣/٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٢٩/١)، تفسير ابن كثير (١٦٢/١).

(٣) هذا جواب لإشكال في سبب تخصيص المتقين بالاهتداء بالقرآن، وتعددت أجوبة أهل العلم عليه:

-الجواب الأول: ذكر المتقين وخصهم بالاهتداء مدحا وتشريفا لهم، وذهب إلى هذا الرازي والقرطبي.

-الجواب الثاني: أن القرآن في نفسه هدى، ولكن لا يناله إلا المتقين والأبرار، وذهب إلى هذا ابن كثير.

-الجواب الثالث: المراد بالهداية هنا التي هي بمعنى التوفيق، لا الهداية العامة التي هي بمعنى الدلالة والإرشاد، وذهب إلى هذا الشنقيطي.

انظر: تفسير الزمخشري (٣٦/١)، تفسير الرازي (١٩٣/١)، تفسير القرطبي (١٦١/١)، تفسير ابن كثير (١٦٣/١)، دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (ص:٧).

(٤) أي موضحة ومبينة، انظر: لسان العرب لابن منظور، (كشف) (٣٠٠/٩)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (الكشف) (ص: ٨٤٩).

الأولى: إحضار المعنى في ذهن السامع مفصَّلاً، إذ قد لا يتدبر المجملَ، كقول الأم لولدها: أنا أمُّك التي حملتك تسعة أشهر ثقلاً، ووضعتك كرهًا، وفعلت، وفعلت؛ فإنّها لو اقتصرت على قولها: أنا أمك، لم يؤثّر كلامها فيه كما يؤثر التفصيل؛ فتدبر.

الثانية: النصُّ على صفة قد يجهل المخاطب، أو يجحد، أو يشك أنَّها ملازمة للموصوف؛ كقوله في الآيات: ﴿**وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ**﴾ فإنَّ أهل الكتاب يجحدون التلازم بينها وبين التقوى.

الثالثة: إخراج صفة قد يزعم المخاطب أو يجوِّز وجودها في الموصوف.

﴿**بِٱلۡغَيۡبِ**﴾:

قيل: إنَّ الباء بمعنى (في)، أي: يؤمنون غائبين[(١)].

وقيل: إنها للاستعانة، أي: يؤمنون بالقلوب[(٢)]. وكلا القولين ضعيف، والصواب أنّ الباء هي التي يوصف بها الإيمان في نحو: آمنت بالله. وعليه فإن حُملت (ال) على الجنس لزم أن يكون الظاهر أنّه يكفي الإيمان بشيءٍ ما من الغيب وهو باطل، وإن حُملت على الاستغراق لزم اشتراط الإيمان بكل غيب؛ وهو غير صحيح. فالصواب أنّها للعهد أي: بالغيب الذي دعت الرسل إلى الإيمان به، وذلك الإيمان بالله وملائكته واليوم الآخر وسائر ما عُلِم أنّ الرسل أخبرت به.

﴿...**وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ**﴾: هذا كالتفسير للغيب، ولذلك - والله أعلم - أعاد لفظ "والذين"، فإن الإيمان بما أُنزل إليه وما أُنزل من قبل يتضمن الإيمان بكل ما يجب الإيمان به من الغيب.

وقوله: ﴿**بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ**﴾ يحتمل أن يكون خاصًّا بالقرآن وتدخل السنة بما في القرآن من الشهادة لها، ويحتمل أن يعمَّ القرآن والسنة بالنظر إلى معانيها، فإنَّ معانيها منزَّلة. ونحوه يقال في قوله: ﴿**وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ**﴾.

﴿**وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤**﴾: إنما نصَّ عليها مع دخولها في جملة ما أُنزل إليه وما أُنزل من قبله لأهميتها، فإن الانقياد للشريعة يتوقف على الرغبة والرهبة، وإنما يحصل ما يعتدُّ به منهما

(١) انظر: تفسير الزمخشري (١/٣٨).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (١/١١٥).

لمن آمن بالآخرة. فإنَّ الرغبة والرهبة لما في الدنيا ضعيفتان، لما يُشاهد كثيرًا من ابتلاء المؤمن وتنعيم الكافر.

وفي قوله: ﴿هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ قَصرٌ للإيمان بالآخرة عليهم، فأفاد أن غيرهم كاليهود والنصارى لا يوقنون بالآخرة، وإن زعموا ذلك.

وجاء هنا بقوله: ﴿يُوقِنُونَ﴾ إشارة إلى أن غيرهم قد يمكن أنه يؤمن بها ولكنه لا يوقن، وإلى أن المطلوب في حق الآخرة الإيقان بها. ولا يكفي التصديق الخالي عن اليقين، لأنه لا يكفي لحصول الرغبة والرهبة اللتين يدور عليهما الانقياد للشرع.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾: أتى باسم الإشارة ليلتفت المخاطب إلى الصفات السابقة، فيستحضرها مُفصَّلة – وقد تقدَّم ما في ذلك من الفائدة – وليعلم أن الموجِب لكونهم على هدًى هو اتصافهم بتلك الصفات، وليشهد بأنهم إذا اتصفوا بها حقيقون بأنْ يقال: إنهم على هدى.

وقوله: ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أرى أنّ فيه استعارة بالكناية، حيث شبَّه الهدى بالسراط، وطوى ذكر المشبَّه به، ورمز له بشيءٍ من لوازمه، وهو "على".

وأرى أن الهدى هنا غير الهدى السابق في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾. فالأول بمعنى الدلالة، وهذا بمعنى التوفيق والإرشاد. وكلاهما قد تضمنهما قوله في الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾. والآيات من البقرة كأنها إجابة لذاك الدعاء في الفاتحة ببيان السراط المستقيم، وبيان المنعَم عليهم من غيرهم.

﴿مِّن رَّبِّهِمْۖ﴾ فيه فوائد:

الأولى: الإشارة إلى أن هذا الهدى من الله تعالى محضًا، أي: بخلاف الهدى السابق في قوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾، فإنه وإن كان منه تعالى لكن اختيارهم فيه كان أقوى من اختيارهم في الثاني، فإن من اختار الهدى بقدر إمكانه فتح الله تعالى له من الهدى أضعاف ذلك.

الثانية: الإشارة إلى أن هذا الهدى حصل لهم بمقتضى الربوبية، فيفهم من ذلك أن هذا الهدى متوجِّه إلى كل مربوب، وإنَّما يمتنع حصوله للكفار لقصورٍ فيهم.

الثالثة: الإشارة إلى أن هذا الهدى داخل في إجابة قوله: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ لأنّ هذا الدعاء مبنيٌّ على قوله في الفاتحة: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾؛ لأنّها أوّل الصّفات العليا

فيها، إذ لم يتقدمها بعد البسملة إلا اسم الجلالة، وهو عَلَم لا يشعر البناء عليه بالعلة.

الرابعة: الإشارة إلى أنّ العناية التي تُفهم من لفظ "الرب" لها مزيدُ اختصاص بمن اتصف بالصفات السابقة، فهو سبحانه رب العالمين، وعنايته شاملة لهم جميعًا، ولكن حظ هؤلاء من العناية أتم. ولنقتصر على هذا.

﴿**وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥**﴾: أعاد اسم الإشارة ليعود المخاطب فيلتفت إلى الصفات السابقة، فيستحضرها تفصيلاً لنحو ما تقدَّم.

۞ ۞ ۞

[قال العلامة المعلمي-رحمه الله- في بيان نوع (من) من قوله تعالى ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾][(١)]

(قال سيِّدنا[(٢)] أيَّده الله: قد سبق لي مثل هذا في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣**﴾ **[البقرة:٣]**، فقال الخطيب[(٣)]: إنَّ المجيء بِ (مِنْ) التبعيضيّة إشارةٌ إلى منع إعطاء الكلّ[(٤)].

فقلت: كلا، وإنما فائدتها تعريف المخاطبين أن الأجر والمدح يحصل بإعطاء البعض، ولا يتوقف على إعطاء الكلّ، كما في قوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "اتقوا النار ولو بشق تمرة"[(٥)]، وغيره.

---

(١) انظر: آثار المعلمي، مجموع رسائل التفسير(٧/٢٢٥).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ابن السيد أحمد ابن إدريس: مؤسس دولة الأدارسة في صبيا وعسير (باليمن)، أصله من فاس، تعلم في الأزهر (بمصر) وطمح إلى السيادة، فنشر في صبيا طريقة جده (أحمد بن إدريس) فاتبعه كثيرون، وتوفي ١٣٤١هـ، انظر: الأعلام للزركلي (٦/٣٠٣).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله، المعروف بابن الخطيب، من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ولد بالري وإليها نسبته، وأصله من طبرستان، فقيه وأصولي شافعي، متكلم، نظار، مفسر، أديب، له كتاب (المحصول) و (التفسير الكبير) وغيرها، توفي سنة ٦٠٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢١/٥٠٠)، الأعلام للزركلي (٦/٣١٣).

(٤) انظر: بمعناه تفسير الرازي (٢/٢٥٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: اتقوا النار.. (٢/١٠٩) (ح: ١٤١٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة، (٢/٧٠٤) (ح: ١٠١٦)، كلاهما عن عدي بن حاتم رضي الله عنه.

فقلت: فنصُّه على أن البعض موجبٌ للأجر والثواب يدلُّ على أن الكلّ من باب أولى. ولو نصَّ على الكلِّ لكان الظاهر توقُّف المدح عليه دون البعض، والأمر بخلافه.

أقول: وعلى ما تقرّر، فيكون هذا من مفهوم الموافقة(١) لا مفهوم المخالفة، فإن مفهوم المخالفة شرطه كما في "اللبّ" أن لا يظهر لتخصيص المنطوق بالذكر فائدةٌ غير نفي حكم غيره(٢).

وها هنا قد ظهرت فائدةٌ غير نفي حكم غيره، وهي ما قرّره سيّدنا أيَّده الله تعالى(٣).

قال في "شرح اللّبّ" بعد أن حكى بعض الصور لِما يظهر لتخصيص المنطوق بالذكر فائدة غير نفي حكم غيره – ما لفظه:

"والمقصود ممّا مرّ أنه لا مفهوم للمذكور في الأمثلة المذكورة، ونحوها. ويُعْلَم حكم المسكوت فيها من خارج بالمخالفة، كما في الغنم المعلوفة؛ أو بالموافقة كما في آية الرَّبيبة(٤)، للمعنى، وهو أنَّ الرَّبيبة حرمت لئلا يقع بينها وبين أمّها التباغض لو أبيحت، نظرًا للعادة في مثل ذلك، سواء كانت في حِجْر الزوج أم لا"(٥)اهـ.

---

(١) عرفه الغزالي بقوله (فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام) وعرفه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بقوله (ما يكون فيه المسكوت عنه موافقا لحكم المنطوق، مع كون ذلك مفهوما من لفظ المنطوق). انظر: المستصفى (ص: ٢٦٤)، مذكرة الشنقيطي (ص: ٣٧٠).

(٢) انظر: غاية الوصول شرح لب الأصول لزكريا الأنصاري (ص: ٣٢)، وعرفه الشنقيطي بقوله (أن يكون المسكوت عنه مخالفا لحكم المنطوق). انظر: مذكرة الشنقيطي (ص: ٣٧٢).

(٣) ما ذكره بقوله (أنَّ إعطاء الكلّ ليس ممّا يُنهى عنه، لقوله تعالى: **﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [الحشر:٩]، وقصةِ سيِّدنا أبي بكر، وغير ذلك. وإنما يُنهى عن إعطاء الكل في حقِّ أهل القصور عن اليقين. وحملُ القرآن على الأوّل أولى، بل يتعيّن؛ لأنه الأشرف، والقرآن يُحمل على أحسن المحامل وأكملها). انظر: آثار المعلمي، مجموع رسائل التفسير(٧/٢٢٢).

(٤) يعني قوله تعالى لما ذكر المحرمات من النساء: **﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾**[سورة النساء آية: **٢٣**].

(٥) انظر: غاية الوصول لزكريا الأنصاري (ص: ٣٢)، وانظر: بسط المسألة في تفسير القرطبي (٧/١٠٦ وما بعدها)، تفسير ابن كثير (٢/٢٤٩وما بعدها).

أي: فقد ظهرت فيه لتخصيص المنطوق بالذكر فائدة غير نفي حكم غيره، ودلّ المعنى على موافقة المسكوت للمنطوق في الحكم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:٣]، فإنها ظهرت فيها لتخصيص المنطوق بالذكر فائدة غير نفي حكم غيره، ودلّ المعنى على موافقة المسكوت للمنطوق؛ إذ المعنى أنَّ المدح تسبَّب عن البذل والإنفاق، ومن المعلوم أنه كلما أكثر البذل والإنفاق زاد المدح. بل هو في هذه أوضح منه في آية الربيبة، لأنَّ ذلك مساوٍ، وهو المسمَّى بـ "لحن الخطاب"[١]، وهذا بالأَوْلى، وهو المسمَّى بـ "فحوى الخطاب"[٢]، والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة:١٣]

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في محاورة أهل الكلام والفلاسفة في رد النصوص بعقولهم:][٣]

(وإذا قيل لهم: صدِّقوا بما جاءت به الرسل، قالوا: لا نُصدِّق فيما يتعلق بالمعقولات إلا بما أدركته عقولُنا أو كشفُنا، واستهزأوا بمن يأخذ دينه من النصوص، وسمَّوهم: الحشوية[٤]،

---

(١) وهو أن يساوي المفهوم حكم المنطوق. انظر: انظر: غاية الوصول لزكريا الأنصاري (ص: ٣٢)، إرشاد الفحول للشوكاني (٢/٣٧).

(٢) وهو أن يكون المفهوم أولى في الحكم من المنطوق. انظر: غاية الوصول لزكريا الأنصاري (ص: ٣٢)، وشرح مختصر الروضة للطوفي (٢/٧١٤).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٣٦٧).

(٤) أول من عرف عنه أنه استعمل لفظ الحشوية عمرو بن عبيد، نبز به عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وبعدها صار لفظا يستعمله المخالفين لأهل السنة والجماعة فيما يخالفونهم فيه من إثبات الصفات وغيرها من المسائل العقدية وينبزونهم به، والمقصود به من الحشو وهم العامة الذين لا فهم لهم في الشرع مع ابتداع فيه فالحشوية عندهم طائفة من المبتدعة. انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية (١/٢٤٢)، تاج العروس للزبيدي (حشو) (٣٧/٤٣٤).

والغُثاء[1]، والغُثْر[2]، وغير ذلك. قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٨٣﴾ [غافر:٨٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥].

وإذا قيل لهم: آمنوا بالنصوص كما آمن بها السلف الصالح، قالوا: أولئك أعراب أُمِّيون جُفاة لا يدرون ما المعقول. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾ [البقرة:١٣].

وآل بهم الزيغ إلى نِسْبة الكذب إلى الله تعالى ورسله، كما يجيء في الباب الآتي[3]، فأنَّى يهديهم الله تعالى؟).

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٢٢﴾ [البقرة ٢١ - ٢٢].

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان معنى الند:][4]

(وأما الأنداد فجاء في أشياء أيضًا:

(١) المتديَّنُ بطاعتهم من البشر من دون الله تعالى.قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟

---

(١) كلمة يستعملها المخالفون لأهل السنة والجماعة لنبزهم، والغثي كلمة تدل على ارتفاع شيء دني فوق شي، فمقصودهم أن أهل السنة الجماعة من سقطة الناس وأراذلهم الذين لا فهم لهم. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (غثي) (٤/٤١٢-٤١٣)، لسان العرب لابن منظور (غثا) (١٥/١١٥-١١٦).

(٢) كلمة يستعملها المخالفون لأهل السنة والجماعة لنبزهم، والغثر تدل على جمع من الناس غير كرام بل من الغوغاء الجهلة. انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (غثر) (٤/٤١٢)، لسان العرب لابن منظور (غثر) (٥/٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٣٨٦ وما بعدها).

(٤) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٤٩٣-٤٩٤، ٦٥٥).

رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة ٢١ – ٢٢].

قال ابن جريرٍ: حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو، قال: حدثنا أسباط، عن السدِّي في خبرٍ ذكره عن أبي مالكٍ، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرَّة، عن ابن مسعود، وعن ناسٍ من أصحاب النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾، قال: أكْفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله(١).

وذكر غير هذا، ولكن اخترت هذا لأنه حكاه عن جماعة من الصحابة، ولأنه يوافق ما يأتي(٢).

وقد دلَّت هذه الآية على أن الأنداد هم المعبودون من دون الله).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معرفة كفار قريش للربوبية وخفاء ذلك عن بعض العلماء:](٣)

(ليس من الغريب أن تُجهل حقيقة تاريخية مضت عليها آلاف السنين، أو كان العلم بها خاصًّا بأفراد قليلين، أو لم تكن مما يهمّ حفظه ونقله.

وإنَّما الغريب أن تُجهل حقيقة أكبر من ذلك، كعقيدة العرب في وثنيتها، فإنَّها خفيت منذ أزمان، حتى نسمع ابن جرير – كما سيأتي –(٤) ينعى على مجاهد أنَّه لم يعرفها، ومولدُ مجاهد قبل العشرين من الهجرة، فليس بينه وبين عصر الوثنيّة إلاَّ نحو عشرين سنة، وقد أدرك كثيرًا ممَّن أدركوها ودانوا بها. ثم هي ممَّا يهمُّ المسلمين معرفته؛ فإنَّ الإسلام إنَّما جاء لنقض المختلِّ منها وممَّا يشبهها، وكثير من الآيات القرآنية إنَّما هي في محاجَّة أهلها ومناقشتهم، فمن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/٣٦٨).

(٢) من الآيات الأخرى في القرآن والمراد بها المتدين بطاعتهم من البشر كقول الله تعالى: (**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ..**) [البقرة:١٦٥]وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ**..﴾ [إبراهيم:٣٠]. انظر: آثار المعلمي (٢/٤٩٤-٤٩٦).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٦/١٥٧).

(٤) سيأتي قريبا بعد أسطر.

لم يعرفها يصعب عليه فهم تلك الآيات الكثيرة، بل ربَّما يكون الأمر الأعظم من ذلك).

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:](١) ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢]، قال(٢): "وأحسب أن الذي دعا مجاهدًا(٣) إلى هذا التأويل(٤)، وإضافة ذلك إلى أنه خطابٌ لأهل التوراة والإنجيل دون غيرهم، الظنُّ منه بالعرب أنها لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها بجحودها وحدانيَّة ربِّها وإشراكها معه في العبادة غيره، وإن ذلك لقولٌ؛ ولكن الله جلَّ ثناؤه قد أخبر في كتابه أنها كانت تقرُّ بوحدانيَّته غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١]، فالذي هو أولى بتأويل قوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إذ كان ما كان عند العرب من العلم بوحدانيَّة الله عزَّ وجلَّ، وأنه مبتدع الخلق وخالقهم ورازقهم نظيرَ الذي كان من ذلك عند أهل الكتابين ... "(٥).

ونسبة ابن جريرٍ هذه الغفلة إلى مجاهدٍ مع جلالة مجاهد تهوِّن عليك نسبة مثل هذه الغفلة إلى غيره، حتى إنه قد يقع فيها ابن جريرٍ نفسه في بعض المواضع.

وفي تفسير ابن جريرٍ عند قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف:١٠٦]، قال ابن جريرٍ: " ... عن ابن عبَّاسٍ ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ﴾ الآية، قال: من إيمانهم إذا قيل لهم: مَن خلق السماء ومَن خلق الأرض ومَن خلق الجبال؟ قالوا:

---

(١) انظر: المرجع نفسه، (العبادة) (٧٢٢/٣)، (مجموع رسائل العقيدة) (١٥٨/٦).

(٢) أي: ابن جرير الطبري -رحمه الله-.

(٣) هو مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المخزومي، مولاهم المكي ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة ١٠١هـ وقيل بعد ذلك. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٢٨٩/٢٧)، التقريب لابن حجر (ص: ٩٢١).

(٤) قول مجاهد -رحمه الله-: (وأنتم تعلمون"، يقول: وأنتم تعلمون أنه لا ند له في التوراة والإنجيل) انظر: تفسير الطبري (٣٧١/١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٣٧١/١-٣٧٢).

"الله". وهم مشركون ....

عن عكرمة ... قال: تسألهم مَن خلقهم ومَن خلق السموات والأرض؟ فيقولون: "الله". فذلك إيمانهم بالله، وهم يعبدون غيره".

ثم ذكر نحوه عن الشعبيِّ[١] ومجاهدٍ. وفي روايةٍ عن مجاهدٍ: "إيمانهم قولهم: "الله خالقنا ويرزقنا ويميتنا"، هذا إيمانٌ، مع شرك عبادتهم غيره".

وأخرج عن قتادة قال: " ... هذا إنك لستَ تلقى أحدًا منهم إلا أنبأك أن الله ربُّه وهو الذي خلقه ورزقه، وهو مشركٌ في عبادته".

وأخرج نحوه عن عطاءٍ[٢]. ثم قال: "حدَّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهبٍ، قال: قال ابن زيدٍ: يقول: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ﴾الآية. قال: ليس أحدٌ يعبد مع الله غيره إلا وهو مؤمنٌ بالله، ويعرف أن الله ربُّه، وأن الله خالقه ورازقه، وهو يشرك به، ألا ترى كيف قال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۝٧٥ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ۝٧٦ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٥ - ٧٧]؟ قد عرف أنهم يعبدون رب العالمين مع ما يعبدون. قال: فليس أحدٌ يشرك به إلا وهو مؤمنٌ به، ألا ترى كيف كانت العرب تلبِّي تقول: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إلاَّ شريكٌ هو لك، تملكه وما مَلَك"؟ المشركون كانوا يقولون هذا"[٣].

وفي تصريح مجاهدٍ بما سمعتَ - وهو ثابتٌ عنه من عدَّة طرقٍ - ما يبيِّن بطلان ما اتَّهمه به ابنُ جريرٍ من أنه ظنَّ أن العرب لم تكن تعلم أن الله خالقها ورازقها، إلاَّ إن كان غفل عن ذلك غفلةً، كما قد تقع الغفلة عن ذلك من غيره كثيرًا - كما تقدَّم -، والله أعلم.)

(١) هو عامر بن شراحيل الشعبي، أبو عمرو ثقة مشهور، فقيه فاضل، مات بعد المئة. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٢٨/١٤)، التقريب لابن حجر (ص: ٤٧٥).

(٢) هو عطاء بن أبي رباح، المكي ثقة فقيه فاضل، لكنه كثير الإرسال، مات سنة ١١٤ على المشهور. انظر: تهذيب الكمال للمزي (٦٩/٢٠) التقريب لابن حجر (ص: ٦٧٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٨٦/١٦-٢٨٩).

﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة:٢٦]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معنى ﴿فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾:][(١)]

(قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٦]. وليس المعنى بعوضة مع ما فوقها)[(٢)].

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معنى إضلال الله:][(٣)]

(قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [غافر:٧٤]، أي: أن ذلك الضلال الذي كنتم عليه أوجبه كفركم أوّلاً كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠]، وكما هنا للتعليل[(٤)] أي: لعدم إيمانهم أول مرة عاقبهم الله عَزَّ وَجَلَّ بالضلال، كما قال تعالى: ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم:٢٧]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾[البقرة:٢٦]، وغالب ما في القرآن من نسبة الضلال إلى

---

(١) انظر:آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (٤٧/١٨).

(٢) اختلف أهل العلم في تفسير لفظة (فَمَا فَوْقَهَاۚ) على أقوال:

–القول الأول: معناها ماهو أعظم منها وهو قول كثير من السلف واختاره الطبري والبغوي.

–القول الثاني: معناها ماهو دونها أحقر منها وهو قول الكسائي وأبي عبيدة والرازي.

–القول الثالث: أن اللفظة صالحة للمعنين أي ما هو أشد من البعوضة حقارة وما هو أكبر منها وهو قول الطاهر بن عاشور وهو الأقرب والله أعلم.

انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (١٥/١)، تفسير الطبري (٤٠٥/١)، تفسير البغوي (١٠٠/١)، تفسير الرازي (٢٨٧/١)، تفسير ابن كثير (٢٠٦/١-٢٠٧)، تفسير الطاهر بن عاشور (٣٦٢/١).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢ /٥٣٩).

(٤) اختار هذا ابن عطية، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والطاهر بن عاشور. انظر: تفسير ابن عطية (٣٣٤/٢)، تفسير أبي حيان (٢٠٥/٤)، تفسير السمين الحلبي (١١١/٥)، تفسير الطاهر بن عاشور (٤٤٢/٧).

الله عزَّ وجلَّ جارٍ هذا المجرى، أي واقع عقوبة على عناد وتكبر يقع من الإنسان أولاً)[(١)].

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:][(٢)] (فإن قيل: فإن الله تبارك كما وصف نفسه بأنه يهدي، فقد وصف نفسه بأنه يُضلّ، وكما وصف كتابه بأنه هُدًى، فقد وصفه بأنه يُضلّ به.

قلت: أخبر الله تعالى بأنه يُضِلُّ من يشاء، ثم أخبر بأنه يُضلّ مَن هو مسرف كذاب، ويضل الكافرين، ويضل الظالمين، وقال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ١١٥**﴾ [التوبة: ١١٥]، يعني - والله أعلم - فإذا لم يتقوا تعرضوا لإضلال الله عَزَّ وَجَلَّ.

۞ ۞ ۞

وقال سبحانه: ﴿**۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦**﴾[البقرة:٢٦]. وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٢٤ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ١٢٥**﴾[التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ ٤٤**﴾[فُصِّلَت:٤٤].

فالإضلال بالقرآن ليس منه أن ينزل عزَّ وجلَّ آية لها ظاهر لا يفهم المخاطبون منها غيره، ويكون ذلك المعنى في نفسر الأمر باطلاً، فإن هذا - مع ما فيه من التلبيس والكذب الذي يتعالى الله عَزَّ وَجَلَّ عنه - من شأنه أن يضل المؤمنين قبلَ غيرهم، لأنهم هم الذين يسارعون إلى تصديق القرآن والعمل به.

وإنّما الإضلال بالقرآن على وجهين:

---

(١) وهذا قول الطبري والقرطبي وابن كثير ومحمد الأمين الشنقيطي وغيرهم، بل نقل القرطبي الإجماع على أن طبع الله على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم. انظر: تفسير الطبري (١/٢٦٠-٢٦٢)، تفسير القرطبي (١/١٨٧)، تفسير ابن كثير (١/١٧٤)، دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (ص: ١٢).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل أصول الفقه) (١٩/٢١٣).

الأول: أن يكون فيه ما يستنكره مَن في قلبه ريب، أو يخالف هواه لتقليدٍ أو إعجابٍ برأي أو غير ذلك.

الثاني: أن يُنزِل الله تعالى آية إذا سمعها المؤمن وتدبَّرها، ونظر في سياقها وفي الآيات الأخرى، عرف المراد بها فاهتدى بها، وإذا سمعها الكافر أو الضال رأى أنها تحتمل ما يُوافق هواه، فتمسَّك بها اتباعًا لهواه لا إيمانًا بكتاب الله.

فتدبَّر الآيات المتقدمة، وانظر ما فتح الله عليَّ، تجدْه هو الحق بحمد الله عزَّ وجلَّ، فإياك أن تكون من القسم الأخير، فتضلَّ بقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا**﴾، فتكونَ من ذلك الكثير.

ثم ارْجعِ النظرَ، فانظر مَن هو المستحق لأن يهديه الله تعالى وأن يكون القرآن له هدًى، ومَن هو المستحق أن يضلَّه وأن يكون القرآن له عَمًى؟ وقد قال تعالى: ﴿**الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ**﴾ [أول سورة البقرة]، فهل الأحق بالهدى والاهتداء بالقرآن مَن يؤمن بالله وكتابه ورسوله، ويجعله إمامًا لا يطلب منه بدلاً، ولا يرضى بغيره حَكمًا، ولا يطلب على صدقِ خبر الله عزَّ وجلَّ دليلاً، ولا يتوقف عن الأخذ به لاحتمال أن يكون تلبيسًا، ولا يردُّه لمخالفته قولَ أفلاطون(١) وأرسطو(٢)، والفارابي(٣) وابن سينا(٤)،

(١) هو أفلاطون، فيلسوف يوناني، هو وسقراط واضعي الأسس الفلسفية للثقافة الغربية، معظم مؤلفاته محاورات ككتاب: (الجمهورية) وغيرها، نقد ابن تيمية في ما يتعلق بالعقيدة، مات سنة (٣٤٧ق.م).
انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥/٢٠٤) (١١/٢٢٠)، معجم المورد لمنير بعلبكي (ص:٦٠).

(٢) هو أرسطو، أرسطوطاليس، فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون، وأستاذ الإسكندر المقدوني، اهتم بظواهر الطبيعة، وتأثر به جميع المفكرين الذين جاءوا بعده، له من الكتب: (السياسة)، و(ما وراء الطبيعة) وغيرها، نقده ابن تيمية فيما يتعلق بالعقيدة، ومات سنة (٣٢٢ق.م). انظر: معجم أعلام المورد لمنير البعلبكي (ص:٥٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (٩/٢٤٦).

(٣) هو أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، التركي الفارابي المنطقي، أحد الاذكياء وكبار الفلاسفة، قال الذهبي عنه: (له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى منها، ضل وحار، منها تخرج ابن سينا، نسأل الله التوفيق) مات سنة ٣٣٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٤١٦)، الأعلام للزركلي (٧/٢٠).

(٤) هو حسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، الفيلسوف الرئيس، من أصحاب القرامطة الباطنيين، =

وفلان وفلان، وفلان وفلان، أم مَن هو على خلاف ذلك؟ والله يهدي مَن يشاء إلى صراط مستقيم.)

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:](١) (واعلم أن هذا الاشتباه(٢) ناشئ عن الجهل بحكمة الله عَزَّ وَجَلَّ في الخلق والتكليف، وقد بحثتُ عنها في موضع آخر(٣)، وأكتفي هنا بالإشارة إليه، فأقول مستعينًا بالله عزَّ وجلَّ: إن كمال جوده سبحانه اقتضى أن يجود بالكمال إلى الحد الممكن، فخلق الجن والإنس صالحين لاكتساب الكمال. وأقرب كمالٍ يُعدُّ كمالاً للمخلوق هو ما كان باكتسابه باختياره، مع عناء ومشقة. فجعل الله سبحانه خلقه وأمره على الحال الموافقة لذلك. ثم أمرهم سبحانه بكل ما هو كمال لهم، ونهاهم عن كل ما ينافي الكمال. وامتثال أمره ونهيه هو طاعته، وطاعته هي عبادته، فعبادته هي الكمال الذي خلقوا له. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات:٥٦]. ولم يجعل الله سبحانه حجج الحق بغاية الظهور؛ لأنها لو كانت كذلك لكانت معرفتها سهلة، ولكان الخلق كالمجبورين على قبولها، ألا ترى أن ألدَّ الخصوم إذا اتفق أن تقام عليه حجة بغاية الظهور لم يسعه إلا التسليم. ومثل هذا التسليم لا يُعدُّ فضيلة. وكذلك معرفة ما لا صعوبة في معرفته البتة. والمطلوب من الخلق أن يعرفوا الحق معرفةً تكون كمالاً لهم.

فمن الحجج ما هو في نفسه على الحال الموصوفة من عدم سهولة معرفته، وعدم كونه بغاية الظهور.

= صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى، ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، مات سنة ٤٢٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٥٣١/١٧)، الأعلام للزركلي (٢٤١/٢).

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل أصول الفقه) (١٠/١٩).

(٢) يقصد شبهتين أوردهما عن البعض، وخلاصتهما: ما الحكمة من عدم تفصيل القرآن لكل شيء؟ والثانية: استنكار تكرار الله للقصة عن الأمم الماضية أكثر من موضع، وذكر بعض فروع الأحكام التي تبدو للناظر أنها ليست بعظيمة الأهمية، ككتابة الدين، ومع ذلك لا يذكر الأمور العظيمة، كعدد ركعات الصلاة وصفتها. انظر: المرجع نفسه (٨/١٩).

(٣) انظر: المرجع نفسه، (العبادة) (٥٦/٢-٧٨).

ومنها: ما ليس في نفسه كذلك، ولكن الله تبارك وتعالى قدر معه شبهات يصير معها على تلك الحال، فإن الشبهة تُرِيب في ما هو في نفسه بغاية الظهور القطعي. واعتبرْ ذلك بأن تأخذ تفاحة وتنظر إليها وتمسَّها وتشمَّها وتذوقَها، ثم تفكّر هل عندك أدنى أدنى شبهة في كونها تفاحة على الحقيقة، ثم فكِّرْ هل هذا العلم القاطع خاص بك أم بكل من يعرف التفاح ويختبر التفاحة كاختبارك أو دونه؟ ثم ادعُ بدويًّا وناوِلْه التفاحة، وقيل له: تأملْ فيها، ثم تقول: مسَّها، ثم تقول: شمَّها، ثم تقول: ذُقْها، ثم سله: هل يرتاب في أنها تفاحة؟ فيوشك أن تراه قد عرض له بعض الارتياب. فدَعْه مدة ثم قل له: إن في محل كذا رجلاً ساحرًا ربما أخذ الحصاة، ثم يناولها الحاضرين فيرون أنها خاتم من ذهب، وربما أخذ البعرة أو ما هو أخبث منها، ثم يناولها الحاضرين فيرونها قطعة سكَّر أو شيئًا من الفاكهة. ثم اذهبْ بذلك البدوي إلى رجل تُوهِمه أنه ذلك الساحر، وقد تواطأتَ معه أن يناولكم تفاحًا! فماذا ترى حال البدوي إذا ناوله ذلك الرجل تفاحة؟ ألا تراه يُحجِم عن تناولها، وإن تناولها وجدته متقذرًا لها، فإذا أُمر بشمَّها لم يكد يدنيها من أنفه، وإن أُمر بذوقها أنكر ذلك ولم يطقه!

ولهذا كان علماء السلف يتباعدون عن سماع الشبهات، وينهون الناس عن مجالسة أهلها، أو سماع كلامهم. وإنما ذلك لأنهم عرفوا أنهم وعامة المسلمين قد حصل لهم اليقين الكامل بصحة الدين وأصوله، ولا يرجى من سماع الشبهات فائدة ما، بل يُخشى منها أن تُزلزِل ذلك اليقين.

والمقصود أن الله تبارك وتعالى جعل الشبهات لِتَعرِض لمن شاء من عباده، فمنهم من تَعرِض له فيُعرِض عنها ثقةً بما عنده من الحجة، فيكون هذا كمالاً له.

ومنهم من تعرض له قبل معرفة الحجة، فيبذل وسعه في النظر حتى يرزقه الله معرفة الحجة، ويكون ذلك كمالاً له. ومنهم من تعرض له وقد عرف الحجة، ويحس من نفسه قوة على حل الشبهة، فيسعى في ذلك نصيحة لخلق الله عزَّ وجلَّ، فيكون ذلك كمالاً له. ومنهم من يكون له هوى في خلاف الحجة، فإذا بغَتَتْه الحجة كرهها، فعرضت له الشبهة فاستراح إليها، فبقي على الحال التي تليق به، إذ لولا الشبهة لربما قهرته الحجة فيقبلها مكرهًا، وليس ذلك بكمال. ومنهم من لا يكون له رغبة في الكمال، ولكنه يأنف من الاعتراف بالجهل،

فحاول النظر فعرضت له شبهة، فقنعَ بها، ولم يُتعِب نفسه في طلب الحق. ومنهم من يكون قد عرف الحق ولكنه لا يريد الخضوع له، ويأنف من أن يقال: إنه يردُّ الحق مع علمه به، فتعرِض له الشبهة فيتمسك بها ويدعي أنها الحق. إلى غير ذلك من حِكَم الله عزَّ وجلَّ، وقد يجمعها أو غالبها اسم "الابتلاء".

۞ ۞ ۞

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ﴾ [الملك: ٢]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً﴾ [الحج: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ﴾ [الأنبياء: ٣٥].وراجع آيات الفتنة والابتلاء في القرآن، فإنها كثيرة.

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة:٢٦].فهذا حال هذه الشبهة ونظائرها.)

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:][١] (فقد تكفَّل الله عَزَّ وَجَلَّ بحفظ شريعته، فإن اتفق أن فاجرًا تظاهر بالثقة فاغتر به بعض الناس، فكذب في حديثٍ؛ فإما أن يفضحه الله عزَّ وجلَّ، وإما أن يرشد الناظر إلى ما يرد خبره، فإن تركه ففي بعض الأحوال والوقائع لحكمة يعلمها سبحانه، ثم يبين حاله في غير ذلك.

فإن قيل: قد يأخذ به آخذٌ، فيخطئ فيتبعه طائفة إلى يوم القيامة.

قلت: يبينه الله تعالى لغيره، ويكون على من تمكَّن من النظر من أتباعه أن ينظر، أو يسمع كلام من خالف متبوعه، أو يسأل، فيبين الله تعالى له. فإن أصرَّ الأتباع على رأي متبوعهم ولم يلتفتوا إلى غيره، فذاك ضلالٌ ارتضوه لأنفسهم، والدين بريء منه.

ومثل هذا يقع كثيرًا في النظر العقلي، وفي فهم القرآن، كما لا يخفى. وذلك غير خارج عن الحكمة، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: ٢٦]).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٩/٦٨).

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان أن الأصل في الأشياء الإباحة:](١)

(قال الله عزَّ وجلَّ في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩] ..... فالآية الأولى صريحةٌ في أن جميع ما في الأرض [مخلوق](٢) لبني آدم. وإذا كان لهم، فهو مباح لهم. ففي الآية عموم الإباحة، فهي الأصل، وتحريم بعض ما في الأرض تخصيصٌ لهذا العموم، فلا يُصَار إليه إلا بدليل(٣).)

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (عمارة القبور في الإسلام) (٥/٨-٩).

(٢) (بعد (الأرض) بياض بمقدار كلمة، والسياق يناسب ما أثبت) قاله المحققون على مشروع المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٣) هذه المسألة –وهي المعنونة عند أهل العلم بحكم الأعيان المنتفع بها قبل ورود الشرع– فيها ثلاثة أقوال:

- أنها على الإباحة حتى يرد دليل التحريم، وهذا قول البيضاوي والزمخشري ومال إليه ابن قدامة ونسب إلى المعتزلة وجماعة من الشافعية والحنفية.
- أنها على التحريم حتى يرد دليل الإباحة، وهذا قول للمعتزلة.
- أنها على التوقف حتى يرد دليل مبين للحكم فيه، وهذا قول المالكية وقول للحنفية وقول للمعتزلة.

وبين الطاهر بن عاشور –رحمه الله– أن ثمرة هذه المسألة تظهر في صورتين:

- قبل ورود الشرع لأهل الفترة، واستدرك على ذلك بأن أهل الفترة لا شرع لهم وليس لأفعالهم أحكام، فلا داعي لفرضها.
- بعد مجيء الشرع فقد أغنى الشرع عن ذلك، فإن لم يوجد نص ولا قياس ولا استدلال صحيح، فالصحيح أن أصل المضار التحريم والمنافع الحل.

انظر: تفسير الزمخشري (١/١٢٢-١٢٣)، أحكام القرآن لابن العربي، روضة الناظر لابن قدامة (ص: ٣٨-٤٠)، تفسير القرطبي (١/٢٥١)، تفسير البيضاوي (١/٢٧١)، تفسير الطاهر ابن عاشور (١/٣٨١)، مذكر الشنقيطي (ص: ٢٤-٢٦).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في تقدم خلق الأرض على السماوات:][(١)]

﴿**هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾ [البقرة: ٢٩] بأن خلقها، وجعل فيها رواسي، وبارك فيها، وقدَّر فيها أقواتها؛ كما تبيِّنه آية حم السجدة[(٢)]، وسيأتي تفسيرها إن شاء الله[(٣)].

﴿**ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ**﴾ أي وهي دخان، فقال لها وللأرض: ائتيا طائعين؛ كما في آية حم السجدة.

﴿**فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ**﴾ هو كقوله في آية [حم] السجدة: ﴿**فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ**﴾ [١٢]، وكقوله في آية النازعات: ﴿**بَنَىٰهَا ۝ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۝**﴾ [٢٧، ٢٨].)

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:][(٤)] (قال الجلال[(٥)]: " ﴿**وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝**﴾ [النازعات:٣٠] بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحو"[(٦)] أي: وبذلك يتبيَّن اتفاق الآيات.

وفي الشَّربيني[(٧)]: "قال الرازي: وهذا الجواب مشكل لأن الله تعالى خلق الأرض في يومين، ثم إنه في اليوم الثالث جعل فيها رواسي من فوقها، وبارك فيها، وقدَّر فيها أقواتها.

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل التفسير) (٢٨٣/٧).

(٢) (يعني سورة فصلت، وكذا تسمى في المصاحف الهندية) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر: المرجع نفسه. (٢٨٧/٧).

(٥) هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي: أصولي، مفسر، مولده ووفاته بالقاهرة، عرفه ابن العماد بتفتازاني العرب، له من الكتب: (شرح الورقات) (كنز الراغبين) وغيرها، مات سنة ٨٦٤هـ. انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٤٤٣/١)، الأعلام للزركلي (٣٣٣/٥).

(٦) انظر: تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي (ص:٥٨٤).

(٧) هو محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين: فقيه شافعي، مفسر، من أهل القاهرة، له تصانيف منها: (السراج المنير) و (مغني المحتاج)، مات سنة ٩٧٧هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/٦)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٧٠/٣).

وهذه الأحوال لا يمكن إدخالها في الوجود إلا بعد أن صارت الأرض منبسطة. ثم إنه تعالى قال. بعد ذلك: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فهذا يقتضي أنَّ الله تعالى خلق السماء بعد خلق الأرض، وبعد أن جعلها مدحوَّة؛ وحينئذ يعود السؤال. ثم قال: والمختار عندي أن يقال: خلقُ السماء مقدَّم على خلق الأرض. وتأويل الآية أن يقال: الخلق ليس عبارة عن التكوين والإيجاد. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩]. فلو كان الخلق عبارة عن الإيجاد لصار تقديرُ الآية: أوجده من تراب، ثم قال له: كن، فيكون؛ وهذا محال. فثبت أنَّ الخلق ليس عبارة عن الإيجاد، والتقدير في حق الله تعالى هو كلمته بأن سيوجده. إذا ثبت هذا فنقول: قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت:٩] معناه أنه قضى بحدوثها في يومين وقضاءُ الله تعالى أنه سيحدث كذا في مدَّة كذا لا يقتضي حدوثَ ذلك الشيء في الحال. فقضاءُ الله تعالى بحدوث الأرض في يومين قد تقدَّم على إحداث السماء، وحينئذ يزول السؤال"[1].

أقول: هذا الوجه بعيد جدًّا؛ لأن الله يقول في سورة البقرة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]. وقال في حم السجدة: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ... وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً﴾[فُصِّلَت:٩-١٠] فالآيتان ظاهرتان في تقدُّم خلق الأرض. وجعلُ "خلَقَ" بمعنى "قضى" ضعيف.

فأما قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران:٥٩] فالمراد - والله أعلم -: ثم قال له: كن بشرًا حيًّا سويًّا. وهذا ظاهر.

فإن قلت: إنَّ تقدير الخلق سببٌ له، فلم لا يجوز إطلاقُه عليه مجازًا من إطلاق المسبَّب وإرادة السبب؟

قلت: الأصل الحقيقة، ولا يُعدل عنه إلا بدليل، ولا سيَّما والسياق يؤيد الحقيقة.

فإن قلت: فالدليل آية النازعات.

قلت: لا نسلِّم أنَّها تدلُّ على أنَّ بسط الأرض كان بعد خلق السماء. وذلك أنَّا نقول: إنَّ المراد بالدحو في قوله تعالى: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ إزالةُ شيءٍ كان على وجه الأرض يمنع إخراج مائها

---

(١) انظر: تفسير الشربيني (٣/٤٠٥).

ومرعاها، بدليل أن الله تعالى فسَّره بذلك. قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ [النازعات:٣٠-٣١].

وقد أشار في "المدارك" إلى هذا[(١)]. وهو كقوله تعالى قبل: ﴿ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴿٢٧﴾رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ [النازعات:٢٨]وقد مرَّ.

فإن قلت: إنَّ اللغة تأبى هذا، فإنَّ الدحو إنما عُرِف في اللغة بمعنى البسط، وأيُّ بسط في إخراج الماء والمرعى؟

قلت: قال في "المختار": ودحا المطرُ الحصى عن وجه الأرض[(٢)].

وقال الشاعر[(٣)]:

ينفي الحصَى عن جديد الأرض مُبْتَرِكٌ كأنَّـه فـاحصٌ أو لاعـبٌ داحـي

وهو يدل على صحة ما قلنا: فإن ضاقت الحقيقة فالمجاز واسع.

وهذا القول متعيَّن لأن الله تعالى فسَّره به، وكفى بتفسيره تعالى حجة.

فإن قلت: لا نسلِّم أنَّ قوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ تفسير لـ ﴿دَحَىٰهَآ﴾، وإنما هو -كما قال الجلال-: "حال بإضمار "قد" أي مُخْرِجًا"[(٤)].

قلت: هذا باطل، لأنَّ قوله: "حال بإضمار قد" يريد أن التقدير عليه: والأرض بعد ذلك دحاها، والحالُ أنه قد أخرج منها ماءها ومرعاها؛ فتكون حالاً محكيَّة لأنَّ ماضِويَّة الفعل ولا سيَّما مع تقدير "قد" صريحة في أنَّ إخراج الماء والمرعى وقع قبل الدحو، وهذا ظاهر الفساد.

وإن حاول التفصِّي منه بقوله: أي مُخرِجًا. ومراده الاعتذار بأن الحال تكون مقدَّرة، أي والأرض بعد ذلك دحاها مقدَّرًا أنه سيُخرج منها ماءها ومرعاها. وهذا باطل لما مرَّ، فإنَّ أول الكلام صريح في أنَّ التقدير: والأرضَ بعد ذلك دحاها، والحالُ أنه قد أخرج منها ماءها ومرعاها. وهذا صريح في تقدُّم الإخراج، فمن أين تصحُّ دعوى جعلها حالاً مقدَّرة؟ وكيف

---

(١) انظر: تفسير النسفي (٣/٢٢٩).

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي (دحا) (ص: ٢١٨).

(٣) هو: أوس بن حجر. انظر: ديوان أوس بن حجر (ص: ١٦).

(٤) انظر: تفسير الجلالين للمحلي والسيوطي (ص:٥٨٤).

يصحُّ أن تكون الحال محكيَّةً مقدَّرةً باعتبار واحد؟ هذا خُلْف.

فالحقُّ – إن شاء الله تعالى – ما قلناه: أنَّ معنى ﴿دَحَىٰهَآ﴾: أزال عن وجهها شيئًا كان مانعًا لها عن إخراج مائها ومرعاها.

وقد قال في "الأضداد" في ﴿بَعْدَ﴾: "ويكون بمعنى (قبل)، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ**﴾ **[الأنبياء: ١٠٥]** فمعناه عند بعض الناس: من قَبل الذكر، لأنَّ الذكر: القرآن. وقال أبو خِراش[١]:

حَمِدتُ إلهي بعدَ عروةَ[٢] إذ نجا خِراشٌ وبعضُ الشرِّ أهَونُ من بعضِ[٣]

أراد: قبل عروة، لأنَّهم زعموا[٤] أنَّ خِراشًا نجا قبل عروة[٥].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ**﴾ [النازعات:٣٠] " إلى أن قال: "ويجوز أن يكون معنى الآية: والأرض مع ذلك دحاها، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣﴾ [القلم:١٣] أراد: مع ذلك. **وقال الشاعر**:

فقلتُ لها فِيئي إليكِ فإنَّني حرامٌ وإنِّي بعد ذاك لبيبُ[٦]

أراد: مع ذلك"[٧]. وتأوَّلها بعضهم بأنَّ (ثم) ليست للترتيب[٨].وهذه الأوجه كلُّها بعيدة. ولا ضرورة إليها بحمد الله. ﴿**وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝٣٢**﴾ [النازعات:٣٢] أي ثبَّتها، فلا ينافي أنه قد سبق

---

(١) هو خويلد بن مرة، من بني هذيل، من مضر، شاعر مخضرم، وفارس فاتك مشهور، أدرك الجاهلية والاسلام، أسلم وهو شيخ كبير، وعاش إلى زمن عمر رضي الله عنه، مات نحو سنة ١٥هـ. انظر: الأغاني للصفهاني (١٠/٢١١)، خزانة الأدب للبغدادي (١/٤٢٢)، الأعلام للزركلي (٢/٣٢٥).

(٢) هو عروة بن مرة أخو أبي خراش خويلد بن مرة، من شعراء هذيل المعدودين، واشتهر برثاء أخيه أبي خراش له. انظر: الأغاني لأبي الفرج (١٠/٢٢٠)، الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢/٦٥١).

(٣) انظر: ديوان الحماسة لأبي تمام مع شرحه للمرزوقي (ص: ٥٥٥).

(٤) انظر: الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (١٠/٢٢٣).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٢٤/٢٠٩).

(٦) هو المضرب بن كعب. انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة (٢/٣٠٠).

(٧) انظر: الأضداد لابن الأنباري (ص: ١٠٨-١١٠).

(٨) هو الرازي -رحمه الله-. انظر: تفسيره (٢/١٧٠).

إيجادُها. وهذا أولى من إنكار الترتيب، والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[البقرة: ٣٠-٣٣]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان أن محاورة الملائكة لربهم بعد الإذن لهم والفرق بين قياس الملائكة عليهم السلام وقياس إبليس :](١)

(قولهم عليهم السلام: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا**﴾ كان بعد إذن الله تعالى لهم بأن يقولوا، والإذن مفهوم من إخباره لهم. ألا ترى أن الطبيب الماهر قد يقول لتلميذه المطيع الخاضع العارف بقصور نفسه وكمال الطبيب: سأركِّب من لحوم الحيات معجونًا، فيقول التلميذ: كيف تركِّب معجونًا من هذا السمَّ القاتل، والأدوية الخالية عن السمِّ موجودة؟ فهل تشكُّ أيها الناظر في أنَّ الطبيب إنما أراد بإخبار التلميذ أمره بأن يسأل عن الحكمة فيفيده إياها؟ أو تشك أنَّ التلميذ فَهِمَ هذا الأمر؟ أو أنه إنما أراد بسؤاله استكشاف الحكمة؟ وقد أخرج ابن جرير بسند صحيح عن قتادة قال: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ فاستشار الملائكة في خلق آدم فقالوا ﴿**أَتَجْعَلُ**... ﴾(٢). مراد قتادة بقوله: "فاستشار" لازمه من الإذن بإبداء الرأي.

وقال ابن جرير بعد كلام: "وأما دعوى مَنْ زعم أن الله جلَّ ثناؤه كان أَذن لها بالسؤال عن ذلك فَسَأَلَتْهُ على وجه التعجُّب، فدعوى لا دلالة عليها في ظاهر التنزيل ولا خبر لها من

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣٦٢/٢-٣٦٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٦٣/١).

الحجة يقطع العذر"[١].

أقول: قد علمت الدلالة، ولو لم يكن إلا قوله تعالى: ﴿**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ [الأنبياء:٢٧] وقول جبريل: "ما نسأله عن شيء"[٢] لكفى.

فأما وصفهم الخليقة الأرضية بالفساد وسفك الدماء فقد جاء عن جماعة من السلف أن الله تعالى كان قد أخبر الملائكة بذلك[٣].

وفي هذا نظر. والظاهر ما جاء عن بعض السلف[٤] أيضًا أن الملائكة فهموا ذلك بالاستدلال، إما بالقياس على خلقٍ كانوا في الأرض من قبل، وإما لمعرفتهم بطبيعة الأرض وأن الخليقة التي تجعل فيها يكون من شأنها ذلك، أو غير ذلك. وسياق القصة وقرائنها ظاهرة في أن الملائكة إنما أخبروا عن ظنهم، فكأنهم قالوا: إننا نظن كذا، وعلى هذا فلا يضرُّهم استنادهم إلى دليلٍ ظنِّيٍّ، بل ولا يضرُّهم أن يتبيَّن خطأ ظنِّهم.

ألا ترى إلى ما رواه مسلمٌ في صحيحه وغيره عن طلحة[٥]، قال: مررت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقومٍ على رؤوس النخل، فقال: "ما يصنع هؤلاء؟ " فقالوا: يُلَقِّحُونَه، يجعلون الذَّكَرَ في الأنثى فَيَلْقَحُ، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "ما أظن يغني ذلك شيئًا"، قال: فأُخْبِرُوا بذلك فتركوه، فأُخبر رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بذلك، فقال: "إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًّا فلا تؤاخذوني بالظن،ولكن إذا حدَّثْتُكُم عن الله شيئًا فخذوا به؛ فإني لَنْ أَكْذِبَ على الله"[٦].

---

(١) انظر: المصدر نفسه (١/٤٧٠).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: البيوع، (٢/٩) (ح: ٢١٤٩)، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه مرفوعا، وقال الذهبي: صحيح.

(٣) جاء عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم. انظر: تفسير الطبري (١/٤٥٨).

(٤) جاء ذلك عن قتادة رحمه الله وغيره. انظر: المصدر نفسه (١/٤٦٢).

(٥) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني، أبو محمد: صحابي، شجاع، من الأجواد، وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الثمانية السابقين إلى الاسلام، مات سنة ٣٨هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٨٤)، الأعلام للزركلي (٣/٢٢٩).

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، (٤/١٨٣٦) (ح: ٢٣٦١).

وأخرجه مسلمٌ أيضًا عن رافع بن خَدِيجٍ[١]، وفيه: "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا"، قال: فتركوه، فنفضت أو فنقصت ...[٢] الحديث.

وأخرجه مسلمٌ أيضًا من حديث أنسٍ[٣] أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مَرَّ بقوم يلقحون فقال: "لو لم تفعلوا لصلح"، قال: فخرج شيصًا، فمرَّ بهم، فقال: "ما لِنَخْلِكُم؟ " قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"[٤].

فالنبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لم يكن من أهل النخل، وقد عَلِمَ أنَّ عامّة الأشجار تثمر بدون تلقيح، فقاس النخلَ عليها وأخبر بظنه، وصدق صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في إخباره عن ظنه ولا يضرُّه خطأ الظَّنِّ.

ومثل ذلك حديث الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة في صلاة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بالناس الظهر أو العصر وتسليمه من ركعتين، قال فيه: "وفي القوم رجلٌ في يديه طولٌ يُقال له ذو اليدين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة؟ فقال: "لم أنس، ولم تقصر"[٥]، وفي رواية: "كلُّ ذلك لم يكن" [٦]الحديث.

---

(١) هو رافع بن خديج بن رافع الانصاري: صحابي، كان عريف قومه بالمدينة، وشهد أحدا والخندق، توفي في المدينة متأثرا من جراحه. له ٧٨ حديثا، مات سنة ٧٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨١/٣)، الأعلام للزركلي (١٢/٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، (١٨٣٦/٤) (ح: ٢٣٦٢).

(٣) هو أنس بن مالك بن النضر الخزرجي الانصاري، أبو حمزة: صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمه، روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثا. رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣هـ، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٩٥/٣)، الأعلام للزركلي (٢٤/٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، (١٨٣٦/٤) (ح: ٢٣٦٣).

(٥) أخرج هذا اللفظ مسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد، باب: السهو في الصلاة، (٤٠٤/١) (ح: ٥٧٣)(٩٩).

(٦) أخرج هذا اللفظ البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد، (١٠٣/١) (ح: ٤٨٢).

مراده صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقوله: "لم أنس ولم تقصر" أو "كُلُّ ذلك لم يكن": الإخبار عن ظنِّه لا عن الواقع، فكأنه قال: (في ظنِّي) وإنما لم يُصَرِّح بذلك لدلالة الحال عليه. والله أعلم.

وبما قرَّرناه عَلِمْتَ الفَرْقَ بين قياس الملائكة وقياس إبليس؛ فإن قياس الملائكة لم يعارض نصًّا بخلاف قياس إبليس؛ فلذلك قال الحسن وابن سيرين[1]: إن أول من قاس إبليس[2]، كما تقدم. والله أعلم.

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في الرد على بعض المخالفين في عصمة الملائكة:][3]

(ما توهَّمه بعض الناس أن قول الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة:٣٠] من الغيبة المحرمة[4]، فمِنْ ضِيقِ عَطَنه، وقد صحَّت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أخبارٌ كثيرةٌ عما سترتكبه أمَّته من بعده من الفجور، فهل يكون ذلك غيبة؟!

وأما قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[البقرة:٣١] فإنهم لما أرسلوا الوصف كان على العموم، فنبَّههم الله تعالى أن تعميم الحكم لا ينبغي إلا بعد العلم بجميع الأفراد وخصائصهم، فإذا كانوا يجهلون أسماءهم فهم لغيرها أجهل. وقد عَلِمْتَ أن الملائكة إنما أخبروا عن ظنهم، وليس في خطأ الظن ما ينافي العصمة.

وأما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ﴾[البقرة:٣٣] فهو تذكير بقوله تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[البقرة:٣٠]

قصد به التنبيه على حصول البرهان الحسي على ذلك ليتقرر ذلك عندهم بعين اليقين، فلا ينافي أن يكونوا قبل ذلك عالمين علم اليقين، والله تبارك وتعالى أعلم).

---

(١) هو محمد بن سيرين البصري، الانصاري بالولاء، أبو بكر: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، تابعي، نشأ بزازا، في أذنه صمم، وتفقه وروى الحديث، واشتهر بالورع وتعبير الرؤى، واستكتبه أنس بن مالك بفارس، مات سنة ١١٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦)، الأعلام للزركلي (٦/١٥٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/٣٢٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٣٦٦).

(٤) ذكره الرازي عن بعض المخالفين في عصمة الملائكة. انظر: تفسيره (٢/١٨١) ورد عليهم (٢/١٨٤).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان الأسماء التي عُلمها آدم عليه السلام:](١)

(فالظاهر من الحكايات عن آدم وحواء أنهما لم يعرفا أن الحارث اسم إبليس كما تصرِّح به حكاية السُّدِّي (٢)، ويظهر أنهما توهَّما أنَّ الحارث من أسماء الله عزَّ وجلَّ، ولا مانع من ذلك، فقد قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝٦٣ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤].

وقد يُتَوهَّم في التسمية به سببٌ لعيش الولد، فإنَّ الولد كالزرع، ففي تسميته بعبد الحارث على فرض أنَّ الحارث من أسماء الله عزَّ وجلَّ اعتراف بأنه هو الذي خلقه ويحييه. وقد يُعَكِّرُ على هذا قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

والجواب: أن أسماء الله تعالى لم تدخل في ذلك كما يدلُّ عليه السياق، حيث قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣١... قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ...﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

فقوله: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ وقوله: ﴿بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ صريح في أن المراد أسماء أشخاص حاضرين مشاهَدين أشار إليهم ربهم، وليس هو فيهم. ومما يدل على ذلك ما ثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من قوله في دعائه: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علَّمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"(٣)(٤)).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٨٤٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٣/٣١٣-٣١٤).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٦/٢٤٦) (ح: ٣٧١٢)، وابن حبان في صحيحه، في كتاب: الأدعية، باب: ذكر الأمر لمن أصابه حزن..، (٣/٢٥٣) (ح: ٩٧٢)، كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكم محقق ابن حبان على إسناده بأنه صحيح.

(٤) اختلف السلف والمفسرون في المراد بالأسماء التي عرضت على آدم عليه السلام على أقوال:

المراد بها أسماء كل شي قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهم، ورجحه الزمخشري والقرطبي وابن كثير والطاهر بن عاشور لكن قيده بالأسماء المعروفة يومئذ في ذلك العالم.

المراد بها أسماء الملائكة قاله الربيع بن خثيم.

المراد بها أسماء ذرية آدم عليه السلام قاله ابن زيد.

ورجح ابن جرير –رحمه الله– بأنها أسماء الملائكة وأسماء الذرية. =

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾

[البقرة: ٥٠]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في مجيء (تفعل) حالا من الضمير المخاطب به، والفرق بين (تفعل) و (أنت تفعل):](١)

(لا شبهة في مجيء "تفعل" الخطابي حالاً من ضمير المخاطب به تارة هكذا، وتارة مع الابتداء "وأنت تفعل". وستأتي أمثلة ذلك وتوجيه الفرق بين الصيغتين في الفائدة الآتية إن شاء الله تعالى. والكلام هنا في صحة مجيء "تفعل" بدون "أنت" حالاً من غير ضمير المخاطب، فإني لم أجده صريحًا في الكلام الفصيح، وإنما وجدته مع "وأنت"، كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ [البقرة:٥٠]. وأجد الذوق يستنكر أن يقال: "مررنا يزيد تحدِّثه". وقد يقال في هذا المثال: إن الواجب – على ما تقدَّم في الفائدة السابقة عن الهمع – أن يقال: "مررنا يزيد تحدَّثه أنت"، ولكنني أجد الذوق لا يطمئن إلى هذه كما لا يطمئن إلى قولك: "مررنا يزيد تحدِّثانه". وإنما يطمئن إلى "مررنا يزيد وأنت تحدِّثه" أو "وأنتما تحدِّثانه". فإن صحَّ نحو "مررنا يزيد تحدِّثه" فالظاهر أنه لا يخلو من ضعف. والله أعلم.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدَّثر:٦]، وقال سبحانه: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨﴾ [الشعراء:١٢٨]. وقال عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩]. وقال تعالى:﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَـٰرِهِمْ تَظَـٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة: ٨٥].

قوله: ﴿**تَسْتَكْثِرُ** ﴾ حال من ضمير المخاطب، وكذلك ﴿ **تَعْبَثُونَ**﴾ و ﴿**تَبْغُونَهَا**﴾ و ﴿**تَظَـٰهَرُونَ**﴾.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَـٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤٢**﴾ [البقرة:٤٢].

[ص ٢٢] وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**۞أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا**

= انظر:تفسير الطبري (٤٨٢/١-٤٨٦)، تفسير الزمخشري (١٢٦/١)، تفسير القرطبي (٢٨٢/١)، تفسير ابن كثير (٢٢٣/١)، تفسير الطاهر بن عاشور (٤٠٩/١).

(١) انظر: آثار المعلمي، (رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل) (١٥٨/٨-١٦٢).

تَعۡقِلُونَ ۝٤٤﴾ [البقرة:٤٤].

قوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ حال من ضمير الخطاب، وكذا قوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ﴾. فينبغي النظر في الفرق بين الموضعين، ومتى ينبغي أن يقال: "تفعل"، ومتى ينبغي أن يقال: "وأنت تفعل"، وكلٌّ منهما حال من ضمير الخطاب؟

قال الشيخ عبد القاهر(١) رحمه الله: " .... فاعلم أنَّ كلَّ جملة وقعت حالاً ثم امتنعت من الواو، فذاك لأجل أنَّك عمدتَ إلى الفعل الواقع في صدرها فضممتَه إلى الفعل الأول في إثبات واحد. وكلُّ جملة جاءت حالاً ثم اقتضت الواو، فذاك لأنك مستأنف بها خبرًا ... "(٢).

ثم شرح الفرق بين "جاءني زيد يسرع" و"جاءني زيد وهو يسرع". وحاصله بإيضاح: أنَّ المثال الأول موضعه حيث تكون الفائدة إنما تحصل من مجموع الفعلين، كأن يكون مجيء زيد إليك معلومًا للمخاطب، أو أمرًا عاديًّا، لا تحصل بالإخبار به وحده فائدة تُذكر، أو يكون إسراع زيد غير مستغرب فلا تكون لذكره وحده فائدة تُذكر، أو غير ذلك.

وموضع المثال الثاني: حيث يكون لكل من الفعلين فائدة لها وقع، بحيث لو علم المخاطب أحدهما لم يستغن عن أن يخبر بالثاني.

فالحال في المثال الأول شبيهة بالنعت، وفي المثال الثاني قريبة من العطف. وكأنك تقول في الأول: حصل من زيد مجيء إليَّ فيه إسراع. وقد أشار الشيخ إلى هذا بقوله: "تثبت مجيئًا فيه إسراع". وكأنك في الثاني تقول: "جاءني زيد"، ثم بعد علم المخاطب بذلك تقول: "جاءني زيد يسرع"، ولكنك لما أردت أن تجمع الخبرين استغنيت عن "جاءني" الثانية بالأولى، وجعلت بدل "زيد" ضميره "هو"، ولم يمكنك إسقاط الضمير لئلا يلتبس بالضرب الأول، فربطتَ الجملتين بالواو.

قال الشيخ: "وتسميتُنا لها واو حال لا يخرجها عن أن تكون مجتَلَبةً لضمِّ جملة إلى جملة.

---

(١) هو عبدالقاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، أبو بكر: واضع أصول البلاغة. كان من أئمة اللغة، من أهل جرجان (بين طبرستان وخراسان) له شعر رقيق، له من الكتب: (أسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز)، مات سنة ٤٢٩هـ. انظر: فوات الوفيات لمحمد شاكر الكتبي (٢/٣٦٩)، الأعلام للزركلي (٤/٤٨).

(٢) انظر: دلائل الإعجاز للجرجاني (ص: ٢١٣).

ونظيرها في هذا: الفاء في جواب الشرط، نحو: إن تأتني فأنت مكرم، فإنَّها وإن لم تكن عاطفة، فإنَّ ذلك لا يخرجها من أن تكون بمنزلة العاطفة .... وذلك أن إعادتك ذكر زيد لا يكون حتى تقصد استئنافَ الخبر بأنه يسرع ... "[١].

فارجع إلى الآيات السالف ذكرها. فقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦﴾ [المدَّثر:٦] المنُّ كما قال ابن عباس وغيره: الإعطاء[٢]. ولا ريب أن الآية لا تنهى عن الإعطاء، وإنما تنهى عن إعطاءٍ يُقصد به الاستكثار. وهذا شبيه بقولك في النعت: "لا تلبس ثوبًا نجسًا"، فظهر أن الفائدة إنما تحصل من مجموع الفعلين.

وكذلك قوله سبحانه: ﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعۡبَثُونَ ۝١٢٨﴾ [الشعراء:١٢٨] فإنها لا تنهى عن البناء، وإنما تنهى عن بناء لا فائدة فيه، وذلك معنى العبث.

وقوله سبحانه: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجًا﴾ [آل عمران: ٩٩] بغيُ السبيل عوجًا لازمٌ للصدِّ عنها، فهو بمنزلة النعت الذي يؤتى به للذمِّ، نحو أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. وكذلك التظاهر مع الإخراج في الآية الرابعة.

وهذا ما يتعلق بالضرب الأول.

فأما الثاني: فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤٢﴾ [البقرة:٤٢] فذنب العالم -كما قيل- ذنبان، فكأنه تعالى وبَّخهم على الذنب من حيث هو، ثم وبَّخهم عليه من حيث إنهم يعلمون أي: ليسوا من الجهال. ونحو ذلك يقال في الآية الثانية. والله أعلم).

﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ۝٧٠﴾ [البقرة:٧٠] **[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان معنى الدعاء:]**[٣]

(راجعت عبارة الراغب، فإذا فيها: "ودعوتُه: إذا سألتَه وإذا استعنتَه، [قال تعالى]: **﴿قَالُواْ**

(١) انظر: المصدر نفسه (ص:٢١٤-٢١٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٤/٢٣).

(٣) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٧٥٦/٣).

ﮋﭐﺩۡﻉُ ﻟَﻨَﺎ ﺭَﺑَّﻚَﮊ [البقرة: ٧٠] أي سَلْه(١).)

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان لا إله إلا الله:](٢)

(وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾ الآية [البقرة: ٨٣]. فأَخَذَ الميثاق منهم لا يعبدون إلا الله على وجه الالتزام، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله).

۞ ۞ ۞

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ [البقرة:١٠٢]

[قال العلامة المعلمي–رحمه الله– في بيان معنى ﴿مَا﴾ والمراد بـ.﴿ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ وعذرهما:](٣)

(اختلف العلماء في تفسير هذه الآية، فالقول المنصور أن ﴿مَا﴾ في ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ موصولة عطف على السحر من عطف الخاصِّ على العامِّ أو على ﴿مَا﴾ الأولى في قوله: ﴿مَا تَتۡلُواْ﴾(٤)، و ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ مَلكَان أذن الله تبارك وتعالى لهما في تعليم السحر بعد أن يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾(٥).

---

(١) انظر: مفردات الراغب (ص:٣١٥).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (١٩/٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣٦٩/٢-٣٨٢).

(٤) وهو ترجيح الطبري. انظر: تفسير الطبري (٤٢٤/٢).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٤٢٦/٢).

قالوا: وتعليم السَّحر وتعلُّمه ليس كفرًا ولا حرامًا، وإنما المحظور العملُ به، كما لا يحرم أن يخبر الإنسان غيره بكيفية صناعة الخمر وإن حَرُمَ عصرُها وبيعُها وغير ذلك، وعلى فرض حرمة تعلُّمه وتعليمه في شريعتنا لا يلزم من ذلك حرمته في جميع الشرائع، وعلى فرض أنه حرام في جميع الشرائع فلا يلزم ذلك في حق الملائكة؛ فإن القتل حرام في كل الشرائع، وهذا ملك الموت يقبض نفوس الخلق أجمعين والأنبياءِ والمرسلين، وإن فرضنا أن تعلُّمَه كفر فلا يلزم من تعليمه مع كراهيته وبغضه والزجر عنه الكفر، فلو أن جماعة من المشركين جعلوا مالًا عظيما لمن يسجد لصنم فجاء رجل يريد السجود له وكان هناك مسلم فسأله هذا عن الصنم فزجره هذا ووعظه ونهاه فأصرَّ فأشار إلى الصنم لم يظهر من هذا كفر المشير، بل إن السائل لما أصرَّ على عمل الكفرِ صار كافرًا وإن لم يسجد، فعلى هذا فلا فرق بينه وبين المشرك الأصلي إذا سأل مسلمًا عن الطريق إلى بيت الصنم فدلّه. هذا أقصى ما يُسْتَدَلُّ به لهذا القول، وفي بعضه نظر. والله أعلم.

وقيل: إن ﴿**مَا**﴾ نافيةٌ[(١)]، والباقي كما مرّ. والمعنى: أنه لم يكن سليمان ساحرًا، ولم ينزل الله تعالى السحرَ على الملكين، فإن السحر أَخسُّ من ذلك، أي وإنما عَلِمه الملكان بطريق أرضيَّة وإن كان ذلك بإذن الله تعالى.

وذهب بعضهم إلى أن ﴿مَا﴾ نافية، والمراد بالملكين رجلان صالحان هما هاروت وماروت[(٢)]، واستدلَّ بالقراءة الشاذة ﴿**الملِكين**﴾ بكسر اللام، والباقي نحو ما مرَّ. وقال جماعة: ﴿**مَا**﴾ نافية، والمراد بالملكين جبريل وميكائيل[(٣)] أو داود وسليمان[(٤)]. قالوا: وهاروت وماروت بدلٌ إمَّا من ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ فهما اسما شيطانين أو قبيلتين من الشياطين، وإما من ﴿ ٱلنَّاسَ﴾ فهما اسما رجلين، وعلى هذا فلا إشكال من جهة أن تعلُّم السحر وتعليمه كفر أو حرام.

---

(١) وهو اختيار القرطبي. انظر: تفسير القرطبي (٢/٥٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢/٤٢٤).

(٣) وهو قول عطية من السلف. انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/١٨٨).

(٤) وهو قول عبدالرحمن بن أبي أبزى. انظر: المصدر نفسه.

واعتُرِضَ على هذا القول بأنه كيف تقول الشياطين أو الكفار ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾؟ وأجابوا بأنه لا مانع أن يأخذ الله تعالى على الشياطين هذا القول حتى لا يقدروا على التعليم بدون قوله، وكذا لا يمتنع أن يكون الإنسانان تأوّلا جواز التعلُّم والتعليم واحتاطا بمنع التعليم حتى يقولا ذلك. ويُبْعِدُ هذا القولَ ما فيه من التعسُّف في تقدير الكلام. وقد يؤخذ من بعض الآثار أن ﴿مَا﴾ موصولة والمراد بالمنَزَّل الاسمُ الأعظم، وعلى هذا فلا إشكال في جواز تعليمه وتعلُّمه وإن كان المتعلِّم قد يعمل بواسطته ما يكون كفرًا، كما يجوز أن تعطيَ مسلمًا مصحفًا وإن احتمل أن يكفر بإلقائه في نجاسة مثلًا، ويَرِدُ على هذا القول أن فيه كون الشياطين يَعْلَمون الاسم الأعظم ويُعَلِّمُونه، وهو كما ترى.

وقد أخرج ابن جرير[١] وغيره عن عائشة أمِّ المؤمنين قالت: قدمت عليَّ امرأة من أهل دومة الجندل[٢] جاءت تبتغي رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد موته حداثة ذلك تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به، قالت عائشة لعروة[٣]: يا ابن أختي فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيشفيها، كانت تبكي حتى إني لأرحمها وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكتُ، كان لي زوج فغاب فدخلتُ على عجوز فشكوت ذلك إليها فقالت: إن فَعَلْتِ ما آمرُكِ فأجعله يأتيك، فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت الآخر فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل فإذا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤٣٩/٢).

(٢) هو حصن وقرى في البادية بين نجد وبلاد الشام قرب جبل طيئ وهي من المدينة ثلاث عشرة مرحلة ومن دمشق سبع مراحل، سميت بدومة نسبة لدوم بن إسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام، والجندل لأن حصنها مبني بالجندل، وهي اليوم مدينة سعودية من محافظات منطقة الجوف جنوب غرب سكاكا تبعد عنها ٥٠كم. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٨٧/٢)، المسالك والممالك لابن خرداذبه (ص:١٢٩).

(٣) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي القرشي أبو عبد الله: أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، كان عالما بالدين، صالحا كريما، لم يدخل في شئ من الفتن، وانتقل إلى البصرة، ثم إلى مصر فتزوج وأقام بها سبع سنين، وعاد إلى المدينة فتوفي فيها سنة ٩٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٢١/٤)، الأعلام للزركلي (٢٢١/٤).

برجلين مُعَلَّقين بأرجلهما فقالا: ما جاء بك؟ فقلت: أتعلّم السحر، فقالا: إنما نحن فتنة فلا تكفري، وارجعي، فأبيت وقلت: لا، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنُّور فبُولي فيه فذهبت ففزعت، فلم أفعل فرجعت إليهما، فقالا: أفعلت؟ قلت: نعم، فقالا: فهل رأيتِ شيئًا؟ قلت: لم أر شيئًا، فقالا لي: لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري، فأبيت فقالا: اذهبي إلى ذلك التنُّور فبُولي فيه، فذهبت فاقشعررت وخفت، ثم رجعت إليهما، فقلت: قد فعلت، فقالا: فما رأيت؟ فقلت: لم أر شيئًا، فقالا: كذبتِ، لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري فإنك على رأس أمرك، فأبيت، فقالا: اذهبي إلى ذلك التنُّور فبُولي فيه، فذهبت إليه فبُلْت، فرأيت فارسًا مُتَقَنَّعًا بحديد خرج مني حتى ذهب في السماء وغاب عنِّي حتى ما أراه فجئتهما فقالا: صدقْتِ، ذلكِ إيمانكِ خرج منكِ، اذهبي. فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئًا وما قالا لي شيئًا، فقالت: بلى لن تريدي شيئًا إلا كان، خذي هذا القمح فابذري، فبذرتُ، فقلت: اطْلُعِي فطَلَعَتْ، وقلت: أَحْقِلي فأَحْقَلَتْ، ثم قلت: أفْرِكي فأَفْرَكَتْ، ثم قلت: أَيْبِسِي فأَيْبَسَتْ، ثم قلت: أطحني فأطحنت، ثم قلت: أخبزي فأخبزت، فلما رأيت أني لا أريد شيئًا إلا كان أُسْقِطَ في يدي وندمتُ والله يا أمَّ المؤمنين، والله ما فعلت شيئًا قطُّ، ولا أفعله أبدًا، فسَأَلَتْ أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حداثة وفاة رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وهم يومئذ متوافرون، فما دروا ما يقولون لها، وكلُّهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلم إلا أنهم قالوا: لو كان أبواك حَيَّين أو أحدهما لكانا يكفيانك. انتهى حديث ابن جريرٍ عند قولها: "ولا أفعله أبدًا"، والزيادة من المستدرك[1] وسنن البيهقي[2][3]، قال الحاكم:

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: البر والصلة، (١٧١/٤) (ح:٧٢٦٢).

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر: من أئمة الحديث، ولد في خسروجرد (من قرى بيهق، بنيسابور) ونشأ في بيهق ورحل إلى بغداد ثم إلى الكوفة ومكة وغيرهما، وطلب إلى نيسابور، فلم زل فيها إلى أن مات. ونقل جثمانه إلى بلده، صنف زهاء ألف جزء، منها: (السنن الكبرى) ، و (السنن الصغرى) وغيرها، مات سنة ٤٢١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٣/١٨)، الأعلام للزركلي (١١٦/١).

(٣) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، في كتاب: القسامة، باب: قبول توبة الساحر..، (١٣٦/٨) (ح:١٦٩٤٧).

صحيح وأقرّه الذهبيّ[١].

أقول: أما السند فلا كلام فيه، وإنما الشأن في هذه المرأة الدُّومِيَّة. ومَن تأمل القصة ومناسبتها للآية وسكوت الصحابة عن إنكارها علم أنه ليس من الإنصاف تكذيبها. وفيها بقاء الملكين إلى ذلك الوقت، وقد يشهد له قول الله تعالى: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ**﴾ بصيغة المضارع المشعرة بالاستمرار، ولم يقل: وما علَّما، أو: وما كانا يعلِّمان، أو نحو ذلك.

وقد أنكر أبو محمَّد بن حزمٍ[٢] رحمه الله بقاءهما، واحتجَّ بأن بابل موجودةٌ على وجه الأرض والناس يطوفون فيها ولا يرونهما[٣]، ومَنْ كان يؤمن بوجود الجنِّ والملائكة وإمكان أن يراهم بعض الناس بإذن الله تعالى لم يَخْفَ عليه الجوابُ.

وقد يُحتجُّ على عدم بقائهما بقلَّة السِّحر على وجه الأرض، وبأنه لو كان الأمر كما زعمت الدُّوميَّة - أنَّ مَن تعلَّم لم يُرِدْ شيئًا إلا كان - لفسدت السماوات والأرض.

والجواب: أنه لا مانع أن يقال: إن الله عزَّ وجلَّ يمنع الناس من الوصول إليهما إلا مَنْ ندر، ويمنع مَنْ تَعَلَّمَ ذلك مِنْ عَمَل ما يَخْتَلُّ به شيء من قوانين الخلق والأمر، كما يمنع الشياطين من ذلك، وقد بيَّنَ هذا في الآيات بقوله تعالى: ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ**﴾، هذا والسياق يدلُّ أن قولها: "لا أريد شيئًا إلا كان" محمول على المحَقَّرَات فقط. على أن هذا التعميم إنما وقع من قول العجوز الفاجرة، ومِنْ ظن هذه الدُّوميّة لما رأت قصَّة القمح.

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله: حافظ، مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، مولده ووفاته في دمشق، رحل إلى القاهرة وطاف كثيرا من البلدان، وكف بصره سنة ٧٤١ هـ تصانيفه كبيرة كثيرة تقارب المئة، له من الكتب: (دول الإسلام) و (سير أعلام النبلاء) وغيرها، مات سنة ٧٤٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣٢٦/٥)، فوات الوفيات للكتبي (٣١٥/٣).

(٢) هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد: عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الاسلام، كان في الأندلس خلق كثير ينتسبون إلى مذهبه، يقال لهم " الحزمية "، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، مات سنة ٤٥٦هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٨٤/١٨)، الأعلام للزركلي (٢٥٤/٤).

(٣) انظر: الفصل لابن حزم (٢٧/٤).

وفي القصة أنها رأت الرجلين أو قُل (الملَكَين) معلَّقَيْن بأرجلهما، فإن فُهِمَ من التعليق العذابُ فلا يجوز أن يكون هذا العذاب على التعليم؛ إذ كيف يُصِرَّان على المعصية مع أنهما يعذَّبان عليها ومع ذلك يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ويؤكِّدان ذلك غاية التأكيد مع أن في الآثار التي سيأتي الكلام عليها أنهما تابا وأنابا.

فإن قيل: لعلَّ العذاب على ذنبٍ آخر كما تدلُّ عليه الآثار الأخرى، فكذلك يبعد أن يصرّا على معصية مع تعذيبهما على أخرى ويقولان مقالتهما. والأقرب إن صدقت المرأة أنهما مُثِّلا لها كذلك ليكون أَبْلَغَ للتنفير، ولا عذاب ولا تعليقَ في نفس الأمر.

وموضعُ الفائدة في هذه القصَّة أنهما لا يُعَلِّمان شيئًا وإنما يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾، فإذا أصرَّ الطالبُ قالا له: اذهب فبُلْ في ذلك التنور فيذهب فَيَعْرِضُ له خوف ورعب، فإن صَمَّم وبال فما هو إلا أن يبولَ فيخرجَ منه إيمانه وَيعْلَمَ السَّحْر. فإن صحَّ هذا فلا إشكال في الآية أصلًا، بل المعنى: ولم ينزل السَّحر على الملكين ببابل، وإنما هما فتنة يفتنان مَنْ طلب تعلُّم السحر ليتبيّن تصميمه على الكفر أو عدمه، فيعظانه ويحذِّرانه، فإن أصرَّ امتحناه بأن يبول فيعرض له ذلك الخوف والرعب، فإن صمَّم وبال تبيَّن أنه قد صمَّم على الكفر فَيُنْزَعُ منه التوفيقُ، ويُخَلَّى بين الشياطين وبينه، فيحصل له السحر من صحبة الشياطين، فليس في فعل الملكين رضًا بكفر ولا تعليمُ سحر؛ وذلك أن البول في التنُّور ليس كفرًا في نفسه، بل الطالب إذا أصرَّ على التعلُّم بعد أَن يقولا له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فقد صار كافرًا، وإنما البول في التنُّور دليل على تصميمه على الكفر وإصراره عليه وشدة حرصه على التعلُّم الذي هو كفر بجرأته على البول مع ما يعرض له من الرعب، ولكن لما كان البول في التنُّور يقع بإشارتهما وعِلْمُ السحر يَحْصُلُ عقِبه، وكان ذلك في صورة التعليم أطلق في الآية ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ ، وذلك على سبيل المجاز، والله أعلم، والقرينة الصارفة عن الحقيقة أمور:

الأوَّل: أنه قد بيَّن في الآية أن تعليم السحر كفر وأن تعلُّمه كفر، وأنهما ملكان، وقد قامت الدلائل على عصمة الملائكة.

أما بيان أن تعليم السحر كفر، فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ

﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾. وأما بيان أن تعلُّمه كفر ففي قوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾، وقوله: ﴿لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ ، واشتراؤه تعلُّمه، ونفي النصيب في الآخرة البتة إنما يكون على الكفر، وقوله: ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ﴾، أي: باعوا، وبيع النفس عبارة عن إيقاعها في الهلاك التامّ، وذلك إنما يكون بالكفر. وأما دلائل عصمة الملائكة فقد تقدَّمَتْ[1].

الأمر الثاني: أنه لو صرف النظر عن العصمة وجُوِّزَ عليهما الكفر فكيف يقولان: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾، فينهيان عن الكفر مع تلبسهما به؟

الأمر الثالث: قولهما: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ﴾ و ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر، أي: ما نحن إلا فتنة، فيُفْهَم من ذلك نَفْيُ كونهما معلَّمين على الحقيقة، وعلى هذا المعنى ف ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ نافية. والله أعلم.

وإذ قد اتضح بحمد الله تعالى معنى الآية فلننظر في الآثار الواردة عن قصَّة هاروت وماروت مع الزُّهَرَةِ، فأقول:ساق الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره الآثار المذكورة ولم يعرض لها مع جزمه بعصمة الملائكة عليهم السلام[2]، وقد ردَّها جماعة كالقاضي عياض والفخر الرازي، نقله الآلوسي في تفسيره قال: "ونصَّ الشهاب العراقي على أن مَنْ اعتقد في هاروت وماروت أنهما مَلَكَان يُعَذَّبان على خطيئتهما مع الزُّهَرَةِ فهو كافر بالله تعالى العظيم؛ فإنَّ الملائكة معصومون، ﴿لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم:٦]، ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩، ٢٠]، والزُّهَرَة كانت يوم خلق الله تعالى السموات والأرض، والقول بأنها تمثَّلت لهما فكان ما كان وَرُدَّتْ إلى مكانها غير معقول ولا مقبول"[3].

قال الآلوسي: "واعترض الإمام السيوطي[4] على مَن أنكر القصَّة بأن الإمام أحمد وابن

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣٥٦/٢وما بعدها).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٣٩/٢-٤٤٠).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (٣٤١/١).

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل، =

حبان[١] والبيهقي وغيرهم رووها مرفوعة وموقوفة على عليٍّ وابن عباس وابن عمر[٢] وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم بأسانيد عديدة صحيحة، يكاد الواقف عليها يقطع بصحتها؛ لكثرتها وقوّة مُخْرِجيها. وذهب بعض المحققين [إلى] أن ما رُوِيَ مرويٌّ حكايةً لما قاله اليهود، وهو باطل في نفسه، وبطلانه في نفسه لا ينافي صحة الرواية، ولا يَرِدُ ما قاله الإمام السيوطي عليه، إنما يَرِدُ على المنكرين بالكلِّيَّة، ولعلَّ ذلك من باب الرموز والإشارات ... "[٣].

وفي القول المسدَّد للحافظ ابن حجر: "قلت: وله طرق كثيرة جمعتها في جزء مفرد يكاد الواقف عليه يقطع بوقوع هذه القصة لكثرة الطرق الواردة فيها وقوة مخارج أكثرها. والله أعلم"[٤].

أقول: أما رواية القصة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ففي مسند الإمام أحمد: عن يحيى بن أبي بكير، عن زهير بن محمَّد، عن موسى بن جبير، عن نافع، عن ابن عمر مرفوعًا[٥]، وموسى هو الأنصاري مجهول الحال لم يوثِّقه أحد إلا أن ابن حبان ذكره في

= أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيما، كان عالما شافعيا مؤرخا أديبا وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة، له من الكتب:(الأشباه والنظائر)، و(الحاوي للفتاوى) وغيرها، مات سنة ٩١١هـ. انظر: التحدث بنعمة الله للسيوطي فقد ترجم لنفسه ترجمة طويلة، الأعلام للزركلي (٣٠١/٣).

(١) هو محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد التميمي، أبو حاتم البستي،: مؤرخ، علامة، جغرافي، محدث، رحل إلى خراسان والشام ومصر والعراق والجزيرة، وهو أحد المكثرين من التصنيف، له كتاب (الثقات) (روضة العقلاء) وغيرها، ومات سنة ٣٥٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٢/١٦)، الأعلام للزركلي (٧٨/٦).

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابي، من أعز بيوتات قريش في الجاهلية، كان جريئا جهيرا، نشأ في الاسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكة، وهو آخر من توفي بمكة من الصحابة سنة ٧٣هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي(٢٠٣/٣)، الأعلام للزركلي (١٠٨/٤).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (٣٤١/١).

(٤) انظر: القول المسدد لابن حجر (ص:٦٧).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (٣١٧/١٠) (ح: ٦١٧٨).

ثقاته، وقال: "يخطئ ويخالف"(١).

قلت: وقد عُرِفَ من مذهب ابن حِبَّان أنه يذكر المجاهيل في ثقاته فيذكر مَن روى عن ثقةٍ وروى عنه ثقةٌ ولم يكن حديثه منكرًا، نبَّه على ذلك في كتاب الثقات نفسه(٢)، وكذلك يخرج ابن حِبَّان لمن كان كذلك في صحيحه، نبَّه عليه الحافظ ابن حجر وغيره(٣)، فعُلِمَ من ذلك أن ذِكْرَ ابن حبان لرجلٍ في الثقات وإخراجه له في صحيحه لا يرفع عنه اسم الجهالة. هذا مع أن قوله في موسى: "يخطئ ويخالف" جرحٌ ينزل به موسى عن درجة المستور(٤). وهذا الحديث من جملة خطئه ومخالفته؛ فإنَّ الناس رووا القصة عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن كعب الأحبار، كذا أخرجه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن سالم ومن طريق محمَّد بن عقبة - أراه أخا موسى وهو ثقة - عن سالم(٥).

والعجب من ابن حبان كيف أخرج الحديث في صحيحه من طريق موسى بن جبير المذكور(٦)؟!

وذكر القاري(٧) في شرح الشفاء عند الكلام على هذا الحديث كلام الأئمة في زهير، وفيه: "وقال الترمذي في العلل: سألت البخاري عن حديث زهير هذا فقال: أنا أتقي هذا الشيخ كأن حديثه موضوع، وليس هذا عندي بزهير بن محمَّد، قال: وكان أحمد بن حنبل

---

(١) انظر: الثقات لابن حبان (٤٥١/٧).

(٢) انظر: المصدر نفسه (١٣/١).

(٣) انظر: النكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢٩٠/١).

(٤) وهو من علمت عدالته ظاهرا ولم تعلم باطنا. انظر: اختصار علوم الحديث لابن كثير (٩٧/١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٤٢٩/٢).

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، في كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر قول الملائكة عند هبوط..، (٦٣/١٤) (ح:٦١٨٦).

(٧) هو علي بن (سلطان) محمد، نور الدين الملا الهروي القاري: فقيه حنفي، من صدور العلم في عصره، ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها، وصنف كتبا كثيرة، منها (تفسير القرآن) و(الاثمار الجنية في أسماء الحنفية)، مات سنة ١٠١٤هـ. انظر: البدر الطالع للشوكاني (٤٤٥/١)، الأعلام للزركلي (١٢/٥).

يضعَّف هذا الشيخ ويقول: هذا الشيخ ينبغي أن يكونوا قلبوا اسمه"[١]. كذا قال، ولينظر. وقد أخرج ابن جرير طرفًا من القصة من طريق فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح، عن نافع، عن ابن عمر فرفعه إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم[٢]، وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة سنيد بن داود[٣].

والفرج بن فضالة ضعيف، وفي القول المسدَّد للحافظ ابن حجر عند ذكر هذه القصَّة: "أورده ابن الجوزي - يعني في الموضوعات - من طريق الفرج بن فضالة، عن معاوية بن صالح، عن نافع وقال: لا يصحُّ، والفرج بن فضالة ضعَّفه يحيى، وقال ابن حبان: يقلب الأسانيد، ويلزق المتون الواهية بالأسانيد الصحيحة"[٤].

وفي تذكرة الموضوعات عند ذكر القصَّة: "فيه موسى بن جُبَيرٍ، مختلفٌ فيه، ولكن قد توبع، ولأبي نعيم عن علي، قال: لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الزُّهَرَة لأنها فتنت المِلَكَين، وقيل: الصحيح وَقْفُهُ على كعب، وكذا قال البيهقي"[٥].

أقول: إن كان المراد بقوله: (قد توبع) رواية فرج بن فضالة عن معاوية بن صالح فليست مما يُفْرَح به، وأما رواية أبي نعيم[٦] فلم أقف عليها، وأبو نعيم معروف بتتبُّع الواهيات. والحق ما ذكره البيهقي أن ابن عمر إنما سمع القصة من كعب الأحبار[٧]، والله أعلم.

---

(١) انظر: العلل الكبير للترمذي (٣٨٠/١) (ح: ٧١٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤٣٢/٢).

(٣) انظر: الميزان للذهبي (٢٣٦/٢).

(٤) انظر: القول المسدد لابن حجر (ص:٦٧).

(٥) انظر: تذكرة الموضوعات للفتني (ص:١١٠).

(٦) هو أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني، أبو نعيم: حافظ، مؤرخ، من الثقات في الحفظ والرواية، ولد ومات في أصبهان، من تصانيفه (حلية الاولياء وطبقات الاصفياء)، و (معرفة الصحابة)، مات سنة ٤٣٠هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٥٤/١٧)، الأعلام للزركلي (١٥٧/١).

(٧) هو كعب بن ماتع الحميري، أبو إسحاق: تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، وأسلم في زمن أبي بكر، وقدم المدينة في دولة عمر، مات سنة ٣٢هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٤٨٩/٣)، الأعلام للزركلي (٢٢٨/٥).

وأما الرواية في ذلك عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، فقد ثبت عن عمير بن سعيدٍ النخعيّ أنه قال: سمعت عليًّا يقول: فذكر القصة، لم يذكر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، أخرجه الحاكم في المستدرك وغيره[1]. وعمير ثقة عندهم، لم يطعن فيه أحد إلا أن أبا محمد بن حزم ذكر في الملل والنحل هذه الرواية وقال: "رويناه من طريق عمير بن سعيد وهو مجهول، مرّة يُقال له: النخعيّ، ومرّةً يُقال له: الحنفي، ما نعلم له رواية إلا هذه الكذبة، وليس أيضًا عن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولكنه أوقفها على عليٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، وكذبةً أخرى في أنَّ حدَّ الخمر ليس سنَّةَ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وإنما هو شيءٌ فعلوه، وحاشا لهم رضي الله عنهم من هذا"[2].

وقد شنَّع الحافظ ابن حجر في ترجمة عمير من تهذيب التهذيب على ابن حزم فيما قال[3].

وأقول: لعلَّ أمير المؤمنين حكى هذه القصَّة عقب قوله مثلًا: تزعم اليهود أو زعم كعب أو نحو ذلك، ولم يسمع عمير تلك الكلمة وسمع القصة. والله أعلم.

وأما الرواية عن ابن عباس فذكرها الحاكم في المستدرك وغيره من قوله، لم يرفعه، ولفظه: "عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كانت الزُّهَرَة امرأة في قومها، يقال لها: بيدحة"[4]، وسبيله سبيل ما ذكرنا في الرواية عن أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام[5].

وأما ابن مسعود فأخرج ابن جرير من طريق علي بن زيد، عن أبي عثمان النهدي، عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قالا: لما كثر ... ، فذكر القصة من قولهما[6]، وعلي بن زيد واهٍ، فإن صحّ فسبيل ابن مسعود سبيل ما تقدَّم. والله أعلم.

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: التفسير، باب: من سورة البقرة، (٢٩١/٢) (ح: ٣٠٥١).

(٢) انظر: الفصل لابن حزم (٢٦/٤).

(٣) انظر: التهذيب لابن حجر (١٤٦/٨).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: التفسير، باب: من سورة البقرة، (٢٩٢/٢) (ح: ٣٠٥٢).

(٥) انظر: حكم تخصيص علي رضي الله عنه بهذا الدعاء (ص:١١٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤٢٨/٢).

والحاصل: أن رواية سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قد أنارت الطريق وبيَّنَتْ أن القصة من أساطير كعب، والله المستعان.

فإن قيل: لكن من حكى القصة من الصحابة رضوان الله عليهم لم يبيِّنوا فسادها فيؤخذ من ذلك على الأقلِّ أنهم كانوا يرون جواز صحَّتها.

قلت: يجوز أن يكونوا بَيَّنُوا ولم يُنْقَل كما تقدَّم، ويجوز أن يكونوا إنما حكوها على وجه التعجُّب واستغنوا عن بيان بطلانها بوضوحه شرعًا وعقلًا، ويجوز أن يكونوا تأوَّلوا في الزُّهَرَة تأوُّلاً معقولًا، كما أخرج ابن جرير بسنده إلى الربيع[١] - هو ابن أنسٍ - وفيه: "وفي ذلك الزمان امرأة حُسْنُها في سائر الناس كحسن الزُّهَرة في سائر الكواكب"[٢]، فذكر القصَّة وتأوَّلوا في الملكين أنه بعد أن سُلِخَا من المِلكِيَّةِ زال حكمُ العصمة، وأن ذلك لا ينافي ما ثبت من عصمة الملائكة وإن كان فيه ما فيه، وقد رُوِيَتْ القصة عمَّن بعد الصحابة كمجاهد وقتادة والسدي وغيرهم، والأمر في ذلك سهل والله تبارك وتعالى أعلم).

[وقال العلامة المعلمي -رحمه الله- بيان معنى الإذن الخاص:][٣]

(ظهر لي أنَّ هناك فرقًا بين قدرة الإنسان على الأفعال العادية، وبين قدرته على التأثير بما فيه خرق للعادة، وقدرة الجن على الإضرار بالإنس؛ يتوقف معرفته على العلم بمعنى إذن الله تعالى الذي يتكرَّر في القرآن.

فأقول: قال الراغب: "الإذن بالشيء إعلام بإجازته والرخصة فيه"[٤]. وبعد التأمُّل وجدتُ إذن الله تعالى على نوعين:

الأول: إعلامه المكلَّفَ بأنه يجوز له الفعل، ومنه قوله تعالى: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ**

---

(١) هو الربيع بن أنس ابن زياد البكري، الخراساني، المروزي، بصري، عالم مرو في زمانه، وسمع من أنس بن مالك وأبي العالية، مات سنة ١٣٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (١٦٩/٦)، التقريب لابن حجر (ص: ٣١٨).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤٣٢/٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٨١٨/٣-٨٢٣).

(٤) انظر: مفردات القرآن للراغب (ص:٧١).

ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ۝٣٩﴾[الحج:٣٩].

الثاني: إذنه تعالى للأسباب بأن تؤثِّر، وهذا يتناول الجائز شرعًا وغيره، وهو على ضربين: خاصٍّ وعامٍّ.

فالخاصُّ ما ثبت في القرآن بأنه كان أو يكون بإذن الله تعالى وما كان في معناه. والعامّ ما عداه مما يحدُث في العالم.

وبيان الفرق المعنوي بين الخاصِّ والعامِّ يتعلَّق بمسألة القَدَر، ولا أحبُّ أن أُقْحِم نفسي تلك المزلقة، ولكن سأُشرف عليها من قُرْب، وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق، فأقول: أمَّا على رأي القائلين بأنَّ الحوادث كلَّها إنما تحدث بتعلُّق قدرة الله تعالى بها حين حدوثها(١)، فالاحتراق بالنار إنما يقع بخلق الله تعالى إيَّاه حين ملابسة النار، فالفرق على رأيهم صعب، ولكن يمكن أن يُقال على رأيهم: إنَّ الإذن العامَّ ما كان على وَفْق العادة من كلِّ وجه كخروج الثمرة من أكمامها عند حلول وقتها المعتاد، وحمل الأنثى بعد وقوع الذكر عليها في الوقت الذي جرت العادة بأنَّ مثلها تحمل من مثله، ووضعها عند انتهاء مدة الحمل المعتادة، وهذا النوع يُطلق عليه في القرآن بأنَّه يعلمُه الله تعالى، قال تعالى: **﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾** [فصلت: ٤٧].

والخاصُّ ما جرى على خلاف العادة، ولو في وجهٍ. ومن ذلك: الإيمان، قال تعالى: **﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ۝١٠٠﴾**[يونس: ٩٩، ١٠٠]، فإنَّ الإيمان يتضمَّن الإيقان بما يرتاب فيه غالب الناس من الغيب، ويقتضي تكليفَ النفوس ما يشقُّ عليها، ومنعها كثيرًا من شهواتها مع كثرة ما يصدُّ عن الإيمان، فمِنْ هذا الوجه كان الاتِّصاف بالإيمان مما يُسْتَغْرَبُ عادة، ففيه مخالفةٌ مَّا للعادة.

ومن ذلك: الموت، قال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾** [آل عمران: ١٤٥]، وسياق الآيات في القتل في الجهاد؛ فإنَّ الموت هو مفارقة الروح للجسد، والناس لا

(١) وهو قول أهل السنة والجماعة. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/٤٠٦ وما بعدها)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٥٤ وما بعدها).

يدركون الروح ولا يحسُّون بها، فمفارقتها الجسد عقب قطع الرأس - مثلًا - وإن جرت به العادة، فلا يعلم الناس ما وجه ذلك وما سببه، فَمِنْ ثَمَّ كان الموت مخالفًا للعادة.

وأمَّا على رأي القائلين بأن الله عزَّ وجلَّ أودع في المخلوقات قوىً من شأنها التأثير، فهي تؤثر بتلك القوة بدون حاجة إلى أن يخلق الله عزَّ وجلَّ ذلك الأثر عند حدوثه(١)، ولكنه سبحانه إذا شاء أن يمنع من التأثير مَنَع كما مَنَع النار من الإحراق بقوله: ﴿**قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩**﴾[الأنبياء:٦٩].

فالفرق بين الإذن الخاصِّ والعامِّ على طريقة هؤلاء أن يقال: الإذن العامُّ هو ما كان تأثيرًا بمجرد القوَّة المودَعة على ما سمعت، فكون تلك القوة في الأصل مِن خلق الله، وكونه سبحانه لم يمنعها من التأثير مع قدرته على ذلك، إنْ سُمِّيَ إذنًا فهو الإذن العام.

وأما الإذن الخاصُّ فهو بخلاف ذلك، فإما أن يكون بخلقه تعالى الأثر عند حدوثه، وإما أن يكون سبحانه قد نصب موانع تمنع من حدوث الأثر بالقوَّة المودَعة وحدها، ثم يرفع تلك الموانع إذا شاء، فذلك هو الإذن الخاصُّ، والموت والإيمان من الإذن الخاصِّ.

ولا يشكل على رأي المعتزلة؛ لأنه يمكن أن يقال: إنما يعذِّب الله تعالى القاتلَ بقصده القتلَ ومباشرته سببه، وإنما يعذَّب مَنْ لم يؤمن لأنه لم يعمل ما يقدر عليه من الحرص على إصابة الحق وإيثاره على هواه، فلو فعل ذلك لأذِن الله تعالى له بالإيمان حتمًا كما قال تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ**﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقد مَرَّ تفسيرها(٢).

إذا تقرَّر هذا فاعلم أنَّ كرامات الأولياء وسحر السحرة وتأثير الجن في الإنس بغير الوسوسة كلُّه مما لا يؤثِّر إلا بإذنٍ خاصٍّ من الله تعالى.

أما الكرامات فقد قال تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ**﴾ [الرعد: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿**وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٣٥**﴾[الأنعام:٣٥].

---

(١) وهو قول المعتزلة. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١١/٣ وما بعدها)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (٢٢٦/١-٢٢٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة)، (٧٣/٢وما بعدها، ١٧٦وما بعدها).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [العنكبوت:٥٠]. والآيات القرآنية في هذا المعنى كثيرة.

وكثيرًا مًّا يقرن الخبر عن الآيات التي وقعت للأنبياء عليهم السلام ببيان أنَّها بإذن الله، من ذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١١٠﴾ [المائدة:١١٠].

وإذا كان هذا حال الرسل عليهم السلام فحال الأولياء في شأن الكرامات أولى وأحرى بأن لا يقع إلاَّ بإذن الله الإذنَ الخاصَّ.

وأما حال السحر فقال تعالى في السحرة: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢]، وأما حال الجن فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾[المجادلة: ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٢﴾ [سبأ:١٢].

ومن الحِكَمِ في التنبيه على أنَّ ما جرى على يد عيسى عليه السلام من الخوارق إنما كان يقع بإذن الله تعالى، أي لا كعمل البشر الأحياء لما يقدرون عليه عادة: قَطْعُ شبهة مَنْ يُشْرِكه.

وكذلك التنبيه على مثل ذلك في السحرة؛ لأنَّ توهُّمَ أنهم يعملون باختيارهم كما يعمل الناس ما يقدرون عليه عادةً يُخْشَى أن يكون ذلك داعيًا إلى الشرك.

وهكذا في شأن الجن؛ فإنَّ تَوَهُّم أنهم يتصرَّفون في الإنس وفيما يحسُّ به الإنس تَصَرُّفَ اختيارٍ كتصرف البشر فيما يقدرون عليه عادةً يدعو إلى دعاء الجنِّ وإشراكهم.

وقد اتَّضح بحمد الله وتوفيقه الفرق بين سؤال الإنسان من إنسان آخر ما يقدر عليه عادة وبين سؤاله مَنْ يظن به الصلاح ما لا يقدر عليه عادة وإنما يقع بإذن الله تعالى، وهكذا سؤاله من السحرة، وعمله مثل عملهم، وسؤاله من الجن.

فاندفعت شبهُة القائلين: كيف يكون سؤالُنا الأحياءَ ما يقدرون عليه عادة غير شرك ويكون السؤال من الجن ونحوه شركًا؟

ولا يخفى أن أرواح الموتى إن كان لها تصرف فهو مما لا يقع إلا بالإذن الخاصّ سواء أكانت صالحة وكان تصرُّفها كرامة كالصالحين الأحياء، أم كانت طالحة وكان تصرُّفها إهانة كالشياطين.

ولولا خشية الإطالة لَسُقْتُ الآيات التي جاء فيها ذكر إذن الله تعالى كلها، وبَيَّنتُ أن المراد بذلك كله الإذن الخاص، وأوضحت وجه ذلك، وذكرت كثيرًا من الأمور التي تدخل في هذا المعنى، ولكني قد فتحت لك الباب، فإن أحببت الاستيفاء فعليك بالتدبُّر مع إخلاص النية والاستعانة بالله تبارك وتعالى).

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:](١) (الأفعال التي من شأنها أن تؤثِّر ضربان:

الأول: ما أذن الله تعالى بتأثيره إذنًا مطلقًا ثم إذا شاء مَنَعَه، وذلك كالاتصال بالنار مأذون فيه بالإحراق إذنًا مطلقًا، فلما أراد الله تعالى منعه قال: ﴿**قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ۝٦٩**﴾ [الأنبياء:٦٩].

الضرب الثاني: ما هو ممنوع من التأثير منعًا مطلقًا، فإذا اقتضت الحكمة أن يمكّن من التأثير رُفِع المنع فيؤثر. وقوله تعالى في السحر: ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ**﴾ [البقرة: ١٠٢] يدلُّ أنه من الضرب الثاني، وأنّ المراد بالإذن الإذن الخاص، والحكمةُ في مصلحة الناس تقتضي هذا، والواقع في شؤونهم يشهد له، وإذ كان هذا حاله فلا غرابة في خفاء وجه التأثير علينا.)

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:](٢) (من أشنع الأغلاط أن يُعدَّ التصرُّف بهذه القوَّة في الكرامات!

أمَّا أولاً: فلِمَا علمتَ أنَّ حصول القوَّة والتمكُّن من التصرُّف بها قد يكون للفاجر والكافر.

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (الأنوار الكاشفة) (١٢/٣٤٥).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٦/٢٧١-٢٧٢).

وأمَّا ثانيًا: فإن فُرِض أنَّ صاحبها وليٌّ فتصرُّفه بها إنَّما هو تصرُّفٌ بقدرةٍ حصَلَت له باكتسابه، فهذه القوَّة عند التَّحقيق من جُملة القُوى العاديَّة، كالإصابة بالعين، وليست من الخارق في شيءٍ!

نعم، هي كالواسطة بين القُوى العاديَّة المشهورة وبين الخوارق؛ فهي من قبيل السِّحر وأعمال الجنِّ الزائدة على الوسوسة ونحوها.

والذي ظهر لي أنَّ هذا النَّوع ليس صاحبه يخلَّى وشأنه، يستعمله كيف يشاء، كما في القُوى العاديَّة، كالضَّرب والشتم، بل هو مقيَّدٌ بإذن خاصٍّ من الله عزَّ وجلَّ. أو على الإذن الذي نصَّ عليه تعالى بقوله: ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ**﴾ [البقرة: ١٠٢]. وهو غير مستلزمٍ الإذن الشَّرعي، كما لا يخفى.

فالسَّاحر لا يستطيع أن يضرَّ بسِحره كلَّ أحدٍ، كما لا يستطيع الإنسان أن يضرب من شاء بحسب الإذن العام؛ بل لمن يقدر على الضَّرب عادةً إذنٌ خَلْقيٌّ عامٌّ، أن يضرب متى شاء؛ فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ منْعه منَعه، كقول الله عزَّ وجلَّ لنار إبراهيم: ﴿**قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩**﴾ [الأنبياء:٦٩]. والسَّاحر على خلاف ذلك.

فالضَّارب مطلقٌ، يقيِّده الله عزَّ وجلَّ إذا شاء، والساحر مقيَّدٌ، يطلقه الله عزَّ وجلَّ، فتدبَّر وأنْعِم النَّظر. والله أعلم.)

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:](١) (وحال السحر كحال الجن. قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ**﴾ [البقرة: ١٠٢] أي - والله أعلم - إذنًا قدريًّا خاصًّا، وإنما يقع ذلك نادرًا. نعم، قد يُعَدُّ من السحر ما هو مبني على سبب عادي غريب، كالتنويم المغناطيسي، وما يقع لبعض المرتاضين من التأثير بالهمة، فيحسبه الجاهل كرامة.)

[قال -رحمه الله- في موضع آخر:](٢)(واعلم أن الاختيار الممنوح للإنس والجن ليس معناه أن الله عزَّ وجلَّ لا يكفُّهم عن شيءٍ أصلًا. أمَّا على رأي القائلين بأن الله تعالى هو

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (٤٣٤/١١).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣٦١/٢).

الذي يخلق أفعال العباد كلها[١] فواضح، وأمَّا على رأي المعتزلة ومن وافقهم[٢] فلأنهم يقولون: إن الله عزَّ وجلَّ يمنع العبد عن كثير من الأعمال التي تتعلَّق بغيره من العبيد ويحول بينه وبينها، والقرآن مملوء بالدلالة على ذلك، وقد قال تعالى في السحر والسحرة: ﴿**وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ**ۚ﴾[البقرة:١٠٢]، وقال تعالى لرسوله والمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ١٦٦﴾ [آل عمران:١٦٦]).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في توجيه قول إطلاق الكفر على السحر والساحر:][٣]

(قد يُحْتَجُّ لمالكٍ[٤] ومَن وافقه[٥] بقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٢ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٢، ١٠٣].

والمراد بكلمة ﴿مَا﴾ من قوله: ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ السحر، كما جاء به التفسير عن السلف[٦]، والسياق يبيِّنه، كان الشياطين يعلِّمون الناس السحر ويزعمون أن سليمان عليه السلام كان يعرفه ويعمل به، وأنه كان قِوَام مُلكه. فقوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ معناه:

---

(١) وهو قول أهل السنة والجماعة. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٢٨/٥وما بعدها)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص:٤٣٨ وما بعدها).

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٩٨١-٩٨٣).

(٤) هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة، مات سنة ١٧٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٨/٨)، الأعلام للزركلي (٢٥٧/٥).

(٥) من إطلاق الكفر على الساحر والسحر وتعلمه وتعليمه. انظر المرجع نفسه (٩٧٥/٣).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٤٠٥/١ وما بعدها).

ما سَحَر، كما جاء به التفسير عن السلف[١]، وهو واضح من السياق، فدلَّ هذا أن السحر كفر. وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ بينه بقوله: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فدلَّ ذلك أن تعليم السحر كفر. وقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ ظاهر في أن تعلُّمه كفر. وقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ظاهر في كونه كفرًا؛ إذ لا يصدق على أحد أنه لا خلاق له في الآخرة إلَّا إذا كان مخلَّدًا في النار، وإنما يخلَّد الكفار، فأما الملكان فقد تقدَّم العذر عنهما[٢].

ولا يمتنع أن يُغَلِّظَ الشرع في السحر فيجعله كفرًا وإن لم يتضمّن شركًا، ولا كذبًا على الله تعالى، ولا تكذيبًا بآياته. أو يقال: قد علم الله تعالى أن السِّحْر لا يخلو عن الشرك بالله أو الكذب عليه أو التكذيب بآياته. هذا أقصى ما يُوَجَّه به إطلاق مالك رحمه الله تعالى.

وقد يجاب عن الآية باحتمال أن الضرب الذي نسبه الشياطين إلى سليمان عليه السلام من السحر فيه شرك وكذب على الله وتكذيب بآياته، فقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: ما سحر هذا الضرب من السحر، فلا يلزم من ذلك أن كلَّ سحرٍ كُفْرٌ. وأما كفر الشياطين بتعليمهم فلأنهم يعلِّمون الناس ذلك الضرب من السحر الذي هو كفر، راغبين في أن يعمل الناس به مُرغِّبين لهم في العمل به. ويشهد لذلك أن الملَكين يُعَلِّمان ولكنهما لا يرضيان بالعمل؛ فلذلك لم يكن التعليم في حقهما كفرًا. وأما قول الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فالمعنى: لا تعمل به فتكفر. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ فاشتراؤه هو العمل به، والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾[البقرة:١٢٥]

---

(١) انظر: المصدر نفسه.

(٢) انظر : آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٣٦٩-٣٨٢).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معنى التطهير وحكمة تقديم الطائفين على غيرهم:][(١)]

(قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة (الآية ١٢٥): ﴿**وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝١٢٥**﴾ [البقرة:١٢٥]

وقال سبحانه في سورة الحج (الآية ٢٦): ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ۝٢٦**﴾ [الحج:٢٦].

جاء عن جماعة من السلف تفسير "التطهير" في الآيتين بالتطهير من الشرك والأوثان[(٢)].

وهذا من باب ذكر الأهمّ الذي يقتضيه السبب؛ فإنّ إخلال المشركين بتطهير البيت كان بشركهم ونَصْبِهم الأوثانَ عنده.

ولا ريبَ أنّ التطهير من ذلك هو الأهمّ، لكنّ "التطهير" المأمور به أعمّ.

أخرج ابن أبي حاتم عن مجاهد وسعيد بن جبير[(٣)] قالا: "من الأوثان والريب، وقول الزور والرّجس"[(٤)]. ذكره ابن كثير[(٥)] وغيره[(٦)].

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٤٣٧-٤٤١)، وأتى بمعناه في موضع آخر. انظر: المرجع نفسه (١٧/٥٠٠-٥٠١).

(٢) كما سيأتي قريبا.

(٣) هو سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، مات سنة ٩٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٣٢١)، الأعلام للزركلي (٣/٩٣).

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٢٧).

(٥) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي ثم الدمشقي، أبو الفداء،: حافظ مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق، تناقل الناس تصانيفه في حياته، مات سنة ٧٧٤هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١/٤٤٥)، الأعلام للزكلي (١/٣٢٠).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (١/٤١٩).

وقال البغوي: قال ابن جبير وعطاء: "طهِّراه من الأوثان والريب وقول الزُّور"[(١)].

وأخرج ابن جرير عن عُبيد بن عُمير[(٢)] قال: "من الآفات والريب"[(٣)].

أقام إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - البيتَ على الطهارة بأوفى معانيها؛ فالأمر بتطهيره أمرٌ بالمحافظة على طهارته، وأن يُمنَع ويُزال عنه كلُّ ما يخالفها.

وقوله: ﴿لِلطَّآبِفِينَ ... ﴾ الآية، يدلُّ على أنّه مع أنّ التطهير مأمورٌ به لحرمة البيت، فهو مأمورٌ به لأجل هذه الفِرَق - الطائفين والعاكفين والقائمين والرُّكع السجود - لتؤدَّي هذه العباداتِ على الوجه المطلوب.

وهذا يبيّن أن "التطهير" المأمورَ به لا يَخُصُّ الكعبة، بل يَعُمُّ ما حواليها، حيث تُؤدَّى هذه العبادات، وأنّ في معنى التطهير إزالةَ كلِّ ما يمنع من أداء هذه العبادات، أو يُعسّرها، أو يُخِلُّ بها، كأن يكون في موقع الطواف ما يَعُوق عنه؛ من حجارةٍ أو شوكٍ أو حُفَر.

فثبت الأمر بأن يُهيَّأَ ما حول البيت تهيئةً تمكِّن الطائفين والعاكفين والمصلِّين من أداء هذه العبادات بدون خلل ولا حرج.

لم يُحدِّد الشارع ما أمر بتهيئته حول البيت بمقدارٍ مسمًّى، لكن لما أمر بالتهيئة لهذه الفرق على الإطلاق عُلِم أنّ المأمور به تهيئةُ ما يكفيها ويتّسع لهذه العبادات مع اليُسر.

فلمّا كان المسلمون قليلًا في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -، كان يكفيهم المسجد القديم.

نعم كثُر الحُجّاج في حجّة الوداع، لكن لم يكن منتظرًا أن يكثروا تلك الكثرة، أو ما يقرب منها في السنوات التي تليها، وكانت بيوت قريش ملاصقةً للمسجد، لا تمكن توسعته إلا بهدمها، وهدمُها يُنفِّرهم، وعهدهم بالشرك قريب.

فلمّا كثروا في زمن عمر رضي الله عنه، وزال المانع؛ هدم الدُّور، وزاد في المسجد، وهكذا زاد مَن بعده من الخلفاء بحسب كثرة المسلمين في أزمنتهم.

وادَّخر الله تعالى الزيادة العظمى لصاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد

---

(١) انظر: تفسير البغوي (١٦٥/١).

(٢) هو عبيد بن عمير ابن قتادة الليثي الجندعي المكي، الواعظ المفسر، حديث عن أبيه وعمر بن الخطاب وابن عباس وغيرهم، مات سنة ٧٤هـ. السير للذهبي (١٥٧/٤)، التقريب لابن حجر (ص: ٦٥١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦٠٤/١٨).

الرحمن الفيصل آل سعود[١]، أيّده الله، وأوزعَه شكر نِعَمِه، وزادَه من فضله[٢].

قدّم الله تعالى في الآيتين "الطّائفين" على "العاكفين" و"المصلين"، والتقديم في الذكر يُشعِر بالتقديم في الحكم، فقد بدأ النبي - صلى الله عليه وسلم - في السعي بالصفا، وقال: "نبدأ بما بدأ الله به"[٣]، وبدأ في الوضوء بالوجه.

فيؤخذ من هذا أنّ التهيئة للطائفين أهمّ من التهيئة للعاكفين والمصلّين.

فعلى هذا يُقَدّم الطائفون عند التعارض، ولا يكون تعارضٌ عند إقامة الصلاة المفروضة جماعةً مع الإمام؛ لأنّ الواجب عليهم جميعًا الدخولُ فيها، وإنّما يمكن التعارضُ بين الطائفين وبين العاكفين والمصلّين تطوّعًا.

وإذْ كان المسجد - بحمد الله - واسعًا، وسيزداد سعةً، فإنّما يقع التعارض في المطاف، كما إذا كثُر الطائفون، وكان في المطاف عاكفون ومصلّون تطوّعًا، وضاق المطاف عن أن يسعَهم جميعًا بدون حرجٍ ولا خلل.

فإن قُدِّم بقرب البيت العاكفون والمصلّون، وقيل للطائفين: طوفوا من ورائهم، كان هذا تأخيرًا لمن قدّمه الله، ولزم منه الحرج على الطائفين، لطول المسافة عليهم، مع أنّ الطواف يكون فرضًا في الحجّ والعمرة، وإذا خرج العاكفون والمصلّون عن المطاف، وأدّوا عبادتهم في موضع آخر من المسجد، زال الحرجُ والخللُ البتّة).

---

(١) هو سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود: من ملوك الدولة السعودية، ولد في الكويت ونشأ في الرياض، وقرأ على بعض مشايخها، وقام برحلات إلى الخارج، وتولى شرف الإمامة في المسجد النبوي، مات ١٣٨٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٩٠)، أئمة الحرمين لعبدالله العلاف الغامدي (ص: ١٢٠).

(٢) وهي التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام، ثم تمت التوسعة الثانية في عهد الملك فهد -رحمه الله-، ثم تمت التوسعة الثالثة في عهد الملك عبدالله -رحمه الله-، جزاهم الله خيرا وزادهم من فضله، ونصر بهم الإسلام والمسلمين.

(٣) أخرجه بهذا اللفظ النسائي في المجتبى، في كتاب: مناسك الحج، باب: القول بعد ركعتي الطواف (ح: ٢٩٦١)، وأخرجه مسلم في صحيحه بلفظ (أبدأ..)، في كتاب: الحج، باب: حجة النبي صلى الله عليه وسلم، (ح:١٢١٨)، كلاهما عن جابر رضي الله عنه.

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معنى المقام:][(١)]

(ما هو المقام؟ عامّة ما ورد فيه ذكر المقام من الأحاديث والآثار وكلام السّلف والأئمة – ويأتي كثيرٌ منها – يُبيّن أنّ "مقام إبراهيم" الذي في المسجد هو الحجر المعروف، غير أنّ بعض من رُوي عنه هذا رُوي عنه تفسير المقام في الآية بأنّه الحجُّ كلُّه، أو المشاعر.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما ما يبيّن عدم الخلاف[(٢)]، وأنّ من قال: "الحجّ كلُّه" أو "المشاعر" إنّما أراد أنّ الآية كما تنصُّ على شَرْعِ الصلاة إلى هذا الحجر الذي قام عليه إبراهيم لعبادة ربّه عَزَّ وَجَلَّ –كما يأتي –، فهي تدلُّ على شرع العبادة في كل موضعٍ قام فيه إبراهيم للعبادة، على ما بيَّنه الشرع، وذلك هو الحجّ والمشاعر، ولهذا جاء عنهم في تفسير كلمة ﴿مُصَلًّى﴾ قولان[(٣)]:

الأوّل: قِبْلَة؛ يُصلّون خلفه، أو يُصلّون عنده.

الثاني: مَدْعىً.

فالأوّل بالنسبة إلى الحجر.

والثاني –كما أفاده ابن جرير – بالنسبة إلى المشاعر؛ لأنّ الدعاء مشروعٌ عندها كلّها، بل يجمع العبادات المختلفة المشروعة فيها؛ إذ المطلوب بتلك العبادات هو ما يُطلَب بالدعاء من رضوان الله ومغفرته، وخير الدنيا والآخرة، فالدُّعاء عبادةٌ، والعبادة دعاءٌ[(٤)].

فأمّا ما ذُكِرَ في المعارضة[(٥)] عن بعض المفسرين؛ فأوّلهم – فيما أعلم – الزّمخشري، وتبعه

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٤٤٨–٤٥٠).

(٢) لعل المؤلف –رحمه الله– يقصد ماجاء في تفسير ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنه قال: (أما مقام إبراهيم الذي ذكر ههنا فمقام إبراهيم هذا الذي في المسجد ، قال: ومقام إبراهيم يعد (وفي الدر المنثور: [بعد] وهو الأقرب) كثير مقام إبراهيم الحج كله). انظر: تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٢٦)، الدر المنثور للسيوطي (١/٦٢٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢/٣٦–٣٧).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٢/٣٧–٣٨).

(٥) وهي أن المقصود بالمقام ليس الحجر فقط، بل الحجر والبقعة التي هو فيها. انظر: آثار المعلمي =

بعض من بعده.

والزَّمخشري[1] - على حسن معرفته بالعربية - قليل الحظِّ من السنّة، ورأى أنّه لا يكون الحجر مصلّى على الحقيقة إلاّ إذا كانت الصلاة عليه، وذلك غير مشروع ولا ممكن؛ لأنّه يصغر عن ذلك.

ولو وُفِّقَ الزمخشري للصواب لجعل هذا قرينةً على أنّ المراد بكلمة ﴿مُصَلًّى﴾ قِبلة، كما قاله السلف، أي: يُصلَّى إليه؛ كما بيّنه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وعمل به أصحابه فمن بعدهم.

ومن العلاقات المعتبرة في المجاز: المجاورة، وهي ثابتةٌ هنا؛ فإنّ الصلاة إذا وقعت إلى الحجر فهي بجواره.

ووجهٌ آخر: وهو أن تكون كلمة ﴿مُصَلًّى﴾ اسمَ مفعول، والأصل: "مصلّى إليه"، حُذِفَ حرف الجرّ، فاتصل الضمير واستتر، كما يقوله ابن جنّي في "مُزَمَّل" من قول امرئ القيس:

كــأنّ أبانًــا في عَــرانين وَبْلِــه كبــيرُ أُنــاسٍ في بِجــادٍ مُزمَّــلِ[2]

أنّ الأصل "مُزَمَّل به" فحذفَ حرف الجرّ، فاتصل الضميرُ واستتر.

والنُّكتة على الوجهين هي - والله أعلم -: التنبيهُ على أنّ المزيّة للحجر لقيام إبراهيم عليه للعبادة، والمشروعُ لهذه الأمّة التأسّي به.

والقيام على الحجر لمثل عبادة إبراهيم لا يمكن إلاّ نادرًا، فعُوّض عنه بما يمكن دائمًا، وهو القيام للصلاة، وهو يصغر عن الصلاة عليه، ودفنُه - ليتسع مع بعض ما حوله للصلاة - يؤدي إلى اندثاره.

= (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٤٤٦).

(١) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم: مفسر ولغوي، ومن أئمة المعتزلة، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله، له من الكتب: (الكشاف) ، و (أساس البلاغة) وغيرها، مات سنة ٥٣٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/١٥١)، الأعلام للزركلي (٧/١٧٨).

(٢) انظر: ديوان امرئ القيس (ص: ٦٧) لكن بدايته: كأن ثبيرا..

ولماذا التكلُّف؟ وإنّما المقصود: أن يكون للقيام في الصلاة تعلُّقٌ به، فشُرِعَت الصلاة إليه.

وعبارة الزمخشري: "مقام إبراهيم: الحَجر الذي فيه أثر قدميه، والموضع الذي كان فيه الحَجر حين وضع عليه قدميه"(١).

ويُبطِل هذا القولَ - مع ما تقدّم - أنّ المذكور في الآية مقامٌ واحدٌ لا مقامان، وأنّ وضع الرِّجْل على الحجر بدون قيام حقيقيٍّ لا يكفي لأن يُطلَق عليه كلمة "مقام" على الحقيقة، وأنّ الذي كان من إبراهيم على الحجر فسُمّي لأجله "مقام إبراهيم" قيامٌ حقيقي، لا وضعُ رِجْلٍ فقط، وأنّ الموضع الذي قام فيه على الحَجَر ليس هو موضعه الآن، وأنّ المقام كان أولاً بلصق الكعبة، وكان الحكم معه، ثم حُوِّل إلى موضعه الآن، فتحوَّل الحكم معه).

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان أن تعليم المناسك بعد بناء البيت:](٢)

(ههنا دليل على أن تعليم المناسك إنما كان بعد بناء البيت، وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨]، فقولهما: ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ يدل أنهما لم يكونا قد علماها والله أعلم).

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري (١/١٨٥).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (رسالة في التعقيب على تفسير سورة الفيل للمعلم عبدالحميد الفراهي) (٨/٨٤-٨٥).

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا أحوال أسلافنا:](١)

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤].

وبالجملة، فأسلافنا على ثلاث طبقات:

الأولى: من وَضَحَ لنا اعتصامُه بالكتاب والسنة، فهؤلاء الذين نتولاهم.

الثانية: من وضَح لنا تهاونُه بالكتاب والسنة، فعلينا أن نتبرأ منهم.

الثالثة: قوم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا عسى الله أن يعفو عنهم ويعذرهم. وعلينا أن نحمدهم فيما أصابوا فيه، ونبرأ مما أخطأوا فيه. والله المستعان.)

---

(١) انظر: انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (٥٠٨/١١).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان الشهادة على الأمم السابقة:](١)

(...وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال سبحانه: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [خاتمة الحج].

وفي مسند أحمد وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك، فَيُدْعى قومُه فيقال لهم: هل بَلَّغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بَلَّغْتَ قومَك؟ فيقول: نعم، فيقال له: مَنْ يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيُدْعى محمد وأمته، فيقال لهم: هل بلَّغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم، فيقال: وما عِلْمُكُم؟ فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرُّسُلَ قد بَلَّغوا، فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، قال: يقول: عدلاً، ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾"(٢) وأصل الحديث في تفسير هذه الآية من صحيح البخاريِّ وفيه: "والوسط: العدل"(٣) ... أقول: ظاهر الآيات في شهادة الرسل أنهم يشهدون على مَنْ أدركوه وبلَّغوه. ويؤيِّده ما أخبر الله تعالى به عن عيسى عليه السلام من قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:١١٧].

ثم من الناس من يجحد شهادة الرسل، فيشهد لهم نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمته. والسِّرُّ في ذلك والله أعلم – مع ما له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأمته من الفضائل – أنه يكون قد سبق تقديم أهل المحشر كلِّهم له صلَّى الله عليه وآله وسلَّم للشفاعة العظمى، وظهر لهم بذلك عُلُوُّ منزلته وسعيه فيما ينفعهم، فكأنهم في ضمن ذلك قد عرفوا واعترفوا بأنه أهلٌ لأن تُقْبَلَ شهادته، وأمتُه تبعٌ له.

ثم من الناس من لا يقنع بهذه الشهادة وشهادة غير الأنبياء من الناس كشهادة الصحابة

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٨٥-٨٨).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (١٨/١١٢) (ح: ١١٥٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ...)، (٦/٢١) (ح: ٤٤٨٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

على التابعين، فيُشْهِدُ الله عليهم الملائكةَ وغيرهم مما ورد في الآثار من شهادة الأماكن والأحجار والأشجار وغيرها. ثم منهم مَنْ يَرُدُّ هذه أيضًا، ويقول كما تقدَّم[١] في الحديث: "لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا منّي"[٢]، فيُنْطِق الله تبارك وتعالى أعضاءَه فتشهد، فيُعْذِرُ من نفسه.

فلو كان الله عزَّ وجلَّ يكتفي في قطع العذر يوم القيامة بأن يقول: "أنا أعلم" لمِا اقتضت الحكمة كتابة الحَفَظَة ولا إقامةَ ما تقدَّم من الشهادات، لكنه تبارك وتعالى اقتضى كرمه وفضله وعفوه وكمال عدله ألاَّ يكتفي بذلك.

فلهذا نقول: اقتضى كرم الله تعالى وعفوه وكمال عدله أن يُرفع القلم عن الصبي حتى يبلغ، ولا يُكتفى باستكماله نصاب التمييز قبل بلوغه، إذ لو اكتُفي به فاعتذر يوم القيامة بقوله: "كنت صبيًّا لم أستكمل التمييز" لمِا أمكن إقامة الشهادة عليه، لِما تقدَّم أن التمييز لا ينضبط، فلا يعلمه الناس ولا الملائكة ولا الأعضاء؛ بخلاف مَنْ بلغ سليمَ العقل، فإنهم يشهدون عليه أنه كان قد بلغ سليم العقل، ومعلوم أن مَنْ بلغ سليم العقل يكون قد استكمل نصاب التمييز).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان عدالة الصحابة رضي الله عنهم:][٣]

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ١٧٢ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران:١٧٢-١٧٤].... ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾[آل عمران:١١٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٨٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزهد والرقائق، (٤/٢٢٨٠) (ح: ٢٩٦٩) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (١٥/٢١-٢٨).

عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾[البقرة:١٤٣].

ومن تدبَّر هذه الآيات وغيرها من القرآن وجدَ الثناء على المهاجرين عامًّا سالمًا من التخصيص، فإذا تتبَّع السنة أيضًا لم يجد ما ينافي ذلك، سوى فلتاتٍ ربما كانت تقع من بعضهم فلا تضرهم.

فمنها: ما جرى منهم يوم بدر، مِنْ ترجيح أخذ الفداء، فأقرّهم الله عزَّ وجلَّ عليه وأنزل: **﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾** [الأنفال:٦٨- ٦٩][(١)].

ومنها: تولي بعضهم يومَ أحد فأنزل الله عزَّ وجلَّ: **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾** [آل عمران: ١٥٥][(٢)].

ومنها: قصة مِسْطَح بن أُثاثة[(٣)] لما خاض مع أهل الإفك فكان ما كان، وأقسم أبو بكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾** [النور:٢٢][(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الجهاد والسير، (١٣٨٣/٣) (ح: ١٧٥٣) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: قول الله [إن الذين تولوا..]، (٩٨/٥) (ح: ٤٠٦٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، من قريش، أبو عباد: صحابي، من الشجعان الاشراف، ممن شهد معه بدرا وأحدا والمشاهد كلها، مات سنة ٣٤هـ. انظر: السير للذهبي (١٨٧/١)، الأعلام للزركلي (٢١٥/٧).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قول الله [لولا إذ سمعتموه..]، (١٠١/٦) (ح: ٤٧٥٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك..، (٢١٢٩/٤) (ح: ٢٧٧٠) كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

ومنها: قصة حاطب بن أبي بلتعة[(١)][(٢)].

وأشدّ ما وقع من ذلك قصة عبد الله بن أبي سرح، مع أنه ليس من المهاجرين الأولين، وإنما كان ممن أسلم قبيل الفتح، ثم ارتد، فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح بقتله فلم يقتل وأسلم[(٣)].

قال ابن عبد البر: "فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عليه بعد ذلك، هو أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش"[(٤)]. ثم ذكر ولايته مصر وفتحه أفريقية والنوبة، ثم قال: "ودعا ربه فقال: اللهم اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فتوضأ ثم صلى الصبح، فقرأ في الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، ثم سلّم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره، فقبض الله روحه. ذكر ذلك كله يزيد بن أبي حبيب وغيره"[(٥)].

ومع ذلك فلم يُرْوَ عنه من الحديث شيء إلا حديث واحد قد رواه غيره من الصحابة، ومع ذلك لم يصح السند إليه.

وأمّا الأنصار فحالهم قريب من حال المهاجرين، إلا أنه لم يعم الإيمان جميع الأوس والخزرج بل كان منهم أفراد منافقون.

---

(١) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي، صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من أشد الرماة، في الصحابة، وكانت له تجارة واسعة، وكان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، مات سنة ٣٠هـ. انظر: السير للذهبي (٢/٤٣)، الأعلام للزركلي (٢/١٥٩).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الجهاد والسير، باب: الجاسوس، (٤/٥٩) (ح: ٣٠٠٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أهل بدر..، (٤/١٩٤١) (ح: ٢٤٩٤) كلاهما عن علي رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: الجهاد، باب: قتل الأسير، (٤/٣٢١) (ح: ٢٦٨٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وصححه إسناده محققه، والنسائي في الكبرى، في كتاب: المحاربة، باب: الحكم في المرتد، (٣/٤٤٣) (ح: ٣٥١٦) من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه.

(٤) انظر: الاستيعاب لابن عبدالبر (٣/٩١٨).

(٥) المرجع نفسه (٣/٩٢٠).

وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك في كتابه، لكن أولئك الأفراد كانوا قليلاً، كما يظهر من الآيات والأحاديث، وكما يُعْلَم ذلك بدلالة المعقول؛ فإنهم لو كانوا هم الأكثر أو كثيرًا، لكانوا أظهروا كُفْرَهم، ولم يحتاجوا إلى النفاق، ومع ذلك فقد كانوا معروفين عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، إن لم يكن عِلْمَ اليقين فالظن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ۝٢٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ۝٣٠**﴾ [القتال[1]: ٢٩-٣٠].

وكانوا مع ذلك خائفين كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ فيهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [المنافقون: ٤].

وكانوا مع ذلك إلى نقص بالهلاك أو التوبة والإخلاص، والغالب على الظن أنّ من بقي منهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يتعرَّض أحدٌ منهم لأن يذكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئًا لخوفهم من المؤمنين، وعلمهم أنَّ أحدَهم لو أخبر بشيء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكَذَب فيه لأنكره عليه المؤمنون وفضحوه بما كانوا يظنونه من نفاقه، أو لأعْلَمهم بنفاقه حذيفةُ أو غيرُه ممن كان قد أسرَّ إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسماء المنافقين.

وأمّا الأعراب فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤**﴾[**الحُجرات:١٤**]. والظاهر أنَّ أهلَ هذه الآية آمنوا بعد ذلك أو غالبهم، كما تقتضيه كلمة "**لَمَّا**". وقد ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فِرقَهم في سورة التوبة [٩٥-١٠٥] فذكر أنّ منهم منافقين، ومنهم مؤمنون مخلصون، ومنهم مخلّطون يرجى لهم الخير، وقال في آخر ذلك: ﴿**وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ**﴾ [التوبة:١٠٥]. ثم ابتلاهم الله عَزَّ وَجَلَّ بعد غزوة العُسْرة بوفاة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فارتدَّ أقوامٌ من الأعراب، فعرفهم المؤمنون حقّ المعرفة.

---

(١) (كذا عبارة المؤلف، يعني سورة محمَّد) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (١٥/ ٢٤).

وأمّا الطُّلقاء[١] من أهل مكة فلم يرتدّ منهم أحد بعده صلى الله عليه وآله وسلم، وقد شملتهم بعضُ الآيات المتقدّمة كما يعلم بمراجعتها، وكذلك تشملهم بعض الأحاديث، كالحديث المشهور: "خير الناس قرني ... "[٢].

وبالجملة فتعديل الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله ثابت للمهاجرين عامة، ولم يجئ مايخصِّصه.

وأمّا الأنصار؛ فالثناء عليهم عام، ولكن قد كان من الأوس والخزرج منافقون لكنهم قليل، ولم يحضر من المنافقين أحدٌ بيعةَ العقبة، ولا شهد بدرًا ولا أحدًا، فإنَّ كبيرهم اعتزل بهم، والظاهر أنه لم يبايع تحت الشجرة أحدٌ منهم، وقد قيل: إنه كان هناك واحد منهم فلم يبايع وقد سُمّي[٣].

وقول الله عَزَّ وَجَلَّ في ذكر تخلُّفهم عن غزوة تبوك: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا﴾ الآية [التوبة:٤٦، ٤٧] يقتضي أنه لم يشهد تبوك أحدٌ منهم.

ولكن رُوي أن اثني عشر منهم اعترضوا النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم مَرْجِعَه من تبوك، وأرادوا تَرْديته من العقبة[٤].

قد يقال - إن صح الخبر -: لعلّ هؤلاء لم يشهدوا تبوك، وإنّما ترصَّدوا قدومَه صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك، فالتقوه ببعض الطريق لما هموا به. ومع ذلك ففي الخبر أن حذيفة عرف هؤلاء.

هذا، وقد سبق أن الظاهر أنّ من بقي من المنافقين لم يُرْوَ عن أحدٍ منهم شيء عن النبي

---

(١) هم الذين أسلموا يوم فتح مكة. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥٣/٧)، فتح الباري لابن حجر (١٥٠/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، (١٧١/٣) (ح: ٢٦٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة ثم الذين يلونهم..، (١٩٦٣/٤) (ح: ٢٥٣٣)، كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (٣١٦/٢).

(٤) انظر: مغازي الواقدي (١٠٤٢/٣-١٠٤٤).

صلى الله عليه وآله وسلم.

وأمّا الأعراب فقد تمّ امتحانهم بوفاته صلى الله عليه وآله وسلم، فَمَن ثبت منهم على الإسلام فقد ثبتت عدالته، ومن ارتدّ فقد زالت، فمن عاد بعد ذلك إلى الإسلام فيحتاج إلى عدالة جديدة.

وأمّا الطُّلقاء فقد شملتهم بعض الآيات كما عرفتَ، ولم تقع منهم ردّة. ولو اقتصر المخالف في المسألة على القول بأن مَنْ تأخَّر إسلامُه وقلَّت صحبتُه يحتاج إلى البحث عنهم لكان لقوله وجهٌ في الجملة. وأوجه من ذلك مَنْ كان من الأعراب، ويحتمل أنّه ممن ارتدّ عقب وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأما من عُلِم أنه ممن ارتدّ فالأمر فيه أظهر.

هذا، وقد كان العرب يتحاشَون من الكذب، وتأكَّد ذلك فيمن أسلم، وكان أحدهم - وإن رقَّ دينُه - لا يبلغُ به أن يجترئ على الكذب على الله ورسوله، وكانوا يرون أنّ أصحابَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوافرون، وأنه إن تجرَّأ أحدٌ على الكذب افْتُضِح.

ولو قال قائل: إنّ الله تبارك وتعالى منعَ القومَ مِن تعمُّدِ الكذب على نبيه عليه الصلاة والسلام بمقتضى ضمانه بحفظ دينه، ولا سيّما مع إخباره بعدالتهم لَمَا أبْعَد.

ومَنْ تدبّر الأحاديث المروية عمن يمكن أن يُتكلَّم فيه من الطلقاء ونحوهم ظهر له صِدْق القوم؛ فإنَّ المرويّ عن هؤلاء قليل، ولا تكاد تجد حديثًا يصحّ عن أحدٍ منهم إلا وقد صحَّ بلفظه أو معناه عن غيره من المهاجرين أو الأنصار. وقد كانت بين القوم إحَنٌ بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلو استساغ أحدٌ منهم الكذب لاختلق أحاديث تقتضي ذمَّ خصمه، ولم نجد من هذا شيئًا صحيحًا صريحًا.

وفوق هذا كله فأهل السنة لم يدَّعوا عصمةَ القوم، بل غاية ما ادَّعوه أنه ثبت لهم أصل العدالة، ثم لم يثبت ما يزيلها. والمخالف يزعم أنه قد ثبت عنده في حقِّ بعضهم ما يزيل العدالة، فانحصر الخلاف في تلك الأمور التي زعمها، فإذا أثبت أهل السنة أنها لم تصح، وأن ما صحَّ منها لا يقتضي زوال العدالة استتبَّ الأمر. فأمّا من ثبتَ شهادةُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم له بالمغفرة والجنة فقد تضمن ذلك تعديلهم أوّلًا وآخرًا. والله الموفق.

تنبيه:

أما الخطأ فقد وقع من بعض الصحابة، كقول ابن عمر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر مرةً في رجب[(١)]، وغير ذلك مما يعرف بتتبع كتب السنة).

۞۞۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٣ - ١٥٧].

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان الحكمة من الابتلاء ووجه الابتلاء بالخير:][(٢)]

(قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة:٢١٦]. وقال قبل ذلك: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة:٢١٤]. وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٣ - ١٥٧].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: العمرة، باب: كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم، (٢/٣) (ح: ١٧٧٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الحج، باب: بيان عدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم وزمانهن، (٢/٩١٦) (ح: ١٢٥٥)، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٢٩٠-٢٩٣).

والمقصود بالابتلاء هو أن يتبين حالُ الإنسان، فيفوز من صبَر على تحمُّل المشاق، ثابتًا على الحق، معرضًا عما يراه في الباطل من المخارج التي تُخلِّص من تلك المشاقّ أو تخفِّفها، عالمًا أن الدنيا زائلة، وأن الذي يستحق العناية هو أمر الآخرة، ويخسر من يلجأ إلى الباطل فرارًا من تلك المشاقّ أو من شدّتها.

ولا يقتصر الابتلاء على الشدائد، بل قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء:٣٥]. **وذلك من وجهين:**

الأول: أن الإنسان كما يشقُّ عليه الثباتُ على الحق عند الشدائد، فكذلك عند النعيم والرخاء؛ لأن النعيم يدعو إلى التوسّع في اللذّات والاستكثار من الشهوات، والتكاسل عن الطاعات، والتكبّر على الناس، وغير ذلك. وفي الصبر عن ذلك ما فيه من المشقّة.

الوجه الثاني: أن من استحوذ عليه إيثار الباطل تكون الدنيا أعظمَ همِّه. فهو من جهةٍ إذا توفّرتْ له نِعمُ الدنيا ولم تنَلْه مصائبها رضي عن ربه ودينه، وإذا أصابته المصائب سَخِط.

ومن جهةٍ أخرى يعُدُّ نِعَم الدنيا ومصائبها أعظم دليل على رضا الله عَزَّ وَجَلَّ وسخطه، فإذا يُسِّرت له نعمُ الدنيا ولم تنله مصائبها زعم أن الله عَزَّ وَجَلَّ راضٍ عنه وعن دينه وعن عمله، وإلا زعم أن الله عَزَّ وَجَلَّ ساخط عليه وعلى دينه وعلى عمله! وهذه كانت شبهةَ فرعون كما بينته في "كتاب العبادة"(١).

وقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ٩ - ١١].

وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

(١) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٣/٨٣٢-٨٣٣).

ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ [فصلت: ٤٩ - ٥١].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج:١١]. واقرأ من سورة الفرقان: [٧ - ١١] ومن سورة الزخرف: [٣١ - ٣٥].

والإنسان لا يكره الحقّ من حيث هو باطل، ولكنه يحب الحق بفطرته، ويحب الباطل لهواه وشهوته، ومدار الفوز أو الخسران على الإيثار. قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

ولك أن تقول: إن الله تبارك وتعالى في جانب، والهوى في جانب. وقد قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[الفرقان: ٤٣ - ٤٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية:٢٣].

وفي الحديث: "**حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ**"(١).

وقال البُريق الهذلي(٢):

أَبِنْ لي ما ترى، والمرءُ تأبى	عزيمتُه، ويَغلِبُه هواه
فيَعْمَى ما يَرى فيه عليه	ويَحسِبُ ما يراه لا يراه(٣)

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٤/٣٦) (ح: ٢١٦٩٤)، وأبوداود في سننه، في كتاب: الأدب، باب: الهوى، (٤٤٨/٧) (ح: ٥١٣٠)، كلاهما عن أبي الدرداء رضي الله عنه، وحكم عليه محققو الكتابين بأنه ضعيف مرفوعا، وصحيح موقوفا.

(٢) هو عِيَاض بن خُوَيْلِدٍ الخُناعِي: شاعِرٌ حجازي هُذَلِي من بَني خُناعَةَ. انظر: تاج العروس للزبيدي (ب ر ق) (٦٩/٢٥)، ديوان الهذليين للشنقيطي (٥٤/٣).

(٣) انظر: عيون الأخبار لابن قتيبة (٩٥/١).

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة:١٥٨]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان بعض أحكام توسعة المسجد الحرام:](١)

(قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة:١٥٨].

الصفا والمروة معروفان، نصت الآية على أنهما شعيرتان من شعائر الله، والعبادة المتعلقة بهما هي التطوف بهما، وبينته السنة بما هو معروف.

قام النبي - صلى الله عليه وسلم - أول مرة على موضع مخصوص من الصفا لا تعرف عينه الآن، ثم سعى إلى المروة فقام [في] موضع مخصوص منها كذلك، ثم عاد في الشوط الثاني إلى الصفا كالمروة، وهكذا سبعا، قد يكون قام ثانيا وثالثا ورابعا على الموضع الأول من كل منهما أو على ما يقرب منه، ثم أقيم بعد ذلك(٢) حاجز حصر الموضع الذي يقام عليه من كل منهما في مقدار معين، وكان ذلك المقدار يتسع للناس فيما مضى، وأصبح الآن يضيق بهم، فهل يمتنع توسيعه وقوفا على عمل من مضى؛ وإن ضاق وضاق؟ أم ينبغي توسيعه؟ لأن نص الكتاب ورد على " ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ " وهما أوسع من ذاك المقدار. وحصر من مضى لذاك المقدار قد يكون لمزاحمة الأبنية وكفاية ذاك المقدار للناس إذ ذاك، فلم تدع الحاجة حينئذ لتوسعته بهدم الدور.

وهكذا يأتي في المسعى، أي: الطريق الذي يقع فيه السعي، فإنه واقع بين الأبنية من الجانبين، يتسع تارة، ويضيق أخرى، وذلك يدل على أنه لم يحدد، ولم يجئ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا عن أحد من أصحابه ومن بعدهم بيان لتحديد عرض المسعى، إلا ما ذكره الأزرقي(٣) في زمانه: أنه ذرع ما بين العلمين الأخضرين اللذين يليان المروة، فوجد ذلك

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٤٩٧-٥٠٨).

(٢) (كتب فوقها بخط دقيق غير واضح أربع كلمات "يوم في زمنها العصور المتصل") قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٣) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن الوليد بن عقبة بن الأزرق، أبو الوليد الأزرقي: مؤرخ، =

خمسة وثلاثين ذراعا ونصف ذراع[(١)].

وهذا المقدار لا يستمر في بقية المسعى ويظهر [كما هو ثابت] عند الأزرقي أن موضع هذه الأعلام ليس من المسعى الأصلي، وإنما هو مما حوله المهدي العباسي إليه.

وعدم مجيء شيء عن النبي - صلى الله عليه وسلم -[(٢)] وأصحابه في تحديد عرض المسعى يشعر بأن تحديده غير مقصود شرعا؛ وإلا لكان لتعرضه لمزاحمة الأبنية أولى بالتحديد من عرفات ومزدلفة ومنى، وقد ورد في تحديدها ما ورد.

فهل يبقى المسعى كما هو، وقد ضاق بالساعين وأضر بهم؟ أم ينبغي توسعته؟ لأن المقصود هو السعي بين الصفا والمروة، وهو حاصل في المقدار الذي توسع به هذا الشارع، كما هو حاصل في هذا الشارع نفسه.

والله تبارك وتعالى عالم الغيب والشهادة لا يكلف خلقه بعبادة إلا وييسرها لهم أو يرخص لمن شق عليه شيء منها أن يدع ما شق عليه، وقد أصبح السعي بحيث يضيق بالناس في أيام الموسم ويشق عليهم، ولا سيما على النساء والضعفاء والمرضى، بل يلقى منه الأقوياء شدة، وسيزداد الحجاج إن شاء الله كثرة سنة بعد سنة.

في "**النهاية**" لمحمد الرملي الشافعي[(٣)] (ج ٢ ص ٤١٦): "لم أر في كلامهم ضبط عرض المسعى، وسكوتهم عنه لعدم الاحتياج إليه، فإن الواجب استيعاب المسافة التي بين الصفا والمروة كل مرة، ولو التوى في سعيه عن محل السعي يسيرا لم يضر، كما نص عليه

= يماني الأصل، من أهل مكة، له من الكتب (أخبار مكة)، توفي ٢٥٠هـ. انظر: التهذيب لابن حجر (٧٩/١)، الأعلام للزركلي (٢٢٢/٦).

(١) انظر: أخبار مكة للأزرقي (١١٢/٢).

(٢) (أشار لها بـ (ص) لضيق المكان) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (٤٩٨/١٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن حمزة، شمس الدين الرملي: فقيه الديار المصرية في عصره، ومرجعها في الفتوى، الفتوى، صنف شروحا وحواشي كثيرة، منها: (عمدة الرابح)، و (غاية المرام) وغيرها، مات سنة ١٠٠٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٧/٦)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٦٢/٣).

الشافعي[١]"[٢].

وقال النووي[٣] في "شرح المهذب" (ج ٨ ص ٧٦): "وقال الشافعي والأصحاب: لا يجوز السعي في غير موضع السعي، فلو مر وراء موضع السعي في زقاق العطارين أو غيره لم يصح سعيه؛ لأن السعي مختص بمكان، فلا يجوز فعله في غيره كالطواف ... ، قال الشافعي في القديم: فإن التوى شيئا يسيرا أجزأه، وإن عدل حتى يفارق الوادي المؤدي إلى زقاق العطارين لم يجز، وكذا قال الدارمي: إن التوى في السعي يسيرا جاز، وإن دخل المسجد أو زقاق العطارين فلا. والله أعلم"[٤].

قوله: "لا يجوز السعي في غير موضع السعي"، يتبادر منه المكان المحدد. ويحتمل أن يراد: المكان المعد للسعي، فيشمل ما زاد على المسعى القديم توسعة له.

وقوله: "كالطواف" يعين المعنى الثاني، فإن المكان الذي يختص به الطواف لا يقتصر على ما كان في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –، فقد كان المسجد في عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – هو الموضع المعروف الآن بالمطاف، وكان الطواف لا يجوز خارجه، ثم وسع المسجد مرة بعد أخرى.

واتفق أهل العلم على أن ما زيد في المسجد فصار منه؛ صح الطواف فيه[٥]، وإذا صح هذا في المطاف مع مشاركة الاعتكاف والصلاة وغير ذلك للطواف في الأحكام أنه تثبت تلك الأحكام كلها للزيادة ثبوتها للأصل؛ ففي المسعى أولى.

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ابن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد الله، العلامة الفقيه الأصولي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، له تصانيف كثيرة، أشهرها كتاب (الأم) و (الرسالة) وغيرها، مات سنة ٢٠٤هـ. انظر: السير للذهبي (٥/١٠)، الأعلام للزركلي (٢٦/٦).

(٢) انظر: نهاية المحتاج للرملي (٢٩١/٣).

(٣) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث، من كتبه: (تهذيب الاسماء واللغات) و (منهاج الطالبين)، توفي سنة ٦٧٦هـ. انظر: طبقات الشافعية للسبكي (٣٥٩/٨)، الأعلام للزركلي (١٤٩/٨).

(٤) انظر: المجموع للنووي (٧٦/٨).

(٥) انظر: المرجع نفسه (٣٩/٨).

والأصل في هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

والتطهير يشمل التطهير من الأرجاس المعنوية والحسية. والطوافُ والعكوفُ والصلاة موضعُها حولَ البيت، فما حولَ البيت داخل في الأمر بالتطهير. فأَمْرُ الله تعالى تطهيرَ ما حول البيت للطائفين والعاكفين والمصلين، كما يُوجب تطهيرَ الموضع لهؤلاء، يقتضي أن يكون الموضع بحيثُ يَسَعُهم، ولا تقتضي الحكمة أن يُوسَّع الموضع من أول مرّة إلى الغاية التي يُعلم أنّه لن يضيق بالناس مهما كثروا إلى يوم القيامة، وإنّما تقتضي أن يكون أوّلًا بحيث يكفي الناسَ في ذاك العصر، ومع ذلك فلا ريبَ أن النّاس إذا كثروا بعد ذلك ولم يَسَعْهم الموضع وجب توسعته بدلالة الآية، لأنّ النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم أُمّته مِن بعده مُخَاطَبون بما خُوطِب به إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من تطهير ما حولَ البيت للطائفين والعاكفين والمصلّين، أي: بالقدر الذي يكفيهم كما مرّ.

وبهذا جَرى عملُ الأمة؛ فقد وُسِّع المسجد في عهد عمر(١)، ثم في عهد عثمان(٢)(٣)، ثم في عهد ابن الزبير(٤)(٥) رضي الله عنهم، ثم بعد ذلك، وأكرم الله عزَّ وجلَّ إمام المسلمين صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز - أيّده الله - لهذه التوسعة العظيمة. ولعلها مهما عَظُمت لا تكون آخرَ توسعةٍ. وهذه التوسعات كلها عملٌ بالآية.

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٣/١٦٥)، والأنس الجليل للعليمي (١/٢٧٧).

(٢) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، من قريش: أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، من كبار الرجال الذين اعتز بهم الإسلام في عهد ظهوره، مات سنة ٣٥هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٥٧٨)، الأعلام للزركلي (٤/٢١٠).

(٣) انظر: أخبار مكة للفاكهي (٢/١٥٨) (١٣٥٠)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣/٣١٥)، والأنس الجليل للعليمي (١/٢٧٧).

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو بكر: فارس قريش في زمنه، وأول مولود في المدينة بعد الهجرة، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، مات سنة ٧٣هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣/٢٤١)، الأعلام للزركلي (٤/٨٧).

(٥) انظر: الأنس الجليل للعليمي (١/٢٧٧).

وتوسعة المسجد هي نفسها توسعةٌ للمطاف، لاتّفاق العلماء على صحة الطواف فيما يُزاد في المسجد، غير أنّ منهم من شرطَ أن لا يَحُول بين الطائف والكعبة بناء، ولهذا ولأن ما وراء الموضع المعروف بالمطاف الآن غير مهيّأ للطواف، ويكون فيه المصلّون والجالسون والمشاة وغيرهم فيشقُّ الطواف فيه، لِمَا ذُكر اقتصر الناس على الموضع المعروف بالمطاف، وأصبح يضيق بهم جدًّا أيامَ الموسم، فدعت الحاجة إلى توسعته، وبلغني أنّ التوقف عن ذلك منشؤه التوقف عن تأخير مقام إبراهيم.

والبحث في مقام إبراهيم يطول[١]، غير أنّه يمكن اختصاره بأنّ توسعة المطاف واجبة قطعًا عند تحقُّق الضيق كما اقتضته الآية، والأمر بتطهير الموضع للطائفين وغيرهم يستلزم الأمر بتهيئته لهم، وإبقاءُ مقام إبراهيم في مكانه يُنافِي ذلك، وليس على إبقائه حُجة تترجّح على هذه الحجة أو تُكافِئها.

والمقام: هو الحَجَر المعروف، وأصله كما في "صحيح البخاري" في ذكر إبراهيم من أحاديث الأنبياء عن ابن عباس: أنّ إبراهيم عليه السلام كان يقوم عليه وهو يبني الكعبة عندما ارتفع البناء[٢]. وعلى هذا فموضعه في الأصل عند جدار البيت، وأكثر الروايات وأثبتُها أنّ عمر هو الذي أخّره إلى موضعه الآن، وقيل: أخّره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقيل: جاء الإسلام وهو في محلِّه الآن[٣]، وأيًّا ما كان فإنّما أُخّر لئلا يُضيّق هو والمصلُّون خلفه على الطائفين، كما نبّه عليه ابن حجر في "الفتح" (ج ٨ ص ١٢٩)[٤]. فهذا المعنى هو الموجب لتأخيره.

وفي تأخيره لهذا المعنى الشهادةُ لهذا المعنى بأنّه موجب لتأخير المقام؛ فإن كان أُخّر قبل

---

(١) وللمؤلف -رحمه الله- رسالة مفردة في المقام. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٤٣٦-٤٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأنبياء، باب، (٤/١٤٢) (ح: ٣٣٦٤).

(٣) ذكر المؤلف -رحمه الله- هذا الأقوال وأدلتها والترجيح بينها بالتفصيل في رسالة مقام إبراهيم عليه السلام. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٤٥٧-٤٧٥).

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٨/١٦٩).

الإسلام فقد أقرّه النبي - صلى الله عليه وسلم -، وإن كان النبي - صلى الله عليه وسلم - هو الذي أخّره فالأمر أوضح، وإن كان عمر هو الذي أخّره فإنّما عمِلَ بدلالة القرآن كما مرّ، وكأنّ الضيق إنّما تحقّق في عهده حين أكثر المسلمون، ومع دلالة القرآن عملُ الخليفةِ الراشد، وإجماع الصحابة فمن بعدهم، ودلالة القرآن مستغنية بنفسها. وهذا المعنى الذي اقتضى تأخيره إذ ذاك قائم الآن، فاقتضاؤه للتأخير الآن بغاية الوضوح.

فأمّا ما رُوي أنّ السيلَ احتمله في عهد عمر، فتحرّى عمر إعادته في مكانه[١]، فكأنّ عمر لما أخّره قبل ذلك تحرّى أن يبقى مع تأخيره مُسامتًا[٢] للموضع الذي كان يليه من جدار الكعبة لا يميل عنه يَمْنةً ولا يسرةً؛ لأنّ المعنى المذكور إنما أوجب التأخير فاقتضى .... [٣]، فلمّا احتمله السيلُ بعد ذلك تحرّى عمر إعادته إلى مكانه لأجل المسامتة.

وعلى القول بأنّه أُخِّر قبل عمر فتحرِّيه إعادته إلى مكانه قد تكون لما ذُكِر، وقد تكون لأنّه لم يكن يرى إذ ذاك داعيًا[٤] لتحويله؛ لأنّه لم يكن قد حصل به التضييق. وعلى ما ذكر فإذا أُخِّر الآن فينبغي أن لا يخرج به عن مسامتة الموضع الذي يُسامِته الآن من الكعبة لا عن يَمْنة ولا يَسْرة.

فأمّا ما اشتهر أنّ موضعه الأول كان في الحفرة المحدثة إلى جانب الباب فهذا لم يثبت، وأقوى شيء فيه ما ذكره الأزرقي في "تاريخه" (١/ ٢٣٩): روى عن جده ثنا داود بن عبد الرحمن [عن ابن جريج عن كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة السهمي عن أبيه عن جده قال: كانت السيول تدخل المسجد الحرام من باب بني شيبة الكبير قبل أن يردم عمر بن الخطاب الردم الأعلى، وكان يقال لهذا الباب باب السيل، قال: فكانت السيول ربما دفعت

---

(١) انظر: أخبار مكة للأزرقي (٢٨١/١).

(٢) (في الأصل كلمة غير واضحة. وهكذا قدرتها) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (٥٠٢/١٧).

(٣) (كلمتان إحداهما لم أتبينها والأخرى لم تظهر في التصوير) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٤) (في الأصل: "داع") قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

المقام عن موضعه، وربما تحته إلى وجه الكعبة، حتى جاء سيل في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال له سيل أم نهشل ... إلى آخر الخبر](١).

وقد يمكن الجمع بين تهيئة المطاف والمحافظة على موضع المقام في الجملة، بأن يُهْدَم البناء ويعلّم موضع المقام بعلامة ثابتة، ثم يوضع في صندوق ثقيل وتُجعل له ظُلَّة خفيفة على عَجَل، ففي أيام الموسم يؤخَّر الصندوق بالظلَّة إلى حيث تدعو الحاجة مع المحافظة على السمت، ثم عند زوال الموجب يعاد إلى موضعه الآن.

وكالحكم في المطاف الحكم في المسعى، أَمْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بالسعي بين الصفا والمروة يوجب تهيئة موضع يسعى الناسُ فيه يكون بحيث يكفيهم، فإذا اقتصر من مضى على موضع يكفي الناسَ في عصرهم، ثم ضاق بالناس فصار لا يكفيهم، وجبَ توسعته بحيث يكفيهم، وإذا وُسِّع الآن بحيث يكفي الناس، فقد يجيء زمان يقتضي توسعته أيضًا.

هذا، وقد جرى تغييرٌ للمسعى في بعض جِهاته في زمن المهدي العباسي(٢)، ففي تاريخ الأزرقي (ج ٢ ص ٥٩ - ٦٠) في زيادة المهدي سنة ١٦٠ فما بعدها: "ودخلت أيضًا دار خيرة بنت سباع الخزاعية، بلغ ثمنها ثلاثة وأربعين ألف دينار دُفِعت إليها، وكانت شارعة على المسعى يومئذ قبل أن يؤخَّر المسعى"(٣).

وفيه (ص ٦٣) في ذِكْر زيادة المهدي الثانية: "وكان المسعى في موضع المسجد الحرام اليوم"(٤).

وفيه (ص٦٤): "واشتروا الدور وهدموها، فهدموا أكثر دار ابن عباد بن جعفر العائذي، وجعلوا المسعى والوادي فيها .... "(٥).

---

(١) ما بين المعكوفين من كتاب الأزرقي، انظر: أخبار مكة للأزرقي (٢/٣٠).

(٢) هو محمد بن عبد الله المنصور بن محمد ابن علي العباسي، أبو عبد الله، المهدي بالله: من خلفاء الدولة العباسية في العراق، كان محمود العهد والسيرة، محببا إلى الرعية، حسن الخلق والخلق، مات سنة ١٦٩هـ. انظر: السير للذهبي (٧/٤٠٠)، الأعلام للزركلي (٦/٢٢١).

(٣) انظر: أخبار مكة للأزرقي (٢/٧٠).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٢/٧٦).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٢/٧٧).

ويشهد لهذا انحراف المسعى في ذاك الموضع، وكأنّه كان قبل ذلك على خط مستقيم بين الصفا والمروة، أو أدنى إلى الاستقامة.

وذكر القطبي[١] في تاريخه (ص ٤٧ من الطبعة الأولى) هذا التحويلَ ثم قال: "وههنا إشكال لم أرَ من تعرّضَ له، وهو أن السعي بين الصفا والمروة من الأمور التعبدية التي أوجبها الله علينا في ذلك المحلّ المخصوص، ولا يجوز لنا العدول عنه، ولا تُعتبر تلك العبادة إلا في ذلك المكان المخصوص الذي سعى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيه، وعلى ما ذكره هؤلاء الثقات أدخل ذلك المسعى في الحرم الشريف، وحُوِّل المسعى إلى دار ابن عباد كما تقدم، وأمّا المكان الذي يُسعى فيه الآن فلا يتحقَّق أنه بعض من المسعى الذي سعى فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو غيره، فكيف يصحّ السعيُ فيه وقد حُوِّل عن محلّه كما ذكر هؤلاء الثقات؟

ولعلّ الجواب عن ذلك أنّ المسعى في عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان عريضًا، وبُنيت تلك الدور بعد ذلك في عَرْض المسعى القديم فهدمها المهدي وأدخل بعضها في المسجد الحرام، وترك بعضها للسعي فيه، ولم يحوّل تحويلًا كليًّا، وإلا لأنكره علماء الدين من العلماء المجتهدين رضي الله عنهم أجمعين مع توفُّرهم إذ ذاك، فكان الإمامان أبو يوسف ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما والإمام مالك رضي الله عنه موجودين ...[٢]، وقد أقرُّوا ذلك وسكتوا. وكذلك مَن صار بعد ذلك الوقت في رتبة الاجتهاد، كالإمام الشافعي وأحمد بن حنبل وبقية المجتهدين رضي الله عنهم فكان إجماعًا ....

وبقي الإشكال في جواز إدخال شيء من المسعى في المسجد، وكيف يصير ذلك

(١) هو محمد بن أحمد بن محمد بن قاضي خان محمود النهروالي أو النهرواني، قطب الدين الحنفي: مؤرخ، من أهل مكة، تعلم بمصر، ونصب مفتيا بمكة، له من الكتب: (الإعلام بأعلام بلد الله الحرام) و (البرق اليماني) وغيرها، مات سنة ٩٨٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦/٧)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٣/١٠٨).

(٢) (لعل هنا تكملة لم تظهر في التصوير لعدم وضوح الأصل). قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٥٠٥). والتكملة في المطبوع (موجودين يومئذ). انظر: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي (ص:١٣٩)

مسجدًا، وكيف حال الاعتكاف فيه؟

وحلُّه بأن يُجعل حكم المسعى حكم الطريق، فيصير مسجدًا ويصحُّ الاعتكاف فيه، حيث لم يضر بمن يسعى، فاعلم ذلك، وهذا مما انفردتُ ببيانه ولله الحمد"(١).

أقول: أمّا أوّل كلامه فيكفي في الجواب عنه الاعتبار بالمطاف، للاتفاق على صحة الطواف فيما زيد في المسجد في غير الموضع الذي طاف فيه النبي - صلى الله عليه وسلم -، والذي كان في عهده لا يجوز الطواف إلا فيه.

وأمّا حدسه "أنّ المسعى كان عريضًا فبُنِيَت فيه الدور"، فيَخْدِش فيه أنّ المسعى لو كان محدّدًا لبعُدَ أن يجترئ الناسُ على البناء فيه، ويُقِرّهم العلماء والأمراء، حتى يشتري المهدي منهم تلك الدور بأغلى الأثمان.

ثم على فرض صحة هذا الحدس فلم يُجعل المسعى أوّلًا عريضًا إلا لترقُّب أن يكثر الناس فلا يسعهم ما دونه، وعلى هذا فقد كان يجب أن ينكر أهلُ العلم فعل المهدي، قائلين: إنّ هذا الذي أبقيتَ، وإن كان يكفي الناسَ الآن، فقد يكثرون فيما بعد ويضيق بهم، ولا يمكن أن يرد إليه هذا الذي تريد إدخاله في المسجد كما يمكن هدم الدور؛ لأنّه لا يمكن إزالة حكم المسجد ولا جَعْلُه مسجدًا ومسعى معًا؛ لأن كلاًّ منهما يختصّ بحكم، فالحائض ليس لها أن تلبث في المسجد؛ ولها اللّبث في المسعى، فلو طافت المرأة للإفاضة طاهرًا، وبقي عليها السعي فحاضت عقب الطواف، أمكنها أن تسعى في المسعى وتُتمّ نُسكَها وتسافر، ولا يمكنها ذلك في المسجد، إلى غير ذلك من الأحكام.

فلو صحّ حَدْس القطبي لدلّ إقرار أهل العلم له على أنّهم يرون جواز توسعة المسعى من الجانب الآخر، فيرون أنّه إذا ضاق ما أبقاه المهدي من المسعى بالناس أمكن توسعة المسعى من الجهة الأخرى، فهذا أيضًا يدلُّ على جواز التوسعة كما ترى.

وقد يقال بناءً على حَدْس القطبي: لعل أهل العلم إذ ذاك علموا أنّ المسعى في الأصل حَصَرَ جميعَ ما بين الصفا والمروة، وأنّه لا يمتنع البناء فيما زاد على الحاجة، فإذا زادت الحاجة هُدِم من الأبنية ما تُوفي به الحاجة، فعلى كلّ حال لا بدّ من التوسعة عند الحاجة.

---

(١) انظر: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للقطبي (ص:١٣٨-١٣٩).

هذا، وإن الله تبارك وتعالى وضع البيت ولم يكن فيما حوله حقٌّ لأحد، ثم جعل له حِمًى واسعًا وهو الحرم الذي لا يحلُّ صيده، ولا تُعضَد شجره، فهذا الحرم كلّه من اختصاص البيت تقام فيه مصالِحُه، غير أنّه [يجوز] للناس أن يضعوا أيديهم على ما زاد عن مصالح البيت وينتفعوا به، على أن مصالح البيت [إن احتاجت][1] يومًا ما إلى شيء مما بأيدي الناس من الحرم أُخِذ منهم، ووُفّيت به مصالح البيت. وإلى هذا يشير قول عمر للذين نازعوا في بيع دورهم لتوسعة المسجد قال: "إنما نزلتم على الكعبة فهو فناؤها، ولم تنزل الكعبة عليكم". تاريخ الأزرقي (ج ٢ ص ٥٥)[2].

فما حول الكعبة هو من اختصاصها، ليُجعَل منه مسجدٌ يُطاف فيه ويُعكَف ويُصلَّى، فإذا جُعِل بعضُه مسجدًا صار مسجدًا، وبقي الباقي صالحًا لأَنْ يزاد في المسجد عند الحاجة، فما زيد فيه صار منه.

وما بين الصفا والمروة من اختصاصهما ليجعل منه مسعى يُسعى فيه بينها، فإذا جُعل بعضُه مسعى صار مسعى يصحّ السعي فيه، وبقي الباقي صالحًا لأن يُزاد في المسعى عند الحاجة، فما زيد فيه صار منه.

والكعبة هي الشعيرة في الأصل، شُرِعَ الطوافُ بها والعكوف عندها والصلاة، وهذه الأمور لا بُدَّ لها من موضع، فهو حولها، فالموضع كالوسيلة ليكون فيه الطواف بالكعبة وغيره.

وهكذا الصفا والمروة هما الشعيرتان بنصّ القرآن، فأمّا ما بينهما فهو بمنزلة الوسيلة ليسعى فيه بينهما، والوسائل تحتمل أن يُزاد فيها بحسب ما هي وسيلة له، كطواف الطائفين، وسعي الساعين، ولا يجب أن تُحدَّد تحديدَ الشعائر نفسها. والله الموفق).

---

(١) (طمس في الأصل، لعله ما أثبته) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٥٠٧).

(٢) انظر: أخبار مكة للأزرقي (٢/٦٤).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا مناسبة قوله تعالى: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خيرا...﴾ لما قبلها][١]:

([قوله تعالى]: ﴿۞إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾﴾ [البقرة:١٥٨].

يمكن أن يقال: إنه لما قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ أمكن أن يتوهَّم بعض الناس، ولا سيَّما من لم يعرف السبب[٢]، أن السعي ليس فيه ثواب لاقتصار الآية على نفي الجناح فيه، فدفع ذلك بقوله: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ...﴾).

۞ ۞ ۞

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان حكم لعن المعين:][٣]

(انظر هل في هذه الآية دليل على عدم جواز لعن المعيَّن؟ لأنه إن كان حيًّا فلعلّه يتوب، وإن كان ميتًا فلعله تاب، وقد استثنى الله تعالى التائب من لعنته ولعنة اللاعنين. والله أعلم. وقال تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾﴾ [البقرة:١٦١].

فقيَّد لعنته لهم، ولعن الملائكة، ولعن الناس بما إذا ماتوا وهم كفَّار، كما دل استثناؤه في الأول على تقييد لعن الكاتمين بما إذا ماتوا وهم كاتمون والله أعلم[٤]).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٦/٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الحج، باب: وجوب الصفا والمروة، (١٥٧/٢) (ح: ١٦٤٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الحج، باب: بيان أن السعي بين الصفا والمروة ركن..، (٩٢٨/٢) (ح: ١٢٧٧)، كلاهما عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٦/٢٥-٧).

(٤) اختلف أهل العلم في حكم لعن المعين على ثلاثة أقوال: =

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا أهمية التوحيد:](١)

(قال(٢) في تفسير قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة:١٦٣]: "قد بينا فيما مضى معنى الألوهية وأنها اعتباد الخلق، فمعنى قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ والذي يستحق عليكم أيها الناس الطاعة ويستوجب منكم العبادة معبودُ واحدٌ وربٌّ واحدٌ، فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه سواه؛ فإن من تشركونه معه في عبادتكم إياه هو خلقٌ من خَلْقِ إلهكم مثلكم، ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ لا مثل له ولا نظير ... وأما قوله: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، فإنه خبرٌ منه – تعالى ذكره – أنه لا رب للعالمين غيره، ولا يستوجب على العباد العبادة سواه، وأن كل ما سواه فَهُمْ خَلْقُه، والواجب على جميعهم طاعته والانقياد لأمره وترك عبادة ما سواه من الأنداد والآلهة، وهجرُ الأوثان والأصنام؛ لأن جميع ذلك خلقه، وعلى جميعهم الدينونة له بالوحدانية والألوهة، ولا تنبغي الألوهة إلا له؛ إذ كان ما بهم من نعمة في الدنيا فمنه دون ما يعبدونه من الأوثان ويشركون معه من الأشراك ...ثم عَرَّفَهُمْ تعالى بالآية التي تتلوها ... فقال تعالى ذكره: أيها

= –القول الأول: لايجوز بحال، وهو قول طائفة من أصحاب أحمد والغزالي.

–القول الثاني: يجوز في حق الكافر دون الفاسق، وهو قول أبي يعلى.

–القول الثالث: يجوز مطلقا، وهو قول ابن الجوزي.

وسبب الخلاف: أن هناك نوعين من الأدلة، نوع يحرم اللعن ويشدد فيه، ونوع فيه اللعن على الكفر والفسق والبدعة والأفعال الموجبة لذلك، فاختلف أهل العلم في التوفيق بينهما، ولعل الأقرب هو القول الأول والله أعلم.

انظر:إحياء علوم الدين للغزالي (٣/١٢٣-١٢٥)، ومنهاج السنة لابن تيمية (٤/٣٤٤)، والآداب الشرعية لابن مفلح (١/٢٨٥)، موقف أهل السنة من أهل الأهواء والبدع للرحيلي (١/٢٥٠-٢٥٥).

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٣٨٨-٣٩٠).

(٢) القائل: ابن جرير الطبري –رحمه الله–.

المشركون إن جهلتم أو شككتم في حقيقة ما أخبرتكم من الخبر من أن إلهكم إله واحد دون ما تدَّعون ألوهيته من الأنداد والأوثان فتدبَّروا حججي وفكِّروا فيها، فإن مِنْ حججي خَلْقَ السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ... فإن كان ما تعبدونه من الأوثان والآلهة والأنداد وسائر ما تشركون به - إذا اجتمع جميعه فتظاهر أو انفرد بعضه دون بعضٍ - يقدر على أن يخلق نظير شيءٍ من خلقي - الذي سَمَّيْتُ لكم - فلكم بعبادتكم ما تعبدون من دوني حينئذٍ عذرٌ، وإلَّا فلا عذر لكم ... "[(١)].

[وقال -رحمه الله-][(٢)] (قال تعالى: ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣**﴾[البقرة:١٦٣]إلى أن قال: ﴿**وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ**﴾ ، إلى أن قال: ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ**﴾ [البقرة: ١٦٣ - ١٦٦].

حكى ابن جرير عن قومٍ أنَّهم قالوا: "الأنداد في هذا الموضع إنَّما هم سادتهم الذين كانوا يطيعونهم في معصية الله".

ثم أخرج عن السُّدي قال: "الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله"[(٣)].

وقوله: "كما يطيعون الله" أي: في شرع الدين، على ما مرَّ[(٤)]).

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٦٦-٢٦٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٦/١٦٩).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٨٠).

(٤) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٦٥٤ وما بعدها، ٧٢٥).

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ - ١٧٠].

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا المراد بالأنداد:](١)

(قد كان ظهر لي أنَّ المراد بالأنداد هنا الشياطين؛ لما جاء في السياق من قوله: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ** ...﴾ [البقرة: ١٦٨].

ولأن ابن جرير أخرج عن السُّدِّي في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ قال: هم الشياطين تبرّؤوا من الإنس(٢).

ولما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿**وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ... إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُۗ**...﴾ [إبراهيم: ٢٢].

ثم ترجَّح لي أن المراد: المتبوعين(٣) من البشر؛ لقوله تعالى: ﴿**يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ**﴾، ولم يكن المشركون يحبون الشياطين.

وفي الدر المنثور: وأخرج ابن جرير عن السدي في الآية قال: الأنداد من الرجال يطيعونهم كما يطيعون الله، إذا أمروهم أطاعوهم وعصوا الله(٤).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٤٩٤- ٤٩٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣/٢٨٨).

(٣) (كذا في الأصل بالنصب مطابقة للمفسَّر "أندادًا") قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٢/٤٩٥).

(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٢/١٢٢).

وفيه: وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟﴾، قال: هم الجبابرة والقادة والرؤوس في الشرّ والشرك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ هم الأتباع والضعفاء[(١)]. اهـ.

أقول: وهو الظاهر والموافق لآيات أخرى في المعنى.

وفي الدرّ المنثور: وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ أي: شركاء، ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله إلخ[(٢)]. وفيه بيان ما قدَّمناه أن الأنداد بمعنى الآلهة من دون الله تعالى).

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:][(٣)] (ولو نظرتَ حالَ الناس مع كلام الله تعالى الموجود عند كلّ أحدٍ منهم لرأيتهم عنه معرضين، وعلى عبادة القبور مُقبلين! بل كثيرًا ما ترى الإنسان تاركًا للصلاة والصيام، مرتكبًا للفواحش، جاهلًا بربّه ودينه، وهو مع ذلك مشغوف بهذه القبور يحنّ إليها، ويحنو عليها، فإنا لله وإنا إليه راجعون، والله عزَّ وجلَّ يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥].)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة:١٦٨-١٧٣]

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٢/١٢٥).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٢/١٢٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث) (الاجتهاد والتقليد، والسنة والبدعة، العقيدة) (٤/٢٥٦).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- معددا بعض فوائد الآيات:](١)

(في الآيات دليل على النهي عن تحريم ما أحلَّ الله تعالى، وعن اجتناب الأكل منه، وعلى انحصار المحرمات، وغير ذلك مما يظهر عند التدبَّر. والله أعلم.

وقوله تعالى بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤﴾ [البقرة:١٧٤].

فيها التحذير من الرشوة، وفيها دليل على حُرْمة أخذ شيء مقابل بيان ما أنزل الله، سواء أكان ذلك في حكم أو فتوى أو غيرها. وفيها دليل على أن الله تعالى يُكلِّم المؤمنين المتقين يوم القيامة.

هذا، وقد يُدَّعى أن قوله: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أراد به قومًا معهودين هم اليهود، والسياق يؤيده.

كما قد يقال: إن قوله: ﴿وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ بأن يكتموا حكمَ الله ليأخذوا في مقابل كتمانه ثمنًا، فتكون دلالة الآية خاصةً بالتحذيرِ من أخذِ الرشوة من المبطل ليحكم له بالباطل ويكتمَ الحق، وأخذِ الأجرة من السائل ليفتي بما يوافق هواه في الباطل ويكتمَ الحق، فليتدبر والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- ذاكرا الفرق بين الدعاء والنداء:](٢)

(أقول مستعينًا بالله عزَّ وجلَّ: أهل اللغة متَّفقون على أن أصل الدعاء بمعنى النداء(٣)،

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٢٤/٧-٨).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٧٥٤-٧٥٥).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٥٨)، وشمس العلوم للحميري (٤/٢١٠١)، ومعجم اللغة العربية لأحمد مختار (١/٧٤٧).

إلا أن الراغب ذكر فرقًا لفظيًّا[١] فيه نظرٌ، وقد قال الله تعالى ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ [البقرة: ١٧١]، ورُوِي عن مجاهدٍ أنهما بمعنًى[٢]، وكذا قال غيره. قالوا: والمسوِّغ للعطف تغاير اللفظين. ويلوح إلى فرقٌ آخر بينهما، وهو: أن الدعاء مأخوذٌ في مفهومه طلبٌ مَّا، بخلاف النداء؛ فإنه غير مأخوذٍ في مفهومه، وإن كان لازمًا له، فتأمَّل[٣].

ولعلَّ هذا الفرق هو السبب في مجيء الدعاء بمعنى السؤال. قال صاحبا اللسان والقاموس: "الدعاء: الرغبة إلى الله عزَّ وجلَّ"[٤]، زاد شارح القاموس: "فيما عنده من الخير، والابتهال إليه بالسؤال"[٥]. وهذا يُشْعِر باختصاصه به تعالى، ومعروفٌ في اللغة والاستعمال أنه لا يُقال: (دعوتُ الأمير) بمعنى: سأَلْتُه، فإن جاء ما يوهم ذلك فالدعاء بمعنى النداء، وأما السؤال فإنما فُهِمَ من القرينة. ويوضِّح لك ذلك: أنك تقول: (دعوتُ الله أن يعطيني)، كما تقول: (سألته أن يعطيني)، ولا تقول: (دعوت الأمير أن يعطيني)، بل تقول: (دعوته

---

(١) وهو ما جاء بقوله: (الدُّعَاء كالنّداء ، إلّا أنّ النّداء قد يقال بيا ، أو أيا ، ونحو ذلك من غير أن يضمّ إليه الاسم ، والدُّعَاء لا يكاد يقال إلّا إذا كان معه الاسم ، نحو : يا فلان ، وقد يستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر). انظر: مفردات الراغب (١/٣١٥).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) اختلف أهل العلم في الفرق بين الدعاء والنداء على أقوال:

-القول الأول: أنهما بمعنى واحد وضعفه الطاهر بن عاشور.

-القول الثاني: النداء للبعيد والدعاء للقريب، واختاره القرطبي.

-القول الثالث: الدعاء ما يسمع والنداء قد يسمع وقد لا يسمع.

-القول الرابع: هما نوعان من الأصوات التي تفهمها الغنم، فالدعاء الأصوات الدالة على الزجر وهي أسماء الأصوات، والنداء رفع الصوت عليها لتجتمع إلى رعاتها، وهو اختيار الطاهر بن عاشور.

انظر: تفسير القرطبي (٢/٢١٥)، تفسير الطاهر بن عاشور (٢/١١٣)، وروح المعاني للألوسي (٢/٤١).

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٤/٢٥٧) (دعا)، القاموس المحيط للفيرزآبادي (١/١٢٨٢).

(٥) انظر: تاج العروس للزبيدي (٣٨/٤٦) (دعو).

ليعطيني)، أو: (إلى أن يعطيني)، ولكن جاء كثيرًا في القرآن أنَّ المشركين يدعون آلهتهم بأنواعهم، كما تقدَّم[١].)

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ [البقرة:١٧٥]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان معنى ﴿فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾:][٢]

([قوله تعالى]: ﴿**فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾**﴾[البقرة:١٧٥].

يريد – والله أعلم –: فما أصبرهم على الطريقة التي توجب لهم النار. فإن الإنسان إذا كان على خُطّة يرى أنها تؤدّيه إلى عذاب شديد، فإن نفسه تنازعه إلى تركها وتلحُّ عليه في ذلك، وهواه يمنعه من ذلك ويحملُه على الصبر.

كما حكى الله تعالى عن قومٍ قولَهم في رسولهم: ﴿**إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَاۚ**﴾ [الفرقان: ٤٢][٣].

---

(١) انظر: تفصيل ذلك في المرجع نفسه.

(٢) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٨/٢٤).

(٣) اختلف أهل العلم في معنى هذه الآية:

–القول الأول: أنها تعجيب من شدة صبرهم وجرأتهم على العمل الذي يقربهم إلى النار، وذهب إلى هذا قتادة والحسن واختاره الطبري والزمخشري والقرطبي وابن كثير والطاهر بن عاشور.

–القول الثاني: ما أقل جزعهم من النار، فجعل قلة الجزع صبرا.

–القول الثالث: أي شيء صبرهم على النار، وذهب إليه ابن عباس والسدي.

–القول الرابع: ما أدومهم على عمل أهل النار، وذهب إليه الكسائي وقطرب.

والأقرب –والله تعالى أعلم– أن مآل هذه الأقوال يرجع إلى القول الأول، فالقول بقلة جزعهم لا يكون إلا بجرأتهم على النار، والسؤال بأي شيء صبرهم على النار، تعجب من جرأتهم عليها، والقول بشدة دوامهم على عمل أهل النار، يبين لك قلة مبالاتهم وجرأتهم على النار وهذا يدعو للتعجب والانبهار، نسأل الله السلامة والعافية.

انظر: تفسير الطبري (١/٣٣١-٣٣٣)، تفسير الزمخشري (١/٢١٦)، تفسير القرطبي (٢/٢٣٦)، تفسير ابن كثير (١/٤٨٤)، تفسير الطاهر بن عاشور (٢/١٢٤٥).

﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا أن لغة العرب أوسع من قواعد النحو:](١)

(العلماء يعرفون أن في لغة العرب اتساعًا تضيق عنه قواعد النحو أو تكاد، حتى إن في القرآن مواضع يصعب تطبيقها على تلك القواعد، كقوله تعالى: ﴿وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وقوله: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، وقوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾ [المائدة: ٦٩]، وقوله: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وغير هذا، حتى ألَّف بعض أهل العلم في مشكل إعراب القرآن خاصة. ولولا العلم اليقيني بأنه يستحيل أن يكون في القرآن لحن لجَزم كثير من المتقيّدين بقواعد النّحاة بأن كثيرًا من تلك المواضع لحن(٢).

بل قد روي عن بعض المتقدمين أنه زعم أن الكاتب أخطأ! وأُجيب عن ذلك بما هو معروف(٣). ومما يُجاب به عن ذلك: أن القائل بأنه خطأ غَفَل عن تقدير معنويّ يصحّ به ذلك اللفظ، أو جَهِل لغة قبيلة من العرب غير قبيلته، ثم ظن أن القائل له: "هي في المصحف كذا" إنما عني مصحفًا خاصًّا لا المصحف الإمام، أو لم يكن قد بلغه العناية التي قِيمَ بها في المصحف الإمام. ولا مانع أن يخفى التواتر عن رجل، كما يقال: إنه خفي على ابن مسعود في شأن المعوّذتين(٤)).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (١٥/٣٠٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥/٢٤٨-٢٦٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٩/٣٩٤-٣٩٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه مختصرا، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى (الله الصمد)، (٦/١٨١) (ح: ٤٩٧٧)، وأحمد في مسنده، (٣٥/١١٦) (ح: ٢١١٨٦) وصحح إسناده محققوه، كلاهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ الآية [البقرة: ١٧٨]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا حكم القصاص:](١)

(قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى﴾ الآية [البقرة: ١٧٨].

نصَّت الآية على وجوب القصاص في كل قتيل يتأتى فيه، والقصاص يدل على المماثلة، والمقصود: المماثلة في المعاني التي يُعقل لها دَخْلٌ في الحكم، فلا تتناول القتيلَ بحقٍّ لأن قتل قاتله يكون بغير حق، ولا القتيلَ خطأً محضًا لأن قتل قاتله إنما يكون عمدًا، ولا القتيلَ الذي دلَّت شواهد الحال على أنه إنما قُصِد إيلامه لا قتلُه كالمضروب ضرباتٍ يسيرةً بسوط أو عصا خفيفة؛ لأن قتل قاتله يكون مقصودًا. وتتناول الآية القتلى في الصور المتقدمة سابقًا، وهي فضخُ الرأس وما معه ونحوها إذا كان بغير حق؛ لأنه قُصِد فيها سببُ القتل وقُصِد فيها القتل، وقتلُ القاتل يقتضي مثل ذلك بدون زيادة فهو قصاص، فالآية تنص على وجوب القصاص في تلك الصور ونحوها حتمًا).

❁ ❁ ❁

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة: ١٨٠]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في شرح آية الوصية:](٢)

(قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[البقرة: ١٨٠].

قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، فسر الخير بالمال، وفسر بالمال الكثير.

أخرج جماعة عن علي رضي الله عنه أنه دخل على مولى له في الموت، وله سبعمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ قال: لا، إنما قال الله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾، وليس لك كثير مال، فدع مالك لورثتك(٣).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/١٢٨-١٢٩).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٦٩٥-٧١٢).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٣/٣٩٥)، تفسير ابن أبي حاتم (١/٢٩٨-٢٩٩).

وأخرج ابن أبي شيبة أن رجلا قال لعائشة رضي الله عنها: أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف، قالت: كم عيالك؟ قال: أربعة، قالت: قال الله تعالى: ﴿**إِن تَرَكَ خَيْرًا**﴾، وهذا شيء يسير، فاتركه لعيالك فهو أفضل[1].

.... كانوا رضي الله عنهم يرون أن آية الوصية كتب فيها الوصية من المال الكثير للوالدين وعامة الأقربين، وآية الميراث نسختها بالنسبة للوالدين وبعض الأقربين فبقي بقية الأقربين داخلين في آية الوصية.

وعندي أنها منسوخة بالنسبة لبقية الأقربين أيضا، وأقيم مقام ذلك قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ** ... ﴾ [النساء: ٨] كما يأتي إن شاء الله تعالى.

۞ ۞ ۞

﴿ٱلْوَصِيَّةُ﴾

هي: الاسم من أوصى يوصي، وأصلها: أمرك من أنت غائب عنه أو ستغيب بأمر يفعله في الغيبة، ويقال: أوصيت زيدا بالصدقة، كما يقال: أمرته بها. ويقال: أوصيت لزيد بمال، كما يقال: أمرت له بمال.

۞ ۞ ۞

﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾

اللام في قوله: ﴿**لِلْوَٰلِدَيْنِ**﴾ تحتمل معنيين:

وذلك أنه مما تقرر في العربية أن الفعل الذي يتعدى بنفسه يجوز في مصدره واسم مصدره ونحوهما التعدية باللام دائما، وبنفسه بشرطه. قال ابن مالك[2] في "الخلاصة":

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب: الوصايا، باب: في الرجل يكون له المال...، (٢٠٨/١١)، (ح: ٣١٥٩١).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين: أحد الأئمة في علوم العربية، ولد في جيان (بالأندلس) وانتقل إلى دمشق فتوفي فيها، أشهر كتبه (الألفية) و(تسهيل الفوائد) وغيرها، مات سنة ٦٧٢هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١٣٠/١)، الأعلام للزركلي (٢٣٣/٦).

بفعله المصدر ألحق في العمل — مضافا أو مجردا أو مع ال

إن كان فعل مع أن أو ما يحل — محله ولاسم مصدر عمل[١]

قال الشارح: "وإعمال المضاف أكثر من إعمال المنون، وإعمال المنون أكثر من إعمال المحلى بأل"[٢].

واتفقوا على أنه إذا لم يعد بنفسه يعدى باللام.

ولفظ "وصية" اسم مصدر من أوصى، فيجوز تعديته إلى المفعول باللام، فإذا كان محلى بأل فالغالب أو الواجب أن لا يعدى بنفسه، بل يعدى باللام.

يقول: على كل مسلم الوصية للمسلمين بالتقوى، وعلى هذا فمعنى الآية: كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا أن يوصي الوالدين والأقربين بالمعروف.

والمقصود أن يوصي المحتضر والديه وأقاربه بأن يبذلوا المعروف من تركته من صدقة ونحوها، فتكون هذه الآية مشابهة لقوله عز وجل: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ⑧**﴾ [النساء:٨].

وهذا المعنى مستقيم كما تراه، إلا أنه مخالف لحديث البخاري وغيره عن ابن عباس، كما يأتي مع ما سيأتي من أدلة النسخ، فمن لم يسلم أدلة النسخ فلا محيص له عن تسليم احتمال الآية لهذا المعنى، والله الموفق.

فهذا أحد المعنيين اللذين يحتملهما اللام.

المعنى الثاني – وهو المشهور –: أن اللام هي التي في نحو أوصيت لزيد بمال، فمعنى الآية عليه: كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا أن يوصي للوالدين .... ، وعلى هذا المعنى نبني البحث بعون الله تعالى.

﴿لِلْوَٰلِدَيْنِ﴾

هو مثنى والد ووالدة، و"والدة" اسم فاعل من ولدت تلد ولادة: إذا وضعت حملها، فهي

---

(١) انظر: ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل (٩٣/٣).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٩٤/٣).

والدة - اسم فاعل - ووالد أيضا، حكاه ثعلب[1]. ترك التاء لأمن اللبس، كما قالوه في حامل وحائض وطالق. فأما الذكر فإنه طبعا لا يلد؛ إذ لا يكون منه في التسبب للولد ما يصدق عليه ولادة على الحقيقة، وإنما يقال: ولد له. قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقد جاء نسبة الولادة إلى غير الأنثى، قال الله عز وجل: ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ٣﴾ [البلد:٣]، وهو مجاز مرسل[2] علاقته السببية، كما يقال: بني الأمير المدينة، أي أمر ببنائها.

ثم جردوا لفظ "والدة" عن الوصفية، فأطلقوه على الأم مع عدم ملاحظة الوصفية، يقال: هذه والدتي، بمعنى أمي لا بمعنى التي ولدتني. ويبين لك الفرق تصور الولادة عند قولك: "التي ولدتني" حتما، بخلاف الحال عند قولك: "أمي".

وبهذا الاعتبار أطلق على الأب "والد" ثم ثنوهما فقالوا: "والدان" تغليبا. ومن زعم أنه لا تغليب لحكاية ثعلب المتقدمة فقد غفل؛ لأن "والد" في حكاية ثعلب وصف لا اسم، والوالدان اسم لا وصف. وأيضا التثنية واردة في الكلام بكثرة، وحكاية ثعلب نادرة.

بقي أنه قد يقال للجد وإن علا: "والد"، وللجدة وإن علت: "والدة"، والجيراجي يزعم أنه حقيقة[3]، والحق أنه مجاز بدليل العلامات التي ذكرها أهل العلم للتفرقة بين الحقيقة والمجاز. وسيأتي ما يتعلق بهذا في بحث الأولاد إن شاء الله تعالى.

﴿وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾

فصل في معنى ﴿ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ في المواضع كلها

الأقربون يحتمل أن يفسر على ثلاثة معان:

المعنى الأول: الأشخاص الذين كل واحد منهم أقرب من سائر الناس مطلقا، فلا يصدق على ابن الابن والجد؛ لأن الابن أقرب منهما، وإنما يصدق على الأبوين والبنين.

المعنى الثاني: الذين كل واحد منهم أقرب من سائر الأحياء عند الموت.

---

(١) انظر: تاج العروس للزبيدي (٩/٣٢٥) (ولد).

(٢) (وهو ما استعمل في أعم مما هو موضوع له) قاله القزويني. انظر: الإيضاح للقزويني (ص: ٢٦٠).

(٣) انظر: لم أقف عليه.

المعنى الثالث: الأشخاص الذين هم من حيث المجموع أقرب من غيرهم، وإن كان بعضهم أقرب من بعض، أو قل: الذين كل فرد منهم أقرب ممن ليس من الأقارب.

وأرجح هذه المعاني: الثالث؛ لأنه هو المتبادر، فإنك إذا قلت: هؤلاء أقارب زيد، لم يفهم منه إلا المعنى الثالث. والأقارب والأقربون واحد، بل لا نعلم لفظ ﴿ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ جاء لغير المعنى الثالث. وهاك إثبات مجيئه بالمعنى الثالث.

١-اقتصر عليه أهل اللغة، قالوا - والعبارة "للقاموس" -: "وأقرباؤك وأقاربك وأقربوك: عشيرتك الأدنون"[١].

وقال في العشيرة: "وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون أو القبيلة"[٢]. وكذا في "اللسان" إلا أنه قال: "وقيل: القبيلة".

وفي "شرح القاموس" في "شعب": أن ترتيب بيوت العرب: شعب، فقبيلة، فعمارة، فبطن، ففخذ، ففصيلة"[٣]. ونقل عن بعضهم أن الفصيلة هي العشيرة، وعن آخر أن العشيرة دون الفصيلة[٤]. وعلى كل حال فلا أقل من العشيرة، وهذا هو الصواب.

وأما قولهم: "وقيل: هي القبيلة"، فكأن قائله - والله أعلم - أخذه من قوله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]، مع ما ثبت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - عند نزولها أنذر قريشا أجمع[٥]. وهذا يحتمل التأويل، قال الحافظ في "الفتح": يحتمل أن يكون أولا خص اتباعا لظاهر القرآن، ثم عم لما عنده من الدليل على التعميم، لكونه أرسل إلى الناس كافة[٦].

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ١٢٣).

(٢) انظر: المرجع نفسه (ص: ٤٤٠).

(٣) انظر: تاج العروس للزبيدي (٣/١٣٤-١٣٥).

(٤) انظر: المرجع نفسه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقراب؟، (٤/٦) (ح: ٢٧٥٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: في قوله تعالى (وأنذر عشيرتك..)، (١/١٩٢) (ح: ٢٠٤)، كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/٣٨٣).

أقول: وعلى هذا فالوصف في الآية كاشف فقط[١]، بل ليس بوصف، وإنما هو بدلالة الأقربين قد تجرد عن الوصفية، وغلب في استعماله استقلاله. ويؤيد هذا أنه لو كان وصفا لطابق لفظ "العشيرة"، بأن يقال: "القربى" مثلا.

ومما يؤيد أن العشيرة اسم لأقل العقود في النسب قوله تعالى في التوبة: ﴿**قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ...**﴾ الآية [٢٤]، وقوله عز وجل في سورة المجادلة: ﴿**لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ الآية [٢٢].

ويؤيده أيضا أن اشتقاقه من العشرة، وهي أول عقد في العدد. هكذا ينبغي توجيه الاشتقاق، فالعشيرة أول عقد في النسب، وكذلك الأقربون.

وقد أوضح الإمام الشافعي معنى هذا في "الأم" في باب الوصية للقرابة (ج ٤ ص ٣٨)، فمثل بنسب نفسه، فذكر أولا بني عبد مناف[٢]، ثم ذكر أنهم تفرقوا، ومن جملة الفرق بنو المطلب[٣]، ثم أخذ يسلسلهم إلى أن بلغ ببني السائب بن يزيد[٤]، فذكر أنهم تفرقوا إلى: بني شافع وبني علي وبني عباس، ثم قال: "فإذا كان من آل شافع فقال: لقرابته[٥]، فهو لآل شافع دون آل علي وآل عباس، وذلك أن هؤلاء يتميزون ظاهر التمييز من البطن الآخر، يعرف ذلك منهم إذا قصدوا آباءهم دون الشعوب والقبائل في آبائهم، وفي تناصرهم

---

(١) تقدم تفسير معنى الكاشف. انظر: (ص: ٢٦٥).

(٢) هو بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو عبد مناف بن قصي. انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم (١٤/١)، نهاية الأرب لأبي العباس القلقشندي (ص: ٣٤٣).

(٣) هو بطن من بني عبد مناف من قريش من العدنانية، وهم بنو المطلب بن عبد مناف، وكان للمطلب خمسة أولاد هم الحارث وخزيمة وعباد وهاشم وعبد يزيد. انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٧٣/١)، الأعلام للزركلي (١٩٥/٥).

(٤) هو السائب بن يزيد بن سعيد الكندي: صحابي، مولده قبيل السنة الاولى من الهجرة، وكان مع أبيه يوم حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، واستعمله عمر على سوق المدينة، وهو آخر من توفي بها من الصحابة، مات سنة ٩١هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٦٨/٣).

(٥) (أي إذا أوصى بماله فقال: "هو لقرابتي") قاله المحققون على آثار المعلمي (٧٠٢/١٧).

وتناكحهم"[١].

فالحاصل: أن الأقرباء والأقارب هم أدنى فصيلة للرجل يختصون باسم، ولا عبرة بعدد الآباء. ففي مثال الشافعي لم يكن بنو السائب أقاربه، لأنهم قد تفرعوا فروعا اختص كل منهم باسم ....[٢].

بخذلانهم في واقعة شعب .... بل كان أقاربه - صلى الله عليه وسلم - بني هاشم؛ لأنهم .... بني المطلب لمكان الموالاة، [كما] في "صحيح البخاري" عن جبير بن مطعم[٣][٤].

وأقول: كان بنو عبد مناف شعبا واحدا، فتفرعوا، فلما جاء الإسلام وخذل ... عبد مناف بني هاشم وبني المطلب، لم يكن بد من التميز .... ، والله أعلم.

٢-في "الصحيحين" عن أنس في قصة أبي طلحة[٥] في تصدقه ببيرحاء أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له: " ... وإني أرى أن تجعلها في الأقربين". قال أنس: فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه"[٦].

---

(١) انظر: الأم للشافعي (١١٧/٤).

(٢) كذا في المطبوع، ولعلهم لم يستطيعوا قراءته في المخطوط فوضعوا بدله هذه النقط. انظر: مجموع المعلمي (٧٠٣/١٧).

(٣) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي، أبو عدي: صحابي، كان من علماء قريش وسادتهم، وكان شيخ قريش في زمانه، له ٦٠ حديثا، توفي بالمدينة سنة ٥٩هـ، انظر: السير للذهبي (٩٥/٣)، الأعلام للزركلي (١١٢/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: فرض الخمس، باب: ومن الدليل على أن... (٩١/٤) (ح: ٣١٤٠).

(٥) هو زيد بن سهل بن الأسود النجاري الأنصاري: صحابي، من الشجعان الرماة المعدودين في الجاهلية والإسلام، مولده في المدينة، ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، فشهد العقبة وبدرا وأحدا والخندق وسائر المشاهد، مات سنة ٣٤هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧/٢)، الأعلام للزركلي (٥٨/٣).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب، (١١٩/٢) (ح: =

وفي أكثر الروايات أنه جعلها لحسان بن ثابت[(١)] وأبي بن كعب، وحسان أقرب إليه. وفي رواية للبخاري: "فجعلها أبو طلحة في ذوي رحمه، وكان منهم حسان وأبي بن كعب"[(٢)]. وجاء من وجه ضعيف زيادة أوس بن ثابت[(٣)] أخي حسان، أو ابنه شداد بن أوس[(٤)] ونبيط بن جابر[(٥)]، وهؤلاء الأربعة يجمعهم مع أبي طلحة مالك بن النجار[(٦)]، وبعضهم أقرب إلى أبي طلحة من بعض[(٧)].

والظاهر أن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخذ الجواب من قول الله عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ...﴾. وكان والدا أبي طلحة قد

= ١٤٦١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة..، (٢/٦٩٣) (ح: ٩٩٨).

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الاسلام، مات سنة ٥٤هـ. انظر: السير للذهبي (٢/٥١٢)، الأعلام للزركلي (٢/١٧٥).

(٢) أخرجها البخاري في صحيحه، في كتاب: الوصايا، باب: من تصدق إلى وكيله..، (٤/٨) (٢٧٨٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) هو أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري: صحابي، شهد العقبة الثانية وبدرا، وقتل في وقعة (أحد) سنة ٣هـ. انظر: السير للذهبي (٢/٤٦٤)، الأعلام للزركلي (٢/٣١).

(٤) هو شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي الأنصاري، أبو يعلى: صحابي، من الأمراء، ولاه عمر إمارة حمص، ولما قتل عثمان اعتزل، وعكف على العبادة، كان فصيحاً حليما حكيما، مات سنة ٥٨هـ. انظر: السير للذهبي (٢/٤٦٠)، الأعلام للزركلي (٣/١٥٨).

(٥) هو نبيط بن جابر بن مالك بن عدي الأنصاري الخزرجي ثُمَّ النجاري، شهد أحدا، زوجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الفريعة بنت أبي أمامة أسعد بن زرارة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٥/٢٩٥)، الإصابة لابن حجر (٦/٤٢٢).

(٦) هو مالك بن النجار (واسمه تيم اللات) بن ثعلبة، من الخزرج: جد جاهلي، بنوه عدة بطون، وينسب إليه كثير من الصحابة وغيرهم. انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم (٢/٣٤٧)، الأعلام للزركلي (٥/٢٦٦).

(٧) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥/٣٨١).

توفيا، وبنو مالك بن النجار هم أقرب فصيلة لأبي طلحة.

٣-وفي "الصحيحين" عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤]صعد النبي - صلى الله عليه وسلم - الصفا، فجعل ينادي: "يا بني فهر[(١)]! يا بني عدي[(٢)]! ... "[(٣)] لبطون قريش.

ونحوه في "الصحيحين" أيضا عن أبي هريرة، وذكر فيه: "يا معشر قريش! يا بني عبد مناف! يا بني عباس بن عبد المطلب! يا صفية عمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -! يا فاطمة[(٤)] بنت محمد! "[(٥)]. وقد قدمنا توجيهه في الكلام على العشيرة.

ثم إنّ المعنى الأول لا يصح في آية الوصية؛ لحديث البخاري وغيره عن ابن عباس قال: "كان المال للولد، والوصية للوالدين والأقربين"[(٦)]. وسيأتي إن شاء الله تعالى أن حكمه الرفع.

---

(١) هو فهر بن مالك بن النضر، من كنانة، من عدنان: جد جاهلي، ممن يتصل بهم النسب النبوي، كنيته أبو غالب، كان رئيس الناس بمكة، وهو جماع قريش في قول هشام. انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم (١٢/١)، الأعلام للزركلي (١٥٧/٥).

(٢) هو عدي بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، من قريش، من عدنان: جد جاهلي، من نسله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وكثيرون. انظر: جمهرة الأنساب لابن حزم (١٥٠/١)، الأعلام للزركلي (٢٢١/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى: [إن هو إلا نذير...]، (١٢٢/٦) (ح: ٤٨٠١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالى: [وأنذر عشيرتك..]، (١٩٣/١) (ح: ٢٠٨).

(٤) هي فاطمة الزهراء بنت إمام المتقين رسول الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية صلى الله على أبيها وآله وسلم ورضي عنها كانت تكنى أم أبيها، ماتت سنة ١١هـ. انظر: السير للذهبي (١١٨/٢)، الإصابة لابن حجر (٥٣/٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب؟، (٦/٤) (ح: ٢٧٥٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالى: [وأنذر عشيرتك..]، (١٩٢/١) (ح: ٢٠٤).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوصايا، باب: لا وصية لوارث، (٤/٤) (ح: ٢٧٤٧).

وهو صريح في أن الولد لم يدخلوا في الأقربين، فلم يبق إلا الوالدان، وقد ذكرا نصا، فلا تبقى فائدة لذكر الأقربين، بل يكون في معنى عطف الشيء على نفسه.

وكذا لا يأتي في قوله عز وجل: ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥] على تفسير ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ بأولادكم، ويشهد له ظاهر لفظ ﴿شُهَدَآءَ﴾ وأن الاعتراف قد تضمنه قوله: ﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾.

وكذا لا يأتي في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة: ٢١٥]، فإنهم إنما سألوا عن النفقة التي هي من قبيل الصدقة، ونفقتهم على أولادهم داخلة في نفقتهم على أنفسهم، وإذا كبر الأولاد فالغالب أن يكونوا مستولين على أموال آبائهم، أو يكون الوالدان قد شاخا وعجزا والأولاد أغنياء أو أقوياء، فيكون الوالدان هما المحتاجين إلى أولادهما.

على أن حديث أنس السابق هو في معنى تفسيرٍ لهذه الآية، وقد علمت أنه لا يأتي إلا على المعنى الثالث.

والمعنى الثاني[١] - مع ما فيه من التقييد المخالف للظاهر، وكون الأدلة التي ذكرناها في ترجيح المعنى الثالث ترده - يلزم عليه مخالفة آيات المواريث لآية الوصية في المستحقين. وبيانه: أن الأقربين في آية الوصية وارثون، وفي آيات الميراث موروثون، فمعنى آية الوصية على المعنى الثاني: أن يوصي المحتضر للوالدين والأشخاص الذين هم أقرب إليه عند الاحتضار. فيخرج ابن الابن إذا كان هناك ابن آخر أو بنت أو أب، فلا يكون ابن الابن علي[٢] هذا مستحقا. ومعنى آية الميراث: للرجال نصيب يرثه كل منهم مما ترك والداه أو شخص أقرب إليه ممن ترك بعده، فيدخل الجد في المثال المتقدم، فيكون ابن الابن في ذلك المثال مستحقا. وكذلك يخرج من آية الوصية ابن الأخ إذا كان لعمه المحتضر أولاد؛ لأنه ليس بأقرب إلى عمه المحتضر، ولكنه يدخل في آيات الميراث، لأن المتوفى أقرب إليه ممن ترك بعده إذا كان ابن الأخ منقطعا. وهناك صور أخرى لا نطيل بذكرها.

---

(١) وهو ما ذكره بقوله: (الذين كل واحد منهم أقرب من سائر الأحياء عند الموت) انظر: (ص: ٣٧٠).

(٢) كذا في المطبوع، ولعل الصواب (على). انظر: مجموع آثار المعلمي (١٧/٧٠٥).

وهذا كاف في إبطال المعنى الثاني في آيات الوصية والميراث، لأن آية الوصية كانت قائمة مقام بعض التوريث عندنا، وقائمة مقام التوريث أبدا عند الجيراجي[١]، فيجب عدم مخالفتها لآيات المواريث في تعيين المستحقين.

ويحتمل أن يورد على المعنى الثالث[٢] أمور:

منها: أن الظاهر أنه بمعنى "ذوي القربي"، لم يقصد التفضيل فيه مع أن الصيغة صيغة التفضيل.

ومنها: أن المعروف في المواريث أنه لو انقرض آل شافع في مثال الشافعي إلا واحدا فمات، وعرف عصبة من الفريقين الآخرين آل علي وآل عباس، دفع ميراثه إليه، مع أن الآية خصت الأقربين.

ومنها: أنه يكون ظاهر العموم استحقاق كل واحد منهم ولو اجتمعوا، وهو غير مراد قطعا.

والجواب عن الأمر الأول: أنهم وإن لم يكن كل واحد منهم أقرب مطلقا فالمجموع أقربون. بل نقول: إن كل واحد أقرب أي ممن لم يدخل في المجموع، كما إذا قلنا: إن أقارب النبي – صلى الله عليه وسلم – هم بنو هاشم، فإننا نقول: أبو سفيان بن الحارث[٣] أقرب من أبي سفيان بن حرب[٤].

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) وهو ما ذكره بقوله: (الأشخاص الذين هم من حيث المجموع أقرب من غيرهم، وإن كان بعضهم أقرب من بعض، أو قل: الذين كل فرد منهم أقرب ممن ليس من الأقارب) انظر: (ص:٣٧١).

(٣) هو المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ أخا النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الرضاعة، أرضعتهما حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية، مات سنة . انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١٤١/٦)، الإصابة لابن حجر (١٧٩/٧).

(٤) هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف: صحابي، من سادات قريش في الجاهلية، وهو والد معاوية رضي الله عنه رأس الدولة الأموية، مات سنة ٣١هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٩/٣)، الأعلام للزركلي (٢٠١/٣).

ومع هذا فقد ثبت ورود "**ٱلۡأَقۡرَبِينَ**" بالمعنى الثالث كما قدمناه، وورد نظيره في احتمال ورود هذا الاعتراض عليه، كقولهم في تفسير "العشيرة": بنو أبيه الأدنون بصيغة التفضيل.

وعن الأمر الثاني: بأن الآية خرجت مخرج الغالب، والغالب أن العشيرة لا ينقرض كلها.

ومع هذا فالآيات لم تنزل للتحديد المفصل، وإنما نزلت في مقامات لا يضر في مثلها الإجمال. أما في آية الوصية فلأنها كانت موكولة إلى نظر الموصي يجتهد رأيه، وقد علم الله عز وجل أنها ليست حكما دائما، وإنما هي تدريج اقتضته الحكمة، فاغتفر ما يقع فيه من الجنف والإثم، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وأما في آيات المواريث فلأن قوله: ﴿**وَلِكُلٍّ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَۚ**﴾ [النساء: ٣٣].

وقوله: ﴿**لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ**﴾ [النساء: ٧] هو مجمل على كل حال؛ لأن النصيب مجهول يحتاج إلى بيان، وبيان النصيب لا بد أن يصحبه بيان المستحقين.

وعن الأمر الثالث: بأن تخصيص العمومات غير مستنكر، وقد قيل: ما من عام إلا وقد خصص(١). وهذا اللفظ - أعني " **ٱلۡأَقۡرَبِينَ** " - لا بد من تخصيصه على كل حال، حتى لو حمل على أحد المعنيين الأولين، وذلك في الكافر والقاتل.

وعلى المعنى الثاني لا بد من التخصيص؛ لأنه يدخل في آيات المواريث ابن الأخ المنقطع وإن كان لعمه المتوفى أولاد، وكذا يدخل الأخ للأم مع وجود الأولاد والأب، ويخرج العم الذي له ولد ولو لم يكن هناك وارث غيره، لأن ولده أقرب إليه من الميت، وغير ذلك.

وقال الجيراجي (ص ٢٥): "والمراد بالأقرب أن لا تكون واسطة بينه وبين المورث، إما مطلقا، أو كانت لكن انتفت قبل وفاة المورث"(٢).

فإن أراد أن هذا معنى مستقل للأقربين فممنوع، وإن أراد المعنى الثاني بعد إخراج بعض

---

(١) انظر: الإبهاج للسبكي (٢/١٤١)، البحر المحيط للزركشي (١/٥١٤)، وهذه القاعدة على الغالب ونقد شيخ الإسلام تعميمها. انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٦/٤٤٤).

(٢) لم أقف عليه.

الصور بالتخصيص ففيه ما تقدم. على أنه قال في (ص ١١): "لأن قرابة بني الأعيان إلى المورث من جهتي الأب والأم معا، فهم أقربون إليه من بني العلات[(١)]"[(٢)].

الظاهر أنه يريد الاستدلال بالقرآن على حجبهم، فكان الصواب أن يقول: لأنه أقرب إليهم منه إلى بني العلات. وعلى كل حال فهذا معنى آخر غير الذي قدمه، فإن هذا مبني على أن الأفضلية ....[(٣)] القرابة، وما تقدم مبني على الأفضلية في قرب القرابة، وهما معنيان متنافيان، فإن تلخيص الأول كون الميت أقرب إلى الشخص ممن ترك بعده، وبعد التخصيص أن لا يكون بينهما واسطة الشخص ممن ترك بعده، وبعد التخصيص أن لا يكون بينهما واسطة حية، وتلخيص الثاني كون الميت أقرب إلى الشخص منه إلى غيره. وبنى على الأول توريث ابن الابن مع ابن آخر، وعلى الثاني حجب الإخوة لأم بالأشقاء والإخوة لأب، وحجب الإخوة لأب بالأشقاء.

وأنت إذا تأملت وجدت صنيعه متناقضا، فإن الميت وإن كان أقرب إلى ابن ابنه من سائر الناس، فإنه - أعني الميت - أقرب إلى ابنه منه إلى ابن ابنه. والميت وإن كان أقرب إلى شقيقه منه إلى أخيه لأبيه، فهو أقرب إلى أخيه لأبيه من سائر الناس.

الحاصل أن الميت وإن كان أقرب إلى ابن ابنه بالمعنى الأول، فليس بأقرب إليه بالمعنى الثاني، وهو وإن لم يكن أقرب إلى أخيه لأبيه بالمعنى الثاني، فهو أقرب إليه بالمعنى الأول. فتوريث الجيراجي ابن الابن مع ابن آخر - مع إسقاطه الأخ لأم بالشقيق أو الأخ لأب، وإسقاطه الأخ لأب بالشقيق - متناقضان، واحتجاجه بالآية في الموضعين تهافت كما تراه. وعلى كل حال فكلا المعنيين مردود لما قدمنا.

واعلم أن الأقربين بالمعنى الثالث لا يدخل فيهم الوالدان ولا الأولاد، بدليل أنك إذا

---

(١) بنو العلات: هم بنو رجل من أمهات شتى. انظر: لسان العرب لابن منظور (علل) (٣٠٦/١٣)، تاج العروس للزبيدي (علل) (٤٧/٣٠).

(٢) لم أقف عليه.

(٣) كذا في المطبوع، ولعلهم لم يستطيعوا قراءته في المخطوط فوضعوا بدله هذه النقط. انظر: مجموع المعلمي (٧٠٧/١٧).

قلت: هؤلاء أقارب زيد تبادر إلى الذهن أنه ليس له فيهم ولد ولا والد. ووجه ذلك -والله أعلم- شدة قرب الولد والوالد، حتى كأنهما مع الشخص شيء واحد، كما يتحصل مما مثل به الصحابة رضي الله عنهم في مسألة الجد والإخوة.

وما استدل به على دخولهم من حديث "الصحيحين" في إنذاره - صلى الله عليه وسلم - ابنته عليها السلام[(١)] مع من أنذر عند نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء:٢١٤][(٢)] مدفوع بمثل ما تقدم في الجواب عن إنذاره سائر بطون قريش.

ولا ضرر في عدم دخول الوالدين والأولاد في لفظ الأقربين في آية الوصية وآيات الميراث، فإن الوالدين قد ذكرا نصا في أربعة المواضع[(٣)]، والأولاد في آية الوصية غير مراد دخولهم، لحديث البخاري وغيره عن ابن عباس الآتي إن شاء الله تعالى، وفي آيات الميراث ترك ذكرهم لأنهم مورثون، وإثبات ميراث الرجال والنساء من الأقربين يفهم منه إرثهم من أولادهم من باب أولى.

وفي هذا نكتة حسنة، وهي أن ما يأخذه أحد الأبوين من مال ولده كأنه ليس بميراث استحق بالموت، بل هو حق ثابت على كل حال، من باب "أنت ومالك لأبيك"[(٤)]، فيكون في هذا الحث على البر بالأبوين.

بل لا يدخل فيه أحد من الأصول والفروع بدليل التبادر أيضا، وإعطاء أولاد فاطمة عليها السلام[(٥)] من سهم ذوي القربى إنما هو لكونهم أبناء ابن عمه عليه الصلاة والسلام،

---

(١) تقدم التعليق على مثل هذا، انظر: (١١٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ذكرا في سورة النساء آية [٣٦ و ١٣٥]، وفي سورة الأنعام آية [١٥١]، وفي سورة الإسراء آية [٢٣].

(٤) أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: البيوع، باب: في الرجل يأكل من مال ولده، (٣٩٠/٥) (ح:٣٥٣٠) لكن بلفظ (أنت ومالك لوالدك) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وابن ماجه في سننه، في كتاب: التجارات، باب: ما للرجل من مال ولده، (٣٩١/٣) (ح: ٢٢٩١)، عن جابر رضي الله عنه، وصحح كلا الإسنادين محققو الكتابين.

(٥) تقدم التعليق على مثل هذا، انظر: (١١٣).

ولهذا لا يسهم لأبناء الهاشمية من غير هاشمي من خمس ذوي القربى.

بل قيل: إنه لا تدخل فيه النساء، وليس في المواضع الأربعة ما يدل على دخولهن.

أمّا آية الوصية فيحتمل - بل هو الظاهر - أنها نزلت قبل أن يفرض الله عز وجل للنساء نصيبا، فهي مقرة لعادتهم من حرمان الإناث، غايتها أنها أثبتت للأم لمزيد استحقاقها.

وأمّا آيات المواريث فلأن لفظ الأقربين فيها مورثون، فالمعنى أن المرأة ترث من أمها ومن ذوي قرابتها، ولكنا نقول: لا مانع من أن تدخل فيه النساء تبعا، كما يدخلن في "قوم". ولا يدخل فيه أقارب الأم، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يسهم لأقارب أمه من سهم ذوي القربى.

رجعنا إلى تفسير آية الوصية: قال تعالى: ﴿وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قد علمت مما بسطناه في فصل الأقربين أن الراجح بل المتعين في تفسيره أن المراد به هنا من له قرابة بالمحتضر، بأن يكون من أدنى فصيلة له تختص باسم. وقدمنا أنه لا يدخل فيه أحد من الأصول والفروع ولا أقارب الأم، وأيدنا عدم دخول الولد في آية الوصية بحديث البخاري وغيره عن ابن عباس، وسيأتي موضحا في النسخ إن شاء الله تعالى.

ومع هذا فالظاهر بل المتيقن أن الوصية للأولاد وإن لم تشملها الآية كانت جائزة أول الإسلام، وكان للرجل أن يوصي لأولاده ويفضل بعضهم على بعض، وإنما الفرق أنه لم يكن لوالديه ولقريبه شيء إلا إن أوصى، وكان الأولاد يأخذونه وإن لم يوص. والله أعلم.

﴿بِٱلْمَعْرُوفِۖ﴾

هو ما يعرفه العقلاء ولا ينكرونه، يريد ما يقتضيه العدل والحكمة.

﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾

ظاهر.

قال تعالى: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ أي الإيصاء ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُۥ﴾ علمه ﴿فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ﴾ أي إثم تبديله ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٨١﴾[البقرة:١٨١]فهو يسمع ما يقال فيما يتعلق بالوصية وتنفيذها أو تبديلها، ويعلم ما يفعل في ذلك، فيجازي كلا بما يستحق.

﴿فَمَنْ﴾ أي إنسان ﴿خَافَ﴾ عرف، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾

[النساء: ٣٥]، ﴿مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ أي ميلا إلى من لا يستحق أصلا أو لا يستحق الزيادة، ظنا من الموصي أنه مستحق،﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بإيصائه لمن لا يستحق أصلا، أو زيادته من لا يستحق الزيادة، مع علم الموصي بعدم الاستحقاق، وإنما يؤثره محبة له أو بغضا لغيره، ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ إما في حياة الموصي ليحمله على تغيير الوصية، أو بعد وفاته ليسقط بعضهم سهمه أو بعضه عن طيب نفس، كما هو مقتضى الصلح، ﴿فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾، وإن كان إطلاق قوله: ﴿فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ﴾ يتناوله ظاهرا؛ لأن المراد هناك: من بدله بمجرد الهوى أو بدون رضا الموصي أو الموصى لهم، وهذا ليس كذلك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٨٢﴾[البقرة:١٨٢] يغفر للمذنب ويرحمه، فضلا عمن لم يذنب، والله أعلم).

✡ ✡ ✡

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا نوع الفاء في قوله تعالى ﴿فَمَن﴾:][1]

(قال الله عز وجل: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. فالفاء في قوله: ﴿فَمَن﴾ للتعليل؛ تدل على أن ما قبلها علة لما بعدها).

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ١٨٧﴾ **[البقرة:١٨٧]**

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (٥٣٩/١٧).

[وقال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان الاخذ بالظاهر والتنبه للسياق في الفهم:](١):

(ما يأتي الخلل في فهمه من تقصير المخاطب قد يكون الكلام بحيث يتراءى منه ظهوره في معنى، فإن قصَّر المخاطب فهم ذلك المعنى، وإن تدبَّر بان له أن الظاهر الحقيقي خلاف ما ظهر أولاً، أو يتدافع الاحتمالان، فيبقى الكلام مجملاً.

فمن أمثلة ذلك التي فتح الله – وله الحمد – عليّ بكشف جلية الحال فيها بما لم أره في كلام أحدٍ من أهل العلم:

ما في "الصحيح" عن سهل بن سعد(٢): "نزلت ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾[البقرة: ١٨٧]، ولم ينزل: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعدُ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار"(٣).

أقول: يُعلم من مجموع الأخبار في هذا الأمر أنه كان من المقرر عند المسلمين –قبل نزول هذه الآية– حكمان:

أحدهما: أن الصائم يحرم عليه الأكل والشرب والجماع في النهار، وهو ما بين طلوع الفجر الصادق وغروب الشمس.

هذا هو المعروف في الشرع، وهو الراجح في اللغة(٤).

وخالف في هذا قوم فقالوا: إنما هو من الإسفار إلى غروب الشمس(٥). فعند هؤلاء لا

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل أصول الفقه) (١٩/٢٣١-٢٣٥)، وانظر: آثار المعلمي (١١/٥٠٦) (١٢/٢٣٢-٢٣٣) (١٧/٦٠٨) (٢٤/٣٠٠).

(٢) هو سهل بن سعد الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة: صحابي، من مشاهيرهم، من أهل المدينة، عاش نحو مئة سنة، له في كتب الحديث ١٨٨ حديثا، مات سنة ٩١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٣/٤٢٢)، الأعلام للزركلي (٣/١٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصوم، باب: قوله تعالى [وكلوا واشربوا..]، (٣/٢٨) (ح: ١٩١٧).

(٤) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/٣٦٢) (نهر)، لسان العرب لابن منظور (٥/٢٣٨) (نهر).

(٥) انظر: المرجع نفسه.

يحرم على الصائم الأكل وغيره بطلوع الفجر، وإنما يحرم بالإسفار، مع موافقتهم على أن وقت صلاة الصبح يدخل بطلوع الفجر.

الحكم الثاني: أنه يحرم على الصائم ذلك كلُّه ليلةَ الصيام بعد النوم فيها، فمن نام بعد المغرب ثم استيقظ وهو يريد أن يصبح صائمًا لم يحل له الأكل ولا الشرب ولا الجماع بقيةَ ليلته، ثم يحرم عليه ذلك أيضًا في تمام اليوم بمقتضى الحكم الأول. ومن لم ينم لم يحرم عليه شيء في ليلته، وإنما يحرم عليه في نهاره بمقتضى الحكم الأول.

فكان الأمر كذلك حتى ظهرت في الناس شدة الحكم الثاني ومشقته عليهم، فكان من ذلك أن بعضهم كان يعود إلى بيته في أثناء الليل، فيريد امرأته، فتأبى عليه زاعمة أنها قد نامت في ليلتها تلك، وهي ليلة صيام، تريد أنه بنومها يحرم عليها ما يريده منها، وأنه ليس له أن يوقعها في ما يحرم عليها، وإن كان هو لم ينم، فلم يلتفت بعضهم إلى قول أزواجهم ووقعوا عليهن.

وكان بعضهم تغلبه عيناه بعد المغرب قبل أن يأكل، فيمتنع من الأكل بقية ليلته، ويصبح صائمًا، فيشق ذلك عليه، مع أن أكثرهم كانوا أهل عمل، يعملون بأيدهم في حوائطهم وغيرها، فغُشي على بعضهم نصفَ النهار، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ**﴾ [البقرة: ١٨٧](1).

فمن عرف الحكمين السابقين، وعرف أن الليل ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر، ثم رأى في أثناء الآية ﴿**عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ**﴾ علم أن الكلام مختص بالحكم الثاني، وهو حكم الوقاع ليلة الصيام، وحرمته على من قد نام فيها، وأن هذا ترخيص في ذلك.

وإذا فكّر علم أن الأكل والشرب في معنى الوقاع، من جهة منافاته للصوم، ومن جهة شدة تحريمه عليهم في ليلة الصيام على من قد نام فيها. فإذا بلغ قوله: ﴿**فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ**

---

(١) انظر: العجاب لابن حجر (٤٣٦/١)، ولباب النقول للسيوطي (ص: ١٧).

﴿وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ استقر عنده ذلك. أي: أن الله عَزَّ وَجَلَّ نسخ الحكم الثاني، فرخص في الوقاع والأكل والشرب في ليلة الصيام، وهي ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر، لمن قد نام فيها.

فإذا سمع قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فإنه إن رأى أن تبيُّن الخيطين من الغزل لا يكون إلا بعد خروج الليل بمدة علم أنه إن حملت الآية على ذلك كان مخالفًا لما دل عليه ما تقدم أن النسخ مختص بالحكم الثاني، مع ما دل عليه أولها وسياقها وسبب النزول، كما مر، فيحمله ذلك على تطلُّب معنى آخر، فيجده على طرف الثُّمام[1]، فإن الكلام دائرٌ على وقت الفجر الذي يختلط فيه بياض النهار بسواد الليل، ويبدو ذلك جليًّا على ما يقرب من صورة الخيطين في الأفق الشرقي، وقد عبروا عنه في أشعارهم بالخيط.

قال أبو دُواد الإيادي - وهو جاهلي -:

فلما تبدَّتْ لنا سُدْفةٌ ... ولاح من الصبح خيطٌ أنارا[2]

فيتضح له أن هذا هو المعنى الصحيح، وإن احتمل عنده أن يتبين الخيطان من الغَزْل أول دخول النهار، فقد يتوقف، لكن يبعد عنده ذلك [من] وجوه:

الأول: أن الليالي المقمرة يتبين فيها الخيطان من الغزل في أثناء الليل.

الثاني: أن هذا يكون مخالفًا لما تقرر سابقًا في الشرع في ما يعرف به خروج الليل ودخول النهار، وليس هناك ما يدعو إلى هذا؛ لأن ما تقرر سابقًا هو الأيسر والأظهر.

الثالث: أن من سنة الشرع أن ينوط الأحكام بعلامات جلية، كما في أوقات الصلوات، وليس تبيُّن الخيطين من الغزل مما يشبه ذلك. فيحمله ذلك على تطلُّب معنى آخر، فيجده من كَثَبٍ كما مر.

والظاهر أن جمهور الصحابة لم يَخْفَ عليهم الصواب، وإنما وقع في الخطأ أفراد، لعلهم

---

(١) أصله نبت ضعيف سهل التناول، ويضرب هذا المثل لما يوصل إليه من غير مشقة. انظر: مجمع الأمثال للميداني (٢/٣٨٨، ٣٩٨)، جمهرة الأمثال للعسكري (٢/١٤٨).

(٢) انظر: ديوان أبي داود الإيادي (ص:١١٠)، ولسان العرب لابن منظور (٧/٢٩٩) (خيط).

كما قال عياض وتبعه النووي: ممن قرب عهده بالإسلام[١]، وكأنهم أخذوا آخر الآية من قوله:﴿وَكُلُوا﴾، ولم يتأملوا أولها.

فقوله تعالى بعد ذلك: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِي ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ ليس هو بيانًا لمجمل، كما توهمه بعضهم، فإن البيان كان حاصلاً قبله، ولكنه زيادة بيان وإيضاح[٢].

وفي هذا دليل على عناية الله عَزَّ وَجَلَّ بعباده؛ إذ يبين لهم ما اشتبه على بعضهم، وإن كان بينًا بنفسه لمن تدبر، وفي ذلك ما يوضح قبح دعوى ابن سينا ومن وافقه، كما يأتي[٣].

هذا، وإن كان الحكم كان سابقًا - كما يقوله بعض أهل العلم - أنه إنما كان يحرم الأكل وغيره بالإسفار، فلم يترتب على خطأ الذين أخطأوا مفسدةٌ؛ لأن تبيُّن الخيطين من الغزل في غير الليالي المقمرة لا يتأخر عن الإسفار.

وقد زعم بعضهم أن الحكم كان هكذا، فنسخ بقوله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[٤]. وهذا باطل، كما

---

(١) ما ذكره القاضي عياض وتبعه النووي –فيما اطلعت عليه- أنهما ذكرا احتمالين في تعيين من أخطأ، الأول: ممن لا علم عنده ولا فقه من الأعراب، الثاني: ممن لم يكن في لغته استعمال الخيط في الليل والنهار. انظر: إكمال المعلم للقاضي عياض (٢٥/٤)، وشرح النووي على مسلم (٢٠١/٧).

(٢) وقد يقال بل هو بيان لمجمل لأن الاشتباه وقع لعرب أقحاح كعدي بن حاتم رضي الله عنه، ولأن لفظ (الخيط) يحتمل الخيط المعروف ويحتمل بياض النهار وسواد الليل، فلما أشكل المعنى أنزل الله -جل وعلا- قوله (مِنَ ٱلْفَجْرِ) فزال الإشكال وظهر المقصود باللفظ المجمل، كما جاء في البخاري (١٩١٧) ومسلم (١٠٩١) عن سهل بن سعد، قال: " أنزلت: (وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة: ١٨٧] ولم ينزل (مِنَ ٱلْفَجْرِ) [البقرة: ١٨٧]، فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولم يزل يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: (مِنَ ٱلْفَجْرِ) [البقرة: ١٨٧] فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار "

(٣) لم أجده، وذكر المؤلف -رحمه الله- دعوى ابن سينا في طعنه بالاحتجاج بالنصوص الشرعية ورد عليه بالتفصيل في موضع آخر. انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (٤١٢/١١ ومابعدها).

(٤) كالطحاوي -رحمه الله-. انظر: شرح معاني الآثار للطحاوي (٥٣/٢).

أوضحه ابن حجر في "الفتح"[١] وغيره.

نعم، لو قيل: كان الحكم سابقًا إلى الإسفار، ثم نسخ بقوله: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ...﴾؛ لكان أقرب والله الموفق).

۞ ۞ ۞

﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة: ١٨٩]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا سبب نزول الآية وما يستنبط من أسلوبها:][٢]

(وقد قيل في تفسير قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ﴾ [البقرة: ١٨٩]:

إنّ القوم إنّما سألوا عن الأَهِلَّة ما بالُها تبدو صِغَارًا ثم تكبر، ثم تعود فتصغر ثم تكبر، وهكذا[٣] ؟ فتُرِك الجواب عن هذا المعنى الطبيعي، وأُجيبوا بما يتعلَّق بالأهلَّة من الأحكام الدينية، ثم أُمِروا بأن يأتوا البيوت من أبوابها، فإذا سألوا النَّبي – المبعوث لتعليم الدِّين – فلْيَسألوه عمّا يتعلَّق بالدِّين، ولا يأتوا البيوت من ظهورها؛ بأن يسألوه عمّا لم يُبعث لأجله، ولا تتعلّق به ضرورة دينية).

---

(١) الذي رأيته في الفتح ذكر قول الطحاوي ثم الاستلال له بما يشعر أن ابن حجر موافق له والله أعلم. انظر: فتح الباري لابن حجر (٤/١٣٥).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٦/٧٣-٧٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري عن قتادة والربيع وغيرهما (٣/٥٥٣-٥٥٤)، العجاب لابن حجر (١/٤٥٤) وضعفه إسناده الحافظ، لباب النقول للسيوطي (١/١٧٣).

﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ١٩٦﴾ [البقرة:١٩٦]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في بيان أن المحرم إن لم يجد إزارا أو نعلين يلبس السراويل والخف ولا فدية عليه:](١)

(المحرم لا يجد إزارًا أو نعلين يلبس السراويل والخفَّ ولا فديةَ عليه(٢).

في "تاريخ بغداد" (١٣/ ٣٩٢) من طريق حماد بن زيد قال: "شهدتُ أبا حنيفة(٣)، وسُئل عن محرمٍ لم يجد إزارًا، فلبس سراويل. قال: عليه الفدية. قلت: سبحان الله! ... "(٤).

قال الأستاذ(٥) (ص ٩٤): " ... فهذان إنما أُبيحا لعذر كمن به أذى في رأسه، فلا تحول هذه الإباحة دون وجوب الفدية، كمن في رأسه أذًى فلَبِس، على ما في القرآن الكريم. وليس في الأحاديث ما يصرِّح بسقوط الفدية عن المعذور"(٦).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٧٠-٧٣).

(٢) لا خلاف بين أهل العلم أن من لم يجد إزارا يلبس السراويل ومن لم يجد النعلين يلبس الخفين لكن اختلفوا في الفدية إذ فعل ذلك:

-فذهب الحنفية والمالكية: أن عليه الفدية.

-وذهب الشافعية والحنابلة: أن لا فدية عليه.

انظر: المجموع للنووي (٧/٢٦٦)، المغني لابن قدامة (٣/٢٧٥)، حاشية رد المحتار لابن عابد (٢/٤٩٠)، شرح الزرقاني على الموطأ(٢/٥٨٣).

(٣) هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء، الكوفي، أبو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الائمة الاربعة عند أهل السنة، انقطع للتدريس والافتاء، مات سنة ١٥٠هـ. انظر: السير للذهبي (٦/٣٩٠)، الأعلام للزركلي (٨/٣٦).

(٤) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٥/٥٣٠)

(٥) المقصود به الأستاذ محمد زاهد الكوثري –رحمه الله–.

(٦) انظر: تأنيب الخطيب للكوثري (ص: ١٨٧).

أقول: الذي في القرآن هو قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ﴾ [البقرة: ١٩٦].

فالذي في الآية الحلق. فقول الأستاذ: "فلبِسَ، على ما في القرآن الكريم" لا وجه له، اللهم إلا أن يريد: قياسًا على ما في القرآن؛ ففي عبارته تلبيس.

ومع ذلك، ففي صحة القياس نظر، لتوقُّفها على عدم فارق، والفارقُ هنا قائم؛ فإن الحلق شديد المنافاة للإحرام، بدليل أنه جُعل عَلَمًا للخروج من الإحرام - أعني التحلل - كما جُعل السلامُ عَلَمًا على الخروج من الصلاة. والسلامُ من خطاب الناس، وهو أشدُّ منافاةً للصلاة من غيره، بدليل أنه لا يجوز منه في الصلاة قليل ولا كثير حتى في حال القتال، وإن احتاج إليه لاستغاثة مثلاً، بخلاف الحركة مثلاً، فإنها وإن كانت منافيةً للصلاة أيضًا إلا أنه يجوز القليل منها مطلقًا، ويجوز الكثير في صلاة الخوف. فالتشديدُ في الحلق لا يستلزم التشديد فيما هو أخفُّ منه.

فإن كان هناك إجماع على وجوب الفدية على من احتاج إلى لُبْسِ عمامة لمرض مثلاً، فلا يقاس عليه لُبْسُ فاقدِ الإزار للسراويل، وفاقدِ النعلين للخفين، لأن ستر الرأس غير مطلوب شرعًا كطلب سترة العورة ووقاية الرجلين مما قد يمنع من استطاعة المشي إلى الحج وأداء أعماله، والتشديد في الأول لا يستلزم التشديد في الثاني. فأما قياسُ لبس السراويل والخفين على الحلق المنصوص في القرآن، فأبعَدُ عن الصحة، لاجتماع الفارقين معًا.

فإن قيل: أرأيت إذا تمكَّن فاقدُ الإزار من فَتْق السراويل وتلفيقه بالخياطة حتى يكون إزارًا كافيًا له، وتمكَّنَ فاقدُ النعلين من تقطيع الخفين حتى يصيرا نعلين؟

قلت: لا يتجه إلزامه ذلك، لأنه يكثر أن لا يتمكن الإنسان من ذلك، وإذا تمكن ففيه إفسادٌ للمال ينقص قيمته ومنفعته.

هذا، وقد صحَّ في الباب حديثان:

الأول: حديث ابن عمر في "الصحيحين" وغيرهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - سُئل عما يلبس المحرم، فقال: "لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات ولا البرانس ولا

الخِفاف، إلا أحد لا يجد نعلين فَلْيلبسِ الخفَّين وَلْيقطَعْهما أسفلَ من الكعبين ... "[١].
ويؤخذ منه من بابِ أولى الإذنُ في السراويل لمن لم يجد إزارًا، لأن الحاجة إلى ستر أسفل البدن أشد، وكونه مطلوبًا شرعًا أظهر. ويبقى النظر في القطع، فقد يقال: كما أمر بقطع أعلى الخفين، فكذلك ينبغي قطع ما تحت الركبتين من السراويل. وقد يقال: إنما يقطع ما تحت أنصاف الساقين، لأن ما فوق ذلك إلى الركبة مشروع سترُه أيضًا وإنْ لم يجب، بخلاف ستر الكعبين وما فوقهما. وقد يقال: لا يتعين القطع، بل الأولى العطفُ والتثبيتُ بالخياطة، لأن ذلك محصِّل للمقصود بدون إفساد. ولو كان يتأتَّى نحو ذلك في الخفَّين لقلنا به فيهما أيضًا. فأما فَتْق السراويل ثم تلفيقه بالخياطة حتى يكون إزارًا، فقد دلَّ على عدم لزومه اكتفاءُ الحديث بما اكتفى به في الخفين، ولم يشترط تقطيعهما حتى يصيرا نعلين.

الحديث الثاني: حديث ابن عباس في "الصحيحين" وغيرهما: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب بعرفات: "مَن لم يجد إزارًا فليلبس سراويل، ومَن لم يجد نعلين فليلبس خفين"[٢]. ففي هذا الحديث النصُّ على السراويل والخفين معًا، ولم يذكر القطع. فمن أهل العلم مَن أخذ به على إطلاقه، وقال: إنه ناسخٌ للأمر بقطع الخفين، لأن حديث ابن عباس متأخر[٣]. ومنهم من حمل المطلق على المقيد، فقال بقطع الخفين[٤]. فعلى الأول يكون عدم وجوب قطع السراويل أولى. أما على الثاني، فقد يتمسك فيه بالإطلاق، وقد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الحج، باب: ما لا يلبس المحرم من الثياب، (١٣٧/٢) (ح: ١٥٤٣)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الحج، باب: ما يباح للمحرم..، (٨٣٥/٢) (ح: ١١٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: جزاء الصيد، باب: لبس الخفين للمحرم..، (١٦/٣) (ح: ١٨٤١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الحج، باب: ما يباح للمحرم..، (٨٣٥/٢) (ح: ١١٧٨).

(٣) هو قول للإمام أحمد ورجحه سماحة الشخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-. انظر: فتح الباري لابن حجر (٤٠٣/٣)، المغني لابن قدامة (٢٧٥/٣)، التحقيق والإيضاح لابن باز (ص:٣١).

(٤) هو قول الشافعي وعروة بن الزبير وإسحاق والثوري -رحمهم الله-. انظر: المرجع نفسه، والمجموع للنووي (٢٦٥/٧).

يقال: بل يكون حكمه ما تقدم في الكلام على الحديث الأول.

وعلى كل حال، فسكوت الحديثين عن ذكر الفدية يدل أنها لا تجب، وإلا لزم تأخير البيان عن وقت الحاجة. والبيان المتقدم في القرآن لم يتعرض لقضية السراويل والخفين، لا نصًّا ولا تنبيهًا، كما تقدم. والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة:١٩٧]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا معنى الفسوق:](١)

(الفسوق من الأشياء التي تتفاوت كالعلم مثلاً، فكما لا يوصَف من علم مسألةً أو مسألتين بأنه عالم على الإطلاق، فكذلك لا يوصف من فَسَق بصغيرة أو صغيرتين بأنه فاسق على الإطلاق.

والآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ﴾ [الحُجُرات:٦] إنما بُنيت على من هو فاسق لا على من وقع منه فسوق.

وقال الله عَزَّ وَجَلَّ في سورة الحجرات في سياق الآيتين السابقتين وهما: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ﴾ [الحُجُرات:٦] ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ﴾[الحُجُرات:٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحُجُرات:١١]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (١٥/١٧-١٨).

تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤ [النور: ٤].

لما ذكر الكبيرة الموجبة للحدّ ورد الشهادة قال: ﴿**وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ**﴾. ولما ذكر ما قد يكون دونها - أي صغيرة - من السخرية بالمسلم، ولمزه، ونبزه بلقب، ومضارة الكاتب أو الشاهد، وما قد يقع في الحج من ذلك وما يشبهه سماها: فسوقًا).

۞ ۞ ۞

﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨**﴾ [البقرة:١٩٨]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان نوع الكاف في (كما):](١)

(قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠٩ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١١٠**﴾ [الأنعام: ١٠٩، ١١٠].

وفي "تفسير ابن جرير" (٧/ ١٩٤): " ... عن ابن عباس: قوله: ﴿**وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ**... ﴾ قال: لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تَثْبُتْ قلوبهم على شيء، ورُدَّتْ عن كلِّ أمر"(٢). وهذا هو الصحيح. الكاف في قوله: "كما" للتعليل.

وكذلك هي في قوله تعالى: ﴿**وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨**﴾ [البقرة: ١٩٨].

قال ابن جرير في "تفسيره" (٢/ ١٦٣): "يعني بذلك جلَّ ثناؤه: واذكروا الله أيها المؤمنون عند المشعر الحرام بالثناء عليه والشكر له على أياديه عندكم، وليكن ذكركم له بالخضوع له والشكر على ما أنعم عليكم من التوفيق"(٣).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٣٢٤-٣٢٦).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٢/٤٤).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٤/١٨٣).

وهو الظاهر في قوله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ۝٢٣٩﴾ [البقرة: ٢٣٩].

قال ابن جرير (٣/ ٣٣٧) : " ... فاذكروا الله في صلاتكم وفي غيرها بالشكر له والحمد والثناء عليه، على ما أنعم به عليكم من التوفيق لإصابة الحق الذي ضلَّ عنه أعداؤكم"(١).

وقد ذكر ابن هشام في "المغني"(٢) هذا المعنى للكاف، فراجعه.

وفي "الإتقان": "الكاف حرف جرّ له معانٍ أشهرها التشبيه ...

والتعليل نحو: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥١]. قال الأخفش(٣): أي لأجل إرسالنا فيكم رسولاً منكم فاذكروني، ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٨]، أي لأجل هدايته إياكم ... "(٤)).

۞ ۞ ۞

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١٩٩﴾ [البقرة:١٩٩]

[وقال العلامة المعلمي –رحمه الله– في تعيين المراد بالمخاطب ب﴿أَفِيضُواْ﴾ و﴿ٱلنَّاسُ﴾:](٥)

قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝١٩٨ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ...﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩].

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٥/٢٤٨).

(٢) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (ص: ٢٣٤).

(٣) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط: نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ، سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه، وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن) و (شرح أبيات المعاني)، مات سنة ٢١٥هـ. انظر: السير للذهبي(١٠/٢٠٦)، الأعلام للزركلي (٣/١٠١).

(٤) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/٢٥٣).

(٥) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٢٤/٩).

أرى أنَّ المراد: ثمَّ بعد عامكم هذا أفيضوا من حيث أفاض الناس في هذا، والمراد بالناس رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ومَنْ حجَّ معه[١]).

۞۞۞

﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ – ٢٠٢] .

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا حال المؤمن مع الدعاء وفضله:][٢]

(فالفريق الأول هم الذين يكون جميع دعائهم وعبادتهم لطلب الدنيا فقط ولا شأن لهم بالآخرة، وهذا إنما يكون ممن لا يؤمن بالآخرة إيمانًا صادقًا، ومن لا يؤمن بها فليس بمؤمن. فأما المؤمن فإنه لا بد أن يهتم بالآخرة، فالمؤمن لا يحبط عمله حتى دعاؤه لطلب حاجاته المباحة من الدنيا، فإنه قد لا يقضي الله عزَّ وجلَّ له بعض تلك الحوائج، ولا يعوّضه في الدنيا، بل يدَّخر له ثواب دعائه في الآخرة، كما ورد في أحاديث تفسير استجابة الدعاء[٣]).

---

(١) لم أقف على أحد من أهل العلم –رحمهم الله– قال بهذا القول، وما وجدته أنهم اختلفوا في تفسير هذه الآية على قولين:

–القول الأول: أن المخاطب قريش والمقصود ب(الناس) باقي العرب، وقال بهذا القول عائشة رضي الله عنها ومجاهد وعطاء وغيرهم واختاره ابن جرير وحكى عليه الإجماع، والبغوي ونسبه لأكثر أهل التفسير، وابن كثير، والقرطبي.

–القول الثاني: أن المخاطب المسلمون والمقصود بالناس إبراهيم عليه السلام، وقال به الضحاك.

انظر: تفسير الطبري (٤/١٨٤–١٩٠)، تفسير البغوي (١/٢٥٦)، تفسير القرطبي (٢/٤٢٨)، تفسير ابن كثير (١/٥٥٥–٥٥٦).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٥٧١).

(٣) أخرج مثل ذلك أحمد في مسنده، (١٧/٢١٣–٢١٤) (ح: ١١١٣٣) وجود إسناده محققوه، والحاكم في مستدركه، في كتاب: الدعاء والتكبير...، (١/٦٧٠) (ح: ١٨١٦)، كلاهما عن أبي =

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا سبب نزول الآية:](١)

(وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾ [البقرة: ٢٠٤].

قال ابن جرير: "فقال بعضهم: نزلت في الأخنس بن شريق(٢)، قَدِمَ على رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فزعم أنه يريد الإسلام وحلف أنه ما قَدِمَ إلا لذلك ... حدثني يونس قال: أنا ابن وهب قال: قال ابن زيد ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ **إلى قوله:** ﴿..وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ٢٠٥﴾ [البقرة:٢٠٥]قال: كان رجل يأتي إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فيقول: أي رسول الله، أشهد أنك جئت بالحق ... ثم يقول: أما والله يا رسول الله إن الله ليعلم ما في قلبي مثل ما نطق به لساني(٣)).

۞ ۞ ۞

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ [البقرة:٢١٣]

= سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال الحاكم: (حديث صحيح الإسناد إلا أن الشيخين لم يخرجاه عن علي بن علي الرفاعي).

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (١٠٠٢/٣).

(٢) هو الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي، أبو ثعلبة حليف بني زهرة، اسمه أبي، أسلم الأخنس فكان من المؤلفة وشهد حنينا ومات في أول خلافة عمر رضي الله عنهما. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (١٨١/١)، الإصابة لابن حجر (٣٨/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٢٩/٤)، العجاب لابن حجر (٥١٩/١-٥٢٠)، وصحح إسناده إسلام منصور عبدالحميد في تحقيقه لتفسير الطبري (٣٤٣/٢).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في تفسير مختصر للآية:](١)

(قال الله تبارك وتعالى في سورة البقرة [آية: ٢١٣]: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً﴾ أي: على الإيمان، فاختلفوا بأن كَفَر بعضُهم. أو على الكفر، ولا حاجة لتقدير شيء. وعلى كلٍّ، فالمراد به - والله أعلم - قبل بعثة نوح.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ أي: لتلك الأمة المختلفة، أو المطبقة على الكفر. ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي: جنسه، والمراد: الكُتُب، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي: ليكون حاكمًا به بعد الأنبياء ﴿بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ أي: الذين سيدخلون في الدين ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ أي: سيختلفون ﴿فِيهِ﴾ أي: من أمر الدين، بأن يقول بعضهم: هو منه. ويقول غيره: ليس منه.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الدين المفهوم مما سبق. ولا مانع أن يكون الضمير للكتاب، كأنه سبحانه يقول: فاختلفوا في الكتاب نفسه، وما اختلف فيه ... إلخ. وهذا أولى عندي.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي الكتاب ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ أي: حَمَل البغْيُ بعضَهم على تحريفه عن مواضعه، والعدول به عن مقاصده. ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان معنى (الواحد) في القرآن:](٢)

(اسم الله تعالى "الواحد"، فلفظ "واحد" يراد به في اللغة ما يقابل المتعدد(٣)، ومن تتبع مواقعه في القرآن وغيره من الكلام العربي الفصيح وجده يأتي وصفًا لموصوف، ويكون هناك شيء محكوم عليه بالموصوف مع وصفه، فعدم التعدد يكون للمحكوم عليه باعتبار الموصوف. قال الله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً﴾ [البقرة: ٢١٣] حكم على الناس فيما كانوا عليه بقوله "أمة واحدة"، فعدم التعدد ثابت للناس باعتبار "أمة"، أي لم يكونوا أمتين أو

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٢٤/٩-١٠).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٤٣٧-٤٤٠).

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٦/٩٠-٩١) (وحد)، لسان العرب لابن منظور (٣/٤٤٦وما بعدها) (وحد).

أكثر. وقد يُصرَّح في الكلام بالمحكوم عليه وبالموصوف كما رأيت، وقد يُطوى ذكرُ أحدهما، فيُعرف بالتدبر. ولا أطيل بأمثلة ذلك. وعلى كل حال، فإنه يأتي على أحد معنيين:

الأول: نفي التعدد في المحكوم عليه نفسه كالمثال السابق، نفَى أن يكون الناس كانوا أمتين أو أكثر.

المعنى الثاني: نفي أن يكون مع المحكوم عليه مثلُه أو مثلاه أو أمثاله باعتبار الموصوف، فيكون المجموع متعددًا. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] أي: ليس معه إله آخر أو أكثر فيكون المجموع متعددًا. ومن هذا الثاني قولهم: فلان واحد في فنه، أو واحد زمانه، أي: لا نظير له في ذلك.

إذا تقرر هذا فلنذكر الآيات التي ورد فيها هذا الاسم. قال تعالى فيما قصَّه عن يوسف عليه السلام: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠]

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾﴾[الرعد:١٦].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ خواتيم سورة إبراهيم.

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص: ٦٥ - ٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾ [الزمر: ٣ - ٤].

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ

ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر: ١٦].

هكذا جاء هذان الاسمان الكريمان " **ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ** " في القرآن مقترنين معرَّفَيْن في المواضع كلها، وكلُّ ذلك في سياق إقامة الحجة على المشركين في الألوهية الزاعمين أن لله شركاء في استحقاق العبادة.

فالكلام جارٍ على المعنى الثاني، وهو نفي التعدد الحاصل بوجود مثلِه معه في الربوبية وما يقتضي استحقاق العبادة. وسياق الآيات واضح جدًّا في ذلك، وإنما ادعى بعضُهم المعنى الأول في آية (الزمر) فقال: إن إمكانَ أن يكون له ولد يستدعي التركيب والانفصال، والوحدةَ تنافي التركيب[١]. والتركيب الذي يريده الفلاسفة والمتكلمون ليس من التعدد الذي تعقله العقول الفطرية في شيء. و"الواحد" بالمعنى الثاني ينفي الولد بدون تكلُّف، فإنه لو كان له سبحانه ولد لكان نظيرًا له في القدرة وغيرها، فيكون ربًّا مستحقًّا للعبادة. وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣**﴾ [مريم: ٩٢ - ٩٣].

وقال تعالى: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦**﴾ [البقرة:١١٦].

وقال سبحانه: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦**﴾ [الأنبياء:٢٦] .

فحصل المقصود مع بقاء الاسم "الواحد" على معناه المعروف الموافق لسائر الآيات. هذا، ولما كان الاسم "الواحد" إنما هو صريح في نفي النظير في الربوبية وما يقتضي استحقاق العبادة، وليس بالصريح في نفي المشارك في ذلك مشاركةً تقتضي استحقاق العبادة في الجملة أردف في الآيات كلِّها بالاسم "القهار" ليتمِّم المعنى المقصود، وجاء الاسمان معرَّفين لأن ذلك معروف مسلَّم عند المشركين، كما يوضحه الآيات الأخرى التي تقدم ذكرُ بعضها في الكلام على قوله تعالى: ﴿**لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ**﴾ [الشورى: ١١] والله الموفق).

۞ ۞ ۞

---

(١) لعل المقصود هو الرازي -رحمه الله-. انظر: تفسير الرازي (٢٦/٤٢٩).

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٢٤]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا معنى الآية:][١]

(قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ [البقرة:٢٢٤].

قال أهل التفسير: معناها: لا تحلفوا بالله على أن لا تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس، ومراجعة الزوجة داخلة في الإصلاح، وقد تكون برا وتقوى[٢]).

۞ ۞ ۞

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٦٤٠).

(٢) اختلف أهل العلم في تفسير هذه الآية على أقوال:

القول الأول: لا تجعلوا الله علة لأيمانكم في ترك الخير وتتحججوا بأن علي يمين في ترك كذا من الخير، وهو قول لابن عباس وطاوس واختيار البغوي.

القول الثاني: لا تحلفوا بالله في كلامكم في ترك الخير ليكون ذلك حجة لكم، وهو قول لابن عباس والنخعي واختيار الطبري وابن كثير.

القول الثالث: لا تكثروا من الحلف بالله حتى تكونوا بررة أتقياء بتعظيمكم لله، جوده الرازي والقرطبي.

القول الرابع: لا تحلفوا بالله كاذبين إذا أردتم البر والتقوى والصلاح.

ويمكن الجمع بين الأقوال بأن يقال معنى الآية -والله أعلم- لا تحلفوا بالله في ترك الخير فتجعلوه حجة لكم، ومن لوازمه التحرز في اليمين وعدم الإكثار منها، وإذا نهي عن هذا فمن باب أولى ينهى عن الكذب في الحلف بالله جل جلاله.

انظر: تفسير الطبري (٤/٤١٩-٤٢٤)، تفسير البغوي (١/٢٩٤)، تفسير ابن عطية (١/٣٠٠)، تفسير الرازي (٦/٤٢٤)، تفسير القرطبي (٣/٩٦-٩٧)، تفسير ابن كثير (١/٥٩٩)، تفسير الطاهر بن عاشور (٢/٣٧٥-٣٧٩).

﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة:٢٢٨-٢٣٠] .

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا نسخ حكم الطلاق المطلق، ونوع (ألـ) في ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾، والحكمة من التعبير بـ﴿مَرَّتَانِۖ﴾:][1]

(قال الله تعالى:

١- ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤۡمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنۡ أَرَادُوٓاْ إِصۡلَٰحٗاۚ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة:٢٢٨].

٢- ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٢٩].

٣- ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ [البقرة:٢٣٠].

٤- ﴿وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٥٨٥-٦٠٢).

تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة: ٢٣١].

صح عن عروة بن الزبير قال: قال رجل لامرأته على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم –: لا آوِيكِ ولا أدعُكِ تَحِلِّين. فقالت له: كيف تصنع؟ قال: أطلِّقك، فإذا دنا مُضِيُّ عدتِك راجعتُك، فمتى تَحِلِّين؟! فأتت النبي – صلى الله عليه وسلم –، فأنزل الله ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، فاستقبله الناس جديدًا، من كان طلَّق، ومن لم يكن طلَّق" (تفسير ابن جرير ج ٢/ ص ٢٥٨)[١].

هذا مرسلٌ صحيحٌ، وقد رفعه بعضهم، قال: "عن عروة عن عائشة"[٢]. وله عواضد، وسيأتي بسط ذلك في البحث مع الإمام الشافعي رحمه الله تعالى[٣].

ومفاده: أن الطلاق في أول الإسلام لم يكن له حد، فكان للرجل إذا طلَّق أن يراجع قبل مضي العدة، ثم إذا طلَّق فله أن يراجع، ثم إذا طلَّق فله أن يراجع، وهكذا أبدًا، فاتخذ بعض الناس ذلك طريقًا للإضرار بالنساء، فأنزل الله سبحانه وتعالى ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ (الآيتين: ٢ – ٣ من آيات البقرة[٤]).

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ [البقرة: ٢٢٨] الآية، يحتمل في نزولها ثلاثة أوجه:

الأول: أن يكون نزولها متقدمًا على نزول ما بعدها بمدة.

الثاني: أن تكون نزلت مع ما بعدها معًا.

الثالث: أن يكون نزولها متأخرًا عما بعدها في النظم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤/ ٥٤٠).

(٢) أخرجه الترمذي في جامعه، في: أبواب الطلاق واللعان، باب ١٦، (٣/ ٤٨٩) (ح: ١١٩٢) وقال الترمذي: هذا أصح من حديث يعلى بن شبيب، وضعفه الشيخ الألباني، والحاكم في مستدركه، في كتاب: التفسير، باب: من سورة البقرة، (٢/ ٣٠٧) (ح: ٣١٠٦)، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/ ٦٠٦ وما بعدها).

(٤) من الترقيم الذي وضعه في بداية كلامه (ص: ٤٠٦).

والأول أقرب؛ لأن المتقدم في النظم يُشعِر بالتقدم بالنزول، وإن لم يكن ذلك حتمًا، ولأن ظاهرها عموم استحقاق الرجعة في كل طلاق، وهذا مطابقٌ للحكم المنسوخ بما بعدها، ولمرسل عروة وعواضده، فإن ظاهره أن قوله تعالى: ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ**﴾[البقرة: ٢٢٩] أول ما نزل بعد شكوى المرأة، وذلك يقتضي أن الآيتين نزلتا منفصلتين عن الآية التي قبلها، وقد ثبت تقدمُها بالدليلين الأولين.وعلى هذا فكلمة ﴿**ٱلْمُطَلَّقَٰتُ**﴾[البقرة: ٢٢٨] على عمومها، ولا ينافيه قوله في أثناء الآية: ﴿**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ**﴾ [البقرة: ٢٢٨] لأن الآية نزلت قبل تحديد الطلاق كما سمعت، ويكون قوله تعالى: ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ**...﴾[البقرة: ٢٢٩-٢٣٠] (الآيتين) ناسخًا لبعض ما دخل في الآية الأولى، وهو استحقاق الرجعة بعد الطلاق الثالث.

وأما على الوجهين الآخرين، فيحتمل في قوله تعالى: ﴿**وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ**﴾ [البقرة: ٢٢٨] أن يكون[1] من العام المراد به الخصوص، أو من العام المخصوص، أو أن يكون باقيًا على عمومه، ولكن الضمير في قوله: ﴿**وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ**﴾ [البقرة: ٢٢٨] أخصُّ من مرجعه، كأنه قال: "وبعولة بعضهن"، والمراد ببعضهن: المطلقات مرةً أو مرتين فقط.

وهذا الأخير - وإن ذكروه[2] - بعيدٌ جدًّا؛ لمخالفته سنة الكلام من مطابقة الضمير لمرجعه، وتوجيهُه بإضمار "بعضهن" تعسفٌ، وهو شبيه بالاستخدام، وقد تكلمت على الاستخدام في مقالتي في بيان مَنِ المراد بقوله تعالى: ﴿**وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ**﴾ [الجمعة:٣][3].

والحق في توجيه هذا أن الضمير عامٌّ كمرجعه، ولكن قد يرد التخصيص على العام باعتبار الحكم الواقع مع الضمير دون الحكم الأول، فيكون الظاهر عامًّا باقيًا على عمومه، والضمير عامًّا مخصوصًا.

وعلى هذا، فالضمير مطابقٌ لمرجعه على ما هو سنة الكلام.

وإذ قد ترجح الاحتمال الأول، فلا حاجة لبسط الكلام في الاحتمال الثاني.

وأما الآية الرابعة؛ وهي قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ**

---

(١) (في الأصل: "تكون") قاله المحققون على آثار المعلمي، انظر: آثار المعلمي (١٧/٥٨٨).

(٢) انظر: تفسير ابن العربي (٢/٦٧)، تفسير القرطبي (٣/١٢٠)، تفسير أبي حيان (٢/١٩٩).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٣١٦-٣١٩).

أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة:٢٣١]. ففيها احتمالان:

١-أن تكون متقدمة النزول على الآيتين اللتين قبلها.

وعليه؛ فهي على ظاهرها من أن الطلاق تحل الرجعة بعده مطلقًا، أي: سواء في المرة الأولى، أو الثانية، أو الثالثة، وهكذا.

٢-وتحتمل أن تكون متأخرة عنهما.

وعليه؛ فقوله: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [البقرة:٢٣١] من العام المراد به الخصوص، أو العام المخصوص، أو على عمومه، ولكنَّ الضمير في قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣١] أخص من مرجعه، ولكن هذا الثالث بعيدٌ، أو باطلٌ ههنا، فإن الآية إنما سيقت لأجل هذا الحكم خاصة، أعني قوله: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ [البقرة:٢٣١] الآية.

فصل

قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] "ال" للعهد، أي: الطلاق الذي تعهدونه من حيث إن من شأنه أن الرجل إذا أوقعه كان له أن يراجع.

وهذه الحيثية كانت سبب نزول الآية، كما تقدم في مرسل عروة، والذي من شأنه ما قاله ذلك الرجل، والذي تقدم ذكره في الآية السابقة، وهي قوله: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾ إلى قوله: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ **[البقرة: ٢٢٨]**.

ولا ينافي هذا ما اخترناه من تقدم نزول آية ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾[البقرة: ٢٢٨] بمدة؛ لأنها في علم الله تعالى متصلة بها، وجعلت في النظم متصلة بها.

والعهد هنا أولى من الجنس لأمرين:

الأول: لما تقرر في الأصول: أنه إذا تحقق عهدٌ تعين المصير إليه(١).

الثاني: قوله: ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] مع أن جنس الطلاق - مع صرف النظر عن المراجعة - ثلاث بمقتضى هاتين الآيتين.

---

(١) انظر: روضة الناظر لابن قدامة (١/٢٣٠)، البحر المحيط للزركشي (٢/٢٥٢).

وقال ابن جرير: "اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: هو دلالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعة على زوجته". ثم ذكر مرسل عروة، ومرسلًا في معناه عن قتادة ، وآخر عن ابن زيد، ثم ذكر عن السدي قال: "هو الميقات الذي يكون عليها فيه الرجعة". ثم ذكر أثرًا عن عكرمة.

ثم قال: "وقال آخرون: إنما أُنزِلت هذه الآية على نبي الله - صلى الله عليه وسلم - تعريفًا من الله تعالى ذكرُه عبادَه سنةَ طلاقهم" (تفسير ابن جرير ٢/ ص ٢٥٨ - ٢٥٩)[(١)].

وقد ذكر في موضعٍ آخر عن قتادة، ولفظه: عن قتادة قال: "جعل الله الطلاق ثلاثًا، فإذا طلَّقها واحدةً فهو أحقُّ بها ما لم تنقضِ عدتُها، وعدتها ثلاث حيض، فإن انقضت العدة قبل أن يكون راجعها، فقد بانت منه بواحدةٍ، وصارت أحقَّ بنفسها، وصار خاطبًا [من الخُطَّاب][(٢)]، فكان الرجل إذا أراد طلاق أهله نظر حَيْضَتَها، حتى إذا طهرت طلَّقها تطليقة في قُبل عدتها، عند شاهدَيْ عدلٍ، فإن بدا [له مراجعتها] راجعها ما كانت في عدتها، وإن تركها حتى تنقضي عدتها فقد بانت منه بواحدةٍ، وإن بدا له طلاقها بعد الواحدة وهي في عدتها نظر حيضتها، حتى إذا طهرت طلَّقها تطليقةً أخرى في قُبل عدتها، فإن بدا له مراجعتها راجعها، فكانت عنده [على] واحدة، وإن بدا له طلاقها طلَّقها الثالثةَ عند طهرها، فهذه الثالثة التي قال الله تعالى ذكره: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٣٠] "[(٣)] (تفسير ابن جرير ج ٢/ ص ٢٧٠)[(٤)].

ودل على هذا قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ولم يقل: ثلاث، ولا وجه لذلك إلا أنه أراد الذي تكون معه الرجعة، وهو الذي عهده الناس من قبل نزول الآية،

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٣٨/٤-٥٤٢).

(٢) (ما بين المعكوفتين مخروم من الأصل) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٥٩٢/١٧).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٥٨٥/٤-٥٨٦).

(٤) (كتب الشيخ بعدها: "ملحق". ويقصد به الآتي) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٥٩٣/١٧).

والذي تقدم ذكره.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾ [البقرة:٢٢٨][١].

قال ابن جرير: "فقال بعضهم: هو دلالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه الرجعةُ على زوجته"[٢].

ثم استدل على ذلك بمرسل عروة وما شاكله، ثم حكى أقوالًا مضطربة، ثم روى عن الضحاك[٣] قال: "يعني تطليقتين بينهما مراجعة، فأمر أن يمسك، أو يطلق بإحسان"[٤].

واعترضه ابن جرير من جهة غير ما نحن بصدده.

ثم قال ابن جرير: "فبيِّنٌ أن تأويل الآية: الطلاق الذي لأزواج النساء على نسائهم فيه الرجعة مرتان، ثم الأمر بعد ذلك إذا راجعوهن في الثانية إما إمساكٌ بمعروف، وإما تسريحٌ منهم لهن بإحسان بالتطليقة الثالثة"[٥].

ثم قال في قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة:٢٣٠]: "فقال بعضهم: دل على أنه إن طلق الرجل امرأته التطليقة الثالثة بعد التطليقتين اللتين قال الله تعالى ذكره فيهما: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فإن امرأته تلك لا تحلُّ له بعد التطليقة الثالثة حتى تنكح زوجًا غيره"[٦].

ثم أخرج عن قتادة قال: "جعل الله الطلاق ثلاثًا، فإذا طلَّقها واحدةً فهو أحقُّ بها ما لم

(١) هذه الآية كأنها مقحمة ولا علاقة لها بالذي قبلها، وكلام ابن جرير الذي بعدها مرتبط بآية (ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ..) [البقرة:٢٢٩] فكأن وضعها هنا سهو من المؤلف أو من المحققين، والله أعلم.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٤/٥٣٨).

(٣) هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني، أبو القاسم: مفسر، كان يؤدب الاطفال، ويقال: كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي، له كتاب في (التفسير)، توفي بخراسان عام ١٠٥هـ. انظر: السير للذهبي (٤/٥٩٨)، الأعلام للزركلي (٣/٢١٥).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٤/٥٤٧).

(٥) انظر: المصدر نفسه.

(٦) انظر: المصدر نفسه (٤/٥٨٥).

تنقضِ العدة، وعدتها ثلاثُ حِيَض، فإن انقضت العدة قبل أن يكون راجعها، فقد بانت منه بواحدةٍ، وصارت أحقَّ بنفسها، وصار خاطبًا من الخطاب، فكان الرجل إذا أراد طلاق أهله نظر حيضتها، حتى إذا طهرت طلَّقها تطليقةً في قُبُل عدتها، عند شاهدي عدلٍ، فإن بدا له مراجعتها راجعها ما كانت في عدتها، ... وإن بدا له طلاقها طلَّقها الثالثة عند طهرها، فهذه الثالثة التي قال الله تعالى ذكره: ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ﴾[البقرة:٢٣٠] "[١].

ثم روى بسند ضعيف عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس يقول: "إن طلَّقها ثلاثًا فلا تَحِلُّ حتى تنكح زوجًا غيره"[٢].

وأخرج عن الضحاك قال: "إذا طلَّق واحدة أو اثنتين فله الرجعة ما لم تنقضِ العدة، قال: والثالثة قوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [البقرة:٢٣٠] ... "[٣].

وعن السدي: "فإن طلَّقها بعد التطليقتين"[٤].

ثم حكى عن مجاهد ما حاصله أن الطلقة الثالثة قد تقدمت في قوله: ﴿أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾[البقرة: ٢٢٩]، وقوله: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٠] تفسيرٌ لذلك، كأنه قال: فإن وقع التسريح بالإحسان[٥].

وقد قدَّم في تفسير التسريح حديث أبي رزين قال: قال رجل: يا رسول الله! يقول الله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩] فأين الثالثة؟ قال: "التسريح بإحسان"[٦].

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٤/٥٨٥-٥٨٦).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤/٥٨٦).

(٣) انظر: المصدر نفسه.

(٤) انظر: المصدر نفسه.

(٥) انظر: المصدر نفسه (٤/٥٨٧).

(٦) انظر: المصدر نفسه (٤/٥٤٥)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب: الطلاق، باب: ما قالوا في قوله تعالى (الطلاق مرتان..)، (٥/٢٥٩) (ح: ١٩٥٦١)، والبيهقي في سننه الكبرى، في كتاب: الخلع والطلاق، باب: ماجاء في موضع الطلقة، (٧/٣٤٠) (ح: ١٥٣٨٦) وهو ضعيف لإرساله كما رجح البيهقي.

وروى عن مجاهد وقتادة نحوه[١].

وحكى عن السدي والضحاك أنهما قالا: "الإمساك: المراجعة، والتسريح: أن يدعها حتى تمضي عدتها"[٢].

وعلى كل حال فهم متفقون أن قوله تعالى: ﴿فَإِن طَلَّقَهَا﴾ [البقرة: ٢٣٠] أراد به الثالثة، سواء من قال: إنه لم يتقدم لها ذكر، ومن قال: بل قد تقدم.

وهكذا ما روي عن ابن عباس - وإن لم يصح - من قوله: "إن طلَّقها ثلاثًا"[٣]، فإنه إنما أراد الثلاث التي تقدمت، وهي المرتان اللتان[٤] راجع بعد كل منهما، والتسريح.

هكذا يجب أن يُفهم، فإنه إن فُهِم على معنى: إن طلَّقها ثلاثًا دفعة واحدة، كان على خلاف سياق القرآن، وخلاف ما عليه سائر المفسرين.

وقوله تعالى: ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] لماذا عُدِل به عن "طلقتان"؟

عنه ثلاثة أجوبة:

الأول: أن يقال: إنما عُدِل عنه؛ لأن تكرار الحروف يوجب ثقلًا في اللفظ.

وليس هذا الجواب بشيءٍ؛ لأن التكرار هنا لا يوجب ثقلاً يعتدُّ به. وقد وقع في القرآن كثيرًا ما هو مثله، أو أدخلُ منه في شبهة الثقل، مثل ﴿مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ﴾ [البقرة:٢٤٩]، ﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ۝٧﴾[نوح:٧]، ﴿عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا﴾ [البقرة:١٠٠] ، ﴿أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا﴾ [المائدة:١١٥] ، وأبلغ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ [هود:٤٨]، اجتمعت فيها سبع ميمات.

الثاني: ما قاله الجصاص في "أحكام القرآن" وغيره: أنه عُدِل عن "طلقتان" للدلالة على وجوب تفريق الطلاق، إما بأن يطلق واحدةً يقتصر عليها، ولا يطلق أخرى إلا إذا راجع بعد الأولى، وإما بأن يطلق عند كل طهر واحدةً، قولان لأهل العلم.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٤٦/٤).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٤/ ٥٤٦-٥٤٧).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٥٨٦/٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٤٢٢/٢).

(٤) (في الأصل: "اللتين") قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٥٩٦/١٧).

قالوا: فقوله: ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] دلالة على ذلك.

قال الجصاص(١): "وذلك يقتضي التفريق لا محالة؛ لأنه لو طلَّق اثنتين معًا لما جاز أن يقال: طلَّقها مرتين، وكذلك لو دفع رجل إلى آخر درهمين لم يجز أن يقال: أعطاه مرتين حتى يفرق الدفع"(٢) (أحكام القرآن ج ١/ ص ٣٧٨).

بل في الطلاق نفسه لو قال قائلٌ: إن فلانًا طلَّق زوجته اليوم مرتين، لفُهِم منه التفريق، ولم يفهم منه أنه قال: أنت طالق طلقتين، أو أنت طالق أنت طالق.

ومع ذلك ففي هذا الجواب نظرٌ؛ لأنه كان الظاهر أن يقال: "ثلاث مرات"، فلماذا قال: ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، ثم ذكر الطلقة الثالثة بعدُ؟

ولأن التفريق يصدق بما لو طلَّقها طلقةً، ثم بعد ساعة طلَّقها أخرى بدون تخلل رجعة، فلو أريد تفريق مخصوص، لكان الظاهر أن يقام عليه دليلٌ.

نعم، من قال: إن السنة أن يطلق طلقة واحدة، ثم يدعها حتى تنقضي عدتها، فإن راجعها في العدة ثم بدا له أن يطلق، فليطلق مرة أخرى، فله أن يجيب بأن المراد بـ ﴿مَرَّتَانِۖ﴾ [البقرة: ٢٢٩] طلاقان يعقب كلًا منهما رجعة، وهذا لا يكون ثلاثًا، وبأن في الآية دليلًا على هذا التفريق بخصوصه، وهو قوله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة:٢٢٩] بناءً على تفسير الإمساك بالرجعة، والتسريح بعدمها.

وفيه: أن ذلك إنما يتم لو كان المعنى: فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان بعد كل مرة، وهذا محتمل فيما حكاه ابن جرير عن الضحاك قال: "يعني: تطليقتين بينهما مراجعة، فأمران يُمسِك أو يُسرِّح بإحسان، قال: فإن هو طلَّقها ثالثة فلا تحل له حتى تنكح زوجًا غيره"(٣).

وقد فسره ابن جرير بقوله: "وكأن قائلي هذا القول الذي ذكرناه عن السدي والضحاك

---

(١) هو أحمد بن علي الرازي، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية، وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع، وألف كتاب (أحكام القرآن) وغيره، توفي عام ٣٧٠هـ. انظر: السير للذهبي (١٦/٣٤٠)، الأعلام للزركلي (١/١٧١).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/٧٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤/٥٤٧).

ذهبوا إلى أن معنى الكلام: الطلاق مرتان، فإمساكٌ [في] كل واحدة منهما لهن بمعروف أو تسريح لهن بإحسان"[١] (تفسير ابن جرير ج ٢/ ص ٢٦٠).

أقول: ولفظ السدي: "إذا طلَّق واحدةً أو اثنتين إما أن يمسك - ويُمسك: يراجع بمعروف -، وإما سكت عنها حتى تنقضي عدتها، فتكون أحقَّ بنفسها"[٢].

وقوله: "واحدة أو اثنتين" أراد به على ما فهمه ابن جرير: الأولى أو الثانية، ولم يرد اثنتين لم تتخللهما رجعة.

ولكن ابن جرير رد هذا القول بحديث رواه[٣]، كما سيأتي[٤].

وأقول: إن فيه بعدًا من جهة أن الظاهر في قوله: ﴿فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة:٢٢٩] أنه بعد المرتين كما تقتضيه الفاء.

الجواب الثالث: أنه إنما لم يقل: "طلقتان" إشعارًا بأنه لو قال: طلقتك وطلقتك وطلقتك، أو قال: طلقتك ثلاثًا، أو ألفًا، أو عدد ذرات العالم، كان هذا كله مرةً واحدةً، كما تقول: ضرب فلانٌ عبده اليوم مرتين، فيصدق بما لو ضربه كل مرة من المرتين ضربةً، أو ضربتين، أو ضربات.

ويحتج لهذا القول بأن الآية نزلت لإبطال ما سبق من تكرر الطلاق مع تكرر الرجعة مرارًا لا حدَّ لها، [إذ] كان لأحدهم أن يقول: أنت طالق ألفًا ثم يراجعها، ثم يقول: أنت طالق ألفًا ثم يراجعها، ثم يقول: أنت طالق ألفًا ثم يراجعها، وهكذا مرارًا لا حدَّ لها.

فقيل لهم: إن الطلاق الذي تعقبه الرجعة مرتان، لا مِرارٌ لا حدَّ لها، فالمرة الواحدة هي طلاق تعقبه رجعة، مع صرف النظر عن ذلك الطلاق أطلقةً كان أم ألفًا[٥].

---

(١) انظر: المرجع نفسه.

(٢) انظر: المرجع نفسه (٤/٥٤٦-٥٤٧).

(٣) انظر: المرجع نفسه (٤/٥٤٧).

(٤) انظر: تفصيل ذلك في آثار المعلمي، في رسالة (الحكم المشروع في الطلاق المجموع) (١٧/٥٨٣).

(٥) (كتب المؤلف هنا: "ملحق". ويقصد به الكلام الآتي) قاله المحققون على آثار المعلمي، انظر: آثار المعلمي (١٧/٥٩٩).

وهذا جوابٌ جيد، لكنه لا يأتي إلا على قول الظاهرية والزيدية[١] وعامة الشيعة[٢] ومن وافقهم[٣]: إن الطلاق الثلاث الذي يحرمها حتى تنكح زوجًا غيره، إنما هو طلاق يتبعه رجعة، ثم طلاق يتبعه رجعة، ثم طلاق. فأما أن يقول: طلقتك ألفًا، أو يكرر لفظ الطلاق في كلامٍ واحدٍ، أو يطلق مرارًا كثيرةً لم تتخللها رجعة، فهذا كله مرةٌ واحدةٌ.

ويحتجون بالآية، والإنصاف أن ظاهرها معهم، فإنها أثبتت أن للرجل أن يطلق ثم يراجع، ثم يطلق ثم يراجع، ولم تحدّد الطلاق الواقع كل مرة.

ويحتجون بالآية الرابعة من آيات البقرة، فإنه تعالى قال: ﴿**وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ**﴾ **[البقرة:٢٣١]** والإمساك هنا الرجعة اتفاقًا[٤]، قالوا: فأثبت لهم الرجعة بعد الطلاق، ولم يحدد الطلاق بحدّ، فهو صادق بأن يقول: طلقتك، وأن يقول: طلقتك وطلقتك وطلقتك، أو طلقتك ألفًا، أو عدد ذرات العالم، ولا حدَّدتْه بأنه أول طلاق، ولا أنه طلاق قد تقدمه طلاق ورجعة.

فإن قيل: إنك قد قدمت استظهار أن هذه الآية متقدمة على قوله: ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ**﴾ [البقرة:٢٢٩] !

قلت: نعم، ولكن لهم أن يقولوا: إن آيتي ﴿**ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ**﴾ [البقرة:٢٢٩] أقرت الآية الرابعة على هذا المعنى، ووافقتها عليه -كما تقدم - وإنما خالفتها في المرة الثالثة.

ويحتجون أيضًا بآيات سورة الطلاق، والكلام فيها كالكلام في الآية الرابعة من آيات

---

(١) أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة ولم يجوزا ثبوت الإمامة في غيرهم. انظر: الفصل لابن حزم (١٧٣/٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١٥٣/١).

(٢) هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، والإمامة مسألة عقدية يكفر من لم يعتقدها. انظر: الفصل لابن حزم (١٣٧/٤)، الملل والنحل للشهرستاني (١٤٥/١).

(٣) انظر: المغني لابن قدامة (٢٤١/٨)،ومجموع فتاوى ابن تيمية (٨/٣٣ وما بعدها).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/٥)، تفسير البغوي (٣١٠/١)، تفسير الرازي (٤١٥/٦)، تفسير ابن كثير (٦٢٩/١).

البقرة سواء.

واحتج مخالفوهم[١] بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق:٢].

أخرج أبو داود بسندٍ صحيحٍ كما في الفتح[٢] عن مجاهد قال: "كنت عند ابن عباس فجاءه رجل، فقال: إنه طلَّق امرأته ثلاثًا، فسكت حتى ظننت أنه سيردُّها إليه، فقال: ينطلق أحدكم فيركب الأُحموقةَ، ثم يقول: يا ابن عباس! يا ابن عباس! إن الله قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق:٢]، وإنك لم تتق الله، فلا أجد لك مخرجًا، عصيتَ ربك، وبانتْ منك امرأتك"[٣].

ويجاب عن هذا بأن هذه الجملة وردت بعد أوامر ونواهي ليس فيها النهي عن جمع الطلاق، على أن من جملة الأوامر الطلاق للعدة، ومعلوم أن من طلَّق واحدة لغير العدة لا تبين منه امرأته جماعًا.

فهذا يدل أن المخرج في الآية ليس في خصوص عدم البينونة، فمن لم يتق الله فطلق لغير العدة، ضيَّقَ الله تعالى عليه بوجوب الرجعة، ومن لم يتق الله فقال: هي طالقٌ ثلاثًا، أو ألفًا، يُضيَّق الله عليه بأن لا تقع إلا واحدة، فإن وافق ذلك هواه ضيَّق الله عليه من جهة أخرى، كأن يوقع الخلاف بينه وبين امرأته، فيضطر إلى مفارقتها، أو يعيش معها في نَكَدٍ، أو غير ذلك.

على أننا قد قدمنا أن الظاهر أن هذه الآيات نزلت قبل النسخ، وعليه فهذه الآية تشير إلى ما تقدم قبلها في الآية ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق:٢] .

فكأنه قال: إن اتقيتم الله تعالى فلم تراجعوا المطلقات إلا بمعروف، جعل الله لكم مخرجًا

---

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٢٤١/٨)، ومجموع فتاوى ابن تيمية (٧/٣٣وما بعدها).

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٣٦٢/٩).

(٣) أخرجه أبوداود في سننه، في: أول كتاب الطلاق، باب: نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاث، (٥١٩/٣-٥٢٠) (ح: ٢١٩٧)، وصحح إسناده محققاه، والبيهقي في سننه الكبرى، في كتاب: الخلع والطلاق، باب: الاختيار للزوج أن لا يطلق، (٣٣١/٧) (ح: ١٥٣٣٨).

بأن يستمر الحكم بعدم تحديد الطلاق، وإن لم تتقوا بل أخذتم تراجعون ضرارًا، فسيضيِّق الله تعالى عليكم.

وقد وقع هذا الوعيد، فإنهم لما أخذوا يراجعون ضرارًا، كما في مرسل عروة(١)، ضيَّق الله عليهم بتحديد الطلاق، والله أعلم.

هذا ما يتعلق بهذه المسألة(٢) من كتاب الله عزَّ وجلَّ، فلننظر الآن ما يتعلق بها من السُّنَّة).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في الرد على من استنبط من ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾[البقرة: ٢٢٨] قبول شهادة المرأة الواحدة:](٣)

(يعلم من مناظرة الشافعي لمحمد بن الحسن(٤) في هذه المسألة أن محمدًا – مع إنكاره أن يقضي بشاهد ويمين، وردِّه الأحاديث في ذلك، وزَعْمه أن ذلك خلاف ظاهر القرآن – كان يقول: إنَّ نسبَ الطفل إلى المرأة، وبالتالي إلى صاحب الفراش، مع ما يتبع ذلك من أحكام الرق والحرية والتناكح والتوارث واستحقاق الخلافة وغير ذلك، يثبت بشهادة القابلة وحدها. فاعترضه الشافعي بأن عمدته في ذلك أثر "رواه عن علي رضي الله عنه رجل مجهول يقال له: عبد الله بن نجي، ورواه عنه جابر الجعفي(٥) وكان يؤمن بالرجعة"(٦).

---

(١) انظر: (ص:٣٣٩).

(٢) هذا ضمن رسالة (الحكم المشروع في الطلاق المجموع) وقد فصل المؤلف –رحمه الله– هذه المسألة عن طريق الآيات أولا، ثم السنة، وناقش أقوال العلماء وأدلتهم وحقق الأحايث والآثار الواردة فيها. انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٧/٥٨٥–٦٩٠).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٢٦٩–٢٧٣).

(٤) هو محمد بن الحسن بن فرقد، من موالي بني شيبان، أبو عبد الله: إمام بالفقه والأصول، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة، سمع من أبي حنيفة وغلب عليه مذهبه وعرف به، ماب سنة ١٨٩هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٦٧١)، الأعلام للزركلي (٦/٨٠).

(٥) أخرجه عبدالرزاق في مصنفه، في كتاب: الطلاق، باب: شهادة امرأة على الرضاع، (٧/٤٨٥) (ح: ١٣٩٨٦).

(٦) انظر: معرفة السنن والآثار للبيهقي (١٤/٢١٦) (ح: ٦٠٥٤).

فحاول الأستاذ الجواب عن ذلك بوجوه:

السادس: قال الأستاذ[١]: "محمَّد بن الحسن استنبط قبول قول المرأة فيما يخصها معرفته من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، ووجه دلالته أن الاستهلال مما تشهده النساء دون الرجال عادةً، فإبطالُ شهادتهن ينافي قبول قول المرأة فيما تخصُّها معرفته كما هو المستفاد من الآية".

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨] الكلام فيه على التوزيع، أي: لا يحل للمرأة أن تكتم ما خلق الله في رحمها. والنهي عن الكتمان يقتضي أنه مظنة أن يقع، وإنما يظن بالمرأة أن تكتم حيث كان لها غرض. فمآل النهي عن الكتمان إلى الأمر بالاعتراف، فغايةُ ما في هذا الدلالةُ على أنه يُقبل منها الاعتراف. فإذا ذكرت أنها قد تمَّت أقراؤها كان هذا اعترافًا بأنه لا نفقةَ لها، وادعاءً لأنه لا رجعةَ للزوج عليها. فيُقبل منها الاعتراف، ويُنظر في الادعاء، فإن قُبِل منها الادعاء أيضًا، فهل تجعلون الولادة من هذا القبيل؟

فإن قلتم: نعم، لزمكم أن تقبلوا قول الأم نفسها: هذا ابني من فلان، وتُثْبِتوا بذلك نسبه وميراثه وغير ذلك.

فإن قلتم: إنما موضع الاستنباط أن الآية أشعرتْ بأنه يُقبل قول المرأة في الحيض والحمل، وأن علة ذلك هو أنه يتعسر العلم بذلك إلا من جهتها؛ فقلنا: والولادة يعسر العلم بها إلا من جهة النساء، فأخذنا من ذلك قبول شهادتهن فيها.

قلنا: أما قبول قولها وحدها في حيضها وحملها، فهذا مما تختصُّ هي بمعرفته دون غيرها. والولادة ليست كذلك، بل يطلع عليها غيرها من النساء. أفرأيتم إذا أخذتم من ذلك قبول شهادة النساء على الولادة، فمن أين أخذتم أنها تكفي امرأة واحدة؟ فقد تحضر عدة قوابل، وقد تحضر مع القابلة عدة نساء، وقد يحيط رجال بالخيمة مثلًا بعد كشفها، والعلمِ بأنه ليس فيها إلا المرأة الحامل، ثم يحرسون الخيمة إلى أن تكشف فلا يكون فيها إلا المرأة وطفل معها، فيشهد الرجال شهادة محققة أنها ولدت ذاك الطفل. دع قضية الرجال فإنها نادرة، ولكن هلَّا

---

(١) المقصود به الأستاذ محمد زاهد الكوثري –رحمه الله-.

قلتم: دلَّت هذه الآية على قبول شهادة النساء في الولادة، ودلت آية الدَّين على اشتراط العدد، فيؤخذ من الآيتين قبول شهادة أربع نسوة كما يقول الشافعي(١)؟ أوَ ليس إذا قبلتم شهادة امرأة واحدة فيما يختص به النساء لزمكم قبول رجل واحد فيما يختص به الرجال، كما يتفق في الجامع يوم الجمعة، بل في كل شيء؟ إلا أنه إذا كفت امرأة واحدة فيما يختص به النساء، ورجل فيما يختص به الرجال، فما لا يختص لا يتجه فيه إلا أحد أمرين: إما أن يكفي الواحد رجلاً كان أو امرأة، وإما أن يشترط رجل أو امرأتان، فقد دلت السنة على هذا فيما يتعلق بالأموال وزادتكم يمينًا.

فإن قلتم: لكن الشافعي لا يقول بقبول شهادة المرأتين مع اليمين.قلنا: قد قال بذلك أستاذه مالك(٢)، وهو مذهب قوي، كما سلف(٣) والله الموفق).

۞ ۞ ۞

﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾﴾ [البقرة:٢٣٣]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله–مبينا مواطن إهمال (أن):](٤)

(قد جاء إهمال "أن" مضمرة وظاهرة، وعدّ ابنُ هشام من الأوّل قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: ٦٤]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾

(١) انظر: الأم للشافعي (٥/٣٦).

(٢) انظر: مواهب الجليل للحطاب (٥/٢٩٣) وتفسير القرطبي (٣/٣٩٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (٢/٢٣٩ وما بعدها).

(٤) انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (١٥/٢٩٣-٢٩٤).

[الروم: ٢٤][1]. ومن الثاني قراءة ابن محيصن[2]: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمُّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[3] [البقرة: ٢٣٣][4].

وفي "الهمع" (٢/ ٣): "قال الرؤاسي[5] من الكوفيين: فصحاء العرب ينصبون بـ "أنْ" وأخواتها الفعلَ، ودونهم قوم يرفعون بها، ودونهم قوم يجزمون بها"[6].)

۞ ۞ ۞

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة:٢٣٩]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا وقت نزول آية صلاة الخوف:][7]

---

(١) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٨٣٩).

(٢) هو عمر بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي بالولاء، أبو حفص المكي: مقرئ أهل مكة بعد ابن كثير، انفرد بحروف خالف فيها المصحف، فترك الناس قراءته ولم يلحقوها بالقراءات المشهورة، مات سنة ١٢٣هـ. انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر (٧/ ٤٧٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ١٨٩).

(٣) ذكر ابن عطية وأبوحيان والسمين الحلبي أن قراءة ابن محيصن (أن تتمَّ الرضاعةُ) بفتح تتم وضم الرضاعة، وذكر أبو حيان أن قراءة (أن يتمُّ الرضاعة) ينسبها النحويون إلى مجاهد، وذكره أيضا السمين الحلبي وزاد أنها تروى عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولعل المؤلف –رحمه الله– تابع ابن هشام في المغني.

انظر: تفسير ابن عطية (١/ ٣١١)، تفسير أبي حيان (٢/ ٢٢٣)، تفسير السمين الحلبي (٢/ ٤٦٣).

(٤) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (١/ ٤٦).

(٥) هو محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي الكوفي الرؤاسي، أبو جعفر: أول من وضع كتابا في النحو من أهل الكوفة، وهو أستاذ الكسائي والفراء، ولقب بالرؤاسي لكبر رأسه. له كتب منها (الفيصل) و (معاني القرآن)، مات سنة ١٨٧هـ. انظر: بغية الوعاة للسيوطي (١/ ٨٢)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٧٠).

(٦) انظر: همع الهوامع للسيوطي (٢/ ٣٦٣).

(٧) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/ ٢٠٣-٢٠٤).

(قد اختلف في غزوة ذات الرقاع[١]: أهي غزوة مُحارِب خَصَفة[٢]، أم غيرها؟ فأكثر أهل المغازي على الأول، وزعم الواقدي[٣] أنها غيرها، وتبعه القطب الحلبي[٤] في "شرح السيرة"، ذكره الحافظ في "الفتح"[٥].

واختلف أيضًا في غزوة ذات الرقاع: فقال موسى بن عقبة[٦]: لا ندري كانت قبل بدر، أو بعدها، أو قبل أُحُد أو بعدها.

قال ابن حجر: الذي ينبغي الجزم به أنها بعد غزوة بني قريظة؛ لأنه تقدم أن صلاة الخوف

---

(١) هي غزوة حدثت في سنة ٤هـ بعد غزوة بني النضير، وسميت بذات الرقاع لأنهم رقعوا فيها راياتهم وقيل غير ذلك. انظر: سيرة ابن هشام (٢٠٤/٢)، البداية والنهاية لابن كثير (٥٥٩/٥).

(٢) هذه غزوة رواها البخاري في صحيحه (ح: ٤١٢٥) والبيهقي في سننه الكبرى (ح: ٦٢٤٦) واللفظ له، عن جابر قال: قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم محارب خصفة بنخل، فرأوا من المسلمين غرة، فجاء رجل منهم يقال له: غورث بن الحارث، حتى قام على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف، وقال: من يمنعك مني ؟ قال: الله، فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف وقال: من يمنعك مني ؟ فقال: كن خير آخذ. قال: تشهد أن لا إله إلا الله ؟ قال: لا، ولكن أعاهدك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله، فأتى أصحابه، فقال: جئتكم من عند خير الناس.

(٣) هو محمد بن عمر بن واقد السهمي الاسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي: من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، من كتبه (المغازي النبوية) و (فتح إفريقية) مات سنة ٢٠٧هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢٥٤/١)، الأعلام للزركلي (٣١٠/٦).

(٤) هو عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي، قطب الدين: حافظ للحديث، حلبي الأصل والمولد، مصري الاقامة والوفاة، له كتب منها:" شرح السيرة للحافظ عبد الغني " و " الاهتمام بتلخيص الالمام " وغيرها، مات سنة ٧٣٥هـ. انظر: حسن المحاضرة للسيوطي (٣٥٨/١)، الأعلام للزركلي (٥٣/٤).

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤١٨/٧).

(٦) هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي بالولاء، أبو محمد، مولى آل الزبير: عالم بالسيرة النبوية، من ثقات رجال الحديث، من أهل المدينة، مولده ووفاته فيها، له كتاب (المغازي)، مات سنة ١٤١هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١١١/١)، الأعلام للزركلي (٣٢٥/٧).

في غزوة الخندق لم تكن شُرِعتْ، وقد ثبت وقوع صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع(١).

أقول: لم أجد نصًّا في أن صلاة الخوف لم تكن قد شرعت في الخندق، إلا ما جاء عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه ذكر تأخير النبي – صلى الله عليه وسلم – الصلاة يوم الخندق، ثم قال: "وذلك قبل أن يَنزِل في القتال ما نزل"(٢).

وقد بيَّنه في رواية أخرى، قال: "وذلك قبل أن ينزل صلاة الخوف ﴿**فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ**﴾ [البقرة:٢٣٩]. راجع "مسند أحمد" (٣/ ٢٥)(٣).

فيحتمل أنهم في الخندق لم يكونوا متمكنين من الصلاة جماعة على ما في آيات النساء: ﴿**وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ** ...﴾ [النساء:١٠٢] مع ما بينه النبي – صلى الله عليه وسلم –، وإنما كانوا متمكّنين من الصلاة على ما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿**فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ**﴾ [البقرة:٢٣٩]، وإذا كان هكذا لم يكن في حديث أبي سعيد ولا قصة الخندق دليل على أن صلاة الخوف لم تكن قد شُرعتْ، وإنما في ذلك دليل على أنه لم يكن قد شُرع هذا القدر منها، وهو الذي تضمَّنه قوله تعالى: ﴿**فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ**﴾ [البقرة:٢٣٩].

والصلاة في ذات الرقاع كانت جماعة على ما بيَّن به النبي – صلى الله عليه وسلم – آية النساء.

وعلى هذا، فليس فيما ذُكِر دليلٌ على تأخر ذات الرقاع عن الخندق، وما اتصل به من أمر بني قريظة.

وفي "الفتح" أيضًا: عن ابن إسحاق وابن سعد(٤) وابن حبان أنها كانت قبل الخندق

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٤١٧/٧).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٩٣/١٧) (ح: ١١١٩٨) وصحح إسناده محققوه، والنسائي في المجتبى، في كتاب: الأذان، باب: الأذان للفائت من الصلوات، (٥٢/٨) (ح: ٦٦١).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٩٤/١٧) (ح: ١١١٩٩) وصحح إسناده محققوه.

(٤) هو محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث، ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها، وصحب الواقدي المؤرخ زمانا، فكتب له وروى عنه، وعرف بكاتب الواقدي، مات سنة ٢٣٠هـ. انظر: التهذيب لابن حجر (١٨٢/٩)، الأعلام للزركلي (١٣٦/٦).

وقريظة، وأن أبا معشر[١] يجزم بأنها كانت بعد الخندق وقريظة، وذهب البخاري إلى أنها كانت بعد خيبر، واحتج على ذلك بما صح عن أبي موسى الأشعري[٢] أنه شهد ذات الرقاع، مع أن أبا موسى إنما جاء بعد أيام خيبر، وبما رواه عبد الله بن يزيد المقرئ عن حَيْوة وابن لهَيعة عن أبي الأسود عن عروة عن مروان أنه سأل أبا هريرة: هل صلَّى مع النبي - صلى الله عليه وسلم - صلاة الخوف؟ فقال أبو هريرة: نعم، في غزوة نجد.

علَّق البخاري طرفًا منه[٣] وأخرجه أبو داود في "السنن"[٤]، وذكر أبو داود عقبه بسند فيه مقال: عن عروة بن الزبير عن أبي هريرة قال: "خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى نجد، حتى إذا كنا بذات الرقاع ... "[٥]. وأبو هريرة إنما جاء أيام خيبر.

وحكى الحافظ في "الفتح" عن البيهقي وغيره: أنهم ذهبوا إلى أنها غزوتان، أطلق على كل منهما ذات الرقاع[٦].

أقول: وما وقع في رواية قتادة عن سليمان بن قيس عن جابر: "انطلقنا نتلقَّى عِيرَ قريش آتيةً من الشام"[٧] ظاهرٌ في تقدُّم ذلك على خيبر، بل وعلى الحديبية، وهي قبله، وذلك أنهم

---

(١) هو نجيح بن عبد الرحمن السندي، أبو معشر: فقيه، له معرفة بالتاريخ، أصله من السند، اختلط في آخر عمره، ومات ببغداد فصلى عليه هارون الرشيد، له كتاب " المغازي " نقل عنه الواقدي وابن سعد، مات سنة ١٧٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/١٧٢)، الأعلام للزركلي (٨/١٤).

(٢) هو عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب، أبو موسى، من بني الأشعر، من قحطان: صحابي، من الشجعان الولاة الفاتحين، قدم مكة عند ظهور الاسلام، فأسلم، وهاجر إلى إلى أرض الحبشة، ثم استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على زبيد وعدن، مات سنة ٤٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١/٢٢)، الأعلام للزركلي (٤/١١٤).

(٣) علقه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، (٥/١١٥) (ح: ٤١٣٦).

(٤) أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: الصلاة، باب: من قال يكبرون جميعا..، (٢/٤٢٧-٤٢٨)، (ح: ١٢٤٠)، وصحح إسناده محققاه.

(٥) انظر: المصدر نفسه (٢/٤٢٨) (ح: ١٢٤١).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/٤١٧).

(٧) أخرجها الطبري في تفسيره (٩/١٣٢).

إنما يتلقَّون عِيرَ قريش إذا لم يكن بينهم موادعة، وقد وادعهم النبي – صلى الله عليه وسلم – في الحديبية، واستمرَّ ذلك حتى غَدَرتْ قريش بإعانة بني بكر[١] على خزاعة[٢]، فغزاهم النبي – صلى الله عليه وسلم – وافتتح مكة.

هذا، وقد يُتوهَّم من قوله في رواية قتادة عن سليمان "نتلقَّى عِيرَ قريش آتيةً من الشام" أن هذا في غزوة بدر، وليس كذلك، بل هذه عِيرٌ أخرى.

هذا، ومقتضى ما أطلق عليه أكثر أهل المغازي من أن ذات الرقاع، أو غزوة محارب وثعلبة بنَخْلٍ[٣]، كانت قبل الخندق وقريظة، فهي قبل غزوة بني لِحْيان[٤]، وقبل الحديبية فتكون الصلاة فيها قبل الصلاة بعُسْفان، وقد يجوز أن يكون أبو عيَّاش[٥] لما ذكر شأن عُسْفان إنما ذكر نزول جبريل ينذر النبي – صلى الله عليه وسلم – بما همَّ به المشركون، فتوهم بعضهم أنه نزل بالآيات في صلاة الخوف.

---

(١) بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة، وينقسمون إلى بطون: بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، وبنو ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. انظر: سيرة ابن هشام (٢/٤٩٥)، جمهرة الأنساب لابن حزم (٢/٤٦٥).

(٢) قال ابن هشام: تقول خزاعة: نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث. وبطون خزاعة: وهم بنو لحى بن عامر بن قمعة بن الياس، فهم بنو كعب بن عمرو بن عامر بن لحى، وبنو عدي بن عمرو بن عامر بن لحى، وبنو نصر بن عوف بن عمرو بن عامر بن لحى، وبنو مليح بن عمرو بن عامر بن لحى وبنو جفنة بن عوف بن عمرو بن عامر بن لحى، وبنو المصطلق بن سعد بن عمرو بن عامر بن لحى، وبنو الحياء بن سعد بن عمرو بن عامر بن لحى. انظر: سيرة ابن هشام (١/٩١)، جمهرة الأنساب لابن حزم (٢/٤٦٧).

(٣) وهي أسماء أخرى لغزوة ذات الرقاع.

(٤) غزوة بني لحيان حدثت في السنة السادسة للهجرة، عقوبة لبني لحيان حين غدروا بالمسلمين عند ماء الرجيع. انظر: سيرة ابن هشام (٢/٢٧٩)، البداية والنهاية لابن كثير (٥/٥٥٤).

(٥) هو أبو عياش الزرقي الأنصاري صحابي، روى حديثا في صلاة الخوف، قيل اسمه زيد بن الصامت أو بن النعمان وقيل اسمه عبيد أو عبد الرحمن بن معاوية، شهد أحدا، مات بعد ٤٠هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٦/٢٢٩)، التقريب لابن حجر (ص: ١١٨٧).

وبالجملة، فلم يتضح أيهما السابق، غزوة محارب وثعلبة أم عُسْفان؟ والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة:٢٤٠]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا معنى الآية بإيجاز، وذاكرا وقت نزولها](١)

(قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ﴾ أي يقاربون الوفاة، ﴿وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا، أو فعليهم ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم﴾ بمال يتمتعن به ﴿مَّتَاعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ الواجب عليهن تربصه. وهذا قبل نزول(٢) قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤](٣)).

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١].

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا دفع الناس بعضهم ببعض:](٤)

(أذن الله عزَّ وجلَّ للبشر إذنًا قدريًّا عامًّا في عمل ما يريدون – لأن مقصود التكليف لا يتم في حقِّهم إلا بذلك – جعل قدرتهم محدودة، فيقع من الفساد ما يناسب قدرتهم، كما هو مشاهد. وكلما زادت قدرتهم بواسطة الآلات والمخترعات زاد الفساد، كما تراه في هذا

---

(١) انظر:آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (٧١٢/١٧).

(٢) وهذا قول أكثر العلماء كما قال القرطبي. انظر: تفسير القرطبي (١٧٤/٣)، العجاب لابن حجر (٦٠٠/١).

(٣) (بعده بياض كبير في باقي الصفحة، وكأن المؤلف كان يريد مزيد تفسيرٍ للآية فلم يجد وقتًا لإكماله) لإكماله) قاله المحققون على آثار المعلمي (٧١٢/١٧).

(٤) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (٤٣٠/١١-٤٣١).

العصر. ولولا أنَّ الله عزَّ وجلَّ يكفكف شدةَ ذلك بقدره لكان الفساد أعظم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة:٢٥١]).

۞ ۞ ۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٤-٢٥٥].

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا فضل آية الكرسي، وبنائها على توحيد العبادة:](١)

(أما الآية فآية الكرسي؛ ففي صحيح مسلم وغيره "عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله تعالى معك أعظم؟ قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة:٢٥٥]، قال: فضرب في صدري: وقال: والله ليَهْنِك العلمُ، أبا المنذر"(٢).

وقد وردت في فضلها أحاديث أخرى لا حاجة إلى ذكرها هنا.

وأما بيان بنائها على توحيد العبادة فهاكه:

قال تعالى في الآية التي قبلها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤]. المراد، والله أعلم، بنفي الخلَّة: ما لم يكن في طاعته، كما قال تعالى:﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٤٩-٥٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف وآية الكرسي، (١/٥٥٦) (ح: ٨١٠).

﴿ٱلْمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزُّخرُف:٦٧]، وهذه الآية تقدَّمها في سورة الزخرف ذكر شأن مشركي العرب في عبادتهم الملائكة، وقولهم: "بنات الله"، وذكر شأن النصارى في عبادتهم عيسى وقولهم: "ابن الله"، فيظهر من هذا أن قوله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ﴾ [الزُّخرُف:٦٧] الآية فيه إشارة إلى ذلك، أي أن مشركي العرب يحبون الملائكة ويعبدونهم، والنصارى يحبون المسيح ويعبدونه، فإذا كان يوم القيامة كان الملائكة والمسيح أعداء لمن عبدهم من دون الله، وقد بين الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك في مواضع من القرآن كما يأتي إن شاء الله تعالى(١).

وهكذا قوله: ﴿وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة:٢٥٤] المراد بها، والله أعلم، الشفاعة التي يطمع فيها المشركون من الملائكة وعيسى ونحوهم، فأمر الله عَزَّ وَجَلَّ المؤمنين ألَّا يتَّكلوا على الشفاعة التي يتَّكل عليها المشركون، ونبَّه على ذلك بقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤].

ثم رد الله تعالى على الكافرين زعمهم وبيَّن حقيقة الشفاعة بقوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ خبرٌ برهن عليه بمايعترف به المشركون وغيرهم، وهو أنه عز وجل: ﴿ٱلْحَىُّ﴾ وحياته عَزَّ وَجَلَّ حياة ذاتية تامة كاملة، نسبة حياة الملائكة والجن والإنس إليها أضعف من نسبة موتهم إلى حياتهم. وإلى هذا - والله أعلم - أشار سبحانه بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ٢٠ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ٢١﴾ [النحل: ٢٠ - ٢١].

المدعوُّون هنا الملائكة أو هُم وغيرهم(٢)، وصفهم سبحانه بأنهم أموات غير أحياء، أي

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٦٤٢/٣ وما بعدها، ٧١٤وما بعدها).

(٢) تنوعت عبارات أهل العلم في المراد بالمدعويين هنا:

-كثير من المفسرين يجعلون المدعوين هنا الأصنام والجمادات كالطبري والبغوي وابن الجوزي والرازي والقرطبي وابن تيمية وابن كثير والخازن والطاهر بن عاشور.

-وبعضهم ذكر وجوها منها الأصنام ومنها الملائكة كالمزمخشري.

-وبعضهم ذكر الجمادات والأموات، كالألوسي

-وبعضهم الأصنام ومن عبد ممن لا يعقل كأبي حيان.

والأقرب -والله تعالى أعلم- أن الآية تتاول ذلك كله فكل ما يوصف بأنه ميت وقد دعي من دون الله يدخل في الآية.

انظر: تفسير الطبري (١٨٨/١٧)، تفسير البغوي (٧٥/٣)، تفسير الزمخشري (٦٠٠/٦)، زاد =

بالنظر إلى الحياة الكاملة، وهي حياته سبحانه وتعالى[١]. وسيأتي الكلام على هذه الآية إن شاء الله تعالى[٢].

﴿ٱلْقَيُّومُۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] قال الراغب: "أي القائم الحافظ لكل شيءٍ والمعطي له ما به قوامه، وذلك هو المعنى المذكور في قوله: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝﴾ [طه: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ﴾ [الرعد: ٣٣] "[٣]، ولا أحد سواه تعالى يشاركه في ذلك ولا يقاربه.

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فيه توضيح لكمال حياته وقيُّوميَّته.

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ [البقرة:٢٥٥]، بما فيه الداعون من دونه والمدعوون وغيرهم، وكل خير وشر يحتاج المخلوق إلى جلبه أو دفعه.

فهذه الصفات يعترف بها المشركون لله عَزَّ وَجَلَّ ويعترفون باختصاصه بها؛ فثبت بها أنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له؛ لأن العبادة إن كانت إجلالًا فالله هو الجليل على الحقيقة، وإن كانت شكرًا فهو المنعم على الحقيقة، وإن كانت استجلابًا لنفع أو استدفاعًا لضرٍّ فهو سبحانه الذي بيده ملكوت كلِّ شيءٍ، والمشركون يعترفون بهذا كلِّه، إلا أنهم يقولون: الذين نعبدهم من دون الله هم مقربون لديه يشفعون إليه، فلما ثبت أنَّه سبحانه وتعالى قرّبهم وجعل لهم أن يشفعوا إليه لزم من ذلك أن لا يمنع غيرهم من عبادتهم طلبًا لشفاعتهم؛ لأن ذلك ينفع العابد ولا يضرُّ الله تعالى. وعلى ذلك قولهم فيما حكاه الله عَزَّ وَجَلَّ عنهم: ﴿ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقولهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨]، فأبطل الله تعالى شبهتهم بقوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا

= المسير لابن الجوزي (٤/٤٣٧)، تفسير الرازي (٢٠/١٩٦)، تفسير القرطبي (١٠/٩٤)، الجواب الصحيح لابن تيمية (٣/٢١٩)، تفسير الخازن (٤/٨٥)، تفسير ابن كثير (٤/٥٦٤)، تفسير الألوسي (١٤/١٦٠)، تفسير الطاهر بن عاشور (١٤/١٢٥).

(١) ووجه الزمخشري أنهم أموات أنه لا بد لهم من الموت. انظر: المرجع نفسه.

(٢) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٢/٥٤٢-٥٤٣).

(٣) انظر: مفردات الراغب (ص:٦٩١).

بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] الاستفهام بمعنى النفي، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿**مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ**﴾ [يونس: ٣].

والمشركون يسلّمون أنه لا يشفع أحد عنده بغير إذنه، ولكنهم يتوهَّمون أنه سبحانه قد أذن للمقرَّبين في الشفاعة إذنًا عامًّا، فدفع سبحانه وتعالى ذلك بقوله: ﴿**يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ**﴾[البقرة:٢٥٥]، فهو سبحانه العالم بكل شيءٍ بالمشفوع له وما قُدِّر له، وبالشافع وشفاعته وغير ذلك، والمقرَّبون لا يحيطون بشيءٍ من علمه إلاَّ بما شاء، فلا يعلمون بالمشفوع له ولا بحقيقة عمله ولا حقيقة ما يستحقه ولا ما قدر له ولا بأن الشفاعة له صواب يشاؤه الله ويرتضيه، لا يعلمون شيئًا من هذا إلا إذا شاء الله تعالى أن يعلموا، وقد ثبت أنهم مملوكون لله عز وجل مبالغون في طاعته، فيُعْلَم من هذا أنهم لا يشفعون لأحدٍ إلاَّ بعد أن يأذن الله تعالى لهم أن يشفعوا له، وأنه سبحانه لا يأذن لهم إلا بعد أن يشاء شفاعتهم لذلك الشخص ويرتضيها ويعلم أنها صواب، كما قال تعالى: ﴿۞**وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦**﴾[النجم:٢٦]، وقال عز وجل: ﴿**يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨**﴾ [النبأ:٣٨]، وقال تبارك وتعالى: ﴿**وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨**﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨].

ومَن تدبَّر هذا كلَّه علم أنَّ شفاعة المقرَّبين لا تقع إلاَّ لمن أراد الله عز وجل أن ينفعه، ومَن أراد الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينفعه فلا بد أن ينفعه، فإن كان قد قضى أن ذلك النفع يكون بعد شفاعة فإنه سبحانه يأمر بها الشفيع فيشفع طاعة لربه ومسارعة في مرضاته.

وإذا كان الأمر كذلك فلا معنى لطلب الشفاعة من المقربين، ولا لتعظيمهم لكي يشفعوا. فإذا كان الطلب والتعظيم عبادة فهو مع ذلك موجِبٌ لغضب الله عَزَّ وَجَلَّ على فاعله، لأنه أشرك به غيره، فكيف يرجو منه أن يجازيه على ذلك بأن يرتضيه ويرضى له النفع، ويأذن في الشفاعة له ويرضاها؟ بل وموجِبٌ لغضب المقربين على الفاعل؛ لأنهم ما تقرَّبوا إلا بطاعتهم لربهم وحبهم لرضاه حبًّا أفناهم عن غيره من الحظوظ والأغراض.

فأما ما ثبت بسلطان أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر به وأذن فيه مما فيه توقير للمقربين فإنه عبادة لله تعالى، كما سيأتي تحقيقه بأدلته[1]، والحق على الناس أن يقتصروا عليه، والله الموفق.

۞۞۞

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة:٢٥٥].

في هذا وفيما قبله إبطال لما يتوهَّمه بعض الأمم من أن الله عز وجل يَكِلُ كثيرًا من تدبير العالم إلى الرُّوحانيِّين والأرواح، فيدبِّرون كما يريدون، ويزيد بعضهم فيتوهَّم أنَّ الله تبارك وتعالى لا يقدر على التدبير بغير معونة الرُّوحانيين والأرواح، ويغلو بعضهم فيجحد علم الله تعالى بالجزئيات، أو يشكُّ فيه. وسيأتي بسط الكلام على هذا وذكر الآيات الصريحة في إبطاله إن شاء الله تعالى[2].)

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا بعض أحكام الشفاعة:][3]

(أغلب آيات الشفاعة - وعليها مدار محاجَّته تعالى للمشركين - تدور على هذا الأمر، وهو أنهم لا يشفعون إلاَّ لمن ارتضى، حتى إنَّ أعظم آية في القرآن وهي آية الكرسي مبنيَّة عليه، فإنَّ قبلها قولَه تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾**﴾ [البقرة:٢٥٤]، أجمل في هذه الآية نَفْيَ الشفاعة وأراد بها - والله أعلم - الشفاعة المتعارَفَة بين الناس مِنْ أنَّ الشافع يُقْدِمُ على الشفاعة مِنْ دون إذنٍ من المشفوع إليه، وهذا تحذير للمؤمنين من الاتِّكال على الشفاعة إلى حدًّ يتهاونون فيها بطاعة الله، ولم يقل هنا: "ولا شفاعة إلا بإذنه" أو نحو ذلك مبالغة في التحذير من الاتِّكال، ولكن نبَّه على المراد بالآية الثانية آية الكرسي، والخطاب وإن كان للمؤمنين فإنَّ فيه تعريضًا بالمشركين في اتِّكالهم على شفاعة الملائكة، ولذلك قال: ﴿**وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾**﴾، ثم قال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ**﴾ [البقرة:٢٥٥] وهذا رد على

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٤٠٦).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٢/٣١٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٥٢٢-٥٢٤)، وانظر: آثار المعلمي (٣/٨٦٨-٨٦٩).

المشركين في اتخاذهم آلهة من دونه، ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٥] هذه الصفات كان يعترف بها المشركون، ففي ذكرها استدلال على توحُّدِه عزَّ وجلَّ بالألوهية وعلى ما بعده وهو قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] أي - والله أعلم -: أنَّ اتّصافه بالصفات المذكورة - والمشركون يعترفون بذلك - يُحيل أن يتجرَّأ أحدٌ مِنْ عباده على الشفاعة عنده. أي - والله أعلم -: في الآخرة مطلقًا، وفي الدنيا بالنسبة إلى الذين عنده كالملائكة.

ثم رأيت في الدُّرِّ المنثور ما لفظه: "وأخرج الطبراني(١) في السنَّة عن ابن عباس ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة:٢٥٥] يريد الذي ليس معه شريك، فكلٌّ معبود من دونه فهو خلق من خلقه لا يضرُّون ولا ينفعون ولا يملكون رزقًا ولا حياة ولا نشورًا ... ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البقرة:٢٥٥] يريد الملائكة مثل قوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٢٥٥] يريد من السماء إلى الأرض ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾[البقرة:٢٥٥] يريد ما في السموات، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ﴾[البقرة:٢٥٥] يريد مما اطلعهم على علمه ... "(٢).

والآية التي استشهد بها هذا سياقُها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٨].

ثم أردفها الله تعالى بتمام الاستدلال على أنَّ الشفاعة عنده لا تكون إلا بإذنه فقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ﴾ [البقرة:٢٥٥] الضمير للملائكة كما سمعتَ عن ابن عباس. وكذا قال مقاتل فَسَّر ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة:٢٥٥] بما بعد خلق الملائكة، ﴿وَمَا

(١) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم: من كبار المحدثين، أصله من طبرية الشام، وإليها نسبته، رحل إلى الحجاز واليمن ومصر والعراق وفارس والجزيرة، له ثلاثة معاجم في الحديث، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ. انظر: السير للذهبي (١٦/١١٩)، الأعلام للزركلي (٣/١٢١).

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٣/١٩٥).

﴿خَلْفَهُمْۖ﴾ [البقرة:٢٥٥] بما قبل ذلك[١]. وقد علمتَ أنَّ الملائكة مذكورون قبل ذلك[٢]، فلا مانع من عود الضمير عليهم.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ﴾[البقرة:٢٥٥] أي الملائكة ﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾[البقرة:٢٥٥] عزَّ وجلَّ ﴿إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾[البقرة:٢٥٥]، فلا يعلمون بعبادة المشركين لهم ولا بحاجاتهم ومقاصدهم إلا أن يشاء الله تعالى أنْ يُعْلِمَهم، (ويؤيِّد كونَ المراد الملائكة .....)[٣].

فإذن الأمر كله لله، والذي ينبغي للعاقل الاهتمام به رضا الله تعالى، وفيه إشارة إلى أنَّ اتخاذهم وسائط بين العباد وربِّهم جهل؛ لأنهم لا يطَّلعون على شيء من أحوالهم إلاَّ إذا أطْلَعَهم الله عزَّ وجلَّ، فكيف يكون الله عزَّ وجلَّ هو الذي يعلم بأحوالنا دون الملائكة، فيذهب العباد إلى أن يطلبوا منه تعالى أن يُطْلِع الملائكة أنهم يطلبون منهم أنْ يشفعوا لهم عند ربهم عزَّ وجلَّ؟ فليُرْضُوه تعالى من أوَّل الأمر ويطلبوا منه حاجاتهم.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [البقرة:٢٥٥] بيان لعِظَمِ ملكه وكمال قدرته، وشمولها كلَّ شيء وأنَّه مدبِّر كلَّ شيء، وحافظ، ولا يشقُّ عليه ذلك، فإذن هو الغنيُّ لا يحتاج إلى معونة أحد من الملائكة أو غيرهم).

۞ ۞ ۞

---

(١) وأيضا جاء ذلك عن السدي -رحمه الله-، وهو من باب التمثيل للمعنى العام كعادة السلف في تفسيرهم والله أعلم. انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (١/١٣٦)، تفسير ابن أبي الزمنين (٣/١٤٤).

(٢) (هنا كلمة لم تظهر، ولعلها: صريحًا) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٢/٥٢٤).

(٣) (هذا ملحق ذهب البللُ بأكثره) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٢٥٨﴾ [البقرة:٢٥٨].

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا قصة الملك الذي حاج إبراهيم عليه السلام:](١)

(أما الذي حاجَّ إبراهيم في ربه فالمشهور أنه من قومه، وأنه كان ملِكَهم(٢)، وقوم إبراهيم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب والروحانيين ويعترفون بوجود الله تعالى وربوبيته على ما مرَّ، وسيأتي بسطه في الكلام على عبادة الكواكب إن شاء الله(٣).

ومن البعيد أن يكون الملك يدَّعي الربوبية العظمى، أو أنه لا إله لرعيته إلا هو، ويكون رعيته كما سمعت.

فأما قوله: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ﴾ [البقرة: ٢٥٨] فليس بنصٍّ في دعوى الإحياء والإماتة مطلقًا، بل يحتمل أنه إنما ادَّعى الإحياء الذي هو تخلية مَن يستحقُّ القتل والإماتة التي هي القتل، ويعيِّن هذا الاحتمال أمور:

الأول: ما سمعت من ديانة قومه.

الثاني: قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، فقوله: ﴿أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] بيان لعلَّة محاجته لإبراهيم، والمُلْك إنما يكون علَّةً لدعوى القدرة على تركه قتلَ مَن استحقَّ القتل وقتلِه مَن أراد قتلَه.

الثالث: ما ورد في الآثار أنه برهن على دعواه بأنْ دعا رجلاً فقتله، ودعا آخر يستحقُّ القتل فأطلقه(٤)، ولو كان إنما فعل هذا لإثبات أنه الذي يحيي ويميت مطلقًا لأجابه إبراهيم

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٦٣٧-٦٤٢)، وانظر قريبا من معناه (٢/٤٦٢-٤٦٩).

(٢) جاء ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومجاهد وقتادة والربيع وابن وهب وابن إسحاق وزيد بن أسلم وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (٥/٤٣٠-٤٣١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/٤٩٨)، الدر المنثور للسيوطي (٣/٢٠٤).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٦٣٣، ٦٧١ وما بعدها)، وقد ذكر المؤلف -رحمه الله- ما يعضد قوله هذا من الأدلة وأقوال العلماء والبحاثين عن الآثار بما يستحق النظر والتأمل.

(٤) ورد ذلك عن قتادة ومجاهد وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم والسدي وعكرمة وغيرهم. انظر: تفسير =

عليه السلام بما يثبت أنَّ ما صنعه لا يدلُّ على دعواه، كأن يقول له: إن الإحياء يكون بالتوليد، والإماتة تكون بغير القتل، فإن كنت أنت فاعلَ ذلك فامنع رعيَّتك أنْ يُولد فيهم مولود وأن يموت منهم ميت شهرًا مثلاً، أو: أخبِرْنا كَمْ مولودًا وُلد وكَمْ ميتًا مات في مدينتك اليوم، وسمِّهم بأسمائهم ومواضعهم؛ فإنه لا يجوز أن تكون أنت فاعل ذلك وأنت تجهله، فكيف ترك إبراهيم عليه السلام هذا القبيل وانتقل إلى الشمس؟

فالذي يظهر لي أنَّ هذا الطاغية كلَّم الخليل عليه السلام في أن يطيعه، وقال له: إن أطعتني فأنا أطلقك، وإن أبيتَ قتلتُك، فأجابه الخليل عليه السلامِ بقوله: ﴿**رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ**﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، أي: إنك لا تقدر على قتلي ما لم يسلِّطك الله عليَّ، ولا على تركي حيًّا ما لم يكن الله عَزَّ وَجَلَّ يريد ذلك، فجحد الطاغية ذلك، كأنه يقول: إني طيلة ملكي أقتل من أريد وأطلق من أريد، ولا مانع يمنعني عما أريد من ذلك، وها أنا الآن أدعو هذا المستحق للقتل فأطلقه، وأدعو هذا الآخر فأقتله.

وليس هذا بدليل على إنكار الطاغية ربوبية الله عزَّ وجلَّ، بل يجوز أن يكون يزعم أن الله عَزَّ وَجَلَّ فوض أمر الرعيَّة إلى مَلِكهم يصنع فيهم ما أراد، فلم يكن للخليل عليه السلام في الجواب إلا طريقان:

الأولى: أن يدعو الله عَزَّ وَجَلَّ فيميت الذي أطلقه الطاغية فورًا ويحول بينه وبين الذي أراد قتله.

الطريق الثانية: أن يعدل إلى أمر لا تتناوله قدرة الخلق، ولعله إنما عدل عن الأولى لوجوه:

الأول: أنه يحتاج إلى إظهار خارق، وإنما يلجأ الأنبياء عليهم السلام إلى الخارق فيما لا يتيسر الاحتجاج عليه ببرهان عاديٍّ، كإثبات رسالتهم.

ومن الحكمة في ذلك: بُعد البراهين العادِّية عن الشبهة.

ومنها: أن استنباط الحجة أعظم أجرًا للأنبياء من حدوث الخارق.

ومنها: أن في المحاجة بالحجج العادية إرشادًا لأتباع الأنبياء ممن لا يظهر على يده الخارق، وغير ذلك.

= الطبري (٥/٤٣٣-٤٣٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٥/٤٣٣-٥٣٤).

الوجه الثاني: أن الغالب أن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أظهر الخارق لقومٍ فلم يؤمنوا عقَّبه بالعذاب، ولم يكن الخليل عليه السلام يريد تعجيل العذاب رجاء أن تفيد المطاولة في القوم أو بعضهم أو يخرج من أصلابهم من يؤمن.

الوجه الثالث: لعلَّ الخليل عليه السلام لم يكن حينئذ قد نُبِّئ، وإنما محاجته مع قومه ومع طاغيتهم بإيمانه الذي هداه له الله تعالى من طريق عقله ونظره، ويشهد لهذا قول قومه: ﴿**سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ۝٦٠**﴾ [الأنبياء:٦٠]، والفتى: الشاب[١]، وقد اشتهر أن الله عزَّ وجلَّ لم يبعث نبيًّا إلا بعد أربعين سنةً من عمره[٢].

بقي علينا أن نبين وجه دلالة عجزه عن الإتيان بالشمس من مغربها على أنه إنما يقتل ويطلق بإذن الله عزَّ وجلَّ، وأن الله عَزَّ وَجَلَّ قد يأذن له وقد يمنعه، فأستعين الله عَزَّ وَجَلَّ وأستهديه، ثم أقول: إن العاقل إذا تفكر في خلق الله تعالى الشمسَ جارية بمصالح عباده وأنشأ بها التغيرات الجوية والأرضية التي لها دخل عظيم في حياة الحيوان وطعامه وشرابه وتنفُّسه وغير ذلك مما لا يحصى، وبعضه يعرفه الناس جميعًا، ومن كان له إلمام بعلم الطبيعة كان علمه بذلك أوسع.

وقد كان لقوم إبراهيم عليه السلام معرفة بأحوال الشمس وغيرها من الكواكب؛ لأنهم كانوا يعبدونها، وعبادتها تدعو إلى تعرف شؤونها، وكذلك كانوا يستدلون بأحوالها على الحوادث الأرضية كما يدل عليه قوله عزَّ وجلَّ في إبراهيم: ﴿**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ۝٨٩**﴾ [الصافات:٨٨-٨٩]، أي: أوهمهم بأنه استدلَّ بأحوال النجوم على أنه سيسقم، وإنما يعني عليه السلام بهذا الخبر أنَّ كلَّ إنسان لا بدَّ أن يعتريَه السَّقَم، والله أعلم.

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٧٣-٤٧٤) (فتي)، تاج العروس للزبيدي (٣٩/٢٠٨) (فتي).

(٢) ذكر هذا كثير من أهل العلم ولم أجد له أصلا، وبعضهم استثنى عيسى ويحيى عليهما السلام، وذكر الألوسي هذه المسألة والاعتراضات عليها وأجاب عنها. انظر: تفسير الرازي (٢٨/٥)، منهاج السنة لابن تيمية (٧/٣٨٧)، تفسير البحر المحيط (٨/٦١)، تفسير ابن عادل الحنبلي (١٧/٣٩٥)، تفسير الألوسي (٢٦/١٨-١٩).

أقول: إذا تفكَّر العاقل في ذلك عَلم شدَّة عناية الله تعالى بالخلق، وإذا كان الأمر كذلك فكيف يدَعُهم مع ذلك هملاً يعمل فيهم بعضُهم ما يشاء في غير مصلحة يعلمها الله عَزَّ وَجَلَّ ويُقدِّرها؟ وأبعدُ من ذلك أن يدَع مَن يوحِّده فريسة لمن يشرك به بدون قضاء منه عزَّ وجلَّ لحكمة يعلمها.

فالإنسان الذي يزعم أنه يفعل في الخلق ما يشاء بدون قدَرٍ من الله تعالى ولا قضاء كأنه ينكر وجود الشمس وجَرْيَهَا في مصالح العباد، أو يزعم أنه هو الذي يجريها.

ومما يشبه هذا الاستدلال قولُ الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِى لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمۡ تُوقِنُونَ ٢**﴾[الرعد:٢].

قال أبو السعود(١): "فإنَّ مَن تدبَّرها حقَّ التدبُّر أيقن ... ، وأنَّ لهذه التدبيرات المتينة عواقبَ وغاياتٍ لا بدَّ من وصولها .... "(٢).

أقول: وإيضاحه والله أعلم: أنكم إذا تدبرتم هذه الآيات علمتم أنَّ الخالق الذي دبَّر العالم هذا التدبير لم يكن ليخلقكم عبثًا ولا ليدَعَكم سُدى. وإذا كان الأمر كذلك فلا بدَّ من البعث، كما قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥**﴾ [المؤمنون:١١٥]. قال أبو السعود: "فإنَّ خلقكم بغير بعثٍ من قَبيل العبث"(٣). وقال تعالى:﴿**أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦** ... **أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠**﴾ [القيامة: ٣٦ - ٤٠].وعلى هذا فإنما بُهت الذي كفر لقيام الحجة على عجزه عن قتل أحد

(١) هو محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر وشاعر، من علماء الترك المستعربين، ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء، له كتب منها (إرشاد العقل السليم) و (الأوقاف) وغيرها، مات سنة ٩٨٢هـ. انظر: شذرات الذهب لابن العماد (٣٩٨/٨)، الأعلام للزركلي (٥٩/٧).

(٢) كذا في المطبوع، وهذا النص كاملا من تفسير أبي السعود: (فإن من تدبرها حق التدبر أيقن أن من قدر على إبداع هذه الصنائع البديعة على كل شيء قدير وأن لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها). انظر: تفسير أبي السعود (٣/٥).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١٥٣/٦).

أو استحيائه بغير قضاء الله تعالى وقدَره، فأما الإتيان بالشمس من مغربها فإنه لم يدَّع القدرة عليه أصلاً، ولو كان يدَّعيه لأمكنه أن يعاند فيقول: لا أريد الإتيان بالشمس من المغرب؛ فإن ذلك منافٍ لحكمتي ومصالح رعيتي، وقد أقمت أنا الحجة على قدرتي على الإحياء والإماتة وأنت الجاحد لذلك، فأنت المطالَب بما يدفع حجتي، أو نحو ذلك، والله أعلم.

وهناك معانٍ أخر حُملت عليها القصَّة ليس فيها أقرب مما مرَّ(١).

وقد رُوي أن المحاجَّة كانت قبل إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار(٢)؛ فإن صحَّ فيكون الله عَزَّ وَجَلَّ جعل في ذلك برهانًا حسِّيًّا على تكذيب الطاغية في زعمه أنه هو الذي يطلق من أراد إطلاقه ويقتل مَن أراد قتله، والله تبارك وتعالى أعلم.

وعلى ما تقدَّم فلم يدَّع الطاغية الربوبية العظمى وإنما ادَّعى أن أمر رعيَّته مفوَّض إليه يصنع فيهم ما يشاء، لا يمنعه الله عزَّ وجلَّ عما يريده بهم، فيرجع النزاع إلى ضرب من النزاع في القدر، والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة:٢٦٠]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا علة سؤال إبراهيم عيه السلام ربه أن يرى إحياء الموتى، وذاكرا أقسام المدركات الأربعة:](٣)

(إن الخليل عليه السلام إنما سأل أن يرى الكيفيَّة ليطمئنَّ قلبه من الخواطر. وإيضاح ذلك أن المدركات على أربعة أضربٍ:

---

(١) وهو قول أكثر المفسرين كما قال البغوي. انظر: تفسير الطبري (٥/٤٣٣)، تفسير البغوي (١/٣٥١).

(٢) انظر:تفسير البغوي (١/٣٥١)، تفسير القمي النيسابوري (٢/٢٢)، تفسير أبي السعود (١/٢٥١).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/١٣٧-١٤١).

ما يدركه الإنسان بالحسِّ المحقَّق ويعرف له بالحسِّ نظائر ولو في الجملة، كأن ترى رجلاً في إحدى يديه أو في كلٍّ منهما إصبع زائدة، فهذا إذا رأيته رؤية محققة لم تَرْتَبْ في إدراكك إلا أن تكون سوفسطائيًا(١).

الثاني: ما يدركه بدليلٍ غير الحسِّ ويعرف له بالحسّ نظائرَ، كأن يتواتر عندك أن فلانًا الذي سمعت به في إحدى يديه أو في كل منهما أصبع زائدة، وهذا أيضًا تحصل به الطمأنينة.

الثالث: ما يدركه بالحس ولكن لا يَعرِف له نظيرًا، كأن ترى مشعوذًا أمامه إناء مغطًّى فيكشف الإناء فترى فيه ثلاثة عصافير ولا ترى فيه غيرها، ثم يعيد الغطاء، ثم يكشفه فلا ترى في الإناء إلا ثلاث بيضات. فإذ كنت لا تعرف نظيرًا لانقلاب العصفور بيضة تجد نفسك تشكك في إبصارك أعصافير في الإناء ولم تحقق النظر ثانيًا، أم بيضات فيه ولم تحقق النظر أولًا، أم ماذا؟

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾**﴾ [الحجرات: ١٤ - ١٥].

الرابع: ما تدركه بدليل غير الحس ولا تعرف له نظيرًا، كهذا المثال السابق لو لم تشاهد الواقعة. فمَن لم يشاهد المشعوذين ويَكْثُرْ سماعُه لقصصهم إذا أخبره جماعةٌ يحصل بخبرهم القطع عادة بهذه الواقعة لا يزال يجد نفسه كأنها تتردَّد في قبول خبرهم. وأوضح من هذا أن تفرض أنَّ إنسانًا ولد أعمى وعاش حتى كبر وأهله يتحامون أن يشعروه بأن الناس يبصرون فعاش لا يشعر بذلك البتة، ثم تعمِد أنت فتقول له: إني أبصر الأجسام البعيدة منِّي، فإنه يقول: ما معنى قولك أُبْصِرُ؟ أتريد أنك تلمسها أو تسمع حسَّها؟ ولنفرض أنك استطعت أخيرًا أن تُفْهِمه أنَّ الإبصار قوَّةٌ في العينين يدرك بها الأجسام من بُعْدٍ فيعرف قربها وبعدها وحجمها ويعرف أن ذاك فلان وذاك فلان، فإنه يقول: وما لي لا أدرك أنا؟ فتقول: لم تُخْلَقْ لك هذه القوة، فلا تجده يصدِّقك، فتقول له: فإذا جاء أحد فاسأله، فيجيء رجل فيسأله فيوافقك، ثم ثالث ورابع وخامس إلى أن يبلغ العدد مبلغًا يحصل بخبرهم القطع عادة، فإن

---

(١) فرقة تنكر الحِسِّيات والبديهيات، وتُعنى بالجدل والتَّلاعب بالألفاظ بقصد الإقناع. انظر: المعجم الوسيط لأحمد الزيات ومن معه (سفسط) (٤٣٣/١)، معجم اللغة العربية لأحمد مختار (سفسط) (١٠٧٢/٢).

الأعمى يصدِّقكم، ثم تنازعه نفسه فيتطلب نظيرًا للإبصار يعرف به كيفيته في الجملة، فلا يجد، فيكاد يرتاب في الخبر، ثم يقول: من المحال أن يتوارد هؤلاء كلُّهم على الكذب، ثم تنازعه نفسه ويتخيَّل كأنَّه مرتابٌ في الخبر. واعلم أنَّ صفات الله تبارك وتعالى وكثيرًا مما أخبر به الشرع من هذا القبيل. ومن ذلك حشر الأجساد، فالإنسان يعلم بأنَّ الجسم يبلى وتتفرق أجزاؤه شذر مذر، ثم يخبره الشرع بأن الله تعالى يعيد الأبدان بعد موتها وبلائها وتفرُّق ذراتها، ويوضح له ذلك بأن الله تعالى عالم بمواقع تلك الأجزاء المتفرقة وقادر على جمعها، فتتطلب نفسه مما تعرفه بالحس نظيرًا لذلك العلم وتلك القدرة فلا تجد، فأما المؤمن فإنه يوقن بصدق الخبر ولكنَّ نفسه قد لا تكفُّ عن نزاعها اشتياقًا إلى معرفة الكيفية، فإذا لم تجد نظيرًا عادت تنظر في الخبر فتجده قاطعًا فترجع إلى تطلُّب النظير وهكذا.فإذا أحسَّ الإنسان من نفسه بهذا خشي ألَّا يكون موقنًا، فالنفس تضطرب اشتياقًا إلى معرفة الكيفية، والقلب يضطرب خشية من ضعف اليقين، وقوة اليقين لا تدفع هذا الاضطراب بل تزيده؛ لأنه كلما قَوِيَ اليقين قويت الخشية فاشتدَّ الاضطراب. فهذه والله أعلم كانت حال الخليل عليه السلام، ففزع إلى ربه عزَّ وجلَّ أن يريه كيف يحيي الموتى فتسكن نفسه ويطمئن قلبه من ذلك الاضطراب المؤلم.وما حُكِيَ عن بعض الصِّدِّيقين من قوله: "لو كُشِفَ الغطاء ما ازددتُ يقينًا"[(١)]، إن صحَّ فلا إشكال فيه؛ إذ قد يُقال: إن الخليل عليه السلام لم يطلب زيادة اليقين ولا ازداد بالرؤية يقينًا وإنما سكنت نفسه واطمأن قلبه من ذلك الاضطراب الذي لا ينافي كمال اليقين بل يناسبه كما مرَّ، بل قد يكون في هذه المقالة دلالة على أن حال قائلها دون حال الخليل عليه السلام؛ لما قدَّمنا أن قوَّة اليقين تثمر قوَّة الخشية، وقريبٌ من هذا حال أبي بكرٍ مع النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في عريش بدر[(٢)]، وقد شرحتها في موضعٍ

---

(١) يروى عن علي رضي الله عنه ولا يصح، ونسبه أبو طالب المكي إلى عامر بن عبدالله بن عبدقيس. انظر: قوت القلوب لأبي طالب المكي (١٦٩/٢)، والمصنوع في معرفة الحديث الموضوع للقاري (ص:١٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم..، (٤١/٤) (ح: ٢٩١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ومسلم في صحيحه، في =

آخر[١].

وقد يقال: إن قائل تلك الكلمة أراد اليقين بوجود الله عزَّ وجلَّ، والخليل عليه السلام لم يَعْرِضْ لهذا؛ فإن قلبه مطمئن به غاية الطمأنينة، وإنما نظره في إحياء الموتى.وعلى كل حال فحال الخليل عليه السلام حال عالية، ولذلك قال نبينا صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "نحْن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى"[٢].فأما الخليل فقد أراه الله تعالى فاطمأن قلبه، وأما سائر المؤمنين فقد ضرب الله تعالى لهم أمثالًا محسوسة على جهة التقريب، كخلقهم أول مرة وإحياء الأرض بعد موتها.هذا في حشر الأجساد، وأما صفات الله عزَّ وجلَّ فإن الشارع أرشد إلى قطع التفكر، ففي الصحيحين: "يأتي الشيطانُ أَحَدَكُمْ، فيقول: من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته"[٣].وفي صحيح مسلم أن بعض الصحابة قالوا للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: أَوَ قد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان"[٤]).

= كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر..، (١٣٨٣/٣) (ح: ١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث)، (٢٧٨/٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قوله تعالى **(وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ..)**، (١٤٧/٤) (ح: ٣٣٧٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، (١٣٣/١) (ح: ١٥١) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، (١٢٣/٤) (ح: ٣٢٧٦)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: في الوسوسة..، (١١٩/١) (ح: ١٣٤) كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: في الوسوسة..، (١١٩/١) (ح: ١٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿۞قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمۡ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَابٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلۡكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٞ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢٦٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٢٦٧ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة ٢٦٣-٢٦٨].

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مفسرا الآيات تفسيرا مجملا:](١)

﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾ [البقرة:٢٦٣].

فيه الإرشاد إلى العفو عن المستعطي إذا ألحَّ في المسألة وآذى المسؤول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة:٢٦٤](٢).

المقصود من المثَل – والله أعلم –: أنَّ مال المانِّ والمؤذي ومال المرابي يَتْلَف بالإنفاق بدون عِوَض.

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٢٤/١١-١٣).

(٢) (كتب المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَذَىٰ﴾ وأكملنا الآية ليعرف مقصود المؤلف) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة:٢٦٥][1].

المقصود من المثل – والله أعلم –: أنَّ مال المتصدِّق لوجه الله تعالى ولا يُتبع صدقتَه بمنٍّ ولا أذى = لا يَنفَدُ، بل يُعوِّضه الله عَزَّ وَجَلَّ مضاعفًا، وهذه الآية مصداق الحديث: "ما نقصت صدقةٌ من مال"[2]. وعلى هذا سمّيت الزكاةُ زكاةً.

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْۗ ...﴾ [البقرة:٢٦٦].

المقصود بالمثَل – والله أعلم – بيان حال الذي يتصدّق لوجه الله تعالى فيستحق الثواب، ثم يفسده بالمنِّ والأذى، فالثواب هو الجنَّة، والمنُّ والأذى هو الإعصار.

وقد يُستدل بقوله: ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ إلى أنَّ عمل الوالد الصالح ينفع ذُرِّيته – والله أعلم – تدبَّرْ.

﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِۚ..﴾ [البقرة:٢٦٧].فيه إشارة إلى أنَّ المتصدِّق غير متبرعٍّ، بل هو طالب عِوَض وأجر، وأنَّ المتصدَّق عليه آخذ بحقٍّ، أي إذا كان مستحقًّا للصدقة. والله أعلم.

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًاۗ ...﴾ [البقرة:٢٦٨].كأن في الآية احتباكُ[3]؛ كأنه قال: الشيطان يوسوس لكم بعدم المغفرة من الله تعالى بأن يقنِّطكم، ويعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء؛ والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً،

(١) (كتب المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿أَمْوَٰلَهُمُ﴾ وأكملنا الآية ليعرف المثل المضروب) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: استحباب العفو والتواضع، (٢٠٠١/٤) (ح: ٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) (كذا في الأصل، والوجه النصب. والاحتباك هو: أن يُحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني، ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٢/٢٤).

ويأمركم بالعدل والإحسان.

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:][١] (أما قوله تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، فهذه الآية في الإنفاق كما يبينه السياق، يقول الله تعالى: إن الشيطان يَعِدُكم يا معشر الأغنياء بالفقر لئلَّا تنفقوا في سبيل الله، ويأمركم بالفحشاء من البخل وغيره، والله يَعِدُكم جزاء إنفاقكم في سبيله مغفرةً منه وفضلًا.وما روي من الحديث - إن صح - فهو قريب من هذا، فلَمَّة الشيطان إيعاد بالفقر لمريد الصدقة، وبالقتل لمريد الجهاد، ولَمَّة المِلك إيعاد بالجزاء في الدنيا والآخرة[٢]).

۞ ۞ ۞

﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ٢٧٣﴾ [البقرة:٢٧٣]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا صفة المتعففين عن الصدقة:][٣]

(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿...يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة:٢٧٣].

دلّ سياق الآية على أنّهم لا يسألون البتة، ومفهوم قوله: ﴿لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾ [البقرة:٢٧٣] أنّهم يسألون، ولكنّهم لا يُلْحِفون.

أجاب الزمخشري: بأنّ النّفي هنا متوجّه إلى المقيّد، كما في قول الشاعر[٤]:

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث) (٣٨١/٤).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى، في كتاب: البقرة، باب: قوله تعالى [الشيطان يعدكم الفقر..]، (٣٧/١٠) (ح: ١٠٩٨٥)، وابن حبان في صحيحه، في كتاب: الأدعية، باب: ذكر الخبر المدحض..، (٢٧٨/٣) (ح: ٩٩٧)، وتكلم محققه في سنده، كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (١٣/٢٤-١٥).

(٤) وهو امرئ القيس. انظر: ديوانه (ص: ٩٦).

* على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره *

أي: ليس له منار فيهتدى به[١].

وعندي في هذا الجواب والاستشهاد نظر، وهو قول الشاعر: "لا يهتدى بمناره"، وما شابهه في كلام الفصحاء إنّما يجيء إذا كان هناك ملازمة. من اللازم ...

وهذا ...[٢].

ذو الرمّة[٣]:

لا تُشتكى رقصة منها وقد رقصت بها المفاوزُ حتى ظهرُها حَدِبُ[٤]

قول امرئ القيس[٥]:

على لاحبٍ لا يُهتدَى بمناره إذا سافَهُ العَودُ الدِّيافيُّ جَرْجَرا[٦]

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري (٣١٨/١).

(٢) (لم يكمل الشيخُ الكلام وترك نصف الصفحة بياضًا، ثم وجدنا في آخر ورقة في المجموع بقية الكلام المتعلق بالمسألة، من قوله: "ذو الرمة ... " ثم الاعتراض والجواب. وهما منقولان من تفسير الآلوسي "روح المعاني": (٣/ ٤٧)) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (١٣/٢٤).

(٣) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، قيل: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذي الرمة، وكان شديد القصر، دميما، أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، وكان مقيما بالبادية، مات سنة ١١٧هـ. انظر: الأغاني لأبي الفرج (٥/١٨)، الأعلام للزركلي (١٢٤/٥).

(٤) انظر: ديوانه (٤٤/١).

(٥) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الإطلاق، يماني الأصل، مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن، أشتهر بلقبه، واختلف في اسمه، فقيل حندج وقيل غير ذلك، مات سنة ٨٠ ق.هـ. انظر: الأغاني لأبي الفرج (٩٣/٩)، الأعلام للزركلي (١١/٢).

(٦) انظر: ديوانه (ص: ٩٦).

الآخر في وصف مفازة:

لا تُفــــرِخُ الأرنــــبَ أهوالُهــــا ولا تــرى الضــبَّ بهــا يَنْجَحِــرْ[(١)]

الأعشى[(٢)]:

لم تَعطَّــف علــى حُــوارٍ ولم يَقْــ ــطع عُبَيــدٌ عروقَهــا مِــن خُمــالِ[(٣)]

الأعشى:

لا يغمزُ الساقَ من أَيْنٍ ومن وصبٍ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفه الصَّفَر[(٤)]

واعترض بأنّ هذا إنّما يحسن إذا كان القيد لازمًا للمقيَّد أو كاللازم حتى يلزم من نفيه نفيُه بطريق برهاني، وههنا ليس كذلك؛ إذ الإلحاف ليس لازمًا للسؤال، ولا كلازمه.وأجيب بأنّ هذا مسلَّم إن لم يكن في الكلام ما يقتضيه، وهو كذلك هنا؛ لأنّ التعفّف حتى يُظَنُّوا أغنياء يقتضي عدم السؤال رأسًا. وأيضًا ﴿**تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ**﴾ [البقرة:٢٧٣] مؤيد لذلك.وقيل: المراد أنّهم لا يسألون، فإن سألوا عن ضرورة لم يلحّوا[(٥)].ومن النّاس من يجعل المنصوب مفعولاً مطلقًا للنفي، أي: يتركون السؤال إلحافًا، أي مُلْحفين في الترك[(٦)]. وهو كما ترى).

۞ ۞ ۞

---

(١) البيت لعمرو بن أحمر الباهلي، لكن الذي وقفت عليه بلفظ (لا تُفزِع...). انظر: ديوان عمر بن أحمر الباهلي (ص: ٦٧)، المنتخب من كلام العرب لعلي الهنائي الأزدي (١/٦٥٧).

(٢) هو عامر بن الحارث بن رياح الباهلي، من همدان: شاعر جاهلي، يكنى (أبا قحفان) أشهر شعره رائية له، في رثاء أخيه لأمه (المنتشر بن وهب) أوردها البغدادي برمتها. وقيل: اسمه عمر. انظر: خزانة الأدب للبغدادي (١/١٩٢)، الأعلام للزركلي (٣/٢٥٠).

(٣) انظر: ديوانه (ص: ٥).

(٤) انظر: الأصمعيات للأصمعي (ص: ٩٠).

(٥) وهو قول الزمخشري، ورد عليه الطاهر بن عاشور وضعف قوله. انظر: تفسير الزمخشري (١/٣١٨)، تفسير الطاهر بن عاشور (٣/٧٦).

(٦) انظر: تفسير أبي حيان (٢/٣٤٤)، تفسير الطاهر بن عاشور (٣/٧٦).

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٥-٧٩] .

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا حقيقة معنى الربا لغة وشرعا:](١)

(قد سلك الجصاص في كتاب "أحكام القرآن" في الاحتجاج للإجمال مسلكا أدق مما تقدم، فقال: "والربا الذي كانت العرب تعرفه وتفعله إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض على ما يتراضون به. ولم يكونوا يعرفون البيع بالنقد إذا كان متفاضلا من جنس واحد. هذا كان المتعارف المشهور بينهم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الروم: ٣٩]،فأخبر أن تلك الزيادة المشروطة إنما كانت ربا في المال العين، لأنه لا عوض لها من جهة المقرض. وقال تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، فأبطل الله تعالى الربا الذي كانوا يتعاملون به، وأبطل ضروبا من البياعات سماها ربا، فانتظم قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥] تحريم جميعها لشمول الاسم عليها من طريق الشرع"(٢). (ج ١ ص ٤٦٥).

وحاصله: أن العرب لم تكن تعرف للربا معنى إلا القرض إلى أجل بشرط زيادة(٣). وقد بين النبي - صلى الله عليه وسلم - في بياعات أخرى أنها ربا(٤)، فعلم أن الربا في عرف

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٨/٣٩٧-٤٠٦).

(٢) انظر: أحكام القرآن للجصاص (٢/١٨٤).

(٣) انظر: الاستذكار لابن عبدالبر (٦/٤٨٩)، تفسير القرطبي (٣/٣٥٦).

(٤) هناك أحاديث كثيرة تدل على هذا، منها ما ورد عند مسلم، في كتاب: المساقاة، باب: باب =

الشرع أعم منه في عرف أهل اللغة، فثبت النقل والإجمال.

والجواب: أن هذا الاستدلال لا يتم إلا بمقدمتين:

الأولى: أن لفظ الربا لغةً أو عرفاً سابقاً نزول القرآن لا يعم البياعات التي نصت السنة أنها ربا.

الثاني[١]: أن تكون السنة نصت على ما يعلم منه أن تلك البياعات يتناولها لفظ الربا في القرآن بعموم لفظه.

فأما المقدمة الأولى، فقد ادعى الجصاص -كما تقدم ونقله صاحب الاستفتاء[٢] - أن الربا الذي كان متعارفا بين العرب "إنما كان قرض الدراهم والدنانير إلى أجل بزيادة على مقدار ما استقرض").

أقول: سواءٌ علينا أَعَرفنا ربا الجاهلية أم لم نعرفه، ينبغي لنا تحقيق الربا في اللغة، فإنه على فرض معرفة ربا الجاهلية لا يخرج عن كونه هو الربا اللغوي بجميع أنواعه أو ببعض أنواعه. فإن كان بجميع أنواعه فلا كلام، وإن كان ببعض أنواعه - ولفظ الربا في القرآن يعمُّها وغيرَها - فلا وجه لتخصيصه بالنوع الذي كان المشركون يستعملونه، لما تقرَّر في الأصول أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب[٣]. ونظير هذا لفظ "الخنزير" حُرِّم لحمه في القرآن، فلو وُجد بأمريكا ضربٌ من الخنازير مخالف في الصورة لِما كان موجودًا منها في أرض العرب

= الصرف..، (ح: ١٥٨٧) عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، سواء بسواء، يدا بيد، فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد، وما ورد عند مسلم أيضا في كتاب: المساقاة، باب: باب الصرف..، (ح: ١٥٨٨) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل، والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل، فمن زاد أو استزاد فهو ربا.

(١) (كذا في الأصل بالتذكير) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٣٩٨/١٨).

(٢) وهو كتاب لأحد الفضلاء كما وصفه المعلمي من علماء الهند ولم أقف على اسمه. انظر: آثار المعلمي (٢٧٧/١٨).

(٣) انظر: المحصول للرازي (٧٧/٤)، البحر المحيط للزركشي (٣٥٢/٢).

لكان مما يشمله عموم القرآن اتفاقًا. وهكذا ما ورد من الأحكام الشرعية في "الإبل" يعمُّ إبلَ إفريقية التي يكون للبعير منها سنامان وإن لم يكن ذلك في أرض العرب. وأمثلة هذا أكثر من أن تحصى.

الربا في اللغة:

أكثر أهل اللغة ومن حكى عنها من المفسرين والفقهاء وغيرهم يقولون: الربا: الزيادة. وقيده الراغب فقال: "الزيادة على رأس المال، لكن خص في الشريعة بالزيادة على وجه دون وجه"(١).

وزاد الثعلبي(٢) قيدا فقال - كما نقله النووي في "تهذيب الأسماء واللغات" -: "الربا زيادة على أصل المال من غير بيع"(٣). والظاهر أن هذا تفسير لغوي، ولكن النووي نقل عن الواحدي(٤) قال: "الربا في اللغة الزيادة ... قال: والربا في الشرع اسم للزيادة على أصل المال من غير بيع"(٥).

وفي "اللسان": "ربا الشيء يربو ربوا ورباء: زاد ونما. وأربيته: نميته. وفي التنزيل العزيز: ﴿**وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ**﴾ [البقرة: ٢٧٦]، ومنه أخذ الربا الحرام. قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ**﴾ [الروم: ٣٩]. قال أبو إسحاق(٦): يعني به دفع

---

(١) انظر: مفردات الراغب (ص: ٣٤٠).

(٢) هو أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي، النيسابوري (أبو اسحاق) مفسر، مقرئ، واعظ، أديب، له من الكتب: (الكشف والبيان)و (العرائس في قصص الأنبياء)، مات سنة ٤٢٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٣٦/١٧)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٢٣٨/١).

(٣) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١١٧/٣).

(٤) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متوية، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعته الذهبي بإمام علماء التأويل، كان من أولاد التجار، مولده ووفاته بنيسابور، له من الكتب: (البسيط) و (الوسيط) وغيرها، مات سنة ٤٦٨هـ. انظر: السير للذهبي (٣٣٩/١٨)، الأعلام للزركلي (٢٥٥/٤).

(٥) انظر: المرجع نفسه (١١٨/٣).

(٦) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ومات في بغداد، له =

الإنسان الشيء ليعوض به ما هو أكثر منه، وذلك في أكثر التفسير ليس بحرام، ولكن لا ثواب لمن زاد على ما أخذ. قال: والربا ربوان: فالحرام كل قرض يؤخذ به أكثر منه أو تجر به منفعة، فحرام. والذي ليس بحرام أن يهبه الإنسان يستدعي به ما هو أكثر، أو يهدي الهدية ليهدى له ما هو أكثر منها[١]. قال الفراء[٢]: ... فمن قرأ: ﴿لِّتَرْبُواْ﴾ فالفعل للقوم الذين خوطبوا[٣] ... ومن قرأها: ﴿لِّيَرْبُوَاْ﴾[٤] فمعناه: ليربو ما أعطيتم من شيء لتأخذوا أكثر منه، فذلك ربوه"[٥].

أقول: والعرب لا يزالون إلى الآن يطلقون الربا على الزيادة المشروطة في القرض. ولو سألت أحدهم عن الربا لفسره لك بذلك، ولو سألته عن هذه المعاملة ما اسمها؟ لقال لك: هذا الربا. غير أن أهل مصر ونحوها لما حاولوا استحلال الربا سموه بغير اسمه فقالوا: "الفائض"، وربما يسميه بعضهم "فائدة"، ومع ذلك لو سألت عامتهم عن الربا لفسروه لك هذا التفسير المعروف عند غيرهم من العرب.

فإن قلت: العوام من العرب قد تغيرت لغتهم.

قلت: إنما تغيرت بتحريف بعض الكلمات أو دخول كلمات أعجمية. فأما الكلمات العربية التي لا يزالون يتكلمون بها فلا تكاد كلمة منها قد عم استعمالها في غير وضعها

= من الكتب: (معاني القرآن) و (الاشتقاق) وغيرها، مات سنة ٣١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)، الأعلام للزركلي (٤٠/١).

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٨٧/٤).

(٢) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الادب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو. مات سنة ٢٠٧هـ. انظر: السير للذهبي (١١٨/١٠)، الأعلام للزركلي (١٤٥/٨).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٣١٣/٢).

(٤) كل القراء السبعة قرؤوا ﴿لِّيَرْبُوَاْ﴾ بالياء مفتوحة الواو، غير نافع فإنه قرأ ﴿لِّتَربُواْ﴾ بضم التاء ساكنة الواو. انظر: السبعة لابن مجاهد (ص: ٥٠٧)، التيسير للداني (ص: ١١٥).

(٥) انظر: لسان العرب لابن منظور (٣٠٤/١٤) (ربا).

الأصلي. وعلى طريق الاستصحاب المقلوب(1) المعروف في الأصول نقول: الظاهر أن المعنى التي يستعمل فيه العرب الآن كلمة الربا هو المعنى التي كان أجدادهم يستعملونها فيه قبل الإسلام. ومما يؤيد ذلك أن ألفاظ المعاملات الأخرى كالبيع والإجارة والهبة وغيرها لا يزال العرب يستعملونها في معانيها العربية الصحيحة. ثم تدبرنا القرآن فوجدنا فيه الدلالة على أن الربا المذكور فيه هو زيادة يستزيدها الإنسان من صاحبه على رأس المال الذي دفعه إليه من غير بيع ولا أخذ عوض يدا بيد. فإن قلنا: إن الربا في اللغة موافق لذلك على ما يظهر من بعض الأقوال السابقة فلا كلام، وإن قلنا: إن الربا في اللغة أعم من ذلك كأن يكون هو الزيادة مطلقا فالدلائل القرآنية تكون مخصصة لعموم لفظ الربا، ولا يلزم من ذلك نقل ولا إجمال، وإلا لزم أن يكون كل عام مخصوص منقولا [أو] مجملا، وقد تقدم بطلانه. ولو ثبت النقل لم يلزمه الإجمال، بل يقال: الربا في القرآن مبين فيه، وهو زيادة يستزيدها الإنسان ... إلخ. بيان ذلك:قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٨٠﴾[البقرة: ٢٧٤ - ٢٨٠]. فقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾[البقرة:٢٧٥] ظاهر في أن الربا معاملة غير

(1) (هو استصحاب الحاضر في الماضي) قاله تاج الدين السبكي، وقال العراقي في تقريره (أن يقال: لو لم يكن الحكم الثابت الآن ثابتا أمس لكان غير ثابت، إذ لا واسطة، وإذا كان غير ثابت أمس اقتضى الاستصحاب أنه الآن غير ثابت لكنه ثابت الآن فدل على أنه كان ثابتا أمس أيضا، والله أعلم). انظر: الأشباه والنظائر للسبكي (٥١/١)، الغيث الهامع لأبي زرعة العراقي (ص:٦٤٣-٦٤٤).

البيع. وقوله: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة:٢٧٦] ظاهر في أن الربا زيادة صورية في المال، كما أن الصدقة نقص صوري في المال. وقوله: ﴿وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ [البقرة:٢٧٨] ظاهر في أن تلك الزيادة تتأخر عن عقد المعاملة، ويبقى المربي يطالب بها معامله. وقوله: ﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾[البقرة:٢٧٩] صريح في أن تلك الزيادة هي زيادة على رأس المال يستزيدها المربي من معامله، وأن من شأن تلك المعاملة أن يتأخر رأس المال عند المطلوب، ويبقى المعطي يطالب به وبالزيادة. وإذ قد تقرر أن في القرآن الدلالة على أن الربا هو زيادة يستزيدها الإنسان من صاحبه على رأس المال الذي دفعه إليه من غير بيع ولا عوض

يدا بيد، فلننظر فيما دلت السنة على أنه ربا. فأشهر ذلك حديث "الصحيحين"عن عمر مرفوعا: "الورق بالذهب ربا إلا هاء وهاء، والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء، والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء، والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء"[(١)]. ("صحيح مسلم" ج ٥ ص ٤٣). وحديثهما عن عبادة[(٢)]: "سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ينهى عن بيع الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح إلا سواء بسواء، عينا بعين، فمن زاد أو ازداد فقد أربى"[(٣)]. ("صحيح مسلم" ج ٥ ص ٤٣). ونحوه حديث أبي سعيد الخدري، وفي آخره: "مثلا بمثل، يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى، الآخذ والمعطي فيه سواء"[(٤)]. ("صحيح مسلم" ج ٥ ص ٤٤). ونحوه حديث أبي هريرة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: البيوع، باب: ما يذكر في بيع الطعام والحكرة، (٦٨/٣) (٢١٣٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا (١٢٠٩/٣).

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد: صحابي، من الموصوفين بالورع، شهد العقبة، وبدرا وسائر المشاهد، ثم حضر فتح مصر، وهو أول من ولي القضاء بفلسطين، وكان من سادات الصحابة رضي الله عنهم، مات سنة ٣٤هـ. انظر: السير للذهبي (٥/٢)، الأعلام للزركلي (٢٥٨/٣).

(٣) هذا الحديث –فيما اطلعت عليه– عند مسلم أخرجه في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا (١٢١٠/٣) (ح: ١٥٨٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: الربا، (١٢٠٩/٣) (ح: ١٥٨٤).

وفيه: "مثلا بمثل يدا بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى"[١] (أيضا). وحديث البراء بن عازب[٢] وزيد بن أرقم[٣] في بيع الورق بالذهب نسيئة، وفيه مرفوعا: "ما كان يدا بيد فلا بأس، وما كان نسيئة فهو ربا"[٤] ("صحيح مسلم" [ج ٥ ص] ٤٥). وحديث أبي سعيد: "جاء بلال[٥] بتمر برني، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من أين هذا؟ " فقال بلال: تمر كان عندنا رديء فبعت منه صاعين بصاع لمطعم النبي – صلى الله عليه وسلم –. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عند ذلك: "أوه، عين الربا ... "[٦] ("صحيح مسلم" ج ٥ ص ٤٨).

فالجصاص يقول: دلت هذه الأحاديث أن الربا يكون في البيع، ولم تكن العرب تعرف

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقدا، (١٢١١/٣) (ح: ١٥٨٨).

(٢) هو البراء بن عازب بن الحارث الخزرجي، أبو عمارة،أسلم صغيرا وغزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة غزوة، أولها غزوة الخندق، ولما ولي عثمان الخلافة جعله أميرا على الري، مات سنة ٧١هـ . انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣٦٢/١)، الأعلام للزركلي (٤٦/٢).

(٣) هو زيد بن أرقم الخررجي الأنصاري: صحابي، غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة، له في كتب الحديث ٧٠ حديثا، مات سنة ٦٨هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣٤٢/٢)، الأعلام للزركلي (٥٦/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: مناقب الأنصار، باب، (٧٠/٥) (ح: ٣٩٣٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: النهي عن بيع الورق بالذهب دينا، (١٢١٢/٣) (ح:١٥٨٩).

(٥) هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله: مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت ماله، أحد السابقين للإسلام، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم،مات سنة ٢٠هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٤١٥/١)، الأعلام (٧٣/٢).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوكالة، باب: إذا باع الوكيل شيئا فاسدا فبيعه مردود، (١٠١/٣) (ح: ٢٣١٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: بيع الطعام مثلا بمثل، (١٢١٥/٣) (ح: ١٥٩٤).

ذلك. وفيها أن بيع واحد من الستة بجنسه متفاضلا نقدا ربا، ولم تكن العرب تعرف ذلك. فدل هذا أن لفظ الربا قد نقل عن معناه اللغوي إلى معنى شرعي، فيكون في القرآن مجملا تبينه السنة.

والجواب أنه كما أن هذا ليس من الربا اللغوي فليس من الربا في القرآن، لما قدمنا أن سياق القرآن يدل أن الربا الذي ذكره غير البيع، وأنه إنما يكون في النسيئة وإذا كان الأمر هكذا فلا يمكن أن تكون هذه الأحاديث بيانا للربا الذي في القرآن، بل الصواب ما نحا إليه الطحاوي وغيره، وحاصله - مع إيضاح وتكميل - أن ما حرمه النبي - صلى الله عليه وسلم - من البيوع وسماه ربا، منه ما هو في معنى الربا كبيع الشيء بأزيد منه من جنسه نسيئة، إذ لا فرق بينه وبين الربا المذكور في القرآن إلا لفظ البيع؛ ومجرد اختلاف اللفقظ يغير الحكم، وإلا لفسدت السماوات والأرض. وكذا بيع الذهب بالفضة [نسيئة] على ما ظهر لي.

ومنها ما أراد بتسميته ربا أنه كالربا على ما تقدم إيضاحه في القسم الأول).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا أهمية الإمتثال وإن لم تعلم الحكمة:](١)

(قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

هؤلاء القوم رأوا أن البيع والربا شبيهان، في كلٍّ منهما أخذ زيادة على رأس المال؛ فرأوا أن أخذ الزيادة إما أن يحرم في الموضعين، وإما أن يحلَّ فيهما، وهذا هو القياس، فردَّ الله عزَّ وجلَّ عليهم بأنَّ من الفرق بينهما أن الله تعالى أحلَّ أحدهما وحرَّم الآخر، أي فإن كانوا عَبِيدَه فليطيعوه ويكتفوا بذلك. وليس في هذا نفيُ أن يكون هناك فرقٌ آخر، وإنما فيه أن فريضةَ العبد طاعةُ ربه، وإن لم يفهم الحكمة.)

۞ ۞ ۞

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٣٠٩).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾﴾ [البقرة:٢٨٢]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– في الرد على بعض المتصوفة في حجية الإلهام:](١)

(قوله تعالى:﴿**وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ**﴾ [البقرة: ٢٨٢] فلا يتأتّى الاستدلال بها إلّا على تقدير معيَّة الواو، وهو غير متعيّن(٢)، ولو سُلِّم فالتعليم في هذه الآية هو بمعنى الفرقان والمخرج في الأوليين(٣)، والله أعلم(٤).)

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث) (٤/٣٧٧-٣٧٨).

(٢) انظر: تفسير أبي حيان (٢/٣٧٠)، تفسير السمين الحلبي (١/٦٦٠)، ورجحا أن الجملة مستأنفة.

(٣) وهو ما ذكره بقوله: (**(إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا)** [الأنفال: ٢٩]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾**) [الطلاق: ٢]، فليس فيهما أن الفرقان والمخرج هو إلهامُ نفسِ الحكم أو الدليل بطريق غيرِ عادية. وعليه فالحقُّ أن الفرقان والمخرج هو في حقِّ المجتهد أن يجعل الله تعالى في قلبه باعثًا على طلب الحق، وييسّر له النظر في الحجج الظاهرة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله بالطريق العادية، ويثبّته تعالى حتى لا يُقصِّر ولا يتّبع الهوى، بل يؤدّي ما وجب عليه، بحيث يكون مُصيبًا مأجورًا أجرين، أو مخطئًا معذورًا، مأجورًا أجرًا واحدًا). انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث) (٤/٣٧٥).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (٣/٤٠٦)، تفسير الطاهر بن عاشور (٣/١١٨).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا بعض أحكام الدين:](١)

(قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ﴾ [البقرة:٢٨٢].

يؤخذ منها وجوب الكتابة بدون أجرةٍ في بعض الأحوال(٢) والله أعلم).

۞ ۞ ۞

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [سورة البقرة ٢٨٥-٢٨٦].

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا عموم آية ﴿لَا يُكَلِّفُ..﴾ والرد على من خصصها وبيان معنى الوسع:](٣)

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (١٥/٢٤).

(٢) اختلف أهل العلم في وجوب الكتابة على الكاتب إذا استكتب ذلك:

القول الأول: الوجوب مطلقا، وهو قول مجاهد وعطاء واختاره الطبري.

القول الثاني: أن وجوب الكتابة منسوخة بآخر الآية بقوله ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ ﴾، وهو قول الضحاك، واستبعده القرطبي والطاهر بن عاشور.

القول الثالث: الوجوب على الكاتب حال فراغه، وهو قول السدي.

القول الرابع: واجب على الكفاية على من يعرف الكتابة من أهل مكان المتداينين، وإنه يتعين بتعيين طالب التوثق، واستحسنه الطاهر بن عاشور.

انظر: تفسير الطبري (٥١/٦-٥٣)، تفسير القرطبي (٣٨٣/٣-٣٨٤)، تفسير الطاهر بن عاشور (١٠١/٣-١٠٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (١٦٤/٢-١٩٦).

(قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [خواتيم البقرة]، ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ﴾ [الأنعام: ١٥٢، والأعراف: ٤٢، والمؤمنون: ٦٢]، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧].

قال المحقِّق الشاطبيُّ[١]: "قد ثبت في الأصول العلميَّة أن كلَّ قاعدةٍ كلِّيَّةٍ أو دليلٍ شرعيٍّ كلِّيٍّ إذا تكرَّرت في مواضع كثيرةٍ وأُتِيَ بها شواهدَ على معانٍ أصوليَّةٍ أو فروعيَّةٍ ولم يقترن بها تقييدٌ ولا تخصيصٌ مع تكرُّرِها وإعادة تقرُّرها فذلك دليلٌ على بقائها على مقتضى لفظها من العموم ... "[٢]. ويظهر من كلام ابن جرير في بعض المواضع محاولة تخصيصها، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٨، والفرقان: ٩] [٣]. أقول: في قوله: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ أوجهٌ:

أحدها: ما أشار إليه[٤].

الثاني: ما اختاره في آية الفرقان، قال: "يقول: فلا يجدون سبيلًا إلى الحقَّ إلاَّ فيما بعثتك

---

(١) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، له من الكتب: (الموافقات)، و (المجالس) وغيرها. مات سنة ٧٩٠هـ. انظر: نيل الابتهاج لأحمد بابا بن أحمد (٤٨/١)، الأعلام للزركلي (٧٥/١).

(٢) انظر: الاعتصام للشاطبي (١٨٧/١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٤٥/٥).

(٤) لعله أراد ما ذكره الطبري بقوله: (فمعنى قوله:"لا تكلف نفس إلا وسعها"، هو ما وصفت: من أنها لا تكلف إلا ما يتسع لها بذل ما كلفت بذله، فلا يضيق عليها ولا يجهدها= لا ما ظنه جهلة أهل القدر من أن معناه: لا تكلف نفس إلا ما قد أعطيت عليه القدرة من الطاعات. لأن ذلك لو كان كما زعمت، لكان قوله تعالى ذكره: (ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾) [سورة الإسراء: ٤٨ وسورة الفرقان: ٩]، إذا كان دالا على أنهم غير مستطيعي السبيل إلى ما كلفوه= واجبا أن يكون القوم في حال واحدة، قد أعطوا الاستطاعة على ما منعوها عليه. وذلك من قائله إن قاله، إحالة في كلامه، ودعوى باطل لا يخيل بطوله. وإذ كان بينا فساد هذا القول ، فمعلوم أن الذي أخبر تعالى ذكره أنه كلف النفوس من وسعها، غير الذي أخبر أنه كلفها مما لا تستطيع إليه السبيل). انظر: المصدر نفسه.

به"، وروى نحوه عن ابن عبَّاسٍ[١].

الثالث: فلا يستطيعون سبيلًا إلى ما حاولوه من الطعن في نُبُوَّتك. والسياق يقتضيه، وفي آثار السلف ما يوافقه.

فعلى الوجهين الأخيرين لا كلام، وأما على الأوَّل فالآية كما يدلُّ عليه السياق والآثار إنما وردت في أفرادٍ عاندوا وتمرَّدوا فختم الله على قلوبهم[٢]، وسيأتي الكلام على ذلك.

وقد تقدَّم في الأصل الأول[٣] عن ابن جرير تأويله قولَه تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْۗ﴾ [هود: ١١٩]، ما ينفي قول الجبرية[٤][٥]، وتقدَّم هناك[٦] ما رواه عن السُّدِّيّ في تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٨٩]، وفيه: "فالله لا يشاء الشرك"[٧].

وقد تقدَّم في الأصل الأوَّل حكمة الخلق بما عُلِمَ به يقينًا أن الله تعالى لم يخلق الخلق عبثًا، ولا ليُعْنِتَهُم[٨]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ۝١٠٨﴾ [آل عمران: ١٠٨]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝٣١﴾ [غافر: ٣١]، في آياتٍ كثيرةٍ ينفي الله تبارك وتعالى عن نفسه الظلم. وقد تقدَّم في هذا الأصل كمال عدل الله سبحانه حتى إنه يوم القيامة لا يحكم بمجرد علمه، وفي الحديث القدسي: "يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم ... " إلى أن قال: "يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفِّيكم إيَّاها، فمن وجد خيرًا فليحمد الله ومن

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٢٤١/١٩).

(٢) كما أتى عن مجاهد أنها ورد في الوليد بن مغيرة وأصحابه. انظر: المصدر نفسه (٤٦٢/١٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٦٣/١).

(٤) هم يعتقدون بنفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٨٤/١).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥٣١/١٥ ومابعدها).

(٦) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٦١/١).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٥٦٣/١٥).

(٨) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٥٧/١ وما بعدها).

وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه"[١].

واختلف الناس في معنى الظلم الذي ينفيه الله تبارك وتعالى عن نفسه، فقال الجبريَّة ومَن تابعهم: هو "أن يتصرَّف في غير ملكه"[٢]. قال عبد الرحمن: مَن نظر إلى كثرة الآيات في القرآن وتدبَّرها اتَّضح له بطلان هذا التفسير، وعليك أن تعتبر ذلك بأن تجعل التفسير مكان المفسَّر في الآيات كأن تجعل مكان قوله في الآيتين السابقتين "ظلمًا" قولك:

"تصرفًا في غير ملكه" وانظر كيف يصير الكلام، وراجع ما قدَّمناه في كمال عدل الله تعالى يوم القيامة. وقال غيرهم: هو: "أن ينقص عبده من حاقِّ ثوابه أو يعذبه بغير ذنب"[٣]، قالوا: وما يُشَاهَدُ في الدنيا من إيلام الأطفال والمعتوهين والبهائم، فكل ذلك مطابق لحكمة الله عزَّ وجلَّ وعدله، فإن لم نعرف وَجْهَ ذلك في بعضها فعدم العلم ليس علمًا بالعدم ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾[الإسراء:٨٥].

وغلت القدرية وتجارت بها أهواؤها حتى جحدت علم الله تعالى بالحوادث قبل حدوثها[٤]، وربما ضاق الأمر على بعضها فأنكر آيات من القرآن كما سلف[٥] عن عمرو بن عبيد[٦]، وأحجمت المعتزلة عن هذا الغلوِّ ولكنها تطرَّفت من جهاتٍ: منها: قولهم: إن العقل يحكم بأن الظلم قبيحٌ محرَّمٌ على الله تعالى، ويحكم بأنه سبحانه ليس له أن يتصرَّف في ملكه إلا بالعدل، وغير ذلك من الألفاظ التي يتبادر إلى الفهم منها أنهم يزعمون أن العقل حاكمٌ على الله عزَّ وجلَّ يوجب عليه ويحرِّم ويسأله عمَّا يفعل ويناقشه الحساب[٧]. وأهل الحقِّ أغنياء عن تلك المقالات بما تقدَّم في الحديث القدسيِّ "يا عبادي

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، (١٩٩٤/٤) (ح: ٢٥٧٧) عن أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) انظر: التبصير في الدين للاسفراييني (١٦٩/١)، مجموع الفتاوى لابن تيمية (٥٠٧/٨).

(٣) وهو قول أهل السنة والجماعة. انظر: المرجع نفسه.

(٤) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٥٧/٢).

(٥) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٢٨/٢-٢٩).

(٦) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٦٣/١٤).

(٧) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٥٠٧/٨).

إني حرمت الظلم على نفسي" إلى قوله: "فمن وجد خيرًا فليحمد الله"[١].

ومنها: تحريف الآيات الواردة في القضاء والقدر، وردّ الأحاديث الثابتة في ذلك. وعارضهم المجْبِرة فادَّعوا صراحتها في الجبر، وآل بهم الأمر إلى أن حرَّفوا أضعاف أضعافها من الآيات والأحاديث وجحدوا حكمة الله وعدله، وسمّوا الحكمة غرضًا والعبث اختيارًا والعدلَ عجزًا، وجعلوا خلق الله تعالى وأمره كله لهوًا ولعبًا، بل شرًّا من ذلك؛ فإنَّ اللاهي واللاعب له فائدةٌ مَّا مِنْ لهوه ولعبه. وأهل الحقّ أغنياء عن ذلك كلَّه بقول النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقدموا عنه"[٢]. وما صحَّ عن عبد الله بن عمرٍو[٣] قال: هجَّرت إلى رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يومًا، قال: فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية فخرج علينا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُعْرَفُ في وجهه الغضب فقال: "إنما هلك مَنْ كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"[٤]. وتلك الآية التي اختلفا فيها كانت متعلقة بالقدر، فقد أخرج ابن ماجه بسندٍ صحيحٍ عن عمرو بن شُعَيبٍ عن أبيه عن جدِّه، وجدُّه هو عبد الله بن عمرٍو قال: خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أصحابه وهم يختصمون في القدر فكأنما يُفْقَأُ في وجهه حَبُّ الرُّمَّان من الغضب، فقال: "بهذا أُمرتم أو لهذا خُلقتم؟ تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم"[٥]. فهم يقبلون كلَّ ما ثبت عن الله ورسوله، ويأخذون بالواضح معناه من ذلك

(١) تقدم تخريجه. انظر: (ص:٤٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: فضائل القرآن، باب: اقرءوا القرآن ما ائتلفت..، (١٩٨/٦) (ح: ٥٠٦٠)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع المتشابه..، (٢٠٥٣/٤)، كلاهما من حديث جندب البجلي رضي الله عنه.

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، من قريش، صحابي، من النساك، من أهل مكة، كان يكتب في الجاهلية، ويحسن السريانية، وأسلم قبل أبيه، كان كثير العبادة، مات سنة ٦٥هـ. انظر: أسد الغابة (٣٤٥/٣)، الأعلام للزركلي (١١١/٤).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه..، (٢٠٥٣/٤) (ح: ٢٦٦٦)

(٥) أخرجه ابن ماجه في سننه، في: أبواب السنة، باب: في القدر، (٦٣/١) (ح: ٨٥).

ويتفهَّمون ما عداه، فإذا فهموا نظروا فإن كان إظهار ذلك مما تدعو إليه ضرورةٌ أو لا تترتَّب عليه مفسدةٌ أظهروه، وإن لم يروا لإظهاره ضرورة وخافوا من إظهاره اختلافًا وافتراقًا في الدين وسعهم السكوت.وقد كان كلام الراسخين في العلم من السلف مجملًا تبعًا لإجمال الكتاب والسنة، وكانوا ينكرون على من حدث من القدرية وجرَّه هواه إلى ما جرَّه كما تقدَّم، فربَّما كان في إنكارهم ما يوهم طرفًا من الجبر، فأراد إمام التابعين الحسن البصريُّ رحمه الله تعالى أن يشرح الأمر، فلامه أهل العلم؛ لأنهم - والله أعلم - خافوا أن يكون في ذلك تقويةٌ مَّا لبدعة القدريَّة مما يجرُّ كثيرًا من الناس إلى مقالتهم، وفوق ذلك رأوا أن في الشرح والتفسير مخالفةً لصنيع الكتاب والسنَّة من الإجمال، وأنه ربَّما أدَّى إلى الاختلاف والافتراق في الدين، فكَفَّ رحمه الله تعالى عن ذلك.

ثم صار الناس يقولون في كلٍّ من شَمُّوا منه رائحة الميل إلى الشرح والتفسير: "كان يرى القدر"، قالوا ذلك في الحسن البصريِّ وقتادة وسعيد بن أبي عروبة(١) وابن أبي ذئبٍ(٢) - الذي قال فيه أحمد بن حنبلٍ: "ابن أبي ذئبٍ أصلح في بدنه وأورع وأقوم بالحقِّ من مالكٍ"(٣) -، وكذلك قالوا في ابن إسحاق(٤) وعبد الوارث بن سعيدٍ(٥) وحسَّان بن ....

(١) هو سعيد بن أبي عروبة مهران، العدوي بالولاء، البصري، أبو النضر: حافظ للحديث، لم يكن في زمانه أحفظ منه، اختلط في آخر عمره، مات سنة ١٥٦هـ. انظر: السير للذهبي (٦/٤١٣)، الأعلام للزركلي (٣/٩٨).

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، من بني عامر بن لؤي، من قريش، أبو الحارث: تابعي، من رواة الحديث، من أهل المدينة،كان يفتي بها، يشبه بسعيد بن المسيب، من أورع الناس وأفضلهم في عصره، مات سنة ١٥٨هـ. انظر: السير للذهبي (٦/١٣٩)، الأعلام للزركلي (٦/١٨٩).

(٣) انظر: تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٣/٥١٥)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٩/٣٠٥).

(٤) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، العلامة الحافظ الأخباري، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة، له (السيرة النبوية) هذبها ابن هشام، مات سنة ١٥١. انظر: السير للذهبي (٧/٣٣)، الأعلام للزركلي (٦/٢٨).

(٥) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان، أبو عبيدة، العنبري بالولاء، التنوري البصري: حافظ ثبت، =

عطيَّة[١] في خلقٍ كثيرٍ. ولم يكن هؤلاء الأعلام من القدريَّة الذين عُرِفَ عنهم الغلوُّ ولا يقولون مقالات المعتزلة، ولا كان المنكرون عليهم الذين ينسبونهم إلى القدر جبريَّةً، حاشاهم، وإنما الفرق بين الفريقين أن هؤلاء مالوا إلى إظهار شيءٍ من الشرح والتفسير، وهؤلاء يرون أن الصواب أن لا يُظْهَرَ إلا الإجمالُ كما جاءت به السنَّة. ولكن بعد أن ظهرت بدعة الجبريَّة وجَرَّتْ إلى ما جَرَّتْ إليه كما تقدَّم حَقَّ على أهل العلم أن ينكروا عليهم وينزِّهوا السلف الصالح عن بدعتهم، فذلك الذي دعاني إلى بيان ما سمعتَ، وأسأل الله التوفيق.

وإن لم يفهموا عملوا بما أمرهم الله تعالى به في قوله: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧**﴾[آل عمران:٧].

واعلم أن الذي استقرَّ عليه قول علماء الأصول من الأشعريَّة وغيرهم منع التكليف بما ليس في الوُسْعِ، ويسمُّونه التكليف بالمحال والتكليف بما لا يُطاق، وإنما يستثنون صورةً واحدةً هي ما عَلِمَ الله تعالى أنه لا يكون، قالوا: قد علم الله تعالى أن أبا جهلٍ لا يؤمن؛ فإيمانه محالٌ، ومع ذلك كان مكلَّفًا بالإيمان[٢].

قال عبد الرحمن: هذه الصورة لا يُحْتَاج إلى استثنائها من قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة:٢٨٦]، ولا من قولهم: لا يكلِّف الله تعالى أحدًا بما لا يطيق؛ لأن علم الله تعالى بعدم إيمان أبي جهلٍ[٣] لا ينافي أنه كان في وسعه الإيمان وأنه كان يطيقه

= كان فصيحاً، من أئمة الحديث، مات سنة ١٨٠هـ. انظر: السير للذهبي (٨/٣٠٠)، الأعلام للزركلي (٤/١٧٨).

(١) هو حسان بن عطية، الإمام الحجة أبو بكر المحاربي مولاهم الدمشقي، حدث عن أبي أمامة الباهلي، وسعيد بن المسيب، كان من العباد، وثقه أحمد، مات سنة ١٣٠هـ. انظر: السير للذهبي (٥/٤٦٦)، التقريب لابن حجر (ص: ٢٣٣).

(٢) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (٣/٨١ وما بعدها).

(٣) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي: أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم في صدر الإسلام، وأحد سادات قريش وأبطالها ودهاتها في الجاهلية، مات سنة ٢هـ. انظر: سيرة ابن =

ويقدر عليه، ألا ترى أنك تقول: لم أفعل كذا وكان في وسعي أن أفعله أو وكنت أطيقه أو وكنت أقدر على فعله. ولو ضرب رجلٌ ابنك وأنت غائب فلما حضرت قلت له: لو كُنْتُ حاضرًا ما قَدَرْتَ على ضربه، فقال: لم يكن في وسع أحد ولا قدرته حتى رب العالمين على منعي من ضربه، لبادَرَ الناس بحقٍّ إلى تكفيره. ومع نصهم أنه لا يستثنى إلا هذه الصورة البعيدة ففي كلامهم ما يُشْعِرُ باستثناء أخرى هي التي جَرَّتْنا إلى هذا البحث.

قال العضد[١] في مواقفه في الكلام على خلود الكفَّار في النار: "قال الجاحظ[٢] والعنبريُّ[٣]: هذا في الكافر المعاند، وأما البالغ في اجتهاده إذا لم يهتد للإسلام ولم تَلُحْ له دلائل الحق فمعذورٌ، وكيف يُكَلَّف بما ليس في وسعه ويعذَّب بما لم يقع فيه تقصيرٌ من قِبَله"[٤]. وحكى عياضٌ[٥] في الشفاء نحوه عن ....

= هشام (١/٧١٠)، الأعلام للزركلي (٥/٨٧).

(١) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الإيجي: عالم بالأصول والمعاني والعربية، من أهل إيج (بفارس)، وجرت له محنة مع صاحب كرمان، فحبسه بالقلعة، فمات مسجونا. من تصانيفه (المواقف) و (العقائد العضدية)، مات ٧٥٦هـ. انظر: البدر الطالع للشوكاني (١/٣٢٦)، الأعلام للزركلي (٣/٢٩٥).

(٢) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة، وكان مشوه الخلقة، ومات والكتاب على صدره، قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. له كتب منها: (الحيوان) و (البيان والتبيين) وغيرها، مات ٢٥٥هـ. سير أعلام للذهبي (١١/٥٢٦)، الأعلام للزركلي (٥/٧٤).

(٣) هو عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري، من تميم: قاض، من الفقهاء والعلماء بالحديث، من أهل البصرة، ولي قضاءها سنة ١٥٧هـ وعزل سنة ١٦٦هـ، مات سنة ١٦٨هـ. انظر: التقريب لابن حجر (ص:٦٣٧)، الأعلام للزركلي (٤/١٩٢).

(٤) انظر: المواقف لعضد الدين الإيجي (٣/٤٩٨).

(٥) هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، ولي القضاء، له من الكتب: (الشفا) و(الغنية) وغيرها، مات ٥٤٤هـ. انظر: السير للذهبي (٢٠/٢١٢)، الأعلام للزركلي (٥/٩٩).

داود[١] إمام أهل الظاهر وثمامة[٢] ، قال: "وقد نحا الغزاليُّ[٣] قريبًا من هذا المنحى في كتاب التفرقة[٤]، وقائل هذا كلِّه كافرٌ بالإجماع على كفر من لم يكِّفر أحدًا من النصارى واليهود وكلَّ مَن فارق دين المسلمين أو وقف أو شكَّ"[٥].

قال عبد الرحمن: في نظم عبارة عياضٍ ما فيه على أنه لم يحك عن العنبري ولا عن أحد ممن ذكر معه أنه لا يُكَفِّر أحدًا ممن لم يلتزم الإسلام من النصارى وغيرهم، بل ولا أنه إنما يكفر بعضهم دون بعض، ولا أنه يقول بعذرهم جميعًا. وأما القول بعذر بعضهم فهو في الجملة حق، والعذر لا يستلزم عدم الكفر كما أن الكفر لا يستلزم عدم العذر، ألا ترانا نقول بعذر صبيان الكفار ومجانينهم مع قولنا بكفرهم، وحُكْمِنا عليهم حُكْمَ الكفار في المناكحة والتوريث والدية والكفارة وما يصنع بالميت وغير ذلك؟

وفي المواقف عَقِبَ ما مرَّ: "واعلم أن الكتاب والسنّة والإجماع يُبْطِلُ ذلك، إذ يعلم قطعًا أن كفار عهد الرسول الذين قتلوا وحكم بخلودهم في النار لم يكونوا عن آخرهم معاندين، بل منهم من يعتقد الكفر بعد بذل المجهود، ومنهم من بقي على الشكِّ بعد إفراغ الوسع لكن ختم الله على قلوبهم ولم يشرح صدورهم للإسلام، ولم يُنْقَلْ عن أحدٍ قبلَ المخالفين هذا

---

(١) هو داود بن علي بن خلف الأصبهاني، أبو سليمان، الملقب بالظاهري: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، تنسب إليه الطائفة الظاهرية، وسميت بذلك لأخذها بظاهر الكتاب والسنة وإعراضها عن التأويل والرأي والقياس، مات ٢٧٠هـ. انظر: السير للذهبي (٩٧/١٣)، الأعلام للزركلي (٣٣٣/٢).

(٢) هو ثمامة بن أشرس النميري، أبو معن: من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المقدمين، كان له اتصال بالرشيد، ثم بالمأمون. وكان ذا نوادر وملح، من تلاميذه الجاحظ، مات سنة ٢١٣هـ. انظر: السير للذهبي (٢٠٣/١٠)، الأعلام للزركلي (١٠٠/٢).

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد، حجة الإسلام: فيلسوف، متصوف، له نحو مئتي مصنف، نسبته إلى صناعة الغزل (عند من يقوله بتشديد الزاي) أو إلى غزالة (من قرى طوس) لمن قال بالتخفيف، من كتبه (إحياء علوم الدين) و (المستصفى) وغيرها، مات سنة ٥٠٥هـ. انظر: السير للذهبي (٣٢٢/١٩)، الأعلام للزركلي (٢٢/٧).

(٤) انظر: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي (ص:٨٧).

(٥) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢٨٠/٢-٢٨١).

الفرقُ"[١].

قال عبد الرحمن: إن كان مراده بدلالة الكتاب والسنة والإجماع ما فيها من أن الكفار مُخَلَّدُون في العذاب فقد بيَّنتها الحجج الدالَّة على أن الله تعالى لا يعذب حتى يقيم الحجة، ولا يكلف نفسًا إلا وسعها، وغير ذلك مما سلف، فإما أن يكون المراد بالكفر في أدلَّة التعذيب كفرًا خاصًّا هو الكفر الحقيقيُّ فلا يدخل فيها الكفر الحكميُّ، كالكفر المحكوم به على صبيان الكفار ومجانينهم وسائر المعذورين، وإما أن تكون من العامِّ المراد به الخصوص أو العامِّ المخصوص، وأدلَّةُ العذر صريحةٌ محكمةٌ فلا بدَّ من حمل ما يوهم خلافها على ما يوافقها. وإن كان مراده أن الكتاب والسنة والإجماع تدلُّ على أن مَنْ قُتِلَ في عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم من الكفار مُخَلَّدُون جميعهم في النار، فالجواب أن ما كان فيها من دلالة خاصة كما ورد في أبي جهل وأصحاب القليب قليب بدر، فمحمولٌ على أنهم كانوا معاندين أو مقصِّرين، والآثار تدلُّ على ذلك. وما كان فيها من دلالة عامَّة فقد يُقال: تُبَيِّنُها حُجَجُ العذر على ما سمعت آنفًا، ويزاد على ذلك احتمال أن يكون ما في السنَّة والإجماع مَبْنِيًّا على الظاهر أن مَن أصرَّ على الكفر بعد بلوغ الدعوة وطول الإنذار مع ظهور حجج الحق وضعف شبهات الكفار فهو إما معاندٌ أو مقصِّرٌ.

وقول العضد: "إذ يُعْلَمُ قطعًا إلخ" مردودٌ عليه، بل لنا أن نقول: المعلوم خلافه، ولنا على ذلك حجج:

منها: ما أسلفنا أنهم كانوا قائمة عليهم الحجة قبل البعثة لتقصيرهم، فما ظنك بهم بعدها؟

ومنها: ما أسلفناه فيما يلزم مَنْ بلغه بعثة نبيٍّ[٢].

ومنها: أن شبهات الكفار كانت ضعيفةً، مَنْ تأمَّلَهَا عَرَفَ أنه لا يتفكر فيها عاقل إلا بان له بطلانها أو ضعفها، فَمَنْ لم يكن منهم تفكَّر فيها قبل البعثة فلا ريب أن خبر البعثة يدعوه إلى التفكُّر فيها، فإن لم يفعل فهو مقصِّرٌ؛ وإن تفكَّر فلا بدَّ أن يظهر له ضعفها إلا أن يُقَصِّر في النظر لما غلب عليه من الغرام بما أَلِفَ واعتاد وأدرك عليه الآباء والأجداد فهو

(١) انظر: المواقف لعضد الدين الإيجي (٣/٤٩٨).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/١٢٦ وما بعدها).

مقصِّرٌ. ومَن نظر ولم يقصِّر ظهر له ضعفها فلا بدَّ أن يرجو أن يجد عند النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما هو خير منها. هذا إن لم يبلغه هنا ما يورث علمًا أو ظنًّا بصدقه، فإن لم يَسْعَ ليعرف ما عند النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فهو مقصِّر، وإن تعرَّض لمعرفتها ولكن هواه وغرامه بما كان عليه هو وآباؤه واستكباره عن أن يقبل الحق حالت بينه وبين أن ينظر حق النظر فهو معاندٌ مقصِّرٌ أخذ من كلٍّ منهما طرفًا. وإن نظر مخلصًا للحق راغبًا فيه حريصًا على إصابته فإننا بما نعلم من ظهور حجج الحق ووَهَنِ شبهات الشرك نعلم أنه لا بدَّ أن يتبيَّن له صدقُ الرسول أو على الأقلِّ يتبين له أنَّ ما يدعو إليه الرسول خيرٌ من الكفر، فإن لم يتَّبعه فهو معاندٌ أو معاندٌ ومقصِّرٌ معًا. هذا وقد مكث النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل القتال نحو خمس عشرة سنةً يدعو الناس ويعرض نفسه عليهم، واتَّبعه على ذلك مَنْ اتَّبعه، حتى اتَّبعه الأنصار وهم مِنْ أقرب الناس إلى معرفة الدِّين لمجاورتهم أهلَ الكتاب. بل واتبعه بعض علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام(١)، وشاع عنه صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قبل النبوَّة ما شاع من شرف المحتد وكرم الأخلاق وغير ذلك، ثم شاع عنه بعد النبوَّة ما يدعو إليه من تعظيم الله عزَّ وجلَّ والأمر بالعدل والإحسان وصلة الرحم والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي، وشاع عنه أشياء من المعجزات وغير ذلك. فَمَنْ أصرّ من الكفار بعد ذلك كلِّه على الكفر وغضب له فقاتل عليه حتى قُتِل فلا يكون إلا معاندًا أو مقصّرًا، وحسبك في عنادهم قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ٢٦**﴾ [فصلت: ٢٦].

وقد أوضح الله تبارك وتعالى حال الكفار الذين يستحقُّون النار بقوله سبحانه: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٣١ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ**

---

(١) هو عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي: أبو يوسف: صحابي، أسلم عند قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وشهد مع عمر فتح بيت المقدس والجابية. ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، اتخذ سيفا من خشب، واعتزلها، وأقام بالمدينة إلى أن مات ٤٣هـ. السير للذهبي (٤١٣/٢)، الأعلام للزركلي (٩٠/٤).

﴿٣٢وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ٣٣وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٣٤ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ٣٥فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٣٦وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣٧﴾ [خواتيم الجاثية].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٦إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ٧تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ٨قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ٩وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١١﴾ [الملك: ٦ - ١١].

ومن الحجج: أننا قد علمنا من النصوص القاطعة التي تقدَّم بعضها أن الله تبارك وتعالى لا يعذب إلا معاندًا أو مقصِّرًا، فإذا ثبت بحجة واضحة أن كلَّ مَنْ قُتِلَ مِنَ الكفار في عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُعَذَّبون عَلِمْنَا أنهم كانوا بين معاندٍ ومقصِّرٍ. ومنها: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ٦٨وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٦٩﴾ [خواتيم العنكبوت].السورة مكِّيَّةٌ كما نصُّوا عليه[1] ونقلوه عن ابن عبَّاسٍ وابن الزُّبير[2] وجماعة من التابعين، وتَدَبُّرها يقضي بذلك، واستثنى بعضهم آيات من أوائلها وأثنائها ،فعلى كلِّ حال هاتان الآياتان مَكِّيَّتَان، والقتال إنما شُرِعَ بالمدينة.

---

(١) اختلف أهل العلم فيها على أقوال:

-القول الأول: كلها مكية، نسبه الطاهر بن عاشور للجمهور واختاره ابن كثير وغيره.

-القول الثاني: كلها مدنية، أحد قولي ابن عباس رضي الله عنهما وغيره.

-القول الثالث: كلها مكية إلا عشر آيات من أولها، واختاره الزمخشري.

-القول الرابع: نزلت بين مكة والمدينة، ونسب إلى عائشة رضي الله عنها.

انظر: تفسير الزمخشري (٣/٤٣٨)، وتفسير القرطبي (١٣/٣٢٣)، وتفسير ابن كثير (٦/٢٦٣)، والدر المنثور للسيوطي (١١/٥٣٦)، وتفسير الطاهر بن عاشور (٢٠/١٩٩-٢٠٠).

(٢) انظر: الدر المنثور للسيوطي (١١/٥٣٦).

وتفسير ﴿جَٰهَدُواْ﴾ بـ (قاتلوا) يُخِلُّ بحُسْن الكلام وبديع نظمه، بل الذي يقتضيه النظم أن يكون المراد بالجهاد هنا هو دفاع الهوى والشبهات. لما قضى في الآية الأولى بهلاك مَنْ افترى على الله كذبًا أوكذَّب بالحق لما جاءه، وكِلا هذين مما يدعو إليه الهوى والشبهات، فقابل ذلك في الآية الثانية بمن جاهد الهوى والشبهات في سبيل الحقّ فرارًا من الافتراء والتكذيب، وتكفَّل الله سبحانه وتعالى لمن فعل ذلك أن يهديه سبله. والله أعلم. وقد اعترف العضد بأن مِن قَتْلىَ الكفار مَن كان معاندًا ومَن كان مقصِّرًا، ثم زعم أن فيهم مَن بذل المجهود واستفرغ الوسع فبقي معتقدًا للكفر أو على الشكِّ[١].

ومعلوم أنَّ مَنْ نظر وهو مستكبرٌ عن الحق متعصِّبٌ لما أَلِفَهُ وأدرك عليه سلفه فلم يبذل المجهود ولا استفرغ الوسع. وعليه فالمدَّعى أنَّ منهم مَنْ بذل المجهود واستفرغ الوسع راغبًا في الحق حريصًا على إصابته، فنقول: صاحب هذه الصفة مجتهد ليعرف الحق عند الله فيتبعه، فهو مجاهد في الله وهو آتٍ بما أوجبه الله عليه، فهو محسن، ومن كان كذلك فلا بدَّ أن يهديه الله تعالى كما صرحت به الآية. ومن قُتِلَ كافرًا فلم يهده الله تعالى، فلم يكن مجاهدًا محسنًا، فلم يكن ممن بذل مجهوده واستفرغ وسعه راغبًا في الحق حريصًا على إصابته، فانكسر ساعد العضد واتَّضح أن قوله "إذ يُعْلَمُ قطعًا إلخ"[٢] دعوى باطلة. أما قول العضد: "ولكن ختم الله على قلوبهم ولم يشرح صدورهم للإسلام"[٣]، فهذه مسألة القدر وقد تقدَّم طرفٌ منها، ويكفينا هنا أن نقول: قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞﴾ [خواتيم العنكبوت]. بيَّنت هذه الآية وآياتٌ أخرى في معناها أن الله تعالى إنما يُضِلُّ مَنْ سَبَقَ منه ما يستحقُّ به العذاب، وآية الختم نفسها تدلُّ على هذا، قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ

(١) انظر: المواقف لعضد الدين الإيجي (٣/٤٩٨).

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) انظر: المرجع نفسه.

سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝﴾ [البقرة: ١ - ٧]؛ فأخبر بسبق كفرهم. وقوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مما يُسْتَشْكَل؛ لأن كثيرًا من الكفار نفعهم الإنذار فآمنوا. وحَلُّه فيما يظهر لي: أن المراد بالكفر في قوله ﴿كَفَرُواْ﴾ كفرٌ خاصٌّ هو أشدُّ أنواع الكفر وهو ما يكون عن عنادٍ واستكبارٍ وتمرُّدٍ شديدٍ(١).

وما روي عن بعض السلف أن المراد أحبار يهود الذين علموا أن محمَّدًا رسول الله، ثم جحدوا وأصرُّوا على الجحود، وعن بعضهم أن المراد جبابرة المشركين الذين أُلْقُوا في قليب بدر(٢) لا يخالف ما ظهر لي؛ فإن كثيرًا من تفاسير السلف يخرج مخرج التمثيل كما نبَّه عليه أهل العلم(٣). هذا، وسياق الآية يدلُّ أن الختم وما معه ضربٌ من العقاب، ولهذا عطف عليها قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وفي روح المعاني: "إسناد الختم إليه عزَّ وجلَّ باعتبار الخلق، والذمُّ والتشنيع الذي تشير إليه الآية باعتبار كون ذلك مسبَّبًا عما كسبه الكفار من المعاصي كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥]، وإلا أشكل التشنيع والذمُّ على ما ليس

---

(١) تعددت أجوبة أهل العلم عن هذا الإشكال:

القول الأول: أنها نزلت في أحبار اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج، وذهب إلى هذا ابن عباس رضي الله عنهما واختاره الطبري.

القول الثاني: أنه نوع خاص من الكفار كرؤساء الشرك وزعماء العناد كقول المعلمي، وهو اختيار الطاهر بن عاشور، وهو الأقرب.

القول الثالث: أن المراد بهم من قضي عليهم بالكفر كقول الله (إن الذين حقت عليهم كلمت..)، وهو قول لابن عباس، واختاره القرطبي وابن كثير.

انظر: تفسير الطبري (١/٢٥١-٢٥٤)، تفسير الزمخشري (١/٤٧)، تفسير القرطبي (١/١٨٤)، تفسير ابن كثير (١/١٧٣)، تفسير الطاهر بن عاشور (١/٢٤٨)، دفع إيهام الاضطراب للشنقيطي (ص:١١).

(٢) نقل القول الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ونقل القول الثاني عن الربيع بن أنس وغيره.

انظر: تفسير الطبري (١/٢٥١-٢٥١)، الدر المنثور للسيوطي (١/١٥٤-١٥٦).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٣/٣٣٣ وما بعدها).

فعلهم. هكذا قاله مفسرو أهل السنة عن آخرهم فيما أعلم"[١].

وأما آية الشرح فهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٢٥﴾ [الأنعام: ١٢٤ - ١٢٥].

ففي الآية الأولى: مثالٌ مِنْ عنادهم، وفي الآية الثانية أن الإضلال وتحريج الصدر إنما يجعله الله تعالى على الذين لا يؤمنون. وقد قصَّ الله تعالى دعاء موسى وهارون على فرعون وملئه، وفيه: ﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٨ - ٨٩] لما عَلِمَا عناد فرعون وملئه - كما قال تعالى بعد ذكر ما أراهم من الآيات: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [النمل: ١٤]- عَلِمَا أنهم قد استحقُّوا العذاب الأليم وأحبَّا أن ينالهم البتَّة. فالختم والشَّدُّ على القلب عقوبةٌ يعجِّلها الله عزَّ وجلَّ لمن كفر واستكبر وعاند وتمرَّد. فإن قيل: فالمختوم على قلبه هل يبقى مكلَّفًا؟ قلت: نعم، أمَّا بترك الأقوال والأفعال التي هي فجورٌ أو كفرٌ فظاهرٌ؛ إذ الختم على القلب لا يمنع مِن تركها، وأمَّا بأصل الإيمان فللتكليف أثران: الدعوة والمؤاخذة، فالدعوة قد يقال: لا فائدة لها؛ إذ قد عُلِمَ أنه لا يؤمن ولم يقع الختم حتى قامت الحجة على أَتَمِّ ما يكون، وقد قال الله تعالى لرسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: ﴿فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [النجم: ٢٩] في وقت الصعق والجنون والختم على القلب. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾ [خاتمة سورة ق]، وقال تبارك وتعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾ [الأعلى:٩].

وقد يقال: دلالة هذه الآيات غير واضحة ولا يخلو تجديد الدَّعوة عن فائدةٍ، والله أعلم. وأمَّا المؤاخذة فهو مؤاخَذٌ على أقواله وأفعاله كما علمْتَ، وعلى عدم الإيمان؛ إذ المانع عن الإيمان ليس هو الختم فحسب بل الهوى وبغض الحق والاستكبار الذي منعه قبل الختم باقٍ وهو بعد الختم المانعُ في الظاهر، وهو مانعٌ آخر في الباطن. فمؤاخذته بالنظر إلى هذا المانع

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (١/١٣٢).

لا إشكال فيها وإنما هو كمن كان ممتنعًا عن أداء الزكاة بُخْلًا ثم عرض له ذو سطوة فَوَكَّلَ به مَنْ يلازمه قائلًا: إن أدَّيت الزكاة قتلتك، فما دام المانع الذي في نفسه وهو البخل قائمًا فهو آثم ولا ينفعه وجود المانع الآخر وهو الإكراه.ومع ذلك فإن مانعيَّة الختم هي أثر الختم، والختم أثر عناده الذي كان باختياره. واختيارُ الأمر المنهيِّ عنه يُعَدُّ اختيارًا لما يترتَّب عليه من المفاسد ولو مع الجهل والعجز؛ فإن الله تبارك وتعالى إذا نهى عن أمرٍ عُلم أنه يترتَّب عليه مفاسد إن عَرَف الإنسان بعضها خفي عنه بعضها، وإنما يحيط بها الحكيم العليم جَلَّ وعلا، فإذا اختاره الإنسان كان مختارًا لكلِّ ما يترتب عليه من المفاسد على وجه الإجمال. قال الله تعالى: ﴿**لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ٢٥**﴾ [النحل:٢٥].

وقصَّ سبحانه قصَّة قتل ابن آدم أخاه، ثم قال: ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا**﴾ [المائدة: ٣٢]. وفي الحديث: " ... ومَنْ سنَّ في الإسلام سنّةً سيِّئَةً فَعُمِلَ بها بعده كُتِب عليه مثلُ وِزر مَن عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيءٌ"(١). ورواه غيره بلفظ: " ... ومَنْ سنَّ سنَّةً سيِّئَةً فَعُمِلَ بها كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئًا"(٢).

وقوله في الرواية الأولي: "في الإسلام" ليس بقيدٍ، وإنما فائدته – والله أعلم – التنصيص؛ لئلا يتوهَّم أن هذا الحكم خاصٌّ بمن قبلنا وأنه من الإصر المرفوع عنا، فتدبَّرْ. وفي الحديث: "لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها؛ لأنه كان أوَّلَ مَن سَنَّ القتل"(٣). وليس هذا من التكليف بما لا يُطاق، وإنما هو أثر التكليف بالأمر الأوَّل.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة..، (٢/٧٠٤) (ح: ١٠١٧) من حديث جرير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، في: أبواب السنة، باب: من سن سنة حسنة أو سيئة، (١/١٤٠) (ح: ٢٠٣) من حديث جرير رضي الله عنه، وصحح إسناده محققوه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: خلق آدم عليه السلام وذريته، (٤/١٣٣) (ح: ٣٣٣٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: القسامة والمحاربين..، باب: بيان إثم من =

فالإنسان منهيٌّ عن الإحداث في الدين، قائمةٌ عليه الحجَّة بأن الله عزَّ وجلَّ إذا نهى عن شيءٍ فإنه تترتَّب عليه مفاسد لا يحيط بعلمها إلا هو، فإذا أقدم على الإحداث فقد اختار كلَّ ما يترتَّب عليه كما مرَّ. وعقوبة الذنب على مقدار ما تحقَّق من شرِّه، فكلَّما عَمِل عاملٌ بتلك المحدثة تحقَّق لإحداث المحْدِث الأوَّل شرٌّ جديد، فلا تزال تضاعف عليه العقوبة بمقدار ما يتضاعفُ من الشَّرِّ والعياذ بالله. هذا، وقد قال أهل العلم: إن المتعدِّيَ بسُكْرِهِ مؤاخَذٌ بما يقع منه وهو سَكْران(١). والعقل لا ينكر هذا، ألا ترى لو أن ثلاثة نفرٍ سَكِرُوا؛ أما أحدهم فسقاه الطبيب دواءً لا يدري أنه مسكرٌ، وأما الآخران فتعمَّدا شرب الخمر. فأما الأوَّل فاشتدَّ به السكر وعَرْبَد حتى وقع على أخته وقتل أمَّه وكذلك وقع لأحد المتعمِّدين.

وأما الثالث فضُبِطَ وأُغْلق عليه بيت حتى أفاق، أفلا ترى أن جُرْم الثالث في صدور الناس دون جرم الثاني بكثيرٍ، وأما الأوَّل فلا يرون له جرمًا، وإن نَفَرَتْ منه الطباع عَذَرَتْهُ العقول. ولو أنَّ ثلاثة نفر عَمَد كلٌّ منهم إلى رجلٍ مصوِّبًا بندقيته إليه ورماه عامدًا لقتله، فأخطأ أحدهم، وأصاب الثاني فجرح، وأصاب الثالث فقتل، لكانت أجرامهم متفاوتةً في حكم الله عزَّ وجلَّ وفي عقول الناس مع أن أصل فعلهم الذي وقع بأصل اختيارهم واحدٌ. بقي قول العضد: "ولم يُنْقَلْ عن أحد قبل المخالفين هذا الفرقُ"(٢)، وقد يجاب بمنع عدم النقل، كيف وقد نقل القول بمنع التكليف بما لا يطاق، وهذه المسألة من فروعه وإن لم تُنْقَلْ بخصوصها. ولعلَّهم إنما سكتوا عنها لأنه لا يُعْلَم صدق اليهودي مثلًا في قوله: "قد تدبَّرتُ حجج الإسلام وبذلتُ المجهود واستفرغتُ الوُسْع راغبًا في الحقِّ حريصًا على اتِّباعه فتبيَّن لي بطلان الإسلام". ولم يُفَرِّق الشرعُ بين مَن يَدَّعي هذه الدعوى وغيره من الكفَّار المصرِّحين، فرأوا أن البحث في نجاته في الآخرة إن صدق بحثٌ قليل الجدوى وتنشأ عنه مفاسد لا تحصى.

قال عبد الرحمن: الصواب ما قدَّمته أن حجج الإسلام واضحةٌ، وشبهات الكفر واهيةٌ، وقد تكفَّل الله تعالى لمن جاهد فيه محسنًا أن يهديه ويكون معه، فإطلاق السلف أن كلَّ مَن

= سن القتل، (٣/١٣٠٣) (ح: ١٦٧٧)، كلاهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(١) انظر: المجموع للنووي (١٧/٦٢)، والمغني لابن قدامة (٨/٢٥٦).

(٢) انظر: المواقف لعضد الدين الإيجي (٣/٤٩٨).

بلغته الدعوة وأمكنه النظر فلم يُسْلِمْ هالكٌ، حقٌّ واضحٌ؛ فإن مَن كان كذلك لا يكون إلا مُقَصِّرًا أو معاندًا. ومَن قال: "إن مَن استوفى مجهوده مخلصًا للحقِّ فظهر له أن الحقَّ في غير الإسلام فلم يُسْلِمْ فهو معذور عند الله تعالى"، فليس في هذا القول شناعة ولا مخالفة للسلف إلا في تَوَهُّمِ الإمكان. فأمَّا مَنْ قال بالإمكان أو قضى بالوقوع كما صنع العضد ثم قضى بعدم العذر فهو المخطئ. والله المستعان.

فإن قال قائلٌ: إن آية الجهاد على ما فسَّرْتَهَا به تَسُدُّ باب الأعذار كلِّها لحَصْرِها الأقسام في مهديٍّ ومعاندٍ ومقِّصرٍ، والمهديُّ مصيبٌ والمقصِّرُ لا يستحقُّ العذر. فعن هذا أجوبةٌ: أخصرها: أن قوله تعالى: ﴿سُبُلَنَا﴾ المراد بها سبل النجاة عنده سبحانه، كما قال سبحانه في صفة القرآن: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة:١٦]، والسَّلام هو السَّلامة كما نصَّ عليه أهل التفسير[(١)]. ومما يبيِّن ما قلناه جمعُ السبل في الآيتين، وسبيل الحقِّ في نفس الأمر واحدٌ، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام:١٥٣].

فللحقِّ في نفس الأمر سبيلٌ واحدٌ، وللنجاة والسلامة سبلٌ، أوَّلها: سبيل الحقِّ في نفس الأمر وهو المتعين بالنظر إلى أصل الدين في حقِّ المكلَّف الذي بلغته الدعوة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٥].

وثانيها: سبيل بَذْلِ الوسع.

وثالثها: سبيل الإتيان بما كُلِّفَ به من البحث وهو دون الوسع. وهذا قد يكون مع حرمة الاستقصاء أو كراهيته أو إباحته أو استحبابه، كالقاضي يتَّجِه له الحكم بدليلٍ ظنِّيٍّ فيحرم عليه أن يقول: لا أقضي حتى أراسل علماء الأرض كلَّهم، فلعلَّ عند بعضهم دليلًا يخالف ما ظهر لي، ويُكْرَه له التأخير حتى يُسَائِلَ علماء البلدان القريبة، وقد يُباح له أن يؤخِّر حتى يُسائِل علماء البلد إذا كانت القضيَّة متوسِّطةً، ويُستحبُّ له إذا كانت كبيرةً كالقتل. ويمكن تعداد سبلٍ أخرى، وفيما ذُكِرَ كفايةٌ إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١٨/٦)، مفردات الراغب (ص: ٤٢١).

فإن قيل: فإن الآية الأولى[١] ونظائرها من القرآن تنصُّ على هلاك مَن كذب على الله تعالى أو كذَّب بالحقِّ، والخطأ في الدِّين لا يخرج عن ذلك، فمن أخطأ في النبيذ المسكر يقول: إن الله أَحَلَّه، وهذا خبرٌ عن الله تعالى، فإذا كان غيرَ مطابق للواقع فهو كذبٌ، ويردُّ قولَ مخالفه، فإذا كان حقًّا ففي ردِّه إياه تكذيبٌ له، ويَرُدُّ الأدلَّة التي يستدلُّ بها مخالفه وهي من جملة حجج الله وآياته، ففي ردِّه لها تكذيبٌ لها، أفلا يكون كاذبًا على الله تعالى مُكَذِّبًا بالحقِّ والآيات؟

فالجواب: أن الحكم الأول هو أنه لا أظلم ممن افترى على الله كذبًا. وافتراء الكذب هو اختلاقه، وذلك أن الخبر يتضمَّن خبرًا آخر، فالقائل "أحلَّ الله النبيذ المسكر". يتضمَّنُ خبرُه خبرًا آخر صورته: "وأنا أعتقد أن الله تعالى أحلَّ النبيذ المسكر"، فافتراء الكذب هو عدم مطابقة كلٍّ من الخبرين للواقع بأن يكون الله تعالى لم يُحِلَّ ويكون المخبر لا يعتقد أن الله أحلَّ. فأما إذا كان الله تعالى لم يُحِلَّ ولكنَّ المخبر يعتقد أنه أَحَلَّ فليس بمفترٍ، ومن أهل العلم مَن يقول: وليس هو بكاذب أيضًا[٢]. فإنْ بَنَيْنا على قول الجمهور[٣] - أنه يَصْدُق على مثل ذلك أنه كذبٌ - فإننا نقول: الحكم في الآية منصبٌّ على الافتراء لا على مطلق الكذب، وكذلك في نظائرها من الآيات. فأما قوله تعالى: ﴿۞فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [الزُّمَر:٣٢]،

فهذه الآية وإن لم تقيَّدْ بالافتراء لكنها عطفت التكذيب بالواو، فأفهمت أن الحكم منصبٌّ على مَنْ جَمَعَ بين الكذب والتكذيب بخلاف بقيّة الآيات، فإنها لما قيدت بالافتراء عطفت التكذيب بأو، فأفهمت أن الحكم منصبٌّ على كلٍّ من الرجلين أعني مَن انفرد بافتراء الكذب على الله، ومَن انفرد بالتكذيب بالحق لما جاءه أو بآيات الله. وبعض الآيات

(١) وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ۝٦٨﴾ [العنكبوت:٦٨].

(٢) انظر: تفصيل ذلك في رسالة المؤلف -رحمه الله- (إرشاد العامه في معرفة الكذب وأحكامه (١٩/١٧٧).

(٣) انظر: المرجع نفسه.

تقتصر على أحد الأمرين، كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ [الكهف:١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ [الأنعام: ١٥٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۝٢٢﴾[السجدة:٢٢].

وأمَّا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨﴾[هود:١٨]، فواضحٌ أن المعنيَّ بقولهم: ﴿كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ أُريدَ به: افترَوْا عليه الكذب، كما تصرَّح به أوَّلُ الآية.

وأما قوله تبارك وتعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٥٩ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٦٠﴾ [الزمر: ٥٩ - ٦٠]، فلا يخفى أن قوله ﴿كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ﴾ هو في قومٍ جمعوا بين الكذب والتكذيب بالآيات استكبارًا كما يُبيِّنُه أوَّلُ الآية وآخرُها. وأما الحكم الثاني فهو أنه لا أظلم ممن كذَّب بالحقِّ لما جاءه، فالتكذيب هو نسبة الخبر إلى الكذب بأن يقول: هذا كذبٌ، وفي معناه أن يُعْرِضَ عنه ويستمرَّ على خلافه كما نَبَّهَتْ عليه آية الجُرُز. والحقُّ والصدق المراد به - والله أعلم - ما هو حقٌّ وصدقٌ في دين الله في نفس الأمر وإن لم تقم الحجَّة بأنه حقٌّ؛ فإن الآيتين لم تُفَصِّلا ولكن التكذيب مُقَيَّدٌ بوقوعه وقت مجيء الحق بقوله في الأولى: ﴿لَمَّا جَآءَهُۥٓ﴾ [العنكبوت:٦٨] وفي الثانية: ﴿إِذْ جَآءَهُۥٓ﴾[الزُّمَر:٣٢].

والمعنى أنه لم يَكَدْ يسمع الحقَّ حتى بادر إلى تكذيبه بدون نظرٍ ولا تفكُّرٍ ولا تأمُّلٍ ولا تدبُّرٍ، فهو كالحاكم الذي يجيئه المتظلِّمُ فلا يكاد يَعْرِفُ أنه متظلِّمٌ حتى يُكَذِّبَه بدون نظرٍ في شكواه، وهذا من أشدِّ الظلم في الناس؛ لأنه ظَلَمَه بعدم إنصافه وبعدم سماع شكواه وبتكذيبه، فمَنْ فعل مثل هذا بالحق الجائي عن الربِّ عزَّ وجلَّ فذاك الذي لا أظلم منه. وأما مَنْ كذَّبَ بالحق في دين الله وقد قامت به الحجة فهو المعبَّرُ عنه بالتكذيب بآيات الله، وهي حججه الظاهرة كما يقال لأعلام الطريق الظاهرة: آيات. وهذا أيضًا لا أظلم منه، فإن الآيات التي عبَّرت بالتكذيب بآيات الله لم تُقَيِّد التكذيب بكونه وقت المجيء، بل تقدَّم في آية الجُرُز: ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ﴾ [السجدة:٢٢]. وهذا إن كان المكذِّبُ بالحق أظلم منه من

جهة أنه كذَّبه ولم ينظر فهذا أظلم من جهة أنه كذَّب وقد بان له الصدق.

فتحصَّل من الآية أنه لا أظلم من اثنين: أحدهما: مَن افترى على الله كذبًا. الثاني: مَن كذَّب بالحق في دين الله وقت ما جاءه، وعُلِمَ من بقيَّة الآيات أن مِثْلَه مَن كذَّب بآيات الله وهي حججه الواضحة أو أعرض عنها. وخرج عن الآية مَنْ أخبر عن الله عزَّ وجلَّ بما يعتقده واقعًا وهو في نفس الأمر غير واقع، ومن جاءه الحقُّ في دين الله فنظر وتدبَّر فلم تتبيَّن الحجة فكذَّبه أو أعرض عنه.

فتبيَّن بحمد الله عزَّ وجلَّ أن الآية لا تَسُدُّ باب العذر على المخطئين. فإن قلت: خروج هذين عن الآية إنما معناه خروجهما عن الأظلميَّة، ولا يلزم من ذلك خروجهما من الظلم، قلت: نعم، ولا يستلزم دخولهَما في الظُّلم.

فإن قلت: فما حالهما؟ قلت: المخطئ إن دخل في الآية الثانية فهو على سبيلٍ مِنْ سُبُل النجاة كما عَرَفْتَ، وإلا فهو المقصِّر، فإن أدَّاه تقصيره إلى عدم التزام الإسلام فهالكٌ لا محالة كما سلف، وأمَّا إذا كان ملتزمًا للإسلام فسيأتي الكلام عليه إن شاء الله تعالى.

الأمر الثالث[(١)]: قال ابن جرير: "الوُسْع: الفُعْلُ، من قول القائل: وَسِعَني هذا الأمر فهو يسعني سعةً، ويُقال: هذا الذي أعطيتك وُسْعِي، أي: ما يَتَّسِع لي أن أعطيك فلا يضيق عليَّ إعطاؤكَه، وأعطيتك من جهدي إذا أعطيتَه ما يجهدك فيضيق عليك إعطاؤه، فمعنى قوله ﴿**لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا**ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٣] هو ما وَصَفْتُ من أنها لا تُكَلَّف إلا ما يَتَّسِعُ لها بذلُ ما كُلِّفَتْ بَذْلَه فلا يضيق عليها ولا يجهدها"[(٢)]. وروى في موضعٍ آخر عن ابن عبَّاسٍ "قوله: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال: هم المؤمنون، وسَّع الله عليهم أَمْرَ دينهم فقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦]"[(٣)]. قال عبد الرحمن: المقصود هنا معرفة معنى الوُسْعِ، فأمَّا العموم

(١) من الأمور التي لا بد أن تستحضر لتحقيق الحكم بالردة. انظر: آثار المعلمي، (العبادة ٢/١٦٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٥/٤٥).

(٣) انظر: المصدر نفسه (٦/١٣٠).

والخصوص فقد مضى الكلام فيه. وقال الراغب: "والوُسْعُ من القدرة ما يَفْضُلُ عن قَدْرِ المكلَّف، قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] تنْبيهًا أنه يُكَلِّف عبده دُوَيْنَ ما ينوءِ به قدرته"(١).

وفي الشريعة مواضع توضِّح ذلك، منها: أن الله تعالى لم يكلِّف الأعراب الذين أسلموا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم لزومَ المسجد وسماعَ القرآن ونحو ذلك مما من شأنه أن يكسبهم الإيمان. ومنها: ما سبق أنه كان يخفى على العرب شيء من دقائق معنى الإله والعبادة، ولم يكن النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يُلْزِمُ مَن أسلم أن يتعلَّم جميعَ ذلك على الفور، بل رُبَّما كان أحدُهم يُسْلِم فيأمره لوقته أن يذهب للجهاد. ومنها: حديث "اتَّقُوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل"(٢)، ولم يأمرهم النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أن يستفرغوا أوقاتهم في التعلُّم، بل أرشدهم أن يقولوا: "اللهم إنا نعوذ بك مَن أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم"(٣).

ومنها: أن المسلمين مِنْ عهد الصحابة وهَلُمَّ جرًّا كانوا يكتفون ممن يقبل الإِسلام من الأعاجم بأن يُلَقِّنَهُ مسلم الشهادتين ويُفَسِّرَ له معناهما كما تيسَّر، ولا يُلْزِمونه أن يسائل كلَّ مَن لقيه من أهل العلم، ولا أن يرتحِل إليهم فيسائلهم حتى يعلم اتفاقهم، ولا أن يبادر إلى تعلُّم العربية والقرآن وتفسيره والسنَّة حتى يحصل له المعرفة التامَّة، بل لا نعلمهم أوجبوا أن يتعلَّم من القرآن إلا ما لا بدَّ منه لصحَّة الصلاة ولا نعلمهم أوجبوا معرفة تفسير ذلك. وقريبٌ من كلمة الوُسْعِ كلمتا الاستطاعة والطَّاقة، وقد فُسِّر قوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾**[آل عمران:٩٧] بوجدان الزاد والراحلة(٤)، وذلك دون المجهود.

---

(١) انظر: مفردات الراغب (ص: ٨٧٠).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٣٨٣/٣٢) (ح: ١٩٦٠٥)، وضعف إسناده محققوه، وابن أبي شيبة في مصنفه، في كتاب: الدعاء، باب: في التعوذ من الشرك..، (٣٣٧/١٠) (ح: ٣٠١٦٣)، كلاهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) انظر: المصدر نفسه.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٨/٦)، تفسير البغوي (٤٧٤/١).

وفي الصحيحين وغيرهما من طرقٍ حديث المعراج وفيه قول موسى لمحمَّدٍ عليهما الصلاة والسلام في المراجعة في فرض الصلوات: "إن أمَّتك لا تستطيع ذلك"[١]، وفي رواياتٍ: "لا تطيق ذلك"[٢] حتى قال له ذلك في خمس صلواتٍ. وقال الراغب: "فقوله: ﴿**مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٥] أي ما يصعب علينا مزاولته، وليس المعنى: لا تُحمِّلْنا ما لا قدرة لنا به"[٣].

وفي الصحيح من حديث عمران بن الحصين[٤]، قال: كانت بي بواسير، فسألت النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن الصلاة، فقال: "صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ"[٥].

قال أهل العلم: المراد بنفي الاستطاعة وجود المشقَّة الشديدة. راجع فتح الباري، شرح الحديث المذكور[٦]. وفيه أن عند الطبرانيِّ من حديث ابن عبَّاسٍ: "يصليِّ قائمًا، فإن نالته مشقَّةٌ فجالسًا، فإن نالته مشقَّةٌ صلَّى نائمًا"[٧].

وفي صحيح مسلمٍ من حديث أبي سعيد الخدريِّ، سمعت رسول الله صلَّى الله عليه وآله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٥٢/٥) (ح: ٢٨٨٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ذكر إدريس عليه السلام، (١٣٥/٤) (ح: ٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم..، (١٤٨/١) (ح: ١٦٣)

(٣) انظر: مفردات الراغب (ص:٥٣٢).

(٤) هو عمران بن حصين بن عبيد، أبو نجيد الخزاعي: من علماء الصحابة، أسلم عام خيبر سنة ٧ هـ، وكانت معه راية خزاعة يوم فتح مكة، وبعثه عمر إلى أهل البصرة ليفقههم، وولاه زياد قضاءها، وهو ممن اعتزل حرب صفين، مات سنة ٥٢هـ. انظر: السير للذهبي (٥٠٨/٢)، الأعلام للزركلي (٧٠/٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في: أبواب تقصير الصلاة، باب: إذا لم يطق قاعدا صلى على جنب، (٤٨/٢) (ح: ١١١٧).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥٨٧/٢).

(٧) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، (٢١٠/٤) (ح: ٣٩٩٧).

وسلَّم يقول: "مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(١). المراد بعدم الاستطاعة في الحديث أن يخاف على نفسه ضررًا، ولذلك عُدَّ الاقتصار على الإنكار بالقلب أضعف الإيمان، فإنَّ قويَّ الإيمان لا يَصُدُّه خوفُ الضرر عن أن ينهى عن المنكر. فأما العاجز البتَّة كمن كان مقعدًا أخرس ورأى منكرًا بعيدًا عنه فأنكره بقلبه فلا يتعيّن أن يكون هذا من أضعف الإيمان، بل إذا صمّم بقلبه على أنه لو كان يمكنه المشي لمشى إلى ذلك المنكر حتى يغيِّره بيده كان ذلك من أقوى الإيمان. والله أعلم.

وقد يُعْتَرَضُ ما تقدَّم بوجهين:

الأول: أن حَمْل الوُسْع والطاقة والاستطاعة على ما فيه مشقَّةٌ شديدةٌ يقضي على تلك النصوص بالإجمال، وذلك أن المشقَّة الشديدة لا تنضبط كما اعترفوا به في تقرير عِلَّة قَصْرِ الصَّلاة، قالوا: إنَّ أصل الباعث على ذلك المشقَّة لكن لعدم انضباطها ضبطها الشارع بالسفر، ولا يمكن ضبطها بالعرف لاضطرابه، وقد دلَّت مسألة القصر على عدم اعتباره، ولا يُقال: كلٌّ إنسان فقيهُ نفسه؛ لأن ذلك يؤدِّي إلى تساهل أكثر الناس وتسامحهم.

الوجه الثاني: أن من المشاقِّ الشديدة ما ألغاه الشارعِ وكَلَّف بما هو فيه، مِنْ ذلك تكليفُ الكافر بالإسلام مع أنه يشقُّ عليه مشقَّةً شديدةً أن يَدَعَ دينًا قد أَلِفَهُ واعتاده وأدرك عليه آباءه وأجداده. ومِنْ ذلك تكليف مَنْ هام بامرأة وصادفها في خلوةٍ وتمكَّن منها أن لا يَقْرَبَها مع أنه يشقُّ عليه الانكفاف عنها مشقَّةً شديدةً. ومِنْ ذلك تكليفُ مَنْ أدمن الخمر في كفره ثم أسلم بأن يجتنبها، واجتنابها بدون تدريجٍ يشقُّ عليه مشقَّةً شديدةً.

والجواب عن الوجه الأوَّل بتسليم الإجمال في الجملة، ولكن الشريعة قد تضمَّنَتْ ما يُرْشِد إلى التفسير، ولكنها تركت مجالًا للاختلاف لحِكَمٍ عديدةٍ، منها: ما تقدم في الأصل الثاني(٢). ومنها: ما سيأتي في الكلام على التقليد(٣).

ومنها: توسعة المجال لاجتهاد أهل العلم ليعظم ثوابهم. ومنها: تركُ مُتَّسَعٍ لاحتياط أهل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: كون النهي عن المنكر..، (٦٩/١) (ح: ٤٩).

(٢) انظر: آثار المعلمي، العبادة (٦٦/٢).

(٣) انظر: المرجع نفسه (١٩٩/٢).

التقوى من أقوياء المؤمنين ليأخذوا أنفسهم بالورع والتوقِّي فيعظم أجرهم ويُعْرَف فضلهم، وللضعفاء ليمكن لهم الترخُّص بدون المعصية، ولو شُدِّد عليهم لرموا بأنفسهم في المعصية.

ومنها: تهيئة سبيلٍ لحسن ظنِّ المسلمين بعضهم ببعضٍ فيرى المتشدِّد أن للمترخِّصِ وجهًا وسبيلًا.

والجواب عن الوجه الثاني: أن المشقَّة في الأمثلة المذكورة ونحوها ليست بشديدةٍ إلى حدِّ الخروج عن الوُسْع، نعم إنها تقارب ذلك وربَّما اعتدَّ الشارع بأخفَّ منها، ولكن الشارع قد يُلْغِي المشقَّة التي ربَّما يظهر أنها شديدةٌ لأسبابٍ، منها: أن يكون اتّفاقها نادرًا، والفقهاء يلاحظون هذا، قالوا: لو أخطأ الحُجَّاج فوقفوا عاشر ذي الحجَّة أجزأهم حجُّهم، ولو أخطؤوا فوقفوا حادي عشره كان عليهم القضاء لندرة الخطأ بيومين[1]. والثلاثة الأمثلة مما يندر، فما كلُّ أحدٍ يشقُّ عليه ترك دين آبائه ولا يتَّفق له ذلك إلا مرَّةً في عمره، والعاشق يندر أن يصادف معشوقته في خلوةٍ بدون تحرِّيه ذلك، ومدمن الخمر إذا أسلم فعزم على تركها إن شقَّ عليه ذلك فأيَّامًا معدودةً ثم ينساها أبدًا. ومنها: أن تكون المفسدة التي تترتَّب على الفعل عظيمة، ولهذا قالوا: لو أكره على قتل مؤمنٍ لم يجز له، وعظم المفسدة في الأمثلة ظاهرٌ.ومنها: أن لا تنضبط المشقَّة وتترتَّب على الفعل مفسدةٌ عظيمةٌ، كمن أُغْضِبَ فجنى على إنسان وادَّعى أن المجنيَّ عليه أغضبه فلم يَتَمالَكْ نفسه أن جنى عليه. فإنه لا دليل على أن الغضب بلغ ذلك المبلغ، ولو رُخِّصَ له لادَّعى أكثرُ الجناة مثلَ ذلك؛ إذ أكثر ما يقع القتل عند الغضب، بل لربما استحلَّ المغْضَبُ القتلَ لتوهُّمِه أنه قد بلغ به الغضبُ ذلك الحدِّ. ويأتي هذا في تلك الأمثلة، فإن المفسدة فيها عظيمة كما مرّ، ولو رُخِّصَ لهم لاستحلَّ الكافر المتبصِّر البقاءَ على دين آبائه لتوهُّمه أن المشقَّة شديدةٌ، وأن الله تعالى لا يكلِّفه بتحمُّلها. وكذلك الآخران، وإذًا لأوشك أن يدَّعيَ كلُّ زانٍ وكلُّ شاربِ خمرٍ نحوَ تلك الدعوى. ومنها: أن تكون المشقة ناشئة عن مخالفة من المكلَّف لولاها لم يقع في المشقة، بل ربما ألغى الشارع هذه المشقَّةَ ولو خرجت عن الوُسْعِ بل وعن القدرة، كالمتعدِّي بِسُكْرِه يؤاخَذُ بما يقع منه،

---

(١) نقل الاتفاق على هذا النووي -رحمه الله-. انظر: المجموع شرح المهذب للنووي (٨/٢٩١-٢٩٢)، حاشية قليوبي على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين (٢/١٤٦).

وسيأتي توجيه ذلك في المختوم على قلبه[(١)].

ومَنْ أَدْرَكَ آباءه على الكفر ثم نُبِّهَ على ذلك كان عليه أن يبحث وينظر ويحقِّق، وهذا لا يشقُّ عليه مشقَّة تُذْكَر، فلو قام به لهداه الله تعالى فعرف بطلان دينهم وأن البقاء عليه مُوجِبٌ لغضب الجبار والخلود في عذاب النار، وإذًا لهان عليه ترك دينهم بل لما استطاع البقاء عليه.والعاشق قد كان عليه أن يسعى في تقوية إيمانه وتحصيل الإيقان بأنَّ ربَّه عزَّ وجلَّ معه أبدًا، وأن الكرام الكاتبين لا يفارقونه، ودوام استحضار ذلك، ولو قام بهذا لما شقَّ عليه تركُ الزنا؛ فإننا نعلم أنه لو كان حين صادف معشوقته يرى أن إنسانًا ينظر إليهما ويخاف أن يحقره ويمقته ويُفْشِيَ سرَّه ويسيء سمعته لمنعه ذلك من مقاربتها، بل لو قيل لِمَا استطاع أن يقع بها لم يَبْعُد.ومُدْمِن الخمر لو قَوِيَ إيمانه لصحَّ عزمُه على تركها، وإذًا لهان عليه تركُها، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعتادون شربها فلما حُرِّمَتْ أعرضوا عنها البتَّة، وهكذا عامَّة مَنْ أسلم بعد تحريمها. وإنما يشقُّ تركها على مَنْ لم يصحَّ عزمه فتبقى نفسه تنازعه إليها، وعن ذلك يكون تضرُّره في بدنه إن صدق الأطباء، فأما مَنْ صَحَّ عزمه فبإذن الله تعالى لا ينالُه إلا كلَّ خيرٍ. هذا، والمشقَّة في تلك الأمثلة ونحوها وإن لم يعتدَّ بها الشارع في رفع التكليف فقد اعتدّ بها إلى حدٍّ ما من جهة أخرى، أما من نشأ على كفر آبائه فخَفَّفَ عنه بقبول العهد والذمَّة والأمان ولم يشدِّدْ عليه كما شدَّد على مَن كان آباؤه مسلمين ونشأ هو على الكفر؛ فإن هذا مرتد لا يُقْبَل منه إلا الإسلام، وهكذا يكون التخفيف في الآخرة، فعذاب المرتدِّ أشدُّ من عذاب الكافر الأصليِّ، والله أعلم.وأما العاشق الذي صادف صاحبته في خلوة فلعلَّ الله عزَّ وجلَّ أن يلطف به فيحجزه عنها أو يستره ويتوب عليه أو يخفِّف عنه من العذاب. ونحو هذا يقال في مدمن الخمر، وفي قصَّة النعيمان[(٢)][(٣)] ما يشهد لذلك. والله أعلم).

---

(١) انظر: آثار المعلمي (العبادة) (١٧٨/٢).

(٢) هو النعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاري الأنصاري: مزاح، من الصحابة، من أهل المدينة، كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا، مات سنة ٤١هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٣١٩/٥)، الأعلام للزركلي (٤١/٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الوكالة، باب: الوكالة في الحدود، (١٠٢/٣) (ح: ٢٣١٦) من =

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾:](١)

(قوله عزَّ وجلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ نصٌّ قاطع، وقد جاء نحوه في آيات أخرى، وهو مطابق لما جُبِلَت عليه النفوس وشهدت به بَدائِهُ العقول أنَّ الله سبحانه عدل حكيم رؤوف رحيم.وفي صحيح مسلم عن ابن عباس: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾، قال: "نعم"، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾، قال: "نعم"، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾، قال: "نعم ... "(٢)، وفي رواية أخرى: "قد فعلت، قد فعلت"(٣).ويظهر أنه ليس المراد بالنسيان والخطأ ما لا يكون من العبد فيه تقصير قطعًا، وليس المراد بـ ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ ما لا نطيقه ولو بذلنا أقصى جهدنا، كأن يلمس أحدُنا الشمس، أو يحمل جبلًا أو يصلِّي في اليوم ألفَ ألفَ ركعة، فإن هذه الأمور قد نُفِيَتْ بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، وإنما المراد – والله أعلم –: النسيان والخطأ اللَّذين(٤) لا يخلو العبد من تقصيرٍ مَّا فيهما، فإننا نجد أحدنا ينسى الصلاة أو ينام عنها حتى يخرج وقتها، ولو قيل له: إذا حضرْتَ اليوم وقت الصبح بباب الملِك حصل لك مال عظيم وهو محتاج لم يفتْه ذلك الوقت، وكذلك نجد المفتيَ إذا سُئِل عن مسألة فيها إراقة دم بذل فيها من الجهد في البحث والنظر ما لا يبذله إذا سئل عن مسألة في البيوع مثلًا. والمراد والله أعلم بـ ﴿مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ ما فيه مشقة شديدة، ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله سبحانه: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وما في معناها، وقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "إن الدين يُسْرٌ" الحديث(٥).

= حديث عقبة بن الحارث رضي الله عنه، وانظر: قصته في الإصابة عندما لعنه أحد الصحابة لابن حجر (٤٦٤/٦).

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٩١٤/٣-٩٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: قوله تعالى: [وإن تبدوا..]، (١١٥/١) (ح: ١٢٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، والرواية التي بعدها هي التي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: المصدر نفسه، (١١٦/١) (ح: ١٢٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) (كذا في الأصل) قاله المحققون على آثار المعلمي، انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٩١٥/٣).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: الدين يسر، (١٦/١) (ح: ٣٩).

وهذا هو الذي فهمه الفقهاء، فقالوا: إنه يُعْفَى عما يَشُقُّ الاحترازُ عنه من النجاسات ونحوها(١).

وقالوا: إن المرأة إذا اشتبهت بأجنبيَّاتٍ غير محصوراتٍ لم يحرم على أبيها مثلًا أن يتزوَّج واحدةً منهنَّ، بل جعلوا هذا المعنى أصلاً من أصول الشريعة، فقالوا: "إن المشقة تجلب التيسير"، ووسَّعوا دائرة الإكراه الذي يبيح إظهار الكفر فلم يحصروه في تَيَقُّنِ القتل إذا لم يعمله(٢).

فإن قلت: ولكن النفي في قوله: ﴿**مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ يخالف ما ذُكِرَ؛ فإنه نصٌّ في نفي جنس الطاقة. قلت: صدقت، ولكن معنى الطاقة القدرة على الشيء بدون صعوبة شديدة، وقد نبَّه على ذلك الراغبُ، فقال: "فقوله: ﴿**مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ**﴾ أي: ما يصعب علينا مزاولته، وليس المعنى: لا تحمِّلنا ما لا قدرة لنا به ... "(٣).

أقول: ومما يبين ذلك حديث المعراج وهو في الصحيحين وغيرهما من طرقٍ، وفيه مراجعة موسى لمحمَّد عليهما الصلاة والسلام في فرض الصلوات، وقوله له: "إن أمتك لا تستطيع ذلك"(٤)، وفي رواياتٍ: لا تطيق ذلك(٥)، حتى إنه قال له ذلك في خمس صلواتٍ. ولكن يجب أن تعلم أنه ليس كل نسيان وخطأ معفوًّا؛ فإنَّ مَنْ تشاغل بلهو محرَّم أو مكروه فأنساه الصلاة ليس بمعذور.

وكذلك مَنْ سمع آية فَهِمَ منها حُكْمًا، فعمل به، وأفتى، واستمرَّ على ذلك، ولم يتدبَّر القرآن والسنن الثابتة مع احتمال أن يكون فيها ما يخالف فَهْمَه. فكأنَّ النسيان والخطأ إنما

---

(١) انظر: المجموع شرح المهذب للنووي (٢/٥٥٧)،(٣/١٣٢)، المغني لابن قدامة (١/٦٨).

(٢) انظر: تفصيل ذلك في القواعد لابن اللحام (ص: ٦٤ وما بعدها)، الأشباه والنظائر للسيوطي (ص:٢٠٣).

(٣) انظر: المفردات للراغب (ص:٥٣٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، (٥/٥٢) (ح: ٢٨٨٧).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ذكر إدريس عليه السلام، (٤/١٣٥) (ح: ٣٣٤٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم..، (١/١٤٨) (ح: ١٦٣).

يُعذر بهما إذا انتفى التقصيرُ، ولكن التقصير أمر مشتبه؛ فإن العلماء صرَّحوا بأنه يكفي المجتهد أن يبحث حتى يغلب على ظنه أنَّه لا مخالف لما فهمه[(١)]، وغلبةُ الظن أمر يتفاوت، وهكذا المشقَّة التي إذا وُجِدَتْ في الشيء صدق أنَّه لا يُطاق هي أمر غير منضبط أيضًا، ولكننا نتتبَّع أمثلةً مما ثبت فيه عُذْرُ مَن جرى منه ما لولا العذرُ لكان كفرًا، فأقول: قد سبق أنَّ الكفر كلَّه يرجع إلى الكذب على الله تعالى والتكذيب بآياته. فمِمَّن يُعْذَر إجماعًا مَنْ كَذَبَ على الله تعالى بقوله فقط بسبق اللسان، كما تقدَّم في الحديث الصحيح، "فقل: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"[(٢)]، وقد تقدَّم[(٣)]. ومَن تلا آية كان يعتقد أنه يحفظها فزاد فيها أو نقص أو غيَّر شيئًا فيها على سبيل الخطأ، فإذا نُبِّهَ اعترف بأنَّه أخطأ، ومثل هذا في الأحاديث. ومَن أُكْرِه وقلبه مطمئنٌّ بالإيمان بشرط ألَّا يظهر منه ما يدلُّ على الاختيار، بخلاف مَن ظهر منه ذلك، كما تقدَّم فيمن بقي بمكة من المسلمين بعد الأمر بالهجرة، وهو قويٌّ[(٤)]. وَمَن حَكَى كَلامَ غيرِه مصرِّحًا بذلك، كمن يتلو قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾ [التوبة: ٣٠]، على أنَّ الحاكيَ لا يُطلَق عليه أنه كَذَبَ. ومثله مَن يحكي كلامًا لغيره ثم يردفه باعتراضٍ عليه، كأن يقول: مِن لازِمِ هذا القول أن يكون الله تعالى كذا ويذكر وصفًا مُحالًا. وكذلك مَن يَفْرِضُ اعتراضًا ليجيب عنه كأن يقول: فإن قيل: إنَّ الله تعالى يرضى أن تُعبد الملائكة معه لأنهم مقرَّبون لديه فالجواب....

وربما يظهر عذرُ مَنْ كان قريب عهد بالإسلام أو عاش ببادية بعيدة عن العلماء إذا نطق بكذبٍ على الله تعالى على سبيل الضحك واللعب ظانًّا أنَّ مِثل ذلك لا يكون كفرًا، كما يُحْكَى أنَّ عدنانيًّا افتخر على قحطانيٍّ قائلًا له: محمَّد من عدنان، فأجابه القحطاني قائلاً:

---

(١) انظر: تفاصيل هذه المسألة في آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث)، (٤/٤٣-١٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: التوبة، باب: في الحض على التوبة والفرح بها، (٤/٢١٠٤) (ح: ٢٧٤٧)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٨٥٦).

(٤) انظر: المرجع نفسه، (٢/١٦-١٨).

الله من قحطان، تعالى الله عما قال. لكنه إذا قيل بالعذر يشتبه الحال فيمن كان مسلمًا بالغًا قد مضت له بعد بلوغه مدَّةٌ تمكَّن فيها من التعلُّم، على أنَّ في عذر قريبِ العهد بالإسلام ونحوه نظرًا؛ لأنَّه يعلم أنَّ قوله كذبٌ وأنَّ في ذلك الكذب سوءَ أدب وانتهاكَ حُرْمَة، وإن لم يعلم أنَّه يبلغ الكفر، فالله أعلم. وممن يُعْذَرُ إجماعًا ممن كذب على الله تعالى بفعله فقط: مَن أُكْرِه وقلبه مطمئن بالإيمان بالشرط المتقدم، ومَن أخطأ كأعمى تلا آية سجدة فسجد إلى جهة يظنها القبلة وكان أمامه صَنَمٌ يَظْهَرُ لمن يَرَى أنَّ السجدة للصنم. ويظهر لي عذرُ مَنْ رأى تمثالًا يشبه صورةَ وَلَدٍ له غائب فاعتنق التمثال وَقَبَّلَهُ بداعي الشوق إلى ولده فقط، فإن كان يعلم أن ذلك التمثال صنم يُعبد ففي قَبُول عذره نظر. وهكذا مَن كان قريب عهد بالإسلام أو عاش ببادية بعيدًا عن العلماء إذا سجد أمام صنم مثلًا على سبيل الهزل والاستهزاء كما مَرَّ نظيرُه في الكذب بالقول.

وممن يُعْذَرُ ممن كذب على الله تعالى باعتقاده: المجتهدُ في الفروع إذا اجتهد فظهر له ما ظنَّه سلطانًا على حُكْمٍ فاعتقده، وكذا مَن قلَّده بشرطه المتقدِّم فيما مرَّ في الكلام على البدع[١]. وكذلك يُعْذَرُ مَن كان قريب عهد بالإسلام إذا توهَّم جواز شيءٍ مخالفٍ لشهادة أن لا إله إلا الله مخالفةً غير صريحة، كما مَرَّ[٢] في قول بني إسرائيل: ﴿**ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ**﴾ [الأعراف: ١٣٨]، وقال بعض المسلمين للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: اجعل لنا ذات أنواط[٣]، وقد تقدَّم[٤] حديث: "اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل"[٥].

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٣/٨٨٤ وما بعدها).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٢/٢٣٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٣٦/٢٢٥) (ح: ٢١٨٩٧)، وصحح إسناده محققوه، والترمذي في جامعه، في كتاب: أبواب الفتن، باب: ماجاء لتركبن سنن..، (٤/٤٧٥) (ح: ٢١٨٠)، كلاهما من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(٤) انظر: المرجع نفسه (٢/١٤٢).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (٣٢/٣٨٣) (ح: ١٩٦٠٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وضعف إسناده محققوه.

وليس من الشرك الذي عُذِرَ صاحِبُهُ استئذانُ قيس بن سعد[١] النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في السجود له، وقد تقدَّم الحديث[٢]؛ لأنه رأى قومًا من الأعاجم يسجدون لمرزبان لهم فرأى أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أحق بأن يُسْجَدَ له؛ فإنَّ السجود للمخلوق إنما ينافي معنى: (لا إله إلا الله) إذا لم يأذن به الله، وقيسٌ لم يسجد، وإنما سأل النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولو أذن له لدلَّ ذلك على الإذن من الله عزَّ وجلَّ، وكذا يقال فيما جاء من الأحاديث في معنى حديث قيسٍ.

وقد قال ابن القيم[٣] في النونية:

تـــالله لـــو يرضـــى النـــبي ســـجودنا   كنـــا نخـــر لـــه علـــى الأذقـــان[٤]

وكذلك يُعْذَرُ مَنْ اشتبه عليه معنى: لا إله إلا الله، بعد القرون الأولى، فظنَّ معناها قاصرًا

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني: وال، صحابي: من دهاة العرب، ذوي الرأي والمكيدة في الحرب، والنجدة، وأحد الأجواد المشهورين، كان شريف قومه غير مدافع، ومن بيت سيادتهم، مات سنة ٦٠هـ. انظر: السير للذهبي (١٠٢/٣)، الأعلام للزركلي (٢٠٦/٥).

(٢) (لم أقف عليه فيما سبق، وإنما وقفت عليه في كتابه "تحقيق الكلام في المسائل الثلاث" في مبحث التبرك ص ٢٣٨، ونص الحديث "عن قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة ... فرأيتهم يسجدون لمرْزُبان لهم فقلت: رسول الله أحق أن يسجد له. قال: فأتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقلت: إني أتيت الحِيرة فرأيتهم يسجدون لمرْزُبان لهم فأنت يا رسول الله أحق أن نسجد لك! قال: "أرأيت لو مررتَ بقبري أكنتَ تسجد له". قال: قلت لا. قال: "فلا تفعلوا لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرتُ النساء أن يسجدن لأزواجهن لما جعل الله لهم عليهن من الحق". رواه أبو داود في سننه، كتاب النكاح باب في حق الزوج على المرأة ٢/ ٢٤٤ ح ٢١٤٠) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٩٢٠-٩٢١).

(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين: أحد كبار العلماء، مولده ووفاته في دمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكان حسن الخلق محبوبا عند الناس، له من الكتب (المدارج) و (الفوائد) وغيرها الكثير، مات سنة ٧٥١هـ. انظر: الدرر الكامنة لابن حجر (١٣٧/٥)، الأعلام للزركلي (٥٦/٦).

(٤) انظر: نونية ابن القيم (ص:٢٥٢).

على نفي وجوب الوجود عن غير الله تعالى، حتى تقوم عليه الحجة، أو يَبْلُغَهُ أنَّ بعض العلماء يُفَسِّرُها على غير ما فهمه، وربما يُعْذَرُ وإن بلغه ذلك إذا رأى علماء جهته يقولون: إنَّه لم يخالف في هذا إلا فلان، وهو جاهل ضالٌّ مبتدع كافر مخالف لإجماع الأمة، ونحو ذلك.

فأما إذا اختلف الناس عليه وبلغه أنَّ ذلك المخالف يوافقه جماعة من العلماء والعقلاء ويحتجُّ بكتاب الله وسنة رسوله فإنه لا يُعذر فيما يظهر. ومما يَدُلُّ على هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾ [الشورى:١٦] فقوله: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ﴾ مفهومه أنَّ الحال قبل الاستجابة كان بخلاف ذلك، ووجهه فيما يظهر أن مَن كان بعيدًا عن الحجاز فبلغه أنَّ رجلاً بمكة، يزعم أن الله أرسله، والناس كلهم حتى أقاربه مطبقون على تكذيبه ويقولون: هو مجنون ومسحور ونحو ذلك، فإنَّ هذا البعيد قد يغلبه تصديق الجمهور مع ما عنده من الشبهة، فربما يُعذر بذلك.

فأما بعد ما استجيب للنبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فآمن به جماعة واتبعوه وفارقوا دين آبائهم وعَادَوْا أهليهم وأحبائهم وعرَّضوا أنفسهم وأموالهم للتلف فلم يبق عذر لهذا البعيد، وإن كان له شبه، بل تَعَيَّن عليه أن يأتي النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ويسمع كلامه ويتدبَّر ما يقوله بنية خالصة صادقة؛ فإنه إن فعل ذلك تبين له الحق بمقتضى قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] على ما تقدَّم[(١)]. نعم، مَن لم يبلغه الاستجابة فربما يُعْذَرُ، وعليه يُحْمَلُ قول الغزالي في فيصل التفرقة: "وصنف بلغهم اسم محمد صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ولم يبلغهم مبعثه ولا صفته، بل سمعوا أن كذَّابًا يقال له فلان، ادّعى النبوة، فهؤلاء عندي من الصنف الأول"[(٢)] - أي من الذين لم يسمعوا اسمه أصلاً - فإنهم لم يسمعوا ما يحرِّك داعية النظر. وسِرُّ المسألة أنَّ البعيد عن الحجاز ليس عنده برهان على بطلان دعوى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى لا يلزمه السفرُ إليه، وسماعُ كلامه، ولكن إطباق الناس على تكذيبه شبهة قوية، فإذا تبعه جماعة وآمنوا به وصدّقوه سقطت هذه

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٧٣/٢ وما بعدها، ١٧٦ وما بعدها).

(٢) انظر: فيصل التفرقة للغزالي (ص:٨٤).

الشبهة. فأما مَنْ بلغه من المسلمين في هذا الزمان أن رجلاً ادّعى النبوّة وتبعه آلاف من الناس فإنَّه لا يلزمه إتيانُه وسماعُ كلامه وتدبُّر ما يقول؛ لأن عندنا براهينَ قطعيةً على كذب مثل هذا المدَّعي، ولو اتبعه الثقلان. ولعله يُعْذَر مَنْ بلغه أنَّ العلماء اختلفوا ولم يمكنه التفرُّغ للنظر والتفكر في حجج الفريقين، ولكن إنما يُرجى عذره فيما عدا الأمور التي يتوقَّف القطع بأنه لا إله إلا الله على القطع بها، وقد مَرَّ بيان ذلك[1]، فلا يُرْجَى عذرُه إلا بالنسبة إلى الأمور التي يكفي فيها الدليل الظني المستند إلى أصل قطعي، ولكن عليه أن يحتاط فيجتنب الأمور المختلف فيها. فإن قلت: إن جميع الفروع الشرعية المختلف فيها تدخل في هذا القبيل كما تقدم، وقد مضى سلف الأمة وخلفها على أنه يكفي العامي تقليد مجتهد، ولا يجب عليه الاحتياط. قلت: قد تقدَّم القول في هذا في ص[2].

وإذا قلنا بأنه يرجى أن يعذر هذا الرجل إذا احتاط فمعنى ذلك أنه إذا لم يحتط لا يُرجى عذره. وكذلك أقول، على معنى أني لا أرجو له ألَّا يأثم، فأما الحكم عليه بأنه يكون كافرًا أو مشركًا فإني أدع الأمر في ذلك إلى نظرك.

واعلم أن كثيرًا من البلدان إلى الآن يتبيَّن أن أهلها معذورون وإن لم يحتاطوا؛ فإنك تجد أكثر نواحي اليمن مثلًا لم يبلغهم في هذه المسائل أكثرُ من أنَّ رجلاً يقال له محمد بن عبد الوهاب نَبغَ بِنَجْدٍ، وكَفَّرَ سلف الأمَّة وخَلَفها، وخرق الإجماع، وزعم أنَّ العصا أفضل من النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، واستحلَّ دماء المسلمين، وليس له حجَّة إلا أنه يحرِّف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى هواه، وأنه كان رجلاً جاهلاً لا يعرف العربية ولا المعاني والبيان، ولا أخذ العلم عن العلماء، وأنَّ العلماء كلَّهم أنكروا عليه وكفَّروه، حتى أبوه وأخوه، وإنما اتبعه أعراب جفاة غَرَضُهُمْ من اتِّباعه استحلالُ دماء المسلمين وأموالِهم، وأنهم يبغضون النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وأنهم إذا تشهَّدوا قالوا: أشهد ألَّا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا يقولون: وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، وأنهم أرادوا أن يمنعوا (أشهد أنَّ محمدًا رسول

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٨٧٦/٣ وما بعدها).

(٢) (بيض المؤلف لرقم الصفحة، وهي ص٩٠٠) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه (٩٢٢/٣).

الله) من الأذان، ولكنهم خافوا من افتضاح عقيدتهم فأبقوها، وأنهم إذا دخلوا قرية قتلوا الرجال والنساء والصبيان، وتحرَّوا بالقتل خاصَّةً مَنْ يُنْسَبُ إلى العلم والصَّلاح، وإذا طلب منهم أحد من علماء المسلمين أن يناظروه قالوا: ليس عندنا إلاَّ السيف، وإذا احتجَّ عليهم أحد بكتاب الله وسنة رسوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قالوا: حسبنا ما قاله الشيخ محمد بن عبد الوهاب(١)، وأشباه هذه الحكايات، يزعم نَقَلَتُهَا بألسنتهم أو في كتبهم أنها متواترة لا ريب فيها. وإن ظفر بعضُ طلبة العلم في تلك الجهات - أعني أكثر نواحي اليمن — بنسبة الخلاف في تلك الأمور إلى ابن تيميَّة(٢) فمقرونًا بتكفير ابن تيميَّة وتضليله، وأنه كان يبغض النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وابنَ عمه عليًّا عليه السلام، وأنه كان يقول: إنَّ الله تعالى شخص مثل الإنسان جالس على العرش، وأنه قال: إنَّ العرش قديم، وأنه خرق الإجماع في نحو عشرين مسألة، وأنَّ علماء المسلمين في عصره أجمعوا على تكفيره وأفتوا بقتله، ولكن امتنع السلطان حينئذ من قتله واكتفى بسجنه إلى أن مات. فأمَّا بعد دخول السعودِّيين الحجاز فإنها لا تزال تُرْوَى عنهم كلَّ سنة حكايات شنيعة جدًّا. وحبَّذا لو أنَّ الحكومة السعودية توعز إلى أصدقائها في كلِّ جهة من جهات العالم أن يكتب إليها كلٌّ منهم كُلَّ سنة بما يقوله الحجّاج وغيرهم عن الحجاز وأهله وحكومته، ثم تنظر في ذلك، فما كان صحيحًا ولها عذر بَيَّنَتْه، وما كان صحيحًا ولا عذر عنه تداركَتْه، وما كان كذبًا أعلنت تكذيبه(٣).

---

(١) هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي: إمام الدعوة النجدية الإصلاحية المجدد شيخ الإسلام، ولد ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، وزار الشام، ودخل البصرة فأوذي فيها، وعاد إلى نجد، له كتاب (التوحيد) و(مسائل الجاهلية) وغيرها، مات ١٢٠٦هـ. انظر: عنوان المجد لابن بشر (٣٣/١)، الأعلام للزركلي (٢٥٧/٦).

(٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام، كان آية في التفسير وسائر العلوم، فصيح اللسان، له من الكتب (الواسطية) و (الصارم المسلول) وغيرها الكثير، مات ٧٢٨هـ. انظر: السير للذهبي (٢٨٨/٢٢)، الأعلام للزركلي (١٤٤/١).

(٣) خصوم الدعوة النجدية والدولة السعودية كثر، وقد ألفوا في ما ذكره المؤلف كتبا كثيرة، ومن هؤلاء =

والمقصود هنا إيضاح أنَّ كثيرًا من البلاد الإسلاميَّة المنتشرة فيها البدع معذورون، والله أعلم. فإن قلت: كيف يُعْذر مَن وقع عنه عَمَلٌ من أعمال الشرك، وقد قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]؟

قلت: مَن صَحَّ عُذْرُه لا يصدق عليه أنَّه أشرك، كما أنَّ مَن تزوَّجَ امرأة لا يشعر بأن بينه وبينها مَحْرَمِيَّة، فبانت أنها أخته من الرضاع مثلاً، لا يصدُق عليه بأنه زنى بأخته، لكن لو أراد أن يتزَّوج امرأة فقال له قائل: إنها أختك من الرضاع، وكثير من الناس يعلمون ذلك لو سألتَهُمْ أخبروك، فأبى أن يسأل وأقدم على نكاحها لم يكن معذورًا. وممن يُعْذَر ممن كذَّب بآية من آيات الله: مَن سبق لسانُه إلى لفظٍ فيه تكذيب، وَمَن أُكْرِه وقلبه مطمئن بالإيمان بالشرط السابق، ومَن ظنَّ أنها ليست من عند الله وكان له عذر في ظنِّه، مثل أن يكون قارئًا للقرآن يظنُّ أنه إذا تُلِيَتْ عليه آية من القرآن لا يشتبه عليه أنها منه، فتُلِيت عليه آية فظنَّ زيادةَ كلمة أو نقصانَها فجزم بذلك خطأً على شرطِ أَنَّهُ إذا رُوجِعَ وَبُيِّنَ له غَلَطُه رَجَعَ.

ومن هذا القبيل ما وقع لابن مسعود من إنكار أن تكون المعوِّذتان من القرآن، وذلك أنه صحب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم طويلًا وقرأ عليه القرآن فلم يَتَّفِقْ له أن يُقرئه النبي

= الخصوم -الذين لهم نشاط وكتابات في الرد على الدعوة النجدية-، عبدالله بن أحمد بن سحيم ت١١٧٥هـ، ومحمد فيروز ت١٢١٦هـ، وعثمان بن منصور ت١٢٨٢هـ ورد عليه الشيخ عبد اللطيف ابن عبدالرحمن بن حسن في كتابه (مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام)، وأحمد زيني دحلان ت١٣٠٤هـ ورد عليه الشيخ محمد السهسواني من علماء الهند بكتابه (صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان)، وداود بن جرجيس البغدادي ت١٢٩٩هـ ورد عليه الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بكتابين (تحفة الطالب والجليس في الرد على ابن جرجيس) و (منهاج التأسيس والتقديس في الرد على ابن جرجيس)، ويوسف النبهاني ت١٣٥٠هـ ورد عليه الشيخ محمود بن شكري الألوسي في كتابه (غاية الأماني في الرد على النبهاني)، وانظر للاستزادة: (تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين) لسليمان بن سحمان، و(دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقد) لعبدالعزيز العبداللطيف، و(محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه) لمسعود الندوي، (التعريف بالدعوة السلفية النجدية) لفيصل قزار الجاسم.

صلَّى الله عليه وآله وسلَّم المعوِّذتين على أنهما من القرآن، ولا ذكر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قرأ بهما في الصلاة، وإنما سمع النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يعوِّذ بهما الحسن[١] والحسين[٢] عليهما السلام مع أمور أخرى تجمَّعَتْ عنده وقويت في نفسه حتى ظَنَّ ما ظَنَّ[٣].

ونحن على يقينٍ أنه لو اتَّفَقَ مراجعةُ جماعة من الصحابة له بحيث يكون خبرُهم قطعيًّا لرجع.

وقد وقع لأفرادٍ من الصحابة مثل ما وقع لابن مسعود، وقد جاء عن أُبَيّ بن كعب أنه كان في مصحفه أشياء ليست عند جمهور الصحابة من القرآن؛ لأنهم علموا أنَّ تلاوتها نُسِخت. وفي صحيح البخاريِّ وغيره عن ابن عباس قال: قال عمر رضي الله عنه: أقرؤنا أُبيٌّ، وأقضانا عَلِيٌّ، وإنا لَنَدَعُ من قول أُبَيٍّ، وذاك أن أُبَيًّا يقول: لا أَدَعُ شيئًا سمعته من رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقد قال تعالى: ﴿۞مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا﴾ [البقرة:١٠٦] [٤].

وقد اختلفت الأمَّة في ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفاتحة:١]، واتفقت على عذر المثبت والنافي، وقد جرى لعمر وأُبيٍّ وابن مسعود وغيرهم إنكارُ قراءة مَن قرأ مخالفًا لما أقرأهم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم حتى بَيَّنَ لهم النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنَّ تلك القراءات

---

(١) هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو محمد: خامس الخلفاء الراشدين وآخرهم، ولد في المدينة المنورة، وأمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكبر أولادها وأولهم، كان عاقلا حليما محبا للخير، فصيحاً من أحسن الناس منطقا وبديهة، مات ٥٠هـ. انظر: السير للذهبي (٣/٢٤٥)، الأعلام للزركلي (٢/١٩٩).

(٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي، أبو عبد الله: السبط الشهيد، ابن فاطمة الزهراء، سيد شباب أهل الجنة، ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، مات ٦١هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٢/٢٤)، الأعلام للزركلي (٢/٢٤٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه مختصرا، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى (الله الصمد)، (٦/١٨١) (ح: ٤٩٧٧)، وأحمد في مسنده، (٣٥/١١٦) (ح: ٢١١٨٦) وصحح إسناده محققوه، كلاهما عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله تعالى [ما ننسخ من آية..]، (٦/١٩) (ح: ٤٤٨١) من حديث عمر رضي الله عنه.

كلَّها حق، فأما عمر وابن مسعود وغيرهما فاكتفوا بذلك[١].

وأما أُبَيٌّ فَعَرَضَ له ما تقدَّم أوائلَ الرسالة[٢] حيث قال: فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنتُ في الجاهلية، فلما رأى رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ما قد غَشِيَنِي ضرب في صدري فَفِضْتُ عَرَقًا، وكأنما أنظر إلى الله فَرَقًا"، وذكر الحديث[٣].

قال الأُبِّيُّ[٤] في شرح مسلم بعد أن نقل كلام المازَري[٥] ثم كلام القرطبي[٦]: "قلت: وكلامه وكلام غيره قاضٍ بأنهم حملوا الحديث على أنَّ معناه: فوقع في نفسي من تكذيبي إيَّاه لتصويبه قراءة الرجلين أكثر من تكذيبي إيَّاه قبل الإسلام، فلذلك أَوَّلُوه بأنَّ الذي وقع في نفسه إنما هو نزغة وَخَطْرَة لا تستقرُّ في النفس، والخَطْرَةُ التي لا تستقرُّ في النفس غيرُ مؤاخَذٍ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: فضائل القرآن، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، (١٨٤/٦) (ح: ٤٩٩٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، (٥٦١/١) (ح: ٨١٨).

(٢) انظر: آثار المعلمي (٣٢/٢).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف..، (٥٦١/١) (ح: ٨٢٠)، من حديث أبي رضي الله عنه.

(٤) هو محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسى الحسنى، من جهة الأم، أبو عبد الله: عالم تلمسان في عصره، وصالحها، له تصانيف كثيرة، منها (مكمل إكمال الإكمال) و (شرح الآجرومية) وغيرها، مات ٨٩٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١٥٤/٧)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٧٨٦/٣).

(٥) هو محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية، نسبته إلى (مازر) بجزيرة صقلية، له من الكتب: (المعلم بفوائد مسلم) و (التلقين) وغيرها، مات ٥٣٦هـ. انظر: السير للذهبي (١٠٤/٢٠)، الأعلام للزركلي (٢٧٧/٦).

(٦) هو أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي، فقيه مالكي، من رجال الحديث، يعرف بابن المزين، كان مدرسا بالإسكندرية وتوفي بها، ومولده بقرطبة، من كتبه (المفهم) و (اختصار صحيح البخاري)، مات سنة ٦٥٦هـ. انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣٨١/١٧)، الأعلام للزركلي (١٨٦/١).

بها؛ لأنه لا يقدر على دفعها"[١]، ثم ذكر تأويلًا ضعيفًا جدًّا[٢].

وأقول: هذه النزغة ليست من باب الوسوسة التي يلقي بها الشيطان في صدر الإنسان خواطر هو يعلم أنها كذب كما في حديث مسلم عن أبي هريرة قال: جاء ناس من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم إلى النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلَّم به، قال: "أوَ قد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان"[٣]؛ فإنهم فسَّروا هذه الوسوسة بما يلقيه الشيطان في خاطرك وأنت تعلم يقينًا بطلانَهُ، كما جاء في حديث آخر أنه يلقي في خاطر الإنسان: "هذا اللهُ خلق الناسَ فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟"[٤]، فإن الإنسان يخطر له خاطر وهو يعلم موقنًا أنَّ الله تعالى خالق كل شيء، وأنه لم يزل ولا يزال. ويُحْكَى أنَّ رجلاً جاء إلى بعض العلماء، فقال له: إنَّ الشيطان قد أضرّ بي، يقول لي: قد طَلَّقْتَ زوجتك، قد طَلَّقْتَ زوجتك. فقال له العالم: أَوَ لَمْ تُطَلِّقْهَا وأنا شاهد؟ قال: لا، والله ما طلَّقتُها. فراجَعه في ذلك، فقال: اتَّقِ الله فِيَّ؛ فإنها والله زوجتي، والله ما طلَّقتها قطُّ. فقال له العالم: فإذا جاءك الشيطان فاحلف له كما حَلَفْتَ لي. هذا معنى القصَّة دون لفظها[٥]. والذي عرض لأُبيٍّ شيءٌ أَشَدُّ من هذا إذا حُمل الحديث على ما فهموه. وعندي أنَّ المعنى: فسقط في نفسي شيء من التكذيب ليس كالتكذيب إذ كنت في الجاهلية، أي بل دونه؛ فقد اتَّفق أهل اللغة على أنَّ قولهم في المثَلِ: ماء ولا كصَدَّاء، معناه: هذا ماء جَيِّد، وليس كماء صَدَّاء في الجودة، بل دونه[٦]. وكذا قالوا في المثل الآخر: مَرْعىً ولا كالسَّعْدان[٧].

---

(١) إكمال إكمال المعلم للأبي (٤٣٠/٢).

(٢) انظر: المرجع نفسه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان..، (١١٩/١) (ح: ١٣٢).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: بيان الوسوسة في الإيمان..، (١١٩/١) (ح: ١٣٤).

(٥) لم أجدها، ولعلها مما يتناقل بين الناس.

(٦) انظر:مجمع الأمثال للميداني (٢٧٧/٢).

(٧) انظر: الأمثال للعسكري (٢٤٢/٢).

والحكايات التي ذكروها في أصل هذين المثلين صريحة في ذلك[(١)]، والقواعد تقتضي ذلك. وعلى هذا فالأمر الذي سقط في نفس أُبَيٍّ رضي الله تعالى عنه دون تكذيبه إذ كان في الجاهلية، ولكن مع ذلك يظهر لي أنه أَشَدُّ من الوسوسة الفارغة. وفي كلام الأُبَيِّ ما يؤخذ منه أنَّ العذر مَبْنِيٌّ على مجموع أمرين:

الأوَّل: عدم استقرار ذلك العارض.

والثاني: عدم القدرة على دفعه.

وقد يقال: لماذا لا يكفي عدم القدرة، وقد قال تعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ**﴾ [البقرة:٢٨٦]؟

والجواب: أنه لا يمكن أن يجتمع استقرارُها في النفس مدَّةً طويلةً، وعدم قدرته على الدفع، بل إنما تستقرُّ مدَّةً طويلةً إذا قَصَّرَ في البحث والنظر الصادق، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ**﴾ [العنكبوت: ٦٩] كما مرّ[(٢)]، بخلاف النزغة العارضة فإنها تسبق النظر والمجاهدة. ومما يشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١**﴾ [الأعراف: ٢٠٠، ٢٠١].

وقد تقدَّم في أوائل الرسالة[(٣)] الإشارة إلى وقائع أخرى تشبه واقعة أُبَيٍّ رضي الله عنه. ومن الآثار في الأعذار ما جاء أنَّ أَمَةً زنت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسألها فاعترفت اعترافًا يظهر منه أنها لم تعلم حرمة الزنا، فاستشار عمرُ أكابر الصحابة فقال له عثمان: إنما الحدُّ على من عَرَفَهُ، وأراها تستهلُّ به[(٤)].

فيؤخذ من هذا أنهم فهموا أنَّ الأَمَةَ كانت ترى الزنا مباحًا، ومع ذلك عذروها فلم

---

(١) انظر: المرجع نفسه.

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٧٣/٢ وما بعدها، ١٧٦ وما بعدها).

(٣) انظر: المرجع نفسه (٣٢/٢-٣٣).

(٤) ذكره المؤلف –رحمه الله– بالمعنى مختصرا، والأثر أخرجه البيهقي في سننه الكبرى، في كتاب: الحدود، باب: ماجاء في درء الحدود، (٢٣٨/٨) (ح: ١٧٥٢١) من حديث عروة بن الزبير رضي الله عنه.

يُكَفِّرُوها ولا حَدُّوها[١].

ومنها: توهُّم بعض الصحابة في زمن عمر أن الخمر حلال للمتقين المحسنين، واحتجَّ بقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ...لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: ٩٠ – ٩٣]. فعذره الصحابة وبيَّنوا له خطأه ولم يكفِّروه، ولكنهم حَدُّوه[٢].

ومنها: حديث الصحيحين وغيرهما: "كان رجل يسرف على نفسه فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متُّ فاحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذرُّوني في الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربي ليعذِّبنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا، فلما مات فُعِلَ به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلتْ، فإذا هو قائم بين يدي الله، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: يا رَبِّ خشيتك، فغفر له"[٣].

قال في الفتح: "قال الخطَّابي: قد يستشكل هذا فيقال: كيف يغفر له وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟ والجواب: أنه لم ينكر البعث وإنما جهل فظنَّ أنَّه إذا فُعِلَ به ذلك لا يُعاد .... قال ابن قتيبة: قد يغلط في بعض الصفات قوم من المسلمين فلا يكفرون بذلك ... "[٤].

أقول: والحديث ثابت من رواية جماعة من الصحابة عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم،

---

(١) (أي: حدَّ الرجم؛ لأنها كانت ثيِّبًا، وإنما جلدوها وغرَّبوها تعزيرًا كما بيَّنته الرواية) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (العبادة) (٣/٩٣٠).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: الحدود، (٤/٤١٧) (ح: ٨١٣٢) وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والبيهقي في سننه، في كتاب: الأشربة والحد فيه، باب: ماجاء في عدد حد الخمر، (٨/٣٢٠) (ح: ١٧٩٩٨)، كلاهما عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: أحاديث الانبياء، باب: حديث الغار، (٤/١٧٦) (ح: ٣٤٧٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، في كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله..، (٤/٢١١٠) (ح: ٢٧٥٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر (٦/٥٢٢).

منهم حذيفة وسلمان وأبو هريرة وأبو سعيد وأبو مسعود البدريُّ.ومنها: الحديث الصحيح في الأَمَة التي سألها النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "أين الله"؟ فقالت: في السماء، فقال: "مَن أنا"؟ قالت: رسول الله، فقال لسيدها: "أعتقها؛ فإنها مؤمنة"(١).

فقد قال منكرو الجهة: إنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عذرها في ظنِّها أنَّ الله تعالى في السماء بجهلها، وضَعْف عقلها، وقلّة علمها، ولم يُبَيِّنْ لها خطأها؛ لأنها لا استعداد لها لإدراك مثل هذه الحقيقة، أي أن الله تعالى ليس في جهة.ومثبتو الجهة لا ينكرون العذر، ولكنَّهم يحتجُّون بالحديث؛ لأنَّ فيه قوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: أين الله؟ ولأنه لو كان يعلم أنها مخطئة لبيَّن ذلك لمن حضر القصَّة من أصحابه أو على الأقلَّ لبعضهم؛ فإنه لا يجوز أن يُقال: إنهم جميعًا لم يكن لهم استعداد لإدراك الحقائق.ومنها: أنه ثبت عن النبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قوله: "مَن حلف بغير الله فقد أشرك"(٢)، وثبت عنه أنه سمع بعض أصحابه يحلف بأبيه قبل أن يعلموا ما في ذلك، فنهاهم عن ذلك وعذرهم فيما صدر منهم قبل العلم.

وقد أشار البخاري في صحيحه إلى هذا المعنى فترجم بقوله: (باب مَن أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال)، ثم ترجم بعده: (باب مَن لم ير إكفار مَنْ قال ذلك متأوِّلًا أو جاهلاً)، وذكر في هذا الباب بعضَ الأحاديث التي ذكر فيها أن بعض الصحابة نسب غيره منهم إلى النفاق بتأويلٍ، وذكر آخِرَه حديث ابن عمر أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أدرك عمر بن الخطَّاب في ركب وهو يحلف بأبيه فناداهم رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "ألا إن الله ينهاكم عن الحلف بآبائكم"(٣)الحديث.

قال في الفتح: "وقصده بذكره هنا الإشارة إلى ما ورد في بعض طرقه: "مَن حلف بغير الله فقد أشرك"، لكن لما كان حلف عمر بذلك قبل أن يسمع النهي كان معذورًا فيما صنع

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحريم الكلام في الصلاة..، (٣٨١/١) (ح: ٥٣٧)، من حديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، (٤٢/٥) (ح: ٥٣٧٥)، وأبوداود في سننه، في كتاب: الأيمان والنذور، باب: كراهية الحلف بالآباء، (١٥٤/٥-١٥٥) (ح: ٣٢٥١)، وصحح إسناده محققوه، كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: من لم ير...، (٢٧/٨) (ح: ٦١٠٨).

... "[١]. وسيأتي ذكر هذه الأحاديث وغيرها، والكلامُ على القَسَم بغير الله تعالى مفصَّلًا إن شاء الله تعالى[٢].

فصل

واعلم أنَّ مدار العذر على الجهل مع عدم التقصير في النظر، وإنما الشأن في ضبط التقصير، وهو أمرٌ مشتبهٌ جدًّا؛ فإنه ليس المراد به ألَّا يكون للإنسان استعداد للنظر أصلاً بأن يكون مجنونًا، ولا أن يكون قد صرف عمره كلَّه في البحث والنظر ولم يتشاغل عنه إلاَّ بما لا يستطيع تركه كتناول ما يَسُدُّ رَمَقَه من الطعام والشراب، وكقضاء الحاجة ونحو ذلك، بل الأمر أوسع من هذا.

وقد تقدَّم في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٦] ما يوضَّح هذا[٣]، وأنَّ الأمور الموجبة للعذر من النسيان والخطأ وعدم الطاقة ليست بمنضبطة، ولكن لعلَّك إذا تَدَبَّرْتَ ما تقدَّم تستطيع التقريب. وها هنا قاعدة جليلة، وهي: أنَّ مَن رضي بالإسلام دينًا ولو إجمالًا فالأصل فيه أنه معذور في خطئه وغلطه، ومَن لم يرض بالإسلام دينًا فالأصل فيه أنه غير معذور، ولا يخرج أحدُهما عن أصله إلا ببيانٍ واضحٍ. هذا في الحكم الظاهر، فأمَّا عند الله عزَّ وجلَّ فالمدار على الحقيقة؛ ولهذا كان يحكم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أهل الفترة بالشرك والنار، ولا يستثني أحدًا إلاَّ مَن فارق شركهم، كزيد بن عمرو بن نفيل. ومَن حَقَّق النظر ربما يظهر له أنَّ كثيرًا منهم كانوا معذورين، ولكن ليس هناك بيان واضح؛ فلذلك حكم الشرعُ عليهم بالظاهر، وأَمْرُهُمْ عند الله موكولٌ إلى الله. وقد جاء ما يدلُّ أنَّ أهل الفترة يُمْتَحَنُون يوم القيامة. قال الحافظ في الإصابة في ترجمة أبي طالب[٤]: "وورد من عدَّة طرقٍ في حقِّ الشيخ الهرِمِ، ومَن مات في الفترة، ومَن وُلِدَ أَكْمَهَ

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر (٥١٦/١٠).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٩٨٩/٣ وما بعدها).

(٣) انظر: المرجع نفسه (٩١٤/٣ ومابعدها).

(٤) هو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم، من قريش، أبو طالب: والد علي (رضي الله عليه) وعم =

أَعْمَى أَصَمَّ، ومَن وُلِد مجنونًا أو طرأ عليه الجنون قبل أن يبلغ، ونحو ذلك، وأنَّ كلًّا منهم يُدْلي بحجة، ويقول: لو عقلتُ أو ذكرت لآمنتُ، فتُرفع لهم نار، ويُقال لهم: ادخلوها، فمَن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومَن امتنع أُدْخِلَها كَرْهًا. هذا معنى ما ورد من ذلك، وقد جمعتُ طرقه في جزءٍ مفردٍ. ونحن نرجو أن يدخل عبد المطلب وآلُ بيته في جملة مَن يدخلها طائعًا فينجو، لكن ورد في أبي طالبٍ ما يدفع ذلك ... "[١].

وكان صلَّى الله عليه وآله وسلَّم يحكم فيمن أسلم أنه على إسلامه وإن ظهر منه خلاف ذلك ما لم يتضح أمره، فمن ذلك قصَّة ذات أنواط، وقد تقدَّمت[٢]، فعذر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم القائلين: "اجعل لنا ذات أنواط" مع بيانه أن ذلك كقول بني إسرائيل: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾ [الأعراف:١٣٨][٣].

ومن ذلك حديث الصحيحين عن عِتبان بن مالك[٤] في صلاة النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في بيته، وفيه: فقال قائل منهم: أين مالك بن الدُّخْشُن[٥]؟ فقال بعضهم: ذلك

= النبي صلى الله عليه وسلم وكافله ومربيه ومناصره، كان من كبار بني هاشم ورؤسائهم، ومن الخطباء العقلاء، وله تجارة كسائر قريش، مات سنة ٣ق.هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٣٤/٤)، الأعلام للزركلي (١٦٦/٤).

(١) انظر: الإصابة لابن حجر (٢٤١/٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (١٤٢/٢).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٢٥/٣٦) (ح: ٢١٨٩٧)، وصحح إسناده محققوه، والترمذي في جامعه، في كتاب: أبواب الفتن، باب: ماجاء لتركبن سنن.. (٤٧٥/٤) (ح: ٢١٨٠)، كلاهما من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

(٤) هو عتبان بن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصاري الخزرجي السالمي: صحابي، من البدريين، وكان ضعيف البصر ثم عمي، ومات في خلافة معاوية، ويعد في أهل المدينة، له عشرة أحاديث، مات سنة ٥٠هـ. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٥٥١/٣)، الأعلام للزركلي (٢٠٠/٤).

(٥) هو مالك بن الدخشن أو الدخشم بن مالك بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف، شهد بدرا في قول الجميع، وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو، وكان يتهم بالنفاق، وذكر ابن الأثير: أنه لا يصح عنه النفاق، وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه. انظر: السيرة النبوية لابن هشام =

منافق لا يحب الله ورسوله، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "لا تقل ذاك، ألا تراه قد قال: "لا إله إلا الله"، يريد بذلك وجه الله". قال: الله ورسوله أعلم. أما نحن فوالله لا نرى ودّه ولا حديثه إلا إلى المنافقين، قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "فإنَّ الله قد حَرَّم على النار مَنْ قال: "لا إله إلا الله"، يبتغي بذلك وجه الله"[(١)].

وأخرج الشافعي وغيره عن عبيد الله بن عَدِي بن الخِيار[(٢)] أنَّ رجلاً سارَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فلم نَدْرِ ما سارَّه به حتى جهر النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فإذا هو يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "أليس يشهد ألاَّ إله إلا الله؟ "، قال: بلى، ولا شهادة له، قال: "أليس يصلي؟ "، قال: بلى، ولا صلاة له. فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "أولئك الذين نهاني الله عنهم"[(٣)].وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي سعيد الخدري في قصة قَسْمِ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الذُّهَيْبَةَ التي بعث بها عليٌّ عليه السلام[(٤)] من اليمن أنَّ رجلاً قال لرسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: اتق الله، فذكر الحديث، إلى أن قال: فقال خالد بن الوليد[(٥)]: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟

= (١٩٩/٣)، السيرة النبوية لابن هشام (١٩٩/٣)، أسد الغابة لابن الأثير(٢٠/٥).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأطعمة، باب: الخزيرة، (٧٢/٧) (ح: ٥٤٠١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، (٤٥٥/١) (ح: ٣٣)، كلاهما عن عتبان بن مالك رضي الله عنه،

(٢) هو عبيد الله بن عدي بن الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي، من فقهاء قريش وعلمائهم، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في زمن الوليد بن عبد الملك، وله دار بالمدينة عند دار علي بن أبي طالب، روى عن: عمر وعثمان. انظر: أسد الغابة لابن الأثير (٥٢١/٣)، السير للذهبي (٥١٤/٣).

(٣) أخرجه الشافعي في الأم، في كتاب: الحدود وصفة النفي، باب: ما يحرم به الدم من الإسلام (١٧٠/٦).

(٤) تقدم التعليق عليه (ص:١١٣).

(٥) هو خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي القرشي: سيف الله الفاتح الكبير، الصحابي، كان من أشراف قريش في الجاهلية، أسلم قبل فتح مكة (هو وعمرو بن العاص) سنة ٧ هـ فسر به رسول =

قال: "لا، لعلَّه أن يكون يصلِّي"، قال خالد: وكَم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "إني لم أومر أن أُنَقِّبَ عن قلوب الناس، ولا أشقَّ بطونهم"[١].

وفي رواية: أن المستأذن في قتل الرجل عمر بن الخطاب[٢]. قال العلماء: لعلَّ كلًّا من عمر وخالد استأذن في قتل الرجل.وفي الصحيحين وغيرهما عن علي عليه السلام في قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة[٣] إلى المشركين يفشي إليهم سِرَّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم في غزوه إياهم، أنَّ عمر قال: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "إنه قد شهد بدرًا". الحديث[٤].وفي الصحيحين وغيرهما في قصة الإفك أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم خطب فقال: "مَن يعذرني في[٥] رجلٍ قد بلغ أذاه في أهل

= الله صلى الله عليه وسلم، ولما ولي أبو بكر وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد، مات سنة ٢١هـ. انظر: السير للذهبي (٣٦٦/١)، الأعلام للزركلي (٣٠٠/٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: بعث علي بن أبي طالب عليه السلام..، (١٦٣/٥) (ح: ٤٣٥١) من حديث بريدة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (٧٤٢/٢) (ح: ١٠٦٤) (١٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: من ترك قتال الخوارج..، (١٧/٩) (ح: ٦٩٣٣) ، ومسلم في صحيحه، في كتاب، الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (٧٤٤/٢) (ح: ١٠٦٣) (١٤٨)، كلاهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) هو حاطب بن أبي بلتعة اللخمي: صحابي، شهد الوقائع كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان أحد فرسان قريش وشعرائها في الجاهلية، وكان من أشد الرماة في الصحابة، وكانت له تجارة واسعة، مات في المدينة سنة ٣٠هـ. انظر: أسد الغابة (٦٩٥/١)، الأعلام للزركلي (١٥٩/٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح، (١٤٥/٥) (ح: ٤٢٧٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب: من فضائل أهل بدر..، (١٩٤١/٤) (ح:٢٤٩٤)، كلاهما عن علي رضي الله عنه.

(٥) (كذا في الأصل، والذي في الصحيحين: "من رجلٍ") قاله المحققون على آثار المعلمي، انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٩٣٧/٣).

بيتي"، فقام سعد بن معاذٍ الأنصاري[١] فقال: أنا أعذرك منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، فقام سعد بن عبادة[٢] وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحًا ولكن اجتهلتْه الحميَّة، فقال لسعد بن معاذ: لَعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، فقام أسيد بن حضير[٣] وهو ابن عمِّ سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كَذَبْتَ، لعمر الله لنقتلنَّه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. الحديث[٤]. وفي الصحيحين وغيرهما عن جابرٍ أنَّ معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه كان يصلِّي مع النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ثمّ يأتي قومه فيصلِّي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فتجوَّز رجلٌ فصلَّى صلاةً خفيفةً، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: إنه منافقٌ. فبلغ ذلك الرجلَ، فأتى النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، فقال: يا رسول الله، إنَّا قوم نعمل بأيدينا ونسقي بِنَوَاضِحِنَا، وإنَّ معاذًا صلَّى بنا البارحة فقرأ البقرة، فتجوَّزْتُ، فزعم أني منافق، فقال النبي صلَّى الله عليه وآله

---

(١) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، الأوسي الأنصاري: صحابي، من الأبطال، من أهل المدينة، كانت له سيادة الاوس، وحمل لواءهم يوم بدر، وشهد أحدا، فكان ممن ثبت فيها، ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، ودفن بالبقيع سنة ٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٧٩/١)، الأعلام للزركلي (٨٨/٣).

(٢) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة، الخزرجي، أبو ثابت:صحابي، من أهل المدينة، كان سيد الخزرج، وأحد الأمراء الأشراف في الجاهلية والاسلام، شهد العقبة ، وشهد أحدا والخندق وغيرهما، وكان أحد النقباء الإثنى عشر، مات سنة ١٤هـ. انظر: السير للذهبي (٢٧٠/١)، الأعلام للزركلي (٨٥/٣).

(٣) هو أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك الأوسي، أبويحيى: صحابي، كان شريفا في الجاهلية والإسلام، مقدما في قبيلته (الأوس) من أهل المدينة، يعد من عقلاء العرب وذوي الرأي فيهم، كان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحدا والخندق والمشاهد كلها، مات سنة ٢٠هـ. انظر: السير للذهبي (٣٤٠/١)، الأعلام للزركلي (٣٣٠/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، (١١٦/٥) (ح: ٤١٤١)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: التوبة، باب: في حديث الإفك..، (٢١٢٩/٤) (ح: ٢٧٧٠)، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

وسلَّم: "يا معاذ! أفتانٌ أنت"، ثلاثًا. الحديث[١].

وفي الصحيحين في قصَّة أسامة[٢] في سَرِيَّتِهِ إلى الحُرَقات، وفيه قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، فكَفَّ الأنصاريُّ فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدِمنا بلغ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: "يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله؟ " قلت: كان متعوِّذًا، فما زال يكرِّرها حتى تمنَّيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[٣]. وفي رواية: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفًا من السلاح، قال: "أفلا شققت عن قلبه حتى [تعلم أ] قالها أم لا؟ "[٤]. وفي الصحيحين من حديث المقداد[٥] أنه قال: يا رسول الله، أرأيت إن لقيتُ رجلاً من الكفار فاقْتَتَلْنَا فضرب إحدى يديَّ بالسيف فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة فقال: أسلمت لله، أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "لا تقتلْه"، فقال: يا رسول الله إنَّه قطع إحدى يَدَيَّ، ثم قال ذلك بعد ما قطعها، فقال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "لا تقتلْه، فإن قتلته فإنه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: من لم ير إكفار..، (٢٦/٨) (ح: ٦١٠٦) من حديث معاذ رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: القراءة في العشاء، (٣٣٩/١) (ح: ٤٦٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) هو أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد: ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه حبا جما وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين، مات سنة ٥٤هـ. انظر: السير للذهبي (٤٩٦/٢)، الأعلام للزركلي (٢٩١/١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم أسامة رضي الله عنه، (١٤٤/٥) (ح: ٤٢٦٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر..، (٩٦/١) (ح: ٩٦)، كلاهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، الموضع نفسه.

(٥) هو المقداد بن عمرو، ويعرف بابن الأسود، الكندى البهرانى الحضرمي، أبو معبد، صحابي، من الأبطال، هو أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الاسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، مات سنة ٣٣هـ. انظر: السير للذهبي (٣٨٥/١)، الأعلام للزركلي (٢٨٢/٧).

بمنزلتك قبل أن تقتله، وإنَّك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال"[١]. وفي قصة خالد بن الوليد في سَرِيَّته إلى بني جذيمة أنه قتل جماعة منهم، قد قالوا: "صبأنا" ولم يحسنوا قولَ: "أسلمنا"، فوداهم النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وقال: "اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد"[٢]. ووقع لخالد في قتال أهل الردة ما يشبه ذلك[٣].

ففي هذه الأحاديث عذر النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم لمالك بن الدُّخْشن، والرجل الذي استؤذن في قتله، والقائل له: اتق الله، وحاطب بن أبي بلتعة وسعد بن عبادة مع ما ظهر منهم، وَعَذَرَ المتكلمين في مالك بن الدُّخْشن والمستأمر في قتل الرجل، وخالد بن الوليد وعمر بن الخطاب وأسيد بن حضير ومعاذًا وأسامة والمقداد مع تكفير كلَّ منهم لمن ليس بكافرٍ، مع أن في الصحيحين من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "أيُّما رجلٍ قال لأخيه: (يا كافر) فقد باء بها أحدهما"[٤]. وقد رُوي معنى هذا الحديث عن جماعة من الصحابة، وقد ترجم البخاري في صحيحه لهذا الحديث: (باب مَن أكفر أخاه بغير تأويلٍ فهو كما قال). وترجم بعده: (باب مَن لم ير إكفار مَن قال ذلك متأوِّلًا أو جاهلاً)، وذكر فيه قصَّة حاطبٍ ومعاذٍ[٥]. وقد ذهب جماعةٌ من الشافعيَّة إلى نحوٍ مما ترجم به البخاريُّ رحمه الله فقالوا: مَن كَفَّرَ مسلمًا بغير تأويل فهو كافر مرتدٌّ. وأطال ابن حجر

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب ، (٨/٨٥) (ح: ٤٠١٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: تحريم قتل الكافر..، (١/٩٥) (ح: ٩٥)، كلاهما عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المغازي، باب: بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد..، (٥/١٦٠) (ح: ٤٣٣٩)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: الإصابة لابن حجر (٢/٢٥٥) وتفصيلها في خزانة الأدب للبغدادي(٢/٢٣ وما بعدها).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: من كفر أخاه بغير تأويل..، (٨/٢٦) (ح: ٦١٠٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: بيان حال إيمان من قال..، (١/٧٩) (ح: ٦٠).

(٥) انظر: صحيح البخاري، كتاب الأدب، (٨/٢٦).

الهيتمي[١] في تقرير ذلك وتأييده في أوائل كتابه "الإعلام بقواطع الإسلام"[٢]، ونقل نحوه عن بعض المالكيَّة ... فأما كَفُّ النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم عن قتل مَن ثبت نفاقه فقد بَيَّنَ سبب ذلك بقوله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "لا يتحدَّث الناس أنَّ محمدًا يقتل أصحابه"[٣]. ولأنهم كانوا إذا سُئِلوا عن كلماتهم الخبيثة جحدوها واعتذروا عنها وأظهروا التوبة، فأمر الله تعالى بالإعراض عنهم، قال سبحانه: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٩٥﴾ [التوبة:٩٥].

۞ ۞ ۞

فصل

واعلم أن من الأعذار ما ينفع في الحكم الظاهر وينفع في الآخرة، ومنها ما ينفع في الحكم الظاهر فقط، ومنها ما ينفع في الآخرة فقط، وأنَّ مدار الحكم الظاهر على الأمر الظاهر. ولذلك يكفي في ثبوت الرِّدَّة شاهدان، فلو شهدا أنَّ فلانًا مات مرتدًّا وجب الحكم بذلك، فلا يُصَلَّى عليه ولا يُدْفَنُ في مقابر المسلمين، ويعامَلُ معاملة المرتدِّ في جميع الأحكام. وقد جرى العلماء في الحكم بالردَّة على أمورٍ، منها ما هو قطعيٌّ، ومنها ما هو ظنِّيٌّ، ولذلك اختلفوا في بعضها، ولا وجه لما يتوهَّمُه بعضهم أنه لا يكفَّر إلا بأمرٍ مجمعٍ عليه. وكذلك مَن تكلَّم بكلمة كفرٍ وليست هناك قرينةٌ ظاهرةٌ تصرف تلك الكلمة عن المعنى الذي هو كفرٌ إلى معنًى ليس بكفرٍ فإنه يَكْفُر، ولا أثر للاحتمال الضعيف أنه أراد معنى آخر.

---

(١) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس: فقيه باحث مصري، مولده في محلة أبي الهيتم (من إقليم الغربية بمصر) وإليها نسبته، له من الكتب: (شرح الأربعين النووية) و (نصيحة الملوك) وغيرها، مات سنة ٩٧٤هـ. انظر: الأعلام للزركلي(١/٢٣٤)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (١/٢٩٣).

(٢) انظر: الإعلام لابن حجر الهيتمي (ص:٤٦ وما بعدها).

(٣) أخرجه البخاري صحيحه، في كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى [سواء عليهم..]، (٦/١٥٤) (ح: ٤٩٠٥)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، (٢/٧٤٠) (ح: ١٠٦٣)، كلاهما عن جابر رضي الله عنه.

وفي الشفاء عن صاحب سحنون[١] في رجل ذُكِرَ له رسولُ الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: "فعل الله برسول الله كذا وكذا"، وذكر كلامًا قبيحًا، ثم قال: "أردتُ برسول الله العقرب" أنه لا يُقْبَلُ دعواه التأويلَ[٢]. ونقله الهيتمي في الإعلام، ثم قال: ومذهبنا لا يأبى ذلك[٣].

وقال في الزواجر: "نقل إمام الحرمين عن الأصوليين أنَّ مَن نطق بكلمة الرِّدَّة وزعم أنه أضمر توريةً كَفَرَ ظاهرًا وباطنًا، وأَقَرَّهُم على ذلك"[٤]. أقول: وهو الموافق لقواعد الشريعة. ولو قُبِلَ من الناس مثلُ هذا التأويل لأصبح الدين لعبةً، يقول مَن شاء ما شاء مِن سبِّ الله وسَبِّ رسوله، فإن سُئِلَ اعتذرَ بما يُشْبِه هذا التأويل. فإن قلت: فإنَّ قبول توبته يلزم منه مثلُ هذا الأمر، قلت: كلّا، فإنَّ قبول توبته معناه إثبات أنه ارتدَّ، ثم أسلم، ومثلُ هذا يعاب به بين الناس ويُوَبَّخُ عليه، ويسقط من العيون، وهذا مانعٌ للسفهاءِ والملحدين، عن إظهار ما يكفرون به بخلاف مَن يُقْبَلُ عُذْرُه، فتدبَّر. وإذا كان الأمر كما سمعت في عدم قبول عذر مَن ذُكِرَ مع أنه قد زعم أنه لم يُرِدِ المعنى الذي هو كفرٌ، وذكر معنى آخر زعم أنه أراده، فما بالك بمن يذكر مثل هذه الكلمة وأمثالها وأخبث منها ويؤلِّفُ فيها الكتب ويبنيها على شبهاتٍ عقليَّةٍ ويحتجُّ لها ويناضل عنها ويجهِّل مَن لم يقل بها، ويزعم أنَّه أدركها بالكشف وبالوحي لأنه من أولياء الله تعالى؟ هذه حال جماعةٍ من المتصوِّفة، وتجد كثيرًا من المنتسبين إلى العلم يعتذرون لهؤلاء المتصوِّفة بأنهم لم يريدوا المعاني الظاهرة، وإنما أرادوا معاني أُخر، ويسندون هذا العذر إلى أنَّ أولئك المتصوِّفة كانوا ملتزمين لأحكام الإسلام، وقد صرَّحوا في بعض كلامهم أنهم لا يخالفون الكتاب والسنة، وأنَّ مَن فهم من كلامهم مَعْنًى يخالف الكتاب والسنة فإنما أُتِيَ من جهله بمعاني كلامهم أو جهله بالكتاب والسنة، وشبه ذلك. ولا يكتفون بذلك، بل يقولون: إن أولئك المتصوفة هم خيرة الله من المسلمين، وصفوته وأولياؤه.

---

(١) هو عبد السلام بن سعيد التنوخي، الحمصي الأصل، المغربي، القيرواني، المالكي، ويلقب بسحنون (أبو سعيد) فقيه ولي القضاء بالقيروان، وارتحل وحج، من مصنفاته : المدونة في الفقه المالكي وعليها يعتمد أهل القيروان، مات سنة ٢٤٠هـ. انظر: السير للذهبي (٦٣/١٢)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (١٤٦/٢).

(٢) انظر: الشفا للقاضي عياض (٢١٧/٢).

(٣) انظر: الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر الهيتمي (ص: ١٨٢).

(٤) انظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي (٥٢/١).

وكانت نتيجة هذا أنْ بقيت تلك الكتب تقرأ وتنسخ وتطبع وتنشر ويضلُّ بها كُلَّ يوم جماعة وبقي أتباعها ظاهرين مناضلين عن تلك المقالات، وآل الأمر بكثير من الناس إلى الكفر الصُّراح والشرك البواح، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وهكذا تجد أكثر المنتسبين إلى العلم إذا أقيمت عليهم الحجة بأنَّ كثيرًا من الأفعال والأقوال المشهورة بين العامَّة كفر أو شرك أخذوا يتأوَّلون تأويلات ضعيفة قائلين: إن العوامَّ لا يقصدون هذا المعنى، كيف وهم مسلمون يشهدون أَلَّا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن القرآن كلام الله؟

فإذا قلت لهم: إن العوامَّ ينذرون للموتى ويذبحون لهم ويدعونهم إلى غير ذلك، قالوا: أمَّا نذرهم للموتى فإنما يقصدون النذر لله عزَّ وجلَّ على أن يكون ثواب ما ينذرونه من صدقة أو نحوها هديّة منهم للموتى. كمن يتصدَّق بصدقة لوجه الله تعالى، ويجعل ثوابها لوالديه، وإنما يذبحون لله عزَّ وجلَّ ويتصدَّقون بالطعام، ويجعلون ثواب الصدقة للموتى، وإنما يقصدون بقولهم: يا بدوي[1] يا رفاعي[2] سؤال الله تعالى بحقِّ البدوي والرفاعي ونحو ذلك. كذا يقولون، مع أنَّ مَنْ خالط العامة وعرف حالهم عَلِمَ أنَّ هذه التأويلات لا تخطر ببال أحد منهم، وإنما يريدون ما هو الظاهر من أفعالهم وأقوالهم.

نعم، إننا نعذر كثيرًا من العامة أو أكثرهم بالجهل وعدم قيام الحجة عليهم، ولكن الفرض على كُلِّ من أوتي حظًّا من العلم أن يبيِّن للعامة حقيقة ما هم عليه ويبلِّغهم حجة الله عليهم ويحذِّرهم مما يصنعون، فإن لم يفعل فالتبعة عليه، ولا سيما إذا رضي بتلك الأقوال والأفعال ونصرها وساعد عليها وعادى مَن يسعى لإبطالها وعانده وَحَذَّرَ العامة من استماع قوله.

---

(١) هو أحمد بن علي بن ابراهيم الحسيني البدوي، صوفي، ولد بفاس، وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة، ودخل مصر والشام والعراق وعظم شأنه في بلاد مصر فانتسب إلى طريقته جمهور كبير بينهم الملك الظاهر، وتوفي ٦٧٥هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١٠٣/١)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (١١٥/١).

(٢) هو أحمد بن علي بن يحيى الرفاعي الحسيني، أبو العباس: مؤسس الطريقة الرفاعية، ولد في قرية حسن (من أعمال واسط - بالعراق) وتفقه وتأدب في واسط، وتصوف فانضم إليه خلق كثير من الفقراء، مات ٥٧٨هـ. انظر: الأعلام للزركلي (١٧٤/١)، معجم المؤلفين لعمر كحالة (٢١٣/١).

وكثير من المنتسبين إلى العلم يدركون هذه الحقيقة، ولكن الشيطان والهوى وحبَّ الدنيا وما يحصل لهم بسبب انتشار تلك الأقوال والأفعال بين العامة من تعظيمٍ ومنافع دنيوية يصدُّهم عن الحق ويحملهم على عداوته، فالله المستعان.

واعلم أنَّ البلاء كل البلاء هو إيثار المنتسبين إلى العلم للدنيا ولذَّاتها وجاهها، فالذي يدافع عن المتصوِّفة إنما يحاول أن يشتهر بين العامة وجهلة الأمراء أنه وليٌّ من أولياء الله تعالى، فإن ساعدته الأحوالُ على هذه الدعوى فذاك وإلَّا اكتفى بما اشتهر أنَّ التسليم للأولياء وعدم الاعتراض عليهم ولاية صغرى. وأَقَلُّ أحواله أن يكون مقبولًا عند السواد الأعظم من الأغنياء والأمراء الذين ابتُلُوا بحسن الاعتقاد في أولئك المتصوفة ظنًّا منهم أنَّ محبتهم إياهم تجرِّدهم من قيود الشريعة فلا يبقى عليهم حساب ولا عقاب، ولا يضرُّهم ترك الصلاة والصيام ولا ارتكاب الفواحش، بل يتمُّ لهم نعيم الدنيا وشهواتها ونعيم الجنة ودرجاتها.

وقد وضع لهم شياطين الإنس حكايات وقصصًا تهيِّجهم على هذا الاعتقاد كالأشعار المكذوبة على الشيخ عبد القادر ونحوها. وإنَّ المنتسبين إلى التصوُّف في الهند وغيرها ليحضر عندهم الغني أو الأمير المجاهر بالفسق بحيث ليس له من الإسلام إلا اسمه، فيعظِّمونه ويحترمونه ويمدحونه ويثنون عليه، ويؤكِّدون له أنَّه باعتنائه بهم قد أحرز سعادة الدنيا والآخرة، وكلما جاءهم كان كلامهم معه كله في تعظيمه ومدحه وإقناعه بأنَّه من الفائزين دنيا وأخرى، وتحريضه على قضاء حوائجهم وحوائج أتباعهم ومَن يتشفَّع بهم، ولا يكادون يعرِّضون له أدنى تعريض بأنَّ عليه أن يلتزم الفرائض الإسلامية ويجتنب الكبائر، بل إن أحدهم قد يكون يتكلَّم بموعظةٍ فإذ دخل أحد أولئك الأغنياء أو الأمراء اختصر الوعظ وتجنَّب أن يكون فيه كلمةٌ تؤثِّر على ذلك الغني. فإذا كان معروفًا بترك الصلاة وشرب الخمر والفجور ونحو ذلك لم يتعرَّض الواعظ في وعظه لشيء من ذلك، خشية أن يتوهم ذلك الغني أنه تعريض به فينفر فيحرم هذا الواعظ من المنافع الدنيوية التي كان ينالها منه. بل يقتصر على فضائل الصالحين وما لهم من الجاه العظيم وما في محبَّتهم وخدمتهم من الخير الجسيم، وأنَّ مَن أحبَّهم فاز دنيا وأخرى، ونحو ذلك. بل قد وَسَّعُوا الدائرة للكفار والمشركين فأعلموهم أنهم إذا أحبُّوا المتصوِّفين واحترموهم وبذلوا لهم الأموال حصلت لهم سعادة الدنيا وإن كانوا مصرِّين على

شركهم وكفرهم، بل وقد يوهموهم أنهم يفوزون بالنجاة في الآخرة أيضًا، بل ربما صَرَّحَ بعضهم بذلك. وهذا الأمر هو أعظم البواعث لكثير من عقلاء العصر على عدم الإسلام؛ لأنهم يتوهمون أن الإسلام هو ما عليه هؤلاء المتصوِّفون وأضرابهم، فإذا تدبَّروا ما هم عليه وجدوا جهالات وخرافات ومحالات ودجلا ومكرًا لعلَّه يفوق ما عند رهبان النصارى وطواغيت المشركين. بل إنَّ هذا الأمر نفسه قد وَرَّطَ كثيرًا من عقلاء المسلمين في الإلحاد الصريح، وهذا الوباء يتفشَّى بسرعة مخيفة. وبالجملة، فإنَّك إذا طلبت الإسلام مما يظهر لك منه في هذا العصر وما قرب منه تمثَّلَتْ لك صورة إذا قارنتها بالإسلام المعروف في عهد النبي صلَّى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابه وما قرُب منهم، لم تكد تجد بينهما مناسبةً مَّا، فمَن أراد الإسلام حقًّا فعليه أن يطلبه من مَعدِنه من كتاب الله وسنَّة رسوله وعمل القرن الأوَّل وما قرب منه، والله الموفق).

۞ ۞ ۞

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان استجابة الله للدعاء آخر سورة البقرة:](١)

(علَّم اللهُ عبادَه أن يقولوا: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وما علّمهم ذلك إلا ليستجيب لهم. وقد ثبت مقتضى ذلك في الصحيح، وهو أن الصحابة لما قالوا ذلك، قال الله تعالى: "قد فعلتُ"(٢).

والإنسان معرَّض لأن يقع منه الخطأ مع أنه لم يقصِّر).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان ان أكثر العمومات مقيدة بالاستطاعة:](٣)

(أكثر العمومات مقيدة بالاستطاعة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ**﴾ [البقرة: ٢٨٦]).

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (الأنوار الكاشفة) (١٢/٤٣٧)، وجاء بمعناه في موضع آخر (١٢/٩٣-٩٤)، (١٦/٨٦).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٣١).

سورة آل عمران

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران:٧]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا معنى المحكم والمتشابه:](١)

(المحكم والمتشابه كثير من المتعمقين يسترون تكذيبهم للنصوص بدعوى أن ما يخالفونه منها هو من المتشابه المنهي عن اتباعه، وقد كثر الكلام في المحكم والمتشابه، وسألخِّص ما بان لي راجيًا من الله تعالى التوفيق.

المعنى المتبادر من كلمتي "محكم" و"متشابه" أن المحكم هو المتقَن الذي لا خللَ فيه(٢)، والمتشابه هو الذي يشبه بعضه بعضًا(٣). والقرآن كلام رب العالمين، أحكم الحاكمين، العليم القدير؛ فلا بد أن يكون كلُّه محكمًا. وينبغي أن يُعلَم أنَّ إحكام الشيء يختلف باختلاف ما أُعِدَّ له، ففي البناء يختلف الإحكام في الحصين ودار السكنى وقصر النزهة. وهكذا يختلف الإحكام في حُجَر الدار الواحدة كالمجلس والمخزن والمطبخ والحمام. ويختلف المعد لغرض واحد باختلاف الأحوال، فالمجلس الذي يصلح للشتاء قد لا يصلح للصيف، والذي يصلح للصيف في بلد لا تكون فيه السَّموم قد لا يصلح في بلد تكون فيه. وهكذا الكلام، كما يقوله البيانيون في تفسير البلاغة. فمهما يكن في بعض الآيات مما يزعمه بعضُ الناس خللًا، فهو بالنظر إلى ما أُعِدَّتْ له الآية عين الإحكام.

وهناك صفات تشترك فيها آيات القرآن، كالإحكام والصدق وغير ذلك من الصفات المحمودة. فيصح أن يقال: إن القرآن كلَّه متشابه، كما أنه كلَّه محكم. وقد وصفه الله تعالى بهذين الوصفين، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٥١٤-٥٢٨) وجاء بمعناه في موضع آخر انظر: (تحقيق المسائل الثلاث) (٤/٤٥٧-٤٦١)، (فوائد المجاميع) (٢٤/١٦).

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور (٩/٤٨) (حصف)، شرح مختصر الروضة للطوفي (٢/٤٣).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (١٣/٥٠٤) (شبه)، مفردات الراغب (ص: ٤٤٥).

[فاتحة سورة هود].وقال عزَّ وجلَّ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢﴾ [فاتحة سورة يس].وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [الزمر: ٢٣].

فيبقى النظر في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾ فواتح سورة (آل عمران).

دل هذا أن منه آيات محكمات غير متشابهات، وآيات متشابهات غير محكمات، فلا بد أن يكون الإحكام والتشابه هنا بمعنى غير الأول، فما هو؟

أشهر ما روي عن السلف في ذلك قولان:

الأول: أن المحكم ما يَنسخ. والمتشابه المنسوخ(١).

الثاني: أن المحكم: ما للناس سبيل معرفة تأويله، كآيات الحلال والحرام. والمتشابه: ما لا يعلم تأويله إلا الله، كوقت قيام الساعة(٢). وقد عُرف من عادة السلف أنهم يفسِّرون الآية ببعض ما تتناوله، وذلك على سبيل التمثيل، وأنهم كانوا يطلقون النسخ على ما يشمل البيان بالتخصيص ونحوه(٣)، فيمكن أن يُشرح ذانك القولان على ما يأتي:

القول الأول: أن المحكمات هي كل آية بينة بنفسها، والمتشابهات ما تحتاج إلى أن يبيِّنها غيرُها، كالمنسوخ والمجمل بنوعيه.

القول الثاني: أن المحكمات كل آية يتهيأ للسامع مع معرفة معناها الذي سيقت لبيانه أن

---

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقتادة والربيع والضحاك وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (٦/١٧٤-١٧٦)، والدر المنثور للسيوطي (٣/٤٤٨).

(٢) قاله جابر بن عبدالله بن رئاب ورجحه الطبري. انظر: تفسير الطبري (٦/١٧٩-١٨٠)، الدر المنثور للسيوطي (٣/٤٤٩).

(٣) انظر: إعلام الموقعين لابن القيم (٢/٣١٦)، مذكرة الشنقيطي (ص:٨٠)

يعرف ما تتوق إليه نفسه مما يتعلق بما اشتملت عليه. والمتشابهات ما عدا ذلك. فالآيات المنذرة بقيام الساعة إنما سيقت لإعلام العباد أن لهم بعد هذه الحياة الدنيا الفانية حياةً خالدة يحاسَبون فيها على ما قدَّموه في الدنيا ويُجزَون به، ليستعدُّوا لها بالإيمان والعمل الصالح والاستكثار منه، واجتناب الكفر والظلم والفسوق والعصيان. فهذا هو المقصود، ولكن كثيرًا من النفوس تَخَطَّاه متعطشةً إلى معرفة وقت قيام القيامة. قال الله تعالى: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾**﴾ [الأعراف: ١٨٧].

﴿**حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ**﴾ [الأعراف: ١٨٧]: معنيٌّ بالسؤال عن وقتها حتى علمتَه. فردَّ الله تعالى عليهم بأن رسوله ليس مثلهم في الحرص على معرفة ذلك، لأنه يعلم أن المهم هو الاستعداد لها، فهو مستعدٌّ، فلا يهمُّه أن تقوم بعد لحظة أو بعد ألوف القرون. وفي القرآن عدة آيات أخرى في هذا المعنى.

وفي "الصحيحين" عن أنس "أن رجلًا قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "ويلك! وما أعددتَ لها؟ " قال: ما أعددتُ لها إلا أني أحب الله ورسوله. قال: "أنت مع من أحببتَ". قال أنس: فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء بعد الإسلام فرَحَهم بها"(١). عدل به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى المهم، ونبَّهه على أن المحبة تقتضي المعيَّة. فمن صدقَ حبُّه لله ورسوله كان معهما في الدنيا بالإيمان والطاعة والاتباع، فيحبُّه الله، فيُنيله المعيةَ في الآخرة بالنجاة والدرجات. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١]. وتفاوتُ المعية في الدنيا دليل تفاوت المحبة، وقضية ذلك تفاوت المعية في الآخرة، ويزيد الله تعالى من شاء من فضله.

ويدخل في المتشابه على القول الثاني الآيات المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وغيبه، كقوله تعالى فيما قصَّه من خطابه لإبليس: ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ**﴾ [ص:٧٥].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الأدب، باب: علامة حب الله عزوجل، (٤٠/٨) (ح:٦١٧١)، ومسلم في صحيحه –واللفظ له–، في كتاب: البر و الصلة والآداب، باب: المرء مع من أحب، (٢٠٣٢/٤) (ح:٢٦٣٩).

فالآيات سيقت لِحضِّ بني آدم على مخالفة الشيطان وتحذيرهم من طاعته أو فعل مثل فعله، وبيان عداوته لهم، وبيان إقامة الله عزَّ وجلَّ الحجة عليه، وبيان أن الله تعالى شرَّف أباهم بأن خلقه بيديه سبحانه، وبيان أن له سبحانه يدين كما يليق بعظمته. وهذه المعاني ظاهرة لا لبس فيها، لكن النفس قد تتخطاها إلى الخوض في كُنْهِ اليدين وكيفيتهما.

فعلى كلا القولين تكون تلك الآيات محكمةً، أي متقنةً على ما اقتضته الحكمة. وفي بقاء المنسوخ بعيدًا عن ناسخه، والإتيان بالمجمل بنوعيه ابتلاءٌ من الله لعباده، فيكون عليهم مشقة وعناء في استنباط الأحكام؛ لاحتياج ذلك إلى الإحاطة بنصوص الكتاب والسنة واستحضارها. وفي ذكر ما لا سبيل للعباد إلى معرفة كنهه وكيفيته، مع ما يتعلق بذلك من المعاني الظاهرة، ابتلاءٌ لهم ليمتاز الزائغ عن الراسخ. وقد تقدمت حكمة الابتلاء في أوائل الرسالة[(١)].

ليس المراد أنها يشبه بعضها بعضًا، بل المراد - والله أعلم - أن كل آية منها متشابهة، أي يمكن أنْ تُحمَل على معان متشابهة في أنه لا يترجح بعضها على بعض رجحانًا بيِّنًا.

وفي حديث "الصحيحين": "الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشبَّهات ... "[(٢)]. وفي "فتح الباري": "في رواية الأصيلي[(٣)]: "مشتبهات" ... وهي رواية ابن ماجه[(٤)(٥)]، وهو لفظ

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٢٨٩ وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، (١/٢٠) (ح: ٥٢)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، (٣/١٢١٩) (ح: ١٥٩٩)، كلاهما من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) هو عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن جعفر، أبو محمد، الأموي المعروف بالأصيلي: عالم بالحديث والفقه، وتفقه بالأندلس فانتهت إليه الرياسة، من أهل أصيلة (في المغرب)، له كتاب: (الدلائل على أمهات المسائل) في اختلاف مالك والشافعي و أبي حنيفة، مات سنة ٣٩٢هـ. انظر: معجم البلدان لياقوت (١/٢١٣)، الأعلام للزركلي (٤/٦٣).

(٤) هو محمد بن يزيد الربعي القزويني، أبو عبد الله، ابن ماجه: أحد الأئمة في علم الحديث، من أهل قزوين، رحل إلى البصرة وبغداد والشام ومصر والحجاز والري في طلب الحديث، له من الكتب: (سنن ابن ماجه) و (تفسير القرآن)، مات سنة ٢٧٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٢/١٥٥)، الأعلام للزركلي (٧/١٤٤).

(٥) رواها ابن ماجه في سننه، في أبواب: الفتن، باب: بدأ الإسلام غريبا، (٥/١٢٣-١٢٤) (ح: =

ابن عون[١] ... ورواه الدارمي[٢] عن أبي نعيم[٣] شيخ البخاري بلفظ: "وبينهما متشابهات"[٤] ... "[٥].

واشتبهوا وتشابهوا يأتيان بمعنى واحد، شأنَ افتعل وتفاعل في كثير من الكلام. فالأمر الذي بين الحلال والحرام متشابه الحل والحرمة في الاحتمال، يحتمل كلًّا منهما كما يحتمل الآخر، لا يترجَّح فيه ذا ولا ذاك. فهكذا - والله أعلم - تكون الآية المتشابهة يتشابه فيها معنيان فأكثر. وانطباقُ هذا على المجمل الذي لا ظاهرَ له واضح، فأما الذي له ظاهر فإنما يقع حيث تكون هناك قرينة تُقاوِم ظهوره، كما أوضحته في رسالتي في "أحكام الكذب"[٦]. وبذلك يصير في حكم الأول، هذا بالنسبة إلى الصحابة.

فأما مَن بعدهم، فقد علم المسلمون أن في النصوص ما هو منسوخ نسخه نصٌ آخر بعيد عنه، وما هو عامٌّ خصَّصه نصٌّ آخر، وما هو مطلَق قيَّده نصٌّ آخر، وهكذا. فمن لم يستقرئ النصوص ويتدبرها، فإنه عندما يقف على ما هو في نفس الأمر منسوخ ولم يعلم

= ٢٥٧، م٣) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(١) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء: شيخ أهل البصرة، من حفاظ الحديث، ما كان في العراق أعلم بالسنة منه، ثقة في كل شيء، أخذ عنه الثوري ويحيى القطان وخلائق، مات ١٥١هـ. انظر: السير للذهبي (٤٦٤/٦)، الأعلام للزركلي (١١١/٤).

(٢) هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي، أبو محمد: من حفاظ الحديث، وكان عقلا فاضلا مفسرا فقيها أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند، له كتاب: (المسند) و (الجامع الصحيح)، مات ٢٥٥هـ. انظر: السير للذهبي (٢٢٤/١٢)، الأعلام للزركلي (٩٥/٤).

(٣) هو الفضل بن دكين (واسمه عمرو) بن حماد التيمي بالولاء، الملائي، أبو نعيم: محدث حافظ، من أهل الكوفة، من شيوخ البخاري ومسلم، مات سنة ٢١٩هـ. انظر: السير للذهبي (١٤٢/١٠)، الأعلام للزركلي (١٤٨/٥).

(٤) رواه الدارمي في سننه، في كتاب: البيوع، باب: في الحلال بين والحرام بين، (١٦٤٧/٣) (ح: ٢٥٧٣)، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٥) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢٧/١).

(٦) انظر: آثار المعلمي، (إرشاد العَامِه إلى معرفة الكذب وأحكامه) (٢١٢/١٩ وما بعدها).

ذلك، يكون محتملًا في حقه أن يكون حكمه باقيًا، وأن يكون منسوخًا. وقِسْ على هذا حال الباقي، فثبت التشابه.

وأما ما لا سبيل إلى علم تأويله، أو قل: كُنهه وكيفيته، كاليدين في قوله تعالى: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥] فإنه لا يبقى إلا التخرُّص، ولا حدَّ له، فقد يتخرص الإنسان وجهين أو أكثر، ومعلوم أنه لا يتبين واحد من ذلك بيانًا واضحًا، فثبت التشابه.

وكلا القولين يمكن تطبيقه على السياق.

أما القول الأول فأهل الزيغ يتبعون المنسوخ والمجمل، فتارةً يعيبون القرآن بالتناقض - زعموا - وبعدم البيان. وتارةً يتشبثون بذلك لتقوية أهوائهم كما فعل النصارى، إذ تشبثوا بما في القرآن من إطلاق الكلمة والروح على عيسى، وكما فعل المشركون عندما سمعوا قوله تعالى: ﴿**إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ**﴾ [الأنبياء: ٩٨][(١)]. وتارةً يبتغون تأويله مع عدم تأهلهم لذلك وعدم رجوعهم إلى الراسخين، كما فعل الخوارج في قوله تعالى: ﴿**إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ [الأنعام: ٥٧][(٢)] وقوله: ﴿**لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ**﴾ [يس: ٦٠][(٣)]، ونحو ذلك.

وأما القول الثاني فأهل الزيغ يتبعون تلك النصوص، تارةً ابتغاءَ الفتنة، بأن يعيبوا القرآن والإسلام بزعم أنه جاء بالباطل، فيزعمون أن لفظ ﴿**بِيَدَيَّ**﴾ [ص:٧٥] معناه أن لله سبحانه يدين مماثلتين ليدي الإنسان يجوز عليهما ما يجوز على يدي الإنسان، ثم يقولون: وهذا باطل، ثم يوجِّه كلٌّ منهم ذلك إلى هواه. فمنهم من يستدل بذلك على أن القرآن ليس من عند الله، وأن محمدًا ليس بنبي، ومنهم من يستدل بذلك على أن القرآن جاء بالباطل مجاراةً لعقول الجمهور، إلى غير ذلك. وتارةً ابتغاءَ تأويله، فمنهم من يذهب يتخرَّصُ تخرُّصَ هشام ابن الحكم[(٤)] وأصحابه وغيرهم من المشبِّهة ....

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الأنبياء، (٢/٤١٦) (ح: ٣٤٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٥/٦٧)، وآثار المعلمي (١٩/٥٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي (١٩/٦١-٦٢).

(٤) هو هشام بن الحكم الشيباني بالولاء، الكوفي، الرافضي، المشبه، أبو محمد: متكلم مناظر، كان =

الضالة[١]، ومنهم من يحرِّف تلك النصوص بحملها على معاني بعيدة، كقول بعضهم: إن اليدين هما القدرة والإرادة وغير ذلك[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧] ينطبق على كلٍّ من القولين، إلا أنه على القول الأول يكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ [آل عمران:٧] عطفًا، والمعنى أن الراسخين يعلمون تأويله أيضًا. وعلى القول الثاني يكون قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ [آل عمران:٧] استئنافًا، فهم لا يعلمون تأويله، وإنما امتازوا بأنهم لا يتبعونه اتباعَ الزائغين، بل يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [آل عمران:٧] الآية.

ويدل على تصحيح كلا القولين أن من الناس من وقف على قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ [آل عمران:٧] ، ومنهم من لم يقف، وأنه صح عن ابن عباس أنه ذكر الآية، ثم قال: "أنا ممن يعلم تأويله"[٣]. وصح عنه أنه قرأ: "ويقول الراسخون"[٤].

والتأويل على القول الأول بمعنى التفسير، وعلى الثاني بمعنى الحقيقة التي يؤول إليها اللفظ. ففي قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥] تأويل اليدين: حقيقتهما وكنههما على ما هما عليه.

واعلم أن التأويل يكون للفعل، كخرق صاحب موسى سفينة المساكين، وقتله الغلام، وإقامته الجدار؛ ويكون للرؤيا، ويكون للكلام. فتأويل الفعل إما مآله أي ما يؤول إليه، وهو المقصود من فعله، كسلامة السفينة من غصب الملك، وسلامة أبوَيِ الغلام من إرهاقه، وسلامة كنز اليتيمين؛ وإما بيان أن الفعل يؤول إلى ذلك المآل. قال الله تعالى فيما قصَّه عن

= شيخ الإمامية في وقته، وصنف كتبا: منها (الإمامة) و (القدر) وغيرها، مات ١٩٠هـ. انظر: السير للذهبي (٥٤٣/١٠)، الأعلام للزركلي (٨٥/٨).

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٨٨/٤) (١٥٤/١٣)، شرح ابن أبي العز على الطحاوية (ص:١٧٠).

(٢) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٦٧/٣ وما بعدها)، شرح ابن أبي العز على الطحاوية (ص:٥٩٤).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٠٣/٦)، تفسير ابن المنذر (١٣٢/١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٠٢/٦)، تفسير عبدالرزاق الصنعاني (١١٦/١).

صاحب موسى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨﴾ [الكهف: ٧٨]، ثم أخبره بأن القصد من تلك الأفعال أن تؤول ذاك المآل، ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾ [الكهف: ٨٢]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩، الإسراء: ٣٥].

وتأويل الرؤيا: إما مآلها، وهو الواقع في نفس الأمر الذي هي تمثيل له، كسجود إخوة يوسف وأبويه له، فقال يوسف فيما قصَّه الله تعالى عنه: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ﴾ [يوسف: ١٠٠]، وإما بيان ما تؤول إليه، وذلك تعبيرها. ومنه ما قصَّه الله تعالى من قول يعقوب ليوسف: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ٢١]، ثم قول يوسف: ﴿۞رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: ١٠١].

ويحتمل المعنيين ما قصَّه الله تعالى من قول صاحبي السجن ليوسف: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٣٦]، وقوله لهما: ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [يوسف: ٣٧]،

وقول الناجي منهما للملك ومن معه: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [يوسف: ٤٥] بعد قول أصحاب الملك: ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ [يوسف: ٤٤].

وتأويل الكلام: إما مآله الخارجي، وهو الواقع في نفس الأمر إذا كان الكلام خبرًا، والفعل المأمور به إذا كان أمرًا، وقِسْ على ذلك. قصَّ الله عزَّ وجلَّ في سورة (الأعراف) حالَ القيامة والجنة والنار، ثم قال: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٢ - ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى أن قال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ﴾ [يونس: ٣٧ - ٣٩].

وفي "صحيح مسلم" من حديث عائشة: "كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحان الله وبحمده اللهم اغفر لي، يتأول القرآن"[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الأذان، باب: التسبيح والدعاء في السجود، (١٦٣/١) (ح: ٨١٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، =

تريد - والله أعلم -: يأتي بتأويل قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣].

وإما مآله المعنوي كأن يقال: تأويل "رأيت أسدًا يَرْمي": رأيت رجلًا شجاعًا. وإما بيان أحدهما، وهذا هو المسمى بالتفسير.

ويحتمل هذا والذي قبله قولُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ابن عباس: "اللهم فقِّهْه في الدين وعلِّمه التأويل"(١) .

فعلى الأول يكون المعنى: علِّمه المعاني التي تؤول إليها النصوص، وعلى الثاني يكون المعنى: علِّمه أن يؤوِّل النصوص، أي يبيِّن معانيها التي تؤول إليها.

إذا تقرر هذا، فعلى القول الأول في المتشابه يكون المراد بتأويله: معانيه، وعلى القول الثاني يكون المراد: ما يؤول إليه من الحقائق. فكما أن تأويل الأخبار بالبعث هو البعث نفسه، فكذلك تأويل الأخبار بأن لله يدين هو اليدان. والعلم الذي ينفرد الله تعالى به في شأن اليدين هو العلم بالكُنْه والكيفية، فأما العلم الإجمالي الذي يتوقف عليه الإيمان بأن لله تعالى يدين على الحقيقة، فهذا يحصل للمؤمنين، وبه يكونون مصدِّقين لخبر الله عزَّ وجلَّ. وبذلك يخلصون من تكذيبه، ويمتازون عن الزائغين المتبعين له ابتغاءَ الفتنة. وبقناعتهم به يمتازون عن الزائغين المتبعين له ابتغاءَ تأويله.

فإن قيل: فإنَّ للمتعمقين أن يقولوا: الصواب عندنا من القولين المذكورين في المتشابه القول الأول، والنصوص التي تتعلق بالمعقولات كلُّها من المجمل الذي له ظاهر، ولا يمكن الوثوق بأن ذلك الظاهر هو المراد، إلا أن يقوم الدليل العقلي على وجوب ذاك الظاهر أو جوازه. ثم نقول: إن كلَّ نص من تلك النصوص يحتاج إلى بيانين:

الأول: بيان صحة ذاك الظاهر أو بطلانه.

الثاني: بيان المعنى المراد.

= (٣٥٠/١) (ح: ٤٨٤).

(١) أخرجه أحمد في مسنده، (٢٢٥/٤) (ح: ٢٣٩٧) من حديث ابن عباس، وصحح إسناده محققوه، وابن حبان في صحيحه، في كتاب: إخباره صلى الله عليه وسلم عن مناقب الصحابة، باب: ذكر وصف الفقه..، (٥٣١/١٥) (ح:٧٠٥٥).

فأما البيان الأول فيحصل بالعقل، ويحصل بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١] السورة، فقد بيَّن العقلُ وهاتان الآيتان وغيرهما بطلانَ ظواهر تلك النصوص التي نتأولها، فوجب أن يكون المرادَ بها معانٍ أخرى صحيحة. فأما الزائغون فاتبعوا تلك الظواهر، وهم فريقان:

الأول: الملحدون القائلون: هذه الأمور باطلة قطعًا، فالشرع الذي جاء بها باطل.

الفريق الثاني: الذين يجهلون أو يتجاهلون بطلانَها، فيدينون بإثباتها.

والسلف وأئمتنا أبرياء من الفريقين، غير أن السلف كانوا مع العلم ببطلان تلك الظواهر يمتنعون من الخوض في البيان الثاني، وأئمتنا اصطدموا بالزائغين الزاعمين أن تلك الظواهر هي المعاني المرادة من تلك النصوص، ويبالغون فيدَّعون أن تلك النصوص صريحة في تلك المعاني لا تحتمل التأويل. فاحتاج أئمتنا إلى بيان الاحتمال، فمن لم يجزم منهم بمعنى معيَّن فلم يأتِ بما يُنكَر عليه. ومن جزم بذلك فقد ينكر عليه من يذهب إلى أن الراسخين لا يعلمون ذلك، أي أنهم وإن علموا بطلان الظاهر، وأن المراد غيره، فلا يعلمون التأويل وهو المعنى المراد؛ لاحتمال النص عدةَ معان. لكن قد يقال: إذا كان المعنى الذي جزم به ذلك الجازمُ صحيحًا في نفسه فالخطب يسهل ، وذلك كالقائل: إن المراد باليدين في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] القدرة والإرادة، فإن هذا معنى صحيح في نفسه، للعلم بأن لله تعالى قدرةً وإرادة، وأن لهما تعلقًا بخلق آدم. فإن فُرِضَ أن المراد باليدين في الآية معنى آخر، فليس في الجزم المذكور كبيرُ حرج.

فالجواب عن هذا كُلِّه يُعلَم مما تقدَّم في هذه الرسالة(١)، وألخصه هنا بعون الله عزَّ وجلَّ:

قولكم: "فلا يمكن الوثوق بأن ذلك الظاهر هو المراد، إلا أن يقوم الدليل العقلي على وجوب ذاك الظاهر أو جوازه" قول باطل مردود عليكم. بل الحق أنه إن دلَّ العقل الصريح - الذي يصح أن يكون قرينةً بأن يكون من شأنه أن لا يخفى على المخاطب إذا تدبَّر - على امتناع ذاك الظاهر لم يبقَ ظاهرًا، ضرورةً أن القرينة ركن من الكلام، وإلا كان النص برهانًا على الوقوع فضلًا عن الجواز، ضرورةَ أنه إن لم يكن كذلك كان كاذبًا، وقد قامت

(١) انظر: آثار المعلمي، (القائد إلى تصحيح العقائد) (٢٨٥/١١ وما بعدها).

البراهين على استحالة أن يقع الكذب من الله تعالى ولا من رسوله.

فإن قيل: لا يلزم من فرض البطلان التكذيب، لجواز تأخير بيان المجمل الذي له ظاهر.

قلت: من أهل العلم مَن يمنع تأخير البيان البتة[1]، فعلى هذا تسقط شبهتكم من أصلها. ومن أجاز التأخير[2] فمحلُّه في مجمل لا ظاهر له، أو له ظاهر بحسب اللفظ لكن تكون هناك قرينة صحيحة تدافع ذاك الظهور، فيبقى النص في حكم المجمل الذي لا ظاهر له. فعلى هذا إذا كان للنص ظاهر، ولا قرينة تدافعه وجب الجزم بأن ذاك الظاهر هو المراد.

وهناك نصوص في الأحكام يمثّلون بها لما ادَّعوه من جواز أن يكون للنص ظاهر غير مراد، ويتأخر بيانه. ونحن نجيب عنها إجمالًا فنقول:

ما ثبت فيه الظهور، وثبت أنه لم تكن قرينة صحيحة تدافعه، وثبت أنه ورد بعده ما يخالفه؛ فإننا نصحّح ذلك الظاهر ونقول: إنه هو المراد، وإن ما ورد بعده مخالفًا فهو ناسخ له. فإن ثبت أن المتأخر ورد قبل العمل بالمتقدم أخرنا جواز النسخ قبل العمل، ويكون المقصود من الحكم السابق إنما هو ابتلاء المكلفين ليتبين من يتقبل الحكم بالرضا والعزم على العمل به والاستعداد له.

وعلى ذلك، فهذا إنما يتأتى في النصوص المتعلقة بالأحكام، دون النصوص المتعلقة بالعقائد. والفرقُ بين النصوص التي قيل إنها كانت من المجمل الذي له ظاهر غير مراد، وهي متعلقة بالأحكام، وبين النصوص المتعلقة بالعقائد التي ينفرد المتعمّقون بإنكار ظواهرها= من وجوه:

الأول: أن الأولى يُعقَل فيها تأخُّرُ الحاجة، كآية تنزل في شوال، وتتعلَّق بحكمٍ لصيام رمضان. فأما الثانية، فالحكم المقصود منها يتعلق بالاعتقاد، وهو يحصل عقب السماع، فوقتُ الحاجة فيها هو وقتُ الخطاب.

الوجه الثاني: أن الأولى يُعقَل فيها قيامُ قرينةٍ تُدافِع الظهور. وأما الثانية فبعيدة عن ذلك؛

---

(١) كالمعتزلة وكثير من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب الظاهر والمروزي والصيرفي. انظر: المستصفى للغزالي (٢/٤٠)، روضة الناظر لابن قدامة (ص: ١٨٥-١٨٦).

(٢) وهو قول أكثر الشافعية واختاره الغزالي وابن حامد والقاضي من الحنابلة. انظر: المراجع نفسها.

لأن كثيرًا منها أو أكثرها كانت موافقة لعقول المخاطبين، فدلالةُ العقل تَدفع ما قد يحتمل من قرينة، وتُصيِّر النصَّ صريحًا في ظاهره.

الوجه الثالث: أن الأولى لا تخلو عن فائدة، فقد ذهب جمعٌ من أهل العلم إلى أن من احتاج إلى عمل، ووجد نصًّا يتعلَّق به إلا أنه يحتمل أن يكون له ناسخ أو مخصَّص أو مقيِّد، ولم يمكنه البحث حالًا كان عليه العملُ بذلك النص، ثم يبحث[١]. ويشهد لهذا أن استقبال بيت المقدس، نزل نسخُه، وأناسٌ من المسلمين غائبون عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فبقي الحكمُ في حقِّهم استقبالُ بيت المقدس حتى بلغهم النسخ[٢]. وكذلك تحريمُ الخمر نزل، وأناس من المسلمين غائبون، فبقي الحكم في حقِّهم حِلُّها حتى بلغهم التحريم[٣]. هذا مع أن من أولئك الغائبين من غاب بعد أن علِمَ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوقع نسخ القبلة وتحريم الخمر.

وعلى هذا فإذا جاز أن تنزل في شوال آيةٌ تتعلَّق بحكم صيام رمضان، وتكون مجملةً لها ظاهرٌ غيرُ مراد، وتكون هناك قرينة تدافع ذاك الظهور، فسمعها بعضُ المسلمين ثم غاب، وطالت غيبته حتى دخل رمضان= كان عليه العملُ بتلك الآية، وإن كان محتملًا عنده أنه نزل بعد غيبته ما يبيِّن أنها على خلاف الظاهر.

فهذا ونحوه إنما يُعقل في الأحكام التي يعقل فيها الاختلاف، فيكون الحكم حقًّا في وقت أو حال، وباطلًا في غيره. فأما الاعتقاديات، فإنما تكون على حال واحدة.

---

(١) انظر المستصفى للغزالي (١/٢٢٩، ٤١٠-٤١١)، روضة الناظر لابن قدامة (ص: ٨٣-٨٤، ٣٦٠-٣٦١).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان، (١/٨٨) (ح: ٣٩٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، (١/٣٧٤) (ح: ٥٢٥)، كلاهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: المظالم والغصب، باب: صب الخمر في الطريق، (٣/١٣٢) (ح: ٢٤٦٤)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: الأشربة، باب: تحريم الخمر..، (٣/١٥٧١) (ح: ١٩٨٠)، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الوجه الرابع: أن الظهور في الأولى ضعيف واحتمال خلافه قوي. وذلك كالعموم، وقد قيل: ما من عامٍّ إلاَّ وقد خُصَّ؛ وكالإطلاق وهو قريب من ذلك. والثانية كثير منها أو أكثرها صريحة في المعاني التي ينكرها المتعمِّقون، وما كان كذلك فلا مجال لتجويز أن يكون ذلك المعنى غير مراد؛ لأن ذلك يكون تكذيبًا له.

الوجه الخامس: أن الأولى قليلة حتى أنكر جمعٌ كثيرٌ من أهل العلم وقوعَ تأخير البيان، بل أنكروا جوازه. والثانية كثير جدًّا.

الوجه السادس: أن الأولى توجد النصوص المبينة لها صريحةً واضحةً في البيان. والثانية لا يوجد نصٌّ واحدٌ بيِّن في خلافها. وقد مرَّ النظر في قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ**﴾ [الشورى:١١] وما معها[(١)].

الوجه السابع: أن الأولى لا يكاد يُنقَل من أقوال الصحابة والتابعين ما يتعلَّق بها إلا مع بيانها. والثانية لا يصحُّ عن أحدٍ منهم قولٌ يخالف معانيها التي ينكرها المتعمقون، بل جاء عنهم مما يوافقها ويقرِّر معانيها وما يشبهها الكثير الطيب. وزعمُكم أن السلف كانوا يعتقدون بطلان تلك المعاني، من العجب العجاب. ودونكم الحقيقة.)

۞ ۞ ۞

[وقال -رحمه الله- في موضع آخر:][(٢)] (قال الله تعالى: ﴿**هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾**﴾[آل عمران:٧].

اختلف النّاسُ في هذه الآية حتى كادت تصير هي نفسها من المتشابه، وقد يُسِّرَ لي في فهم معناها سبيلٌ واضحٌ إن شاء الله تعالى.

---

(١) انظر: آثار المعملي، (التنكيل) (١١/٤٢٦ وما بعدها).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٦/٤٩-٦٦).

فأقول: قد ثبت أنَّ القرآن كلَّه محكمٌ، لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [هود: ١]، وأنَّه كلَّه متشابهٌ؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ...﴾ [الزمر: ٢٣].

وثبت بالآية المصدَّر بها أنَّ منه ما هو محكمٌ غير متشابهٍ، ومنه ما هو متشابهٌ غير محكمٍ. واتُّفِقَ على أنَّ المراد بالإحكام في قوله تعالى: ﴿**أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ**﴾ **[هود: ١]** عدم الخَلَل في الحُسْن والصِّدق ومطابقة الحِكْمة(١)، وبالتَّشابه في قوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣] أنَّ بعضه يشبهُ بعضًا في الحُسْن والصِّدق ومطابقة الحِكْمة(٢)، فلا منافاة بين هذا الإحكام وهذا التَّشابه.

وأمَّا الإحكام والتَّشابه في الآية المصدَّر بها فهي صريحةٌ في تنافيهما، وبذلك يُعْلَم أنَّ لكلٍّ منهما معنًى غير المعنى المتقدِّم، فبَحَثْنَا عن ذلك فوَجَدْنَا المحْكَم مُحْكَمًا لا يحتمل إلاَّ ذلك المعنى الواحد، وأنَّه لا خَلَل فيه، والقرآن كلُّه مُحْكَمٌ لا خلل فيه ألبتَّة.

---

(١) اختلف أهل العلم في المراد بالإحكام هنا:

القول الأول: أحكمت آياته بالأمر والنهي، قاله الحسن.

القول الثاني: أحكمت آياته بالثواب والعقاب، جاء عن الحسن أيضا.

القول الثالث: أحكمت آياته من الباطل، قاله قتادة ومجاهد ورجحه الطبري وابن كثير.

القول الرابع: أن الإحكام هنا هو (إتقان الصنع، مشتق من الحكمة بكسر الحاء وسكون الكاف. وهي إتقان الأشياء بحيث تكون سالمة من الأخلال التي تعرض لنوعها، أي جعلت آياته كاملة في نوع الكلام بحيث سلمت من مخالفة الواقع ومن أخلال المعنى واللفظ) قاله الطاهر بن عاشور، ولعله الأقرب إذ فيه جمع للأقوال كلها والآية محتملة لها والله أعلم، وبهذا الاعتبار يصح نقل المؤلف -رحمه الله- للاتفاق.

انظر: تفسير الطبري (١٥/٢٢٤-٢٢٧)، تفسير البغوي (٢/٤٣٨)، تفسير القرطبي (٩/٢-٣)، تفسير ابن كثير (٤/٣٠٣)، تفسير الطاهر بن عاشور (١١/٣١٤).

(٢) قاله قتادة والسدي وسعيد بن جبير والطبري والبغوي والقرطبي وابن كثير والطاهر بن عاشور. انظر: تفسير الطبري (٢١/٢٧٩)، تفسير البغوي (٤/٨٥)، تفسير القرطبي (١٥/٢٤٩)، تفسير ابن كثير (٧/٩٣)، تفسير الطاهر بن عاشور (٢٣/٣٨٥-٣٨٦).

ولكن يمكن أن يقال: الخَلَل المنتفي عن القرآن ألبتَّة هو الخَلَل الحقيقي.

فأمَّا ما يُتَوَهَّم خَلَلًا وليس في الحقيقة بخَلَلٍ فهو موجود في القرآن.

فيجوز أن يُقَال: أُحْكِمَت آياته في الحقيقة، ومنه آياتٌ محكماتٌ ليس فيها خَلَلٌ ولا ما يُتَوَهَّم خَلَلاً، وأُخرُ فيها ما يُتَوَهَّم خَلَلًا؛ فهي المتشابهات.

وقبل أنْ نبُتَّ الحُكْمَ في هذا ننظر في معنى ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾[آل عمران:٧] فنجد المعنى المتبادر: أنَّ كلَّ آيةٍ منها تشبه الأخرى، وهذا عامٌّ في آيات القرآن كُلِّها، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣].

فإنْ قيل: إنَّ هناك وجهًا تتشابه فيه الآيات التي يكون فيها ما يُتَوَهَّم خَلَلًا مختصَّة به، وهو تَوَهُّم الخَلَل في كُلِّ آيةٍ منها.

قلتُ: ولكنَّ هذا لا يكفي لتخصيصها بلفظ: ﴿مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾[آل عمران:٧]؛ فإنَّ المحكمات أيضًا فيها وجهٌ تتشابه فيه، وهو خاصٌّ بها، وهو أنَّه ليس في كُلٍّ منها خَلَلٌ، ولا ما يُتَوَهَّم خَلَلًا.

ويمكن أنْ يُقَال: كلُّ آيةٍ من المتشابهات متشابهةٌ في نفسها، على أن يكون المعنى: متشابهات معانيها، أي: يتشابه فيها معنيان، أو معاني، كما يُقَال: اشتبه عليَّ الأمر، أي: اشتبه صوابُه بخطائه، ويُقَال: اشتبه عليَّ الأمران، أي: لم تُميِّز بينهما.

فإنْ قلتَ: ولكنَّه لا يُقَال: تشابه عليَّ الأمر!

قلتُ: لا أستحضر شاهدًا لذلك، ولكن "اشتبه" و"تشابه" بمعنًى، قال تعالى: ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۗ﴾ [الأنعام: ١٤١].

وقد قال المولَّد:

رَقَّ الزُّجَاجُ وراقَتِ الخَمْرُ فتشَابَهَا وتَشَاكَلَ الأَمْرُ[(١)]

الشاهد في قوله: "وتشاكل الأمر".

فلنترك هذا ههنا، ولننظر في بقية الآية، لعلَّنا نجد فيها ما يبيِّن المقصود، قال تعالى: ﴿**فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦۗ**﴾ [آل عمران:٧].

---

(١) هو الصاحب بن عباد في ديوانه. انظر: ديوانه (ص: ١١٠).

دلَّت الآية أنَّ المتشابه من شأنه أن يتَّبعه الزَّائغون؛ ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله.

ومن المعقول أنَّ الآية التي تتشابه معانيها يتَّبعها الزَّائغ ابتغاء الفتنة؛ ليحملها على المعنى الذي يوافق هواه، ولكنّ قوله تعالى: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[آل عمران:٧]. يدلُّ أنَّ ابتغاء تأويل المتشابه زيغٌ.

فإن قيل: إنَّما يكون زيغًا في حقِّ الزَّائغين؛ لأنَّهم يبتغون الفتنة.

قلتُ: لا أرى هذا شيئًا؛ إذ لو كان كذلك لكان المدار على ابتغاء الفتنة، ولَمَا ظهر معنًى لزيادة ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[آل عمران:٧]، بل ولا تخصيص المتشابه؛ لأنَّ مبتغي الفتنة يبتغيها في كل آية من القرآن، وإن كان ابتغاؤه إيَّاها فيما تشابهت معانيه أكثر.

فإن قيل: فإنَّما يكون ابتغاء تأويله زيغًا في حقِّ هؤلاء؛ لأنَّهم غير راسخين في العلم. قلتُ: لا أراه كذلك؛ لأنَّ مَن ليس براسخٍ في العلم قد يخطئُ في فهم المحكم أيضًا.

وأوضح من هذا كلِّه قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران:٧] ، فقصر علم تأويل المتشابه على الله عزَّ وجلَّ.

فإن قلتَ: فقد قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧] ؟

قلتُ: ليس هذا عطفًا ألبتَّة[١]، وإنَّما هو معادل قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾[آل عمران:٧]، فكأنه قال: (وأما الراسخون في العلم ...).

فالآية كقولك: أمّا زيدٌ ففي المسجد وعمرو ذهب إلى السوق، اختار هذا المعنى ابن هشام في "المغني"[٢]، وهو المختار؛ لأنَّ "أمَّا" للتَّفصيل، وذِكْرُ القسمين أو الأقسام بعدها هو الأصل، والحذف خلاف الأصل. فلمّا كان قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾[آل عمران:٧] يحتمل أنَّه القسم الثاني، ويحتمل خلافه، فحمله على أنَّه القسم الثاني هو الظَّاهر حتمًا.

ويؤيِّد ذلك أنَّ القائلين بالعطف[٣] قالوا: إنَّ قوله: ﴿يَقُولُونَ﴾[آل عمران:٧] خبرُ مبتدأ

---

(١) قال به ابن عباس وعائشة وأبي رضي الله عنهم وأبي نهيك الأسدي وعمر بن عبدالعزيز ومالك الكسائي والأخفش وغيرهم. انظر: تفسير الطبري (٦/٢٠١-٢٠٣)، تفسير البغوي (١/٤٠٢)، تفسير أبي حيان (٢/٤٠٠).

(٢) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (ص:٨١-٨٢).

(٣) وهم ابن عباس ومجاهد والربيع ومحمد بن جعفر وغيرهم. انظر الطبري (٦/٢٠٣-٢٠٤) تفسير =

محذوف، أي: هم يقولون، ولا يخفى أنَّ الأمر إذا دار بين الإضمار وعدمه فالأصل عدمُهُ. ومنهم مَن جَوَّز أن يكون حالاً[1]، وهو باطل؛ لأنَّ الحال قيدٌ في عاملها، فيصير المعنى: "وما يعلم تأويله في حال قول الراسخين كذا وكذا إلاَّ الله والراسخون"، فيُفْهَم منه أنَّ غير الله والراسخين قد يعلم تأويله في غير تلك الحال! ولا وجه لهذا.

وإن قُدِّرَ أنَّه حالٌ من ضميرٍ محذوفٍ، والتَّقدير: "هم يعلمونه حال كونهم يقولون" [فـ]تعسُّفٌ بتكثير الإضمار، ولزوم أنَّ الله والرَّاسخين لا يعلمون تأويله إلاَّ في تلك الحال! وهذا محالٌ.

فإن حُمِلَ قولنا: "هم يعلمونه" على الرّاسخين وحدهم، فكذلك يلزم منه أنَّهم لا يعلمونه إلاَّ في تلك الحال!

وهناك مصارعات ومقارعات، انظرها في: "روح المعاني"[2] إنْ أحببت. وأوضح من هذا كلِّه: أنَّه صحَّ - كما في "المستدرك" وغيره - عن ابن عباس - وهو المدْعوُّ له بتعلُّم التأويل[3] - كان يقرأ: (وما يعلم تأويله إلاَّ الله ويقول الراسخون ..)[4].

وحُكيَ مثله عن أُبيٍّ بن كعب[5]. وقد صحَّ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله: "أقرؤكم أُبيّ"[6].

وجاء عن ابن مسعود - وهو هو - أنه كان يقرأ: (وإن تأويله إلاَّ عند الله والراسخون

= البغوي (٤٠٢/١).

(١) انظر: تفسير المحيط لأبي حيان (٤٠١/٢).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (٨٣/٣ وما بعدها).

(٣) تقدم ص (٤٥٢)

(٤) تقدم ص (٤٤٩)

(٥) انظر تفسير الطبري (٢٠٤/٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٥٩٩/٢).

(٦) أخرجه الترمذي في جامعه، في كتاب: المناقب، باب: مناقب معاذ..، (٦٦٥/٥) (ح: ٣٧٩١) وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني، وأخرجه ابن ماجه في سننه، في كتاب: فضائل أصحاب رسول..، باب: فضائل زيد..، وصححه إسناده محققوه، كلاهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

في العلم)[١]. فلو كان المعنى على العطف لقال: "والراسخين"، كما لا يخفى.

وقد رُوِيَت عن النَّبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه آثارٌ كثيرة تصرِّح بأنَّ المتشابه لا يعلمه إلاَّ الله تعالى وحده. انظرها في "الدُّر المنثور"[٢].

وسياق الآيات يدلُّ على ذلك؛ فإنّ قول الراسخين: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] ظاهرٌ في عدم علمهم بتأويله، وإنَّما علموا أنَّه حقٌّ لأنَّه من عند ربهم، فكأنَّهم قالوا: أمَّا ما عَلِمْنَا تأويله فقد عَلِمْنَا أنَّه حقٌّ بعِلْمِنَا بتأويله، وأمَّا المتشابه فإنَّنا نؤمن به؛ لأنَّه أيضًا من عند ربِّنا، فهو حقٌّ وإن لم نعلم تأويله.

وقولهم بعد ذلك: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾ [**آل عمران: ٨**] ظاهرٌ في أنَّ المتَشابه مَظِنَّة لأنْ يكون سبب الزَّيغ. ولو كانوا قد علموا تأويلَه لكان بالنَّظر إليهم كالمحكم.

وتعليل اتِّباع الزَّائغين للمتشابه بقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[آل عمران:٧] ظاهرٌ في أنّ ابتغاء تأويله زيغٌ؛ إذ لو كان الزَّيغ إنَّما هو في اتِّباعه ابتغاء الفتنة لَمَا كان لقوله: ﴿**وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ**﴾ [آل عمران:٧] معنى!

فإن قيل: سَلَّمنا أنَّ ابتغاء تأويله زَيغٌ، ولكن لغير الراسخين.

قلتُ: الرُّسوخ في العِلْم أمرٌ خفيٌّ، ليس هو كثرة العِلْم، فكم مِن رجلٍ كثير العِلْم ليس براسخٍ، قال تعالى: ﴿**وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث**ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ**﴾ [الجاثية: ٢٣].

وفي الحديث: "إنَّ أخوف ما أخاف على أمّتي كلُّ منافقٍ عليم اللِّسان"[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٠٤/٦)، والمصاحف لابن أبي داود (ص: ١٧٤-١٧٥).

(٢) كقول عمر بن عبد العزيز: انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القرآن إلى أن قالوا ﴿ **ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا** ﴾ وعن أبي رضي الله عنه قال : كتاب الله ما استبان منه فاعمل به وما اشتبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه. وعن ابن مسعود قال : إن للقرآن منارا كمنار الطريق فما عرفتم فتمسكوا به وما اشتبه عليكم فذروه. انظر: الدر المنثور للسيوطي (٤٦٠/٣ وما بعدها)

(٣) أخرجه أحمد في مسنده واللفظ له، (٢٨٩/١) (ح: ١٤٤) وقوى إسناده محققوه، والبزار في =

وقال الحسن البصري: "العِلْم عِلْمان: فعِلْمٌ في القلب، فذلك العِلم النَّافع، وعلمٌ على اللِّسان، فذلك حُجَّة الله على ابن آدم". "سنن الدارمي"[(١)] (ج ١ ص ١٠٢). والأحاديث والآثار في هذا كثيرة.

وقد كان عبد الملك بن مروان[(٢)] وأبو جعفر المنصور العباسي[(٣)] من كبار العلماء، وهما طاغيتان. وكذلك الواقدي، والشَّاذكوني[(٤)]، ومحمَّد بن حميد الرازي[(٥)]، وهؤلاء رماهم أئمَّة الحديث بأنَّهم كانوا يكذبون على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأمثالهم كثير. ومن العلماء مَن هو دون هؤلاء في العلم ولكنَّه معدودٌ من الراسخين.

فالرسوخ إذن حالٌ قلبية؛ كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - في الغِنَى: "ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغِنَى غِنَى النَّفس"[(٦)]؛ فكذلك نقول: ليس الرُّسوخ عن كثرة العِلْم،

= مسنده، (٤٣٤/١) (ح: ٣٠٥)، كلاهما من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) أخرجه الدارمي في سننه، في المقدمة، باب: التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، (٣٧٣/١) (ح: ٣٧٦) وصحح محققه إسناده إلى الحسن.

(٢) هو عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي، أبو الوليد: من أعاظم الخلفاء ودهاتهم، نشأ في المدينة، فقيها واسع العلم، متعبدا، ناسكا، استعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة، وانتقلت إليه الخلافة بموت أبيه، مات سنة ٨٦هـ. انظر: السير للذهبي (٢٤٦/٤)، الأعلام للزركلي (١٦٥/٤).

(٣) هو عبدالله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عني بالعلوم ملوك العرب، كان عارفا بالفقه والأدب، مقدما في الفلسفة والفلك، محبا للعلماء، مات سنة ١٥٨هـ. انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٤٦٥/٩)، الأعلام للزركلي (١١٧/٤).

(٤) هو سليمان بن داود المنقري البصري، أبو أيوب، الحافظ الشهير، من أفراد الحافظين إلا أنه واهٍ، وسئل صالح بن محمد جزرة عن الشاذكوني فقال: ما رأيت أحفظ منه لكنه يكذب في الحديث، مات ٢٣٤هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٥٦/٢)، التقريب لابن حجر(ص:١٣١٥)

(٥) هو محمد بن حميد بن حيان الرازي، حافظ ضعيف، وهو من بحور العلم لكنه غير معتمد يأتى بمناكير كثيرة، وكان ابن معين حسن الرأي فيه، مات ٢٤٨هـ. انظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (٥٨/٢)، التقريب لابن حجر (ص: ٨٣٩).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، (٩٥/٨) (ح: ٦٤٤٦)، =

ولكنَّ الرُّسوخَ رسوخُ الإيمان في القلب، ويوشك أن يكون هو اللُّب في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران:٧].

وإنَّه ليشمُّ روائح الرسوخ من قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٩﴾ [آل عمران: ٧ - ٩].

فالرّاسخ دائم الخوف والخشية من ربه عزَّ وجلَّ، مسيءٌ للظَّنِّ بنفسه، فكم من راسخٍ لا يرى أنَّه من أرسخ الرَّاسخين؟

فالخائف الخاشي المسيءُ الظَّنَّ بنفسه جديرٌ بأن لا يستخفَّه ما عنده من العِلْم على الخوض فيما ليس له به علم، وعلى البحث فيما لم يُكلَّف البحث فيه، وهو من موارد الخَطَر، ومزالق النَّظَر.

هذا لو كان يمكن العِلْم به؛ فكيف إذا كان ممَّا لا سبيل إلى العِلْم به؟! وإنَّما الزَّائغ الجريء على ربه، المتكل على عقله، الفَرِح بما عنده من العِلْم هو الجدير بأن يَتَعاطى الخوض في كُلِّ شيءٍ، ويحمِلُه ثقتُهُ بنفسه، وأَمْنُهُ مكرَ ربِّه، ودعواه أنَّه لا يَتَعَالي عن فهمه شيءٌ، وحرصه على أن يطير ذكرُهُ في النَّاس، وكبره عن أن يعترف بالجهل تحمِلُهُ هذه الأشياء على الجهل بحقيقة حاله، وبأنّ العقل له حدٌّ ينتهي إليه، كما أنَّ للبَصَر حدًّا ينتهي إليه، ورُبَّما حَمَلَتْه على الخوض والكلام، والنَّقض والإبرام فيما يعلم أنَّه لا سبيل له إليه، وكم من راسخ يرميه النّاس بالكفر والضَّلال، وكم من زائغٍ يتَّخذونه إمامًا في الدِّين! فالحقُّ أنَّ هذه الآيات أفادت علامة الزَّائغ، وآية الرَّاسخ.

فعلامة الزَّائغ اتِّباع المتشابه ابتغاء الفِتْنة وابتغاء تأويله، وإذا خَفِيَ علينا ابتغاء الفتنة لم يَخْفَ ابتغاء التأويل. وآية الرَّاسخ الكفُّ عن ذلك، والاكتفاء بقوله: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ...﴾ [آل عمران:٧] .

وفي "الصَّحيحين" وغيرهما من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي - صلى

= ومسلم في صحيحه، في كتاب: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض، كلاهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الله عليه وسلم - تلا هذه الآيات، ثم قال: "إذا رأيتم الذين يتَّبِعُون ما تَشَابَه منه فأولئك الذين سمَّاهم الله فاحذروهم"[١].

فأطْلَق الحديث ولم يقيِّد؛ لكنَّه قد عُلِم إخراجُ الاتِّباع على معنى التِّلاوة والإيمان، وبقي الاتِّباع ابتغاءَ التَّأويل، ولم يُقيِّده بابتغاء الفِتْنة ولا غيرها، فعُلِم صحَّة ما قلناه، وهو: أنَّ ابتغاء التأويل زيغٌ، كما أنَّ ابتغاء الفِتْنة زيغٌ، ولم يقيِّده - صلى الله عليه وسلم - بعدم الرسوخ، فعُلِم أنَّ كلَّ من ابتغى تأويله فهو زائغٌ وليس براسخٍ، وأكَّد هذا ما يُفْهَم من الحديث: أنَّ النَّبي - صلى الله عليه وسلم - كان واثقًا بأصحابه الذين خاطبهم أنهم لا يتبِّعون المتشابه، وإنَّما حذَّرهم ممَّن نَشَأَ بعدهم، وهم رضي الله عنهم أولى بالرسوخ من غيرهم؛ فعُلِمَ أنَّ الرَّاسخ لا يتَّبع المتشابه أصلاً إلاَّ على معنى تلاوته والإيمان به.

فإن قلتَ: المتشابه في اختيارك هو ما اشتبه معناه، بأن يتساوى المعنيان أو الثلاثة في الاحتمال، فهل يدخل فيه ما اشتبه مَعْنَيَاه أو معانيه، ولكنَّه يمكن ترجيح أحدها بدليلٍ آخر؟

قلتُ: كلَّا، ليس هذا بمتشابه، بل هذا ممَّا يعلم تأويله الرَّاسخُ وغيرُه، وممَّا أُمِرْنا بالتَّدبُّر فيه والنَّظَر في تأويله.

فإن قلتَ: فالمتشابه عندك ما اشتبه معناه، بحيث لا يوجد دليل يُبيِّنه؟ قلتُ: نعم.
فإن قلتَ: وما فائدةُ إنزال مثل هذا في القرآن، والقرآن إنَّما نَزَلَ هُدًى للعالمين، وأُمِرْنا بتدبره **مطلقًا؟**

قلتُ: ينبغي أولًا أن تُعيِّن المتشابه، ثم أجيب عن هذا السُّؤال إن شاء الله تعالى.

فأقول: مشتبه المعنى على أنواعٍ، كما فصَّلَه الرَّاغب في "المفردات"[٢]:

الأول: المتَشابه من جهة اللَّفظ، وذكر له خمسة أضرب:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: تفسير القرآن، باب: [منه آيات محكمات..]، (٣٣/٦) (ح: ٤٥٤٧)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع المتشابه، (٢٠٥٣/٤) (ح: ٢٦٦٥)، كلاهما من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: مفردات الراغب (ص:٤٤٣ وما بعدها).

١-الكلمة الغريبة، كالأَبِّ.

٢-المشتركة، كالقُرْءِ.

٣-ما اختُصر فيه الكلام، نحو: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣].

٤-ما بسط فيه، نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

٥-ما يشتبه في نظم الكلام، مثل: ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ۜ ① قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢]، فيتوهَّمُ السَّامع أنَّ ﴿قَيِّمًا﴾ [الكهف:٢]، نعتٌ لـ ﴿عِوَجًا﴾ [الكهف: ١]، وإنَّما هو حال من ﴿الْكِتَابَ﴾ [الكهف: ١].

ومنه قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران:٧]، إلاَّ أنَّ المتبادر في هذه الآية هو الصَّواب كما قدّمنا[1]، بخلاف قوله: ﴿عِوَجًا ① قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١، ٢].

الثاني: المتشابه من جهة اللَّفظ والمعنى جميعًا، وذكر له خمسة أضرب أيضًا:

١-من جهة الكميَّة، كالعموم والخصوص، نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥].

٢-من جهة الكيفية، كالوجوب والتَّحريم في قوله ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠].

٣-من جهة الزمان، كالنَّاسخ والمنسوخ.

٤-من جهة المكان والأمور التي نَزَلَت فيها الآيات، نحو: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ [التوبة: ٣٧]. قال: "فإنَّ من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذَّرُ عليه معرفة تفسير هذه الآية"[2].

٥-من جهة الشُروط التي يصحُّ بها الفِعْل أو يفسد، كشُرُوط الصَّلاة والنِّكاح.

الثالث: ما ذكره بقوله: "والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإنَّ تلك الصِّفات لا تُتَصَوَّر لنا، إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورةُ ما لم نُحسّه أو لم يكن من جنس ما نُحسُّه".

أقول: وأنت إذا كنت قد تَدَبّرت ما تقدَّم - تعلم أنَّ النَّوعين الأوَّلين لا يصحُّ تفسير

---

(١) انظر: ص (٤٤٨).

(٢) انظر: مفردات الراغب (ص:٤٤٤).

المتشابه في الآية بهما، فإنَّ الأَبَّ والقُرْء وسائر ما ذُكِر في النَّوعين الأوَّلين ليست ممَّا يُتَّبَع ابتغاءَ الفِتنة، ولا ممَّا يتَّبعه الزَّائغون ابتغاءَ تأويله، ولا غير ذلك ممَّا تقدَّم[١]، بل في ذلك ما يخفى على الرَّاسخ، ولا يخفى على الزَّائغ، وفيه ما يُخطئ فيه الرَّاسخ ويصيب فيه الزَّائغ، ولم يزل العامَّة يسألون عمَّا يُشْبِهُ ذلك، ولم يتَّهِمهُم أحدٌ بالزَّيغ.

والحاصل: أنّ ذلك لا يَصدُق على المتشابه الذي وَرَدَت به الآية والأحاديث والآثار، بل ولا يَصدق عليه أنَّ معانيه مُشْتَبِهَةٌ؛ لأنَّ الاشتباه فيه يزول بالتَّدبُّر، فالأَبُّ مثلًا يُعْرَف معناه بسؤال أهل اللُّغة، والنَّظَر في القرائن، وهكذا.

وليس في القرآن شيءٌ من ذلك يتوقَّف العلماء عن اتّباعه والنَّظر في تأويله، مع أنَّ الجمهور يقولون في الآية بما قلناه، وهو أنّ المتشابه لا يعلم تأويله إلاَّ الله[٢]، وقد تقدَّم حديث "الصَّحيحين"[٣]، ونحن نعلَم أنَّ الصحابة عملوا بمقتضاه، ونعلم أنَّهم تكلَّموا في النَّوعين الأوَّلين، واختلفوا في بعضها كثيرًا، ثمَّ رَأَوا مَن بَعْدَهم يتَّبِعُون ذلك ويبتغون تأويله فلم ينكروا عليهم ذلك.

فما بقي إلاَّ النَّوع الثالث، فهو الذي لم يكن يُؤَوِّلُه النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه، ولا كانوا يبتغون تأويله، ولا يختلفون فيه، ولما رَأَوا من يتَّبعه مِنْ بَعدِهم ويتكلَّم في تأويله حَذَّرُوه، وحذَّروا الناس منهم.

فإن قلتَ: فإنَّكم تتكلَّمون في معنى ذلك، فتقولون: لله عزَّ وجلَّ حياةٌ تليق به، ويدٌ تليق به، وتقولون: إنَّ لوجوده وحياته وقدرته وعلمه وحكمته مناسبةً ما لهذه الصِّفات في المخلوق، ولذلك أمكننا تصوُّرها إجمالًا.

قلتُ: الآن حَصْحَصَ الحقُّ، ارجع إلى معنى كلمة "تأويل".

فقد قدَّمنا أنَّ تأويل اللَّفظ قد يُطْلَق على المعنى، وقد يُطْلَق على نفس ذلك المعنى، وقد يُطْلَق على الحقيقة المعبَّر عنها باللَّفظ[٤].

---

(١) انظر: ما تقدم ص: (٤٤٨).

(٢) تقدم ذكر من قاله به ومن قال بالقول الآخر. انظر:ص (٤٤٩-٤٥٠).

(٣) حديث عائشة رضي الله عنها المتقدم ص: (٤٤٩).

(٤) انظر: آثار المعلمي، (حقيقة التأويل) (٦/٦-٩).

وقلنا: إنَّ قوله تعالى: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٥**﴾ [المرسلات: ١٥]، فإذا قال قائلٌ: "ويلٌ" وادٍ في جهنَّم، فقد أوَّله، ويُطْلَق على قوله إنَّه تأويلٌ، ويُطْلَق على نفس ذلك المعنى أنَّه تأويل[١].

يقال: ما تأويل ﴿**وَيْلٌ**﴾ [المرسلات: ١٥]؟ فيقال: تأويلُه وادٍ في جهنم، ويطلق على تلك الحقيقة - وهي عين ذلك الوادي - أنَّها تأويل.

ولم نجد في القرآن مثالاً للإطلاقين الأوَّلَين، وفيه ثلاثة أمثلة جاءت على الإطلاق الثالث، كما ذكرنا هناك[٢].

إذن فالتَّأويل في آية المتشابه من الإطلاق الثالث، فقولنا في حياة الله عزَّ وجلَّ: "صفةٌ ثابتة له سبحانه لها مناسبةٌ ما بحياة المخلوق" قولنا ذلك تأويلٌ لِلَّفظ على الإطلاق الأوَّل، وهذا المعنى تأويله بالإطلاق الثَّاني، وتلك الصِّفة نفسها هي تأويلُه بالإطلاق الثَّالث، والتَّأويل بالإطلاق الثالث هو الذي لا يعلمه إلاَّ الله، وابتغاؤه زيغٌ، ولم يكن الصَّحابة والرَّاسخون في العِلْم يبتغونه، ولما رَأَوا من يبتغيه حذَّرُوه، وحذَّرُوا منه. وقد عَرَفْتَ أقسام متَّبعيه ممَّا سبق[٣].

فمَن قال: يدٌ كيدي، فقد حكم على الحقيقة المعبَّر عنها باليد بأنَّها كَيَدِه، وتصوَّرَها هذا التَّصور المحدود.

ومَن قال: إنَّما هي القُدرة أو النِّعمة، فقد حكم عليها هذا الحكم، وزعم أنَّه قد أدرك حقيقتها.

ومَن قال: لله عزَّ وجلَّ يدٌ تليق به لا يمكنني تصورها، ولا العلم بكنهها، ولكن لما أخبر الله عزَّ وجلَّ عن نفسه أنَّ له يدًا آمنت بأنَّ له يدًا تليق به، فهذا هو القائل: ﴿**ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾ [آل عمران:٧].

وهذا أوان الجواب عن سؤالك بقولك: وما فائدة إنزال مثل هذا في القرآن والقرآن إنّما

---

(١) انظر: المرجع نفسه (٦/٨).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٦/٦-٩).

(٣) انظر: ص(٤٤٩) وما بعدها.

نزل هدى للعالمين وأمرنا بتدبّره مطلقًا؟

فأقول: أمّا الصفات التي نُدْرِكها إجمالًا لمناسبة ما بينها وبين صفاتنا، مع العلم بأنّها في حقّه عزَّ وجلَّ كاملة كما يليق، وفي حقّنا ناقصةٌ كما يليق بنا، كالقدرة والعلم ونحوها = فلا إشكال في إنزالها في القرآن؛ إذ يُقال: المقصود منه الإيمان بها مع العلم الإجمالي، وهو كافٍ في ذلك.

وقد عَلِمتَ أنّ من تلك الصفات ما يتوقّف ثبوت الشريعة على العلم بها، ويتبعها صفات أخرى مثلها في إمكان العلم بها إجمالاً، وفي العلم بها تثبيتٌ للشريعة، وتأكيد للإيمان، ودونها صفات أخرى تُذْكَر في القرآن في صَدَد تقرير معنًى من المعاني لا يتوقَّف فَهمُه على العلم بكُنْهها، ولكن ذكرها معه يفيدُه قوةً لا تحصل بدونها، كقول الله تعالى: ﴿**قَالَ يَـٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ٧٥**﴾ [ص:٧٥].

فأصل المقصود إظهار زيادة الاعتناء بآدم عليه السلام، وتشريفه على ما سواه، وهذا المعنى معروف من الكلام، لا يتوقّف على العلم بكُنهِ اليدين، ولا نقول كما يقول بعضهم: هذا الكلام تمثيلٌ لا بد، فيه إظهار العناية والتّشريف وليس هناك يدان، وإنَّما هو تخييل كما قالوه في قول الشاعر:

إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُهَا(١)

لا والله لا نقول ذلك، فإنَّه من الزَّيغ، بل نقول: إنَّ لله عزَّ وجلَّ يَدَين خلق بهما آدم عليه السلام، ولكنّنا لا نعلم كُنْهَهُمَا، وجَهْلُنا بكُنهِهما لا يمنع من فهم معنى الكلام، ولا يلزمُ منه أنَّ ذِكرهُمَا لا فائدة له، بل له أعظم الفائدة كما عَلِمْتَ.

ومع هذا فلا نقول: إنَّ فائدة ذكر الصفة مقصورة على ما ذُكر، بل هناك فائدةٌ أخرى، وهي الابتلاء؛ ﴿**لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَـٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَـٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا**﴾ [المدثر: ٣١].

وأمّا التدبُّر فقد أُمِرنا به مطلقًا، ولا يتوقَّف فائدة التدبُّر على العِلْم بكُنْهِ اليَدَين مثلاً، إذ لا يتوقَّف العِلْم بمعنى الكلام على ذلك، ألَا تَرَى أنّك إذا أخبرت الأَكْمَهَ بأنَّك ترى ولدَه مُقبلًا يعلم معنى هذا الكلام تحقيقًا، وإن كان لا يدري كُنْهَ الإبصار).

(١) هو لبيد بن ربيعة العامري رضي الله عنه انظر: ديوانه (ص:١١٤).

[وقال -رحمه الله في موضع آخر:][١](الاختلاف في الدين قد يكون في الأصول، وقد يكون في الفروع، جاء الشرع بمنع الخوض في الأصول، بل ما كان منها ظاهرًا لا يمكن الاختلاف فيه فأمرُه واضح، وما كان بخلاف ذلك فالواجب الإيمان به فقط، وأن يقول كلُّ أحدٍ منا: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧]، ويمسك عمّا عدا ذلك.

وعلى هذا جاء الشرع الشريف، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]. ولا شك أن الخائض في الأصول لا بدَّ وأن يقْفُوَ ما ليس له به علم، وذلك أن العلم حقيقته ما ينكشف به المعلوم انكشافًا تامًّا، أي: بحيث لا يبقى في مقابله أدنى احتمال. والأشياء التي خاض فيها المحدَثون ليست كذلك).

۞ ۞ ۞

﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ٢٠﴾ [آل عمران: ٢٠]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في بيان نوع الاستفهام في الآية:][٢] (إن قوله: "أصَلَّيْتَ"[٣] ليس للاستفهام الحقيقي، وإنَّما هو بمعنى الأمر[٤]، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ﴾ [آل عمران: ٢٠] والمعنى:

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث) (٤/١٦٦-١٦٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل الفقه) (١٦/٣٦٥-٣٦٦).

(٣) المقصود به الحديث الذي جاء عن أبي سعيد رضي الله عنه وغيره أنه جاء رجل والنبي - صلى الله عليه وسلم - يخطب فقال: "أصليت؟ " قال: لا. قال: "فصل ركعتين"، أخرجه أبوداود في سننه، في كتاب: الصلاة، باب: إذا دخل الرجل والإمام يخطب (ح:١١١٨)، وابن ماجه في سننه، في كتاب: إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن دخل المسجد والإمام يخطب، (١١١٤)، وحكم عليه محققوه أنه صحيح لغيره.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦/٢٨١-٢٨٢)، تفسير القرطبي (٤/٤٥)، تفسير ابن كثير (٢/٢٦)، تفسير الطاهر بن عاشور (٣/٢٠٢).

وقيل للَّذين أوتوا الكتاب والأميين:أسْلِموا، ذكره في "المغني"[(١)]).

❁ ❁ ❁

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا أهمية الاتباع:][(٢)]

(دلَّ الكتاب على أن جميع ما أتَى عن الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم حقٌّ يجب اتباعُه[(٣)]، قال تعالى: **﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [آل عمران: ٣١].)

[وقال –رحمه الله– في موضع آخر:][(٤)] (إن كانت نفسك تحدّثك أنها تحبُّ اللهَ ورسولَه فامتحنها بالرضا والتسليم لكلّ ما جاء عن الله وعن رسوله، فقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١].

فإن كنت زاهدًا في محبة الله تعالى وزعمتَ أنك تحبّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم فاعلم أن محبته على قسمين:

الأولى: محبة لا تنافي محبة الله تعالى فهذه هي شرط الإيمان، وميزانها الاتِّباع.

ومحبة تنافي محبَّة الله تعالى، وهي كمحبة النصارى لعيسى، فهذه هي مناقضة للإيمان. والنبي صلَّى الله عليه وآله وسلم إنما يحبّ مَن أحبّ اللهَ.

ويقال لصاحب هذه المحبّة: إن كنت تحب النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم فإنه لا يحبّك،

---

(١) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (ص:٢٧).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (تحقيق الكلام المسائل الثلاث) (٤/٢٠)، وانظر: المرجع نفسه (٦/١٢٥)، (١٩/٥-٦).

(٣) المقصود –والله أعلم– جميع ما جاء في مقام التشريع والتبليغ عن الله، أما ما كان من العادات فلا يجب اتباعه. انظر: المستصفى للغزالي (٢/٢١٧)، المسودة لآل تيمية (ص:١٩١)، (أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم ودلالتها على الأحكام الشرعية) لمحمد الأشقر –رحمه الله.

(٤) انظر:المرجع نفسه (تحقيق الكلام في المسائل الثلاث) (٤/٢٥٩).

وكيف يحبّ مَن لا يحب الله؟ وكيف يحبّ مَن غضب عليه الله؟ فاتق الله في نفسك، وانظر إلى أين أنت سائقها، على أن المحبّة لا تتحقق إلا بالاتباع على كل حال والله أعلم).

۞ ۞ ۞

﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ٤٤﴾ [آل عمران:٤٤]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا بعضا من قصة زكريا مع مريم عليهما السلام:](١)

(قال الله تبارك وتعالى في قصة مريم: **﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾** إلى أن قال: **﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** [آل عمران: ٣٧ – ٤٤].

فالقوم – وفيهم نبي الله زكريا عليه السلام – اختصموا في كفالة مريم، ففزعوا إلى القرعة(٢)، وظاهرٌ أنهم إنما يرضون بالقرعة عند تساويهم في أصل الاستحقاق واقتضاء مصلحة الطفلة أن يختص بكفالتها أحدهم. فقص الله تبارك وتعالى ذلك في كتابه، وأخبر أنه كفَّلها زكريا، أي – والله أعلم – بأن أخرج سهمه في القرعة، فكان هو القارع(٣)).

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (١١/٢٧٨-٢٧٩).

(٢) قال الشيخ السعدي –رحمه الله– موضحا المعنى العام للآيات: (**﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ ﴾** أي: عندهم **﴿ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ ﴾** لما ذهبت بها أمها إلى من لهم الأمر على بيت المقدس، فتشاحوا وتخاصموا أيهم يكفل مريم، واقترعوا عليها بأن ألقوا أقلامهم في النهر، فأيهم لم يجر قلمه مع الماء فله كفالتها، فوقع ذلك لزكريا نبيهم وأفضلهم، فلما أَخۡبَرتَهُم يا محمد بهذه الأخبار التي لا علم لك ولا لقومك بها دل على أنك صادق وأنك رسول الله حقا، فوجب عليهم الانقياد لك وامتثال أوامرك، كما قال تعالى: **﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ ﴾** [القصص:٤٤]). انظر: تفسير السعدي (١/١٣٠).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/٤٠٧-٤٠٩)، تفسير القرطبي (٤/٨٦-٨٧).

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا معنى كلمة التوحيد:](١)

(قال الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤].

اتَّفق المفسِّرون(٢) على أن قوله: ﴿**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ إلخ تفسيرٌ لقوله: ﴿**كَلِمَةٍ**﴾. وقال ابن جريرٍ: "وقال آخرون: هو قول "لا إله إلا الله"". ثم أسند عن أبي العالية قال: "كلمة السواء: لا إله إلا الله"(٣).

أقول: ويبيِّنه أن النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يدعو إلى (لا إله إلا الله). وفي قوله تعالى في الآية: ﴿**كَلِمَةٍ**﴾ ما يرشد إلى ذلك.

فيتحصَّل مما ذُكِر أن قوله تعالى: ﴿**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [آل عمران: ٦٤] بسطٌ لمعنى (لا إله إلا الله). وقد تضمَّن قوله: ﴿**أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ إلخ الالتزام، فاتَّضح بذلك أن (لا إله إلا الله) تتضمَّن الالتزام، وهو المطلوب).

۞ ۞ ۞

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران: ٧٥]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مفسرا الآية تفسيرا مجملا](٤)

(قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿**وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ**﴾ [آل عمران: ٧٥].

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢/٩-١٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/٤٨٣)، تفسير الزمخشري (١/٣٧١)، تفسير القرطبي (٤/١٠٦)، تفسير ابن كثير (٢/٥٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٦/٤٨٨).

(٤) انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (١٥/٨٠).

يعني أن منهم من هو عظيم الأمانة حتى لو ائتمن على قنطار لأداه، ومنهم من هو ضعيف الأمانة حتى لو ائتمن على دينار واحد لخان فيه. والقنطار المال العظيم(١)، جاء عن الحسن البصري: أنه ملء مَسْك ثورٍ ذهبًا(٢)).

۞۞۞

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا سبب نزول﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ..﴾ [آل عمران: ٧٩] ومفسرا معناها:](٣)

(الكلام على قوله تعالى:﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٩] ...

قال ابن جرير: "حدثنا أبو كريب قال، ثنا يونس بن بكير قال، ثنا محمَّد بن إسحاق قال، ثني محمَّد بن أبي محمَّد مولى زيد بن ثابت قال، ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي، فذكر نحوه" يعني نحو الحديث الذي تقدَّم قبله، ولفظه: "قال أبو رافع حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ودعاهم إلى الإسلام : أتريد يا محمَّد أن نعبدك، كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرِّبِّيس(٤): أوَ ذاك تريد منا يا

---

(١) اتفق السلف والمفسرون على أن القنطار هو المال الكثير العظيم، واختلفوا بعد ذلك في تحديده فقيل ألف ومئتا أوقية، وقيل ألف ومئتا دينار، وقيل اثنا عشر ألف درهم أو دينار، وقيل ثمانون ألفا من الدراهم، وقيل سبعون ألفا، وقيل غير ذلك، والأقرب -والله أعلم- هو ما رجحه الطبري وابن كثير من أنه المال الكثير العظيم من غير أن يحد بمقدار معين. انظر: تفسير الطبري (٦/٢٤٤-٢٤٩)، تفسير ابن عطية (١/٤٠٨)، تفسير القرطبي (٤/٣٠-٣١)، تفسير ابن كثير (٢/١٩).

(٢) عزاه الطبري وابن المنذر إلى أبي نضرة العبدي، وعزاه ابن أبي حاتم إلى أبي سعيد الخدري. انظر: تفسير الطبري (٦/٢٤٨)، تفسير ابن المنذر (١/٢٥٩)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/٩٠٧).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٣/٦٤٨-٦٥٤)، وانظر بمعناه : العبادة (٢/٤٩٣).

(٤) (في الأصل: الرئيس، والتصحيح من طبعة محمود شاكر لتفسير ابن جرير) قاله المحققون على آثار =

محمَّد؟ ...[١] فقال النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -: معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله، أو نأمر بعبادة غيره ما بذلك بعثني، ولا بذلك أمرني، أو كما قال، فأنزل الله عزَّ وجلَّ في ذلك ... : ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ الآية إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾"[٢].

أقول: ابن إسحاق هو إمام أهل المغازي، وقد ذكر هذا الحديث في سيرته[٣]، وهو ثقة على الصحيح، وإنما يُخشى تدليسه، وقد صرَّح بالسماع، وشيخه ذكره ابن حبان في الثقات[٤]، لكن قال الذهبي: لا يُعرف[٥].

وفي أسباب النزول للسيوطي: وأخرج عبد الرزاق في تفسيره عن الحسن قال: بلغني أن رجلاً قال: يا رسول الله! نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض أفلا نسجد لك؟ قال: لا، ولكن أكرموا نبيَّكم، واعرفوا الحق لأهله فإنه لا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله، فأنزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٦].

أقول: الآية عامَّة تتناول هذا وتتناول - كما يدلُّ عليه السياق - عيسى عليه السلام بالنظر إلى زعم النصارى أنَّه أمرهم باتِّخاذه ربًّا، وإبراهيم عليه السلام بالنظر إلى زعمهم أيضًا أنه كان نصرانيًّا يأمر باتِّخاذ عيسى ربًّا، وبالنظر إلى زعم المشركين من العرب أهم على ملَّة إبراهيم عليه السلام مع عبادتهم للملائكة.

وأما ما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن جريج قال: كان ناس من اليهود يتعبَّدون

= المعلمي، انظر: آثار المعلمي (٣/٦٥٠).

(١) (وضع النقاط مني، وإنما وضع خطًّا طويلاً، ولعله يشير إلى سقم نسخته من تفسير الطبري، والذي تُرك هو: "وإليه تدعونا، أو كما قال") قاله المحققون على آثار المعلمي، انظر:المرجع نفسه.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٦/٥٣٩).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/٩١).

(٤) انظر: الثقات لابن حبان (٧/٣٩٢).

(٥) انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٤/٢٦).

(٦) انظر: لباب النقول للسيوطي (ص:٥١).

الناس من دون ربهم بتحريفهم كتاب الله عن موضعه فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ الآيتين[١] ففيه نظر؛ لأنَّ أولئك الأناس من اليهود لم يُؤْتَوا النبوة، اللَّهمَّ إلاَّ أن يُرتكب المجاز فيقال: معنى كونهم أُوتوا النبوة أنهم من قومٍ مَنْ أُوتي النبوة، أو نحو هذا، وهذا خروجٌ عن الظاهر بلا موجب.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قُرئ بالنصب والرفع[٢]؛ فأما النصب فبالعطف إما:

- على ﴿يَقُولَ﴾ بالنظر إلى أن المعنى: ما كان لنبي أن يقول.
- وإما على محذوف بعد قوله: ﴿تَدْرُسُونَ﴾ تقديره: ما كان له أن يقول.

وعلى كلا الوجهين فالمعنى كما نص عليه ابن جرير: "ما كان له أن يقول .... ولا أن يأمركم"[٣] فكلمة (لا) صلة لتأكيد معنى النفي، وذلك شائع في الاستعمال، ولا سيما إذا طال الفصل كما هنا.

وقيل: كلمة (لا) أصلية[٤]، والمعنى: "ما كان له أن يقول ولا يأمر" أي ما كان له أن يجمع بين القول وعدم الأمر، وهذا بعيد من حيث المعنى؛ إذ يصير النفي فيه منصبًّا على الجمع بين القول وعدم الأمر فيكون مفهومه أن له أن يقول ويأمر، وهو كما ترى.

ويؤيِّد الأول قوله تعالى: ﴿أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فإنه يدلُّ على توجُّه النفي إلى كلٍّ من القول والأمر على حِدته، ويؤيِّده أيضًا الفصل بقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ ومثل هذا الفصل لا يحسن بين الأمرين اللَّذين يُراد توجيه الحكم إلى اجتماعهما، والله أعلم.

وفي الآية احتمالات أُخر ذكرها ابن هشام في المغني في فصل (لا)[٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٥٤٠/٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٦٩١/٢).

(٢) قرأ بالنصب عاصم وابن عامر وحمزة، وقرأ بالرفع ابن كثير ونافع وأبوعمرو والكسائي. انظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص:٢١٣)، وتحبير التيسير لابن الجزري (ص:٣٢٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥٤٧/٦).

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط (٥٣٠/٢-٥٣١)، انظر: تفسير السمين الحلبي (٨٤٦/١).

(٥) انظر: مغني اللبيب لابن هشام (ص: ٣٣٣-٣٣٤).

والنفي في قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ نفيٌ - والله أعلم - للإمكان، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، أي: لا يمكن أن يجتمع في بشر الأمران:

الأول: ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾.

الثاني: أن يأمرهم باتِّخاذه وغيره من الأنبياء والملائكة أربابًا.

فحاصل المعنى: أنَّ مَن علم الله تعالى منه الأمر بالشرك لم يؤته النبوة، ومَن آتاه النبوة عصمه عن الأمر بالشرك.

وإنما قلت: إن النفي نفيٌ للإمكان لا للجواز بمعنى الحِلِّ؛ لأمرين:

الأول: أن قوله تعالى: ﴿أَنْ يُؤْتِيَهُ﴾ مما لا يدخل تحت قدرة العبد حتى يصحَّ أن يوصف بعدم الحلِّ.

فإن قلت: الحكم في الآية منصبٌّ على المجموع كما قدَّمتَ.

قلت: صدقتَ، ولكن حُسْن التعبير في مثل هذا يستدعي إذا كان المنفيُّ الحلَّ أن يُفرَّق بين ما يكون الأمران من عمل مَن لا يحلُّ له المجموع وما يكون أحدهما من غير عمله، ففي الأول يوجَّه المنعُ إلى كلٍّ منهما في الصورة مع التنبيه على أنه موجَّه إلى الجمع، كأن يُقال: ما كان للمسلم أن يتزوَّج المرأة ثم يتزوَّج أمَّها، وفي الثاني يوجَّه المنع إلى ما هو من فعله مقيَّدًا بوجود الأمر الآخر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

الأمر الثاني: أن نفي الإمكان أقطع للجاج المفترين على إبراهيم وعيسى عليهما السلام وأبلغ في تبرئتهما، ولو كان المنفيُّ الحلَّ لأمكن أن يقولوا: أما هما فقد أمرانا بما نحن عليه، وكونه يحل لهما أو لا يحل لا شأن لنا به.

فإن قيل: إن نفي الحلِّ يستلزم نفي الإمكان لعصمة الأنبياء عليهم السلام، فيكون نفي الإمكان بطريقٍ استدلاليٍّ، وهو أبلغ.

قلت: ولكن النصارى لا يعترفون بعصمة الأنبياء عليهم السلام[1]).

---

(١) يظهر هذا من إيمانهم بصحة التوراة المحرفة التي بين أيديهم اليوم، وفيها اتهام الأنبياء -عليهم الصلاة =

[وقال–رحمه الله– في موضع آخر:][1] (قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

فالمراد أن يأمرهم من عند نفسه، فأما لو أمره الله عزَّ وجلَّ أن يأمرهم بطاعته واحترامه بالسجود له مثلًا لكان ما يأمرهم به طاعةً لله عزَّ وجلَّ وعبادةً له، لا عبادةً لهذا البشر المبلِّغ عن الله عزَّ وجلَّ، وكذلك إذا أمره الله تعالى أن يأمر الناس باحترام الملائكة والنبيِّين بالسجود لهم مثلاً فإنه لا يكون السجود لهم من باب اتِّخاذهم أربابًا، بل يكون طاعةً لله عزَّ وجلَّ وعبادةً له وإقرارًا بربوبيَّته، فتدبَّر.

وقد مرَّ الكلام على هذه الآيات في الكلام على تفسير تأليه المسيح عليه السلام[2]).

۞۞۞

﴿۞كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٣﴾ [آل عمران:٩٣]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– رادا على بعض شبهات النصارى:][3]

(أخذ هذا المخذول[4] يتخبَّط في خيالات واهية، إلى أن قال: "فلِمَ لَمْ يكذِّب القرآنُ

= والسلام– بالقبائح والموبقات، كما قالوا أن نوحا –عليه السلام– شرب الخمر فسكر وتعرى. انظر: سفر التكوين، إصحاح: ٩، العدد: ١٨-٢٤، وقالوا عن لوط –عليه السلام– أنه شرب خمرا وسكر ثم زنى بابنتيه وأنجب منهما والعياذ بالله. انظر: سفر التكوين، إصحاح: ١٩، العدد: ٣٠-٣٨، وقالوا عن يعقوب –عليه السلام– زنا بسرية أبيه. انظر: سفر التكوين، إصحاح:٣٥، العدد: ٢١-٢٢. وحاشا أنبياء الله –عليهم السلام– من هذه الأكاذيب والافتراءات.

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٧٤١/٣-٧٤٢).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٦٤٨/٣ وما بعدها).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٢٠٣/٦-٢٠٤).

(٤) وهو حسن الضالعي، وقد رد عليه المؤلف برسالة مستقلة بعنوان (الرد على حسن الضالعي) انظر: المرجع نفسه (١٨١/٦ وما بعدها).

التوراة والإنجيل"؟

فنقول: يا مخذول، أي شيء مسمَّى التوراة والإنجيل في الحقيقة؟ أليس هو الكتابَيْن المنزَّلَين من الله تعالى؟ لا شكَّ في ذلك.

وقد بيَّنَّا لك بما سبق أنَّ ما بأيدي القوم من قبل بعثة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم مبدَّلٌ مغيَّرٌ، قد اختلط فيه الحق بالباطل.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا**﴾ [آل عمران: ٩٣]؛ فسمَّى ما بأيديهم "التوراة" لاشتماله على شيءٍ منها، من جملته الشيء المسوقةُ الآيةُ لبيانِهِ، مع أنَّهم كانوا يسمُّون ذلك السِّفْر بالتَّوراة ويزعمون أنَّه التَّوراة.

إلى أن قال: ﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥]، لِمَ كانت البشارة خلاف [المعتاد]؟

نقول لك: كما بُشِّر إبراهيم بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب، وزكريا بيحيى، فإنَّ إبراهيم وزكريا كانا قد كبرا، فلذلك بُشِّرا؛ لأنَّ مجيء الولد للكبير خلاف المعتاد، فبُشِّرا بخلاف المعتاد.

وكذلك مريم عليها السلام، لما كان الولد من غير أبٍ كان خلاف المعتاد بُشِّرت على خلاف المعتاد).

۞ ۞ ۞

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- ذاكرا قول ابن حزم في الرد على اليهود المدعين أن المسلمين مقرين بالتوراة إذ أنها مذكورة في القرآن:](١)

(أمَّا قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [آل عمران: ٩٣] فنعم، إنَّما هو كذبٌ كذبوه ونسبوه إلى التوراة على جاري عادتهم، زائد على الكذب الذي وضعه أسلافهم في توراتهم، فبَكَّتَهم عليه السلام في ذلك الكذب المحْدَث بإحضار التوراة إن كانوا صادقين، فظهر كذبهم.

وكم عَرَض لنا هذا مع علمائهم، في مناظراتنا لهم قبل أن نقف على نصوص التوراة،

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع رسائل العقيدة) (٦/٢٤٢).

فالقوم لا مؤنة عليهم من الكذب حتى الآن، إذا طمعوا بالتخلُّص من مجلسهم لا يكون ذلك إلاَّ بالكذب، وهذا خُلُق خسيس، وعارٌ لا يرضى به مصحح، ونعوذ بالله من مثل هذا[(١)]).

۞ ۞ ۞

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- في ذكر إشكال من نذر يعقوب عليه السلام:][(٢)] (**قوله عَزَّ وَجَلَّ في سورة آل عمران: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَآءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [٩٣]**.

صحَّ عن ابن عباس أن إسرائيل نذر إن شفاه الله تعالى من عرق النَّسا[(٣)] أن لا يأكل لحمًا فيه عروق[(٤)]. وهذا النذر مشكل؛ إذ لا يظهر فيه وجه القربة[(٥)]، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول في اليهود (المائدة) [(٦)]: ﴿**قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ**﴾ [الأنعام: ١٤٠][(٧)]).

---

(١) انظر: الفصل لابن حزم (١/١٥٨).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (٢٤/١٦-١٧).

(٣) هو عرق من الورك إلى الكعب. انظر: لسان العرب لابن منظور (نسا) (١٥/٣٢١).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٦/١٠)، تفسير ابن أبي حاتم(٣/٧٠٥)

(٥) يظهر وجه القربة بما ذكره الطاهر بن عاشور -رحمه الله- في تفسيره (٤/٩) : (وما حرمه يعقوب على نفسه من الطعام: ظاهر الآية أنه لم يكن ذلك بوحي من الله إليه، بل من تلقاء نفسه، فبعضه أراد به تقربا إلى الله بحرمان نفسه من بعض الطيبات المشتهاة، وهذا من جهاد النفس، وهو من مقامات الزاهدين).

(٦) (كذا في الأصل والآية في سورة الأنعام) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٢٤/١٧).

(٧) وهذا الإشكال يجاب عنه بأجوبة:

- آية الأنعام عن أهل الجاهلية من العرب وليست عن اليهود، فلا تعارض بينهما أصلا إذ الجهة منفكة. انظر: تفسير الطبري (١٢/١٥٥)، تفسير القرطبي (٧/٩٦-٩٧).
- أن يعقوب عليه السلام حرم على نفسه ذلك اجتهادا منه على أحد قولي أهل العلم، وهو نبي من الانبياء لا يقره الله على الخطأ، كما عاتب الله نبينا صلى الله عليه وسلم لما حرم على نفسه ما حرم فأنزل الله بداية سورة التحريم، بخلاف من تناولته آية الأنعام من أهل الجاهلية فإنهم =

﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ [آل عمران:٩٧]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا بعض ما يتناوله لفظ (السبيل):](١)

(الحج والجهاد مقصدان شرعيّان أُمِرْنا بهما ويمكننا التوسل إليهما بأمور متعددة، كالسفر إلى الحج مشيًا وركوبًا على الخيل والبغال والحمير والجمال والفِيَلة، وفي السفن البحرية شراعية أو بخارية، وفي القطار والسيارات والطيارات وغير ذلك، ولم يحدد لنا الشرع شيئًا منها على سبيل التقييد. وتوسَّل النبيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم بالركوب على الناقة وكثير من أصحابه بالمشي، فكانت هاتان الوسيلتان من هديه صلَّى الله عليه وآله وسلم بالفعل، وأمّا التوسل بركوب الباخرة أو القطار أو السيارة أو الطيارة، فلم يقع في عهده صلَّى الله عليه وآله وسلم، ولكنّه من هديه بالقوة. وممّا يصرح بذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**﴾ [آل عمران: ٩٧].

وركوب السيارة والطيارة ونحوهما سبيل من السبل، وقس على هذا حال الجهاد، فالتوسّل إليه بالسيف والرمح من هديه صلَّى الله عليه وآله وسلم بالفعل، وبالبندق والمدفع وغيرهما من هديه بالقوة، وممّا يصرّح بذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]).

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٠١**﴾ [آل عمران:١٠١]

= ليسوا أهلا للإجتهاد. انظر: تفسير القرطبي (١٣٥/٤).

- أن يعقوب عليه السلام حرم ذلك على نفسه بإذن من الله على أحد قولي أهل العلم، وبهذا يعلم الفرق بينه وبين من تناولته آية الأنعام. انظر: المرجع نفسه.
- أن يعقوب عليه السلام حرم على نفسه من غير نسبة هذا الاجتهاد أنه من الله، بخلاف أهل الجاهلية فإنهم حرموا ما حرموا ونسبوه كذبا ومينا إلى الله.

(١) انظر: آثار المعلمي، (مجموع الرسائل الحديثية) (٢٠٤/١٥)، وانظر بمعناه انظر: المرجع نفسه (١٣٢/٦-١٣٣).

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا مكانة السنة:](١)

(قال سبحانه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ**﴾ [آل عمران: ١٠٠ - ١٠١] والرسول فينا بسنته).

۞۞۞

﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ۝**﴾ [آل عمران:١٠٣]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– معنى (التفرق):](٢)

(هذا، ولم يظفر الأستاذ(٣) بعد الجهد بشبهةٍ ما تُجرِّئه على زعم أن كلمة "يتفرقا" في الحديث(٤) إن حُمِلت على قولنا كانت مجازًا، وإن حُمِلت على قولهم كانت حقيقة(٥). فعدل إلى قوله:"والتفرق بالأقوال شائع في الكتاب والسنة نحو قوله تعالى: ﴿**وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ**﴾ [آل عمران: ١٠٣] وقوله تعالى: ﴿**وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾ [البينة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ**﴾ [النساء: ١٣٠]، وفي الحديث: "افترقت اليهود .. "(٦) الحديث. بل التفرق بالأبدان من شأنه إفساد العقود في الشرع لا إتمامها،

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (الأنوار الكاشفة) (٥٩/١٢).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (التنكيل) (٨٥/١١-٨٧).

(٣) الأستاذ هو محمد زاهد الكوثري –رحمه الله–.

(٤) الحديث هو حديث حكيم بن حزام مرفوعا (البيعان بالخيار ما لم يتفرقا). أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: البيوع، باب: إذا بين البيعان...، (٥٨/٣) (ح: ٢٠٧٩)، ومسلم في صحيحه، في كتاب: البيوع، باب: الصدق في البيع والبيان، (١١٦٤/٣) (ح: ١٥٣٢).

(٥) الكوثري يحمل كلمة التفرق على الإيجاب والقبول، والمؤلف يحملها على على التفرق بالأبدان. انظر: آثار المعلمي (٨٣/١١-٨٥).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (٤٦٢/١٩) (ح: ١٢٤٧٩) عن أنس بن مالك، وأبو داود في سننه، في =

كعقد الصرف قبل القبض، وعقد السلم قبل القبض لرأس المال، والدَّين بالدَّين قبل تعيين أحدهما.

وفي حمل الحديث على التفرق بالأبدان خروج عن الأصول، ومخالفة لكتاب الله تعالى. وأما حملُه على التفرق بالأقوال، فليس فيه خروج عن الأصول، ولا مخالفة لكتاب الله تعالى، مع كونه أشهر في الكتاب والسنة"(١).

أقول: التفرقُ فكُّ الاجتماع، وهو حقيقةٌ في التفرق بالأبدان بلا شبهة. وكثيرًا ما يأتي الاجتماع والتفرق مجازًا في الأمور المعنوية بحسب ما تدل عليه القرائن(٢)، ومن ذلك: الشواهد التي ساقها الأستاذ. ومجيءُ الكلمة في موضع أو ألف موضع أو أكثر مجازًا بقرينته لا يُسوِّغ حملَها على المجاز حيث لا قرينة. وهذه كلمة "أسد" كثُر جدًّا استعمالُها في الرجل الشجاع مع القرينة، حتى لقد يكون ذلك أكثر من استعمالها في معناها الحقيقي، ومع ذلك لا يقول عاقل: إنه يُسَوِّغ حملَها على المجاز حيث لا قرينة، وهذا أصل قطعي ينبغي استحضاره، فقد كثُر تغافلُ المتأولين عنه تلبيسًا على الناس.

نعم إذا ثبت أن الشارع نقَلَ الكلمةَ إلى معنى آخر، صارت حقيقة شرعية في المعنى الذي نُقلت إليه. وهذا منتفٍ هنا، إذ لا يدّعي أحد أن الشارع نقل كلمة "التفرق" إلى معنى غير معناها اللغوي.

وأما كثرة مجيئها في القرآن في الأمور المعنوية، فإنما ذلك لأن تلك الأمور مهمة في نظر الشارع، فكثُر ذكرُها دون افتراق الأبدان. ولها في ذلك أسوة بكلمات كثيرة كالرقبة والكظم والزيغ والحَيْف واللين والغِلَظ وغير ذلك.

ولا اختصاص للشواهد التي ذكرها الأستاذ بالقول، بل كلها في تفرق معنوي قد يقع بالقول، وقد يقع بغيره. فالتفرقُ عن الاعتصام بحبل الله يحصل بأن يكفر بعض، ويبتدع

= كتاب: السنة، باب: شرح السنة، (٥/٧) (ح: ٤٥٩٦) عن أبي هريرة، وصحح محققه إسناده.

(١) انظر: تأنيب الخطيب للكوثري (ص: ١٥٦).

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٤٩٣-٤٩٥) (فرق)، ولسان العرب لابن منظور (١٠/٢٩٩-٣٠٠) (فرق)، والقاموس المحيط للفيروزآبادي (١/٩١٨) (فرق).

[بعض][1]، ويجاهر بالعصيان بعض، وكل من الكفر والابتداع والعصيان قد يقع بالاعتقاد، وبالفعل، وبالقول. وتفرُّق أهل الكتاب بعد مجيء الرسول هو بإيمان بعضهم، واشتدادِ كفر بعضهم، ولا اختصاص لذلك بالقول. وتفرُّقُ الزوجين قد يكون بالفعل كإرضاعها ضرَّةً لها صغيرة، وبالقول من جانب، وبالقول من الجانبين، وبنيَّة الزوج القاطعة على قول مالك. وافتراقُ اليهود باختلاف اعتقاداتهم وما يبنى عليها من الأفعال والأقوال).

۞ ۞ ۞

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله–مبينا سبب خيرية الأمة:][2]

(قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فقوله: ﴿تَأْمُرُونَ﴾ إلخ، في معنى بيان السبب في الخيرية، فدلّ ذلك على أن مَنْ ترَكَ ذلك فلا نصيب له في الخيرية).

۞ ۞ ۞

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٥]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مستدركا على الألوسي –رحمه الله– في روح المعاني:][3]

(آلوسي (ج ١/ ص ٦٧٣)

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران:١٣٥].

"وقد ذكر أنّ الحال بعد الفعل المنفي – وكذا جميع القيود – قد يكون راجعًا إلى النفي،

---

(١) (زيادة ليكون التقسيم ثلاثيًا) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: آثار المعلمي (٨٧/١١).

(٢) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٢٤٣/٢).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (فوائد المجاميع) (١٧/٢٤-١٨).

قيدًا له دون المنفي، مثل: ما جئتك مشتغلاً بأمورك، بمعنى: تركت المجيء مشتغلاً بذلك.

وقد يكون [راجعًا إلى ما دخله النفي مثل: ما جئتك راكبًا، ولهذا معنيان: أحدهما - وهو الأكثر -: أن يكون النفي](١) راجعًا إلى القيد فقط، ويثبت أصل الفعل، فيكون المعنى: جئت غير راكب.

وثانيهما: أن يقصد نفي الفعل والقيد معًا، بمعنى انتفاء كلٍّ من الأمرين. فالمعنى في المثال: لا مجيءَ ولا ركوب.

وقد يكون النفي متوجهًا للفعل فقط من غير اعتبار لنفي القيد وإثباته.

قيل: وهذه الآية لا يصح فيها أن يكون ﴿**وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾ [آل عمران:١٣٥] قيدًا للنفي، لعدم الفائدة؛ لأنّ ترك الإصرار موجب للأجر والجزاء، سواء كان مع العلم بالقبح أو مع الجهل، بل مع الجهل أولى. ولا يصح"(٢).

[قال المعلمي]: "فيه نظر؛ لأنّه قد يقال: إذا تركوه عالمين بقبحه كان الظاهر من ذلك أنهم إنما تركوه خوفًا من الله عزَّ وجلَّ، فبذلك يستحقون الثواب. وإذا تركوا شيئًا لا يعلمون بقبحه فالظاهر أنهم إنما تركوه لعارض غير خشية الله، فلا يستحقّون ثوابًا. والله أعلم").

۞ ۞ ۞

﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥١**﴾ [آل عمران:١٥١]

[قال العلامة المعلمي -رحمه الله- مبينا أن الكذب على الله شرك مطلقا:](٣) (قد بيَّن القرآن أن الكذب على الله شرك سواء أكان الكاذب يعلم أنه كاذب أم لا، بل يكفي في ذلك أنه قال على الله تعالى ما لا سلطان له به، قال تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ**﴾ [آل عمران: ١٥١]).

---

(١) (سقط لانتقال النظر، والإكمال من "روح المعاني": (٤/ ٦٢)) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه (١٧/٢٤).

(٢) انظر: روح المعاني للألوسي (٦٢/٤).

(٣) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٩٠٤/٣).

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتَۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران:١٦٩]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– مبينا سبب نزول الآية:] (١)

(في صحيح مسلم عن مسروق قال: سألنا عبد الله [يعني ابن مسعود](٢) عن هذه الآية: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩]، قال: أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال: "أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل .... "(٣).

قلت: والآية نزلت في شهداء أحد اتِّفاقًا(٤)، وسياق الآيات ظاهر في ذلك، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ ... وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا**﴾ الآية [آل عمران:١٦٦ - ١٦٩].

وفي سنن أبي داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم: "لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهارَ الجنة تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلَّقة في ظلِّ العرش" الحديث. وفيه: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا**﴾ الآية(٥)، وأخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: "صحيح على

---

(١) انظر: آثار المعلمي، (العبادة) (٨١٤/٣).

(٢) (هذه الزيادة من المؤلِّف، والقوسان المعقوفان منه) قاله المحققون على آثار المعلمي. انظر: المرجع نفسه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب: الإمارة، باب: بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، (١٥٠٢/٣) (ح: ١٨٨٧).

(٤) لم اطلع على اتفاق في نزول هذه الآية، بل اختلف أهل العلم في سبب نزول هذه الآية على أقوال:
القول الأول: أنها نزلت في شهداء أحد.
القول الثاني: نزلت في شهداء بئر معونة.
القول الثالث: أن أولياء الشهداء –عموما– كانوا يتحسرون على فقدهم فنزلت هذه الآية تنفيسا لهم.
انظر: تفسير الطبري (٣٨٤/٧-٣٩٥)، تفسير القرطبي (٢٦٨/٤)، العجاب لابن حجر (٧٨٣/٢-٧٩٠).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب: الجهاد، باب: فضل الشهادة، (١٧٤/٤) (ح: ٢٥٢٠) وحسن إسناده محققوه.

شرط مسلم"، وأقرَّه الذهبي[(١)].

وفيه تدليس أبي الزبير فإنه من طريقه عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس).

۞۞۞

﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران:١٩٤]

[قال العلامة المعلمي –رحمه الله– رادا على الشيخ محمد رشيد رضا في تضعيف حديث في البخاري وربط ذلك بآية ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا..﴾]:[(٢)]

(ذَكَر[(٣)] حديث: "يَلْقى إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرَة وغَبَرَة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون، فأيُّ خِزْيٍ أخزى من أبي الأبعد. فيقول الله تعالى: إني حرَّمتُ الجنة على الكافرين ... "[(٤)]. وذكَر قول الإسماعيلي[(٥)]: "هذا حديث في صحته نظر، من جهة أن إبراهيم عالم بأن الله لا يخلف الميعاد، فكيف يجعل ما بأبيه خزيًا له مع إخباره أن الله قد وعده أن لا يخزيه يوم يبعثون، وأعْلَمه أنه لا خُلْفَ لوعده"[(٦)].

أقول: عن هذا جوابان:

الأول: أن إبراهيم لم يجعل ما بأبيه حينئذٍ من القَتَرَة والغَبَرَة خزيًا، إنما جعل الخزي ما كان

---

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه، في كتاب: الجهاد، (٢/٩٧) (ح: ٢٤٤٤).

(٢) انظر:آثار المعلمي، (الأنوار الكاشفة) (١٢/٣٦٢-٣٦٣).

(٣) أي محمد رشيد رضا –رحمه الله– ولم أجد موضعه من كتبه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: [واتخذ الله إبراهيم..]، (٤/١٣٩) (ح: ٣٣٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، أبو بكر الإسماعيلي: حافظ، من أهل جرجان، عرف بالمروءة والسخاء، جمع بين الفقه والحديث ورياسة الدين والدنيا، له كتب: منها: (الصحيح) و (مسند عمر) كلها في الحديث، مات سنة ٣٧١هـ. انظر: السير للذهبي (١٦/٢٩٢)، الأعلام للزركلي (١/٨٦).

(٦) انظر: فتح الباري لابن حجر (١/٣٦٥).

منتَظرًا من دخول النار كما يدل عليه إجابة الله تعالى له بقوله: إني حرَّمت الجنةَ على الكافرين، وكما يشهد له ما ذكره الله من قول عباده: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾ [آل عمران: ١٩٢]

فدعاؤه إنما هو استنجاز للوعد كما في: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤].

وكان النبيّ – صلى الله عليه وسلم – يدعو في عريش بدر: "اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك"(١).

ومن هذا أو مما يأتي ما قَصَّه الله تعالى عن نوح من قوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ [هود: ٤٥].

الثاني: أن المخلوق قد يتملكه النظر من جهة، فيناله ذهول ما عن الجهة الأخرى، كما قصه الله تعالى عن الملائكة من قولهم: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠] ومن قول زكريا بعد أن سأل الله تعالى أن يهب له وليا يرثه، فبشره الله بغلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾[مريم:٨].

وقد بين الله تعالى لخليله أن الجنة محرمة على الكافرين، وبذلك لا يكون أبوه داخلا في الوعد، بل ليس في دخول آزر بكفره النار خزي لإبراهيم، لكن هذه الحقيقة إنما تنكشف حق الانكشاف لأهل الجنة بعد دخولها، وقد يكون في بقية الحديث ما يستفاد منه أن الله تعالى كشف لإبراهيم تلك الحقيقة حينئذ، فراجعه وتدبر ما مر واعتبر به).

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب: الجهاد والسير، باب: ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم..، (٤١/٤) (ح: ٢٩١٥)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

الخاتمة

الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمد ربي -جل وعلا- أن وفقني لإتمام هذا البحث، الذي خدمت فيه العلم أولا ثم العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي -رحمه الله- في جمع ودراسة تفسيره، وأسأل الله -جل وعلا- أن يعفو عن خطئي وزللي، وأن يتقبل مني ومن المسلمين صالح العمل، وهذه أهم النتائج والوصايا التي تبينت لي في نهاية البحث:

١) تبين لي أن العلامة المعلمي -رحمه الله- عالم في التفسير وعلوم القرآن، وهذا البحث يبين بعض ذلك.

٢) تبين لي أن العلامة المعلمي -رحمه الله- ليس مجرد ناقل للتفسير عن غيره، بل له اختياراته وترجيحاته التي تثري مكتبة التفسير، كما له انتقاداته ومناقشاته لكبار المفسرين، مما يبين تضلعه في هذا العلم.

٣) تبين لي أهمية الجمع بين التفسير بالرأي المحمود مع التفسير بالأثر، فهذا العلامة المعلمي -رحمه الله- له اطلاع عظيم على كتب السنة والآثار، ومع هذا لم يهمل جانب التفسير بالرأي المحمود والاستفادة من تفاسير من ألفوا بالرأي.

٤) يحتاج منهج العلامة المعلمي -رحمه الله- في التفسير لدراسة مستقلة، توضح معالمه وتبرز تفاصيله.

٥) من الموضوعات التي تحتاج أن تجمع وتدرس في دراسة مستقلة، كلام العلامة المعلمي -رحمه الله- في علوم القرآن.

والحمدلله رب العالمين

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

الفهارس العامة

وتشتمل على ما يلي:

١. فهرس الآيات القرآنية.
٢. فهرس الآيات المفسرة.
٣. فهرس الأحاديث النبوية.
٤. فهرس الآثار.
٥. فهرس الأعلام المترجم لهم.
٦. فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
٧. فهرس الأبيات الشعرية.
٨. فهرس الفرق.
٩. فهرس المراجع والمصادر.
١٠. فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾	الفاتحة	١	٤٨، ٤٢٥
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	الفاتحة	١	٨٣
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاتحة	٢	٤٢
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاتحة	٢	٦٦
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاتحة	٢	٧٨
﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾	الفاتحة	٣	٨٠
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾	الفاتحة	٥	١٨٤
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾	الفاتحة	٥	٨١
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾	الفاتحة	٦	٤٥
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾	الفاتحة	٦	١٧٦
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾	الفاتحة	٦	١٧٠
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	الفاتحة	٧	١٧٤
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	الفاتحة	٧	١٧٥
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ۝٧﴾	الفاتحة	٧	١٣٦
﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ﴾	البقرة	١–٢	١٨٨
﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾	البقرة	٢	١٨٦
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾	البقرة	٣	٣١
﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾	البقرة	٣	٢٢٦
﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾	البقرة	٤	٢٢٤
﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾	البقرة	٥	٢٢٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧﴾	البقرة	٧	١٨٧
﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾	البقرة	٨	١٨٧
﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾	البقرة	٩	١٨٧
﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾	البقرة	١٠	٤٦
﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾	البقرة	١٠	١٨٧
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ ١٣﴾	البقرة	١٣	٢٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾	البقرة	٢١	٢٢٩
﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾	البقرة	٢٣	١٨٨
﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾	البقرة	٢٦	١٨١
﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾	البقرة	٢٦	٢٣٨
﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ...﴾	البقرة	٢٨	١٨٩
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾	البقرة	٢٩	٤٩
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ...﴾	البقرة	٢٩	١٨٩
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾	البقرة	٢٩	٣٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	البقرة	٣٠	٥٩، ٢٤٧
﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾	البقرة	٣٠	٤٨٧
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ...﴾	البقرة	٣٠	١٨٩
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾	البقرة	٣٠	٦٤
﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾	البقرة	٣١	٢٤٨
﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾	البقرة	٣٨	١٨٩
﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ...﴿٤٠﴾وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾	البقرة	٤١	١٨٩
﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾	البقرة	٤٢	٢٤٩
﴿۞أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾	البقرة	٤٤	٢٥٠
﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا﴾	البقرة	٨٣	٢٥٢
﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ	البقرة	٨٥	٢٢٩

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
بِبَعْضٍۚ﴾			
﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾	البقرة	٨٥	٢٤٩
﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾	البقرة	١٠٢	٢٥٨
﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾	البقرة	١٠٢	٢٥٦
﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾	البقرة	١٠٢	٢٦٨
﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ﴾	البقرة	١٠٢	٢٦٦
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا ١٠٦﴾	البقرة	١٠٦	١٩١
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾	البقرة	١٠٦	٤٢٥
﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ١٠٧﴾	البقرة	١٠٧	١٩٢
﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾	البقرة	١٠٨	١٩٢
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ﴾	البقرة	١٠٩	١٩٢
﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ ١١٠﴾	البقرة	١١٠	١٩٣
﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ﴾	البقرة	١١١	١٩٣
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن	البقرة	١١٤	١٩٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾			
﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ ١١٥﴾	البقرة	١١٥	١٩٤
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ١١٦﴾	البقرة	١١٦.	٣٣٨
﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ١١٦ ﴾	البقرة	١١٦	١٩٤
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴾	البقرة	١١٩	١٩٥
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ﴾	البقرة	١٢١	١٩٥
﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾	البقرة	١٢٥	٢٩١
﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾	البقرة	١٣٢	١١٨
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ	البقرة	١٤٢	١٩٥
﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾	البقرة	١٤٣	٣٢
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾	البقرة	١٤٣	٢٨٠
﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾	البقرة	١٤٣	٣٢
﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ	البقرة	١٤٤	٢١٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ......﴾			
﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ ١٤٤﴾	البقرة	١٤٤	١٩٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾	البقرة	١٤٦	١٩٧
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾	البقرة	١٥١	١٩٧
﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾	البقرة	١٥٢	١٩٧
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾	البقرة	١٥٨	٢٩٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾	البقرة	١٦١	٢٩٨
﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾	البقرة	١٦٣	٣٠٠
﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾	البقرة	١٦٣	٣٠٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾	البقرة	١٦٥	٣٠٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾	البقرة	١٦٥	٣٠٢
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ﴾	البقرة	١٧١	٣٠٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾	البقرة	١٧٧	٣٠٦
﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ١٨٠﴾	البقرة	١٨٠	٣٨
﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ﴾	البقرة	١٨٧	٣٢٤
﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ﴾	البقرة	١٨٧	٣٢٣
﴿ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	البقرة	١٨٩	٢٠٣
﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾	البقرة	١٨٩	٤٦٥
﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ﴾	البقرة	١٩٧	٣٣١
﴿لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ ١٩٨﴾	البقرة	١٩٨	٣٣٢
﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾	البقرة	١٩٨	٣٣٢
﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ ١٩٩﴾	البقرة	١٩٩	٣٣٣
﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾	البقرة	٢٠٠	٢٠٤
﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾	البقرة	٢٠١	٢٠٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...... ﴾	البقرة	٢٠١	٨٣
﴿۞وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴿٢٠٣﴾﴾	البقرة	٢٠٣	١١٩
﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴿٢١٣﴾﴾	البقرة	٢١٣	١٩٦
﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ﴾	البقرة	٢١٣	٢٠٦
﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ﴾	البقرة	٢١٤	٢٨٥
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾	البقرة	٢١٥	٣١٦
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ...﴾	البقرة	٢١٥	٣١٤
﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾	البقرة	٢١٧	٢١٠
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴿٢١٩﴾﴾	البقرة	٢١٩	٢١١
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾	البقرة	٢١٩	٢٠٩
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾	البقرة	٢١٩	٢٠٨
﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾	البقرة	٢١٩	٤٤
﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ ﴾	البقرة	٢٢٣	٢١٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلْمُطَلَّقَٰتُ﴾	البقرة	٢٢٨	٤٠
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾	البقرة	٢٢٨	٣٤٥
﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾	البقرة	٢٢٨	٤٠، ٣٤٢
﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ﴾	البقرة	٢٢٨	٣٥٣
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾	البقرة	٢٢٩	٣٩
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾	البقرة	٢٢٩	٤٠، ٣٤٣
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾	البقرة	٢٢٩	٣٤٢
﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾	البقرة	٢٢٩	٣٤٨، ٣٤٩
﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾	البقرة	٢٣٠	٣٤٥
﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾	البقرة	٢٣٠	٣٤٤
﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ﴾	البقرة	٢٣٠	٣٤٦
﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾	البقرة	٢٣١	٣٤٣
﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾	البقرة	٢٣٣	٣١٠
﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة	٢٣٣	٤١٠
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا	البقرة	٢٣٤	٤١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ﴾			
﴿فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ٢٣٩﴾	البقرة	٢٣٩	٣٣٣
﴿فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًاۖ﴾	البقرة	٢٣٩	٣٥٧
﴿مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةَۢ﴾	البقرة	٢٤٩	٣٤٧
﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾	البقرة	٢٥١	٢١٥
﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ٢٥٣﴾	البقرة	٢٥٣	٢١٦
﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	البقرة	٢٥٤	٣٦٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ ٢٥٤﴾	البقرة	٢٥٤	٣٦٥
﴿يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾	البقرة	٢٥٤	٢١٦
﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ لَّهُۥ﴾	البقرة	٢٥٥	٣٦٦
﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌۚ﴾	البقرة	٢٥٥	٣٦٣
﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾	البقرة	٢٥٥	٣٦٤
﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	البقرة	٢٥٥	٢١٧
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ﴾	البقرة	٢٥٥	٣٦٧
﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾	البقرة	٢٥٦	٢٢١
﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾	البقرة	٢٥٦	٣١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ﴾	البقرة	٢٥٧	٢١٨
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ﴾	البقرة	٢٥٨	٣٦٨
﴿وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ..﴾	البقرة	٢٦٧	٣٧٧
﴿...يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾	البقرة	٢٧٣	٦٠
﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴿٢٧٤﴾﴾	البقرة	٢٧٤	٣٨٥
﴿وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾	البقرة	٢٧٥	٤١
﴿وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾	البقرة	٢٧٦	٣٨٣
﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾	البقرة	٢٧٦	٣٨٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾	البقرة	٢٧٨	٣٠
﴿وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾	البقرة	٢٧٩	٣٨٦
﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ﴾	البقرة	٢٨٢	٤١، ٣٩٠
﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ﴾	البقرة	٢٨٢	٣٣١
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾	البقرة	٢٨٦	٤٣١
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾	البقرة	٢٨٦	٤٤٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة	٢٨٦	٤١١، ٤٤٢
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة	٢٨٦	٣٩٦
﴿فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾	البقرة	٢٨٦	٢١٨
﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾	آل عمران	٧	٤٦٧
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾	آل عمران	٧	٤٥٨
﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾	آل عمران	٧	٣٩٦
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾	آل عمران	٧	٤٥٠
﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	آل عمران	٧	٤٥٩
﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾	آل عمران	٧	٤٦٣
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾	آل عمران	٨	٤٦١
﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾	آل عمران	٢٠	٤٦٩
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾	آل عمران	٣١	٤٤٦
﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾	آل عمران	٤١	١١٩
﴿يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ آل عمران ٤٥	آل عمران	٤٥	٤٧٨
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾	آل عمران	٥٩	٢٤١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾			
﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾	آل عمران	٦٤	٣١، ٢٠٠
﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	آل عمران	٧٩	٤٧٥
﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾	آل عمران	٨٥	٤٠٧
﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا﴾	آل عمران	٩٣	٤٧٨
﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا﴾	آل عمران	٩٧	٤١١
﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا﴾	آل عمران	٩٩	٢٤٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	آل عمران	١٠٢	٤
﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٨﴾	آل عمران	١٠٨	٣٩٢
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	آل عمران	١١٠	٢٧٩
﴿لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾	آل عمران	١٣٠	٤١، ٣٨١
﴿وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾	آل عمران	١٣٥	٦٠
﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾	آل عمران	١٤٥	٢٦٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ﴾	آل عمران	١٥٥	٢٨٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦﴾	آل عمران	١٦٦	٢٦٩
﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ ١٧٢ ﴾	آل عمران	١٧٢	٢٧٩
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ﴾	آل عمران	١٩٢	٤٨٧
﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾	آل عمران	١٩٤	٤٨٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ﴾	النساء	١	٤
﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾	النساء	٣	٤٦٥
﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ ﴾	النساء	٧	٣١٨
﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ ... ﴾	النساء	٨	٣٨، ٣٠٨
﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينُ فَٱرۡزُقُوهُم مِّنۡهُ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٨﴾	النساء	٨	٣٠٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾	النساء	١٠	٤٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾	النساء	١٠	٢١٢
﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾	النساء	٢٨	١٣٩
﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ	النساء	٣٣	٣١٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾			
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	النساء	٤٨	٤٢٤
﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	النساء	٥٩	٤٥١
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ ﴾	النساء	٦٦	٣٤، ٥٤، ١٧٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾	النساء	١١٦	٤٢٤
﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾	النساء	١٣٠	٤٨١
﴿قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾	النساء	١٣٥	٣١٦
﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾	النساء	١٥٥	٤٠٣
﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾	النساء	١٦٢	٣٠٦
﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	المائدة	١٦	٤٠٧
﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	المائدة	٣٢	٤٠٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾	المائدة	٦٩	٣٠٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ﴾	المائدة	٩٠	٤٢٩
﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ ﴾	المائدة	١١٠	٢٦٦
﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	المائدة	١١٢	٣٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا﴾	المائدة	١١٥	٣٤٧
﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدًا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡ﴾	المائدة	١١٧	٢٧٨
﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	الأنعام	٣٥	٢٦٥
﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ﴾	الأنعام	٥٧	٤٤٩
﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾	الأنعام	٩٠	٣٤، ٥٤، ١٧٨
﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ ١١٠﴾	الأنعام	١٠٩	٣٣٢
﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾	الأنعام	١١٠	٢٣٣
﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ اسۡمُ اللهِ عَلَيۡهِ﴾	الأنعام	١٢١	٨٣
﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾	الأنعام	١٢٤	٤٠٤
﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	الأنعام	١٤٠	٤٧٩
﴿مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾	الأنعام	١٤١	٤٥٨
﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾	الأنعام	١٤٨	١٢٦
﴿لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ﴾	الأنعام	١٥٢	٣٩١
﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ	الأنعام	١٥٢	٢١٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
أَحۡسَنُ﴾			
﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾	الأنعام	١٥٢	٤٤
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾	الأنعام	١٦٢	١٧٥
﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ٥٤﴾	الأعراف	٥٤	٣٣
﴿لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ ٥٤﴾	الأعراف	٥٤	١٥٣
﴿ تَبارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِين﴾	الأعراف	٥٤	١٠٦
﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء ﴾	الأعراف	٧١	١٠٣
﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾	الأعراف	١٣٨	٤١٩
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾	الأعراف	١٧٥	٤٦١
﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	الأعراف	١٨٠	٩٨
﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ ﴾	الأعراف	١٨٧	٤٤٦
﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٠٠ ﴾	الأعراف	٢٠٠	٤٢٨
﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ٢٠٥﴾	الأعراف	٢٠٥	١١٩
﴿ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾	الأنفال	٢٩	٣٨٩
﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾	الأنفال	٦٠	٤٨٠
﴿لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ ﴾	الأنفال	٦٨	٢٨٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾	التوبة	٥	٤٦٥
﴿قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ...﴾	التوبة	٢٤	٣١٢
﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ﴾	التوبة	٣٠	٤١٨
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	التوبة	٣١	١٦٠
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	التوبة	٣١	٣١، ٢٠٠
﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾	التوبة	٣٧	٤٦٥
﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾	التوبة	٤٦	٢٨٣
﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ﴾	التوبة	٩٥	٤٣٨
﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ﴾	التوبة	١٠٥	٢٨٢
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾﴾	التوبة	١١٥	٢٣٤
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ﴾	التوبة	١٢٤	٢٣٤
﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴿١٨﴾﴾	يونس	١٨	١٥٢
﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾	يونس	١٨	٣٦٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾	يونس	٣١	٢٣١
﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾	يونس	٣١	١٥٠
﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾	يونس	٣٢	٢٠١
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ﴾	يونس	٣٧	٤٥١
﴿رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ٨٨﴾	يونس	٨٨	٤٠٤
﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾	يونس	٩٩	٥٥
﴿أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩﴾	يونس	٩٩	٢٢١
﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ﴾	يونس	٩٩	٢٦٤
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾	هود	١	٤٤٥
﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ﴾	هود	١	٤٥٧
﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾	هود	٩	٢٨٦
﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾	هود	١٨	٤٠٩
﴿۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ ٤١﴾	هود	٤١	١١٦
﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا	هود	٤١	١١٥

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾			
﴿وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ ﴿٤١﴾﴾	هود	٤١	٥٦
﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾	هود	٤٥	٤٨٧
﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾	هود	٤٨	٨٧
﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾	هود	٤٨	٣٤٧
﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾	هود	١١٩	٣٩٢
﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾	يوسف	٦	٤٥١
﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾	يوسف	٣٩	٣٣٧
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾	يوسف	٤٠	٤٨
﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا﴾	يوسف	٤٠	٥٦، ٩٠، ١٠٢، ١٠٣
﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾	يوسف	٤٤	٤٥١
﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾	يوسف	٥٣	٥٧
﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾	يوسف	٥٣	١٦٧
﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾	يوسف	١٠١	٤٥١
﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾	يوسف	١٠٦	٢٣١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	الرعد	٢	٣٧١
﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾	الرعد	١٦	٣٣٧
﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾	الرعد	٣٠	١٢٥
﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ﴾	الرعد	٣٣	٣٦٣
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	الرعد	٣٥	١٨٨
﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	الرعد	٣٨	٢٦٥
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾	إبراهيم	١	٤
﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾	إبراهيم	٢٢	٣٠١
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾	إبراهيم	٣٨	١٣٥
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾	إبراهيم	٤٨	٣٣٧
﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۝١٤﴾	الحجر	١٤	٣٧٣
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيم﴾	الحجر	٨٧	٤٢، ٦٧، ٧٩، ١٣٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ ١٨﴾	النحل	١٨	١٤٥
﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠﴾	النحل	٢٠	٣٦٢
﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾	النحل	٢٥	٤٠٥
﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُۤ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩﴾	النحل	٤٩	١٤٩
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾	الإسراء	١٥	١٤٤
﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا﴾	الإسراء	٣٥	٤٥١
﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾	الإسراء	٣٦	٤٦٩
﴿إِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾	الإسراء	٤٤	١٤٠
﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ٤٤﴾	الإسراء	٤٤	١٤٦
﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلۡأَمۡثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ سَبِيلٗا﴾	الإسراء	٤٨	٣٩١
﴿قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠﴾	الإسراء	٥٠	٨٩
﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾	الإسراء	٨٥	٣٩٣
﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾	الإسراء	١١٠	١٢٤
﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ قَيِّمٗا﴾	الكهف	١	٤٦٥
﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ٧٨﴾	الكهف	٧٨	٤٥١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ٨٢﴾	الكهف	٨٢	٤٥١
﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾	مريم	٧	٤٨، ٥٦، ٨٩
﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا ٨﴾	مريم	٨	٤٨٧
﴿يا يَحْيَى﴾	مريم	١٢	٩٠
﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢﴾	مريم	٩٢	٣٣٨
﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾	طه	٤٦	٨٧
﴿أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	طه	٥٠	٣٦٣
﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾	طه	٦٣	٣٠٦
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ﴾	طه	٧١	٤٧، ٢١٩
﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾	طه	١٠٩	١٥٣
﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾	طه	١١٤	١٣٧
﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾	الأنبياء	١٩	٦٣
﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩﴾	الأنبياء	١٩	٢٥٨
﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ ٢٢﴾	الأنبياء	٢٢	١٤٩
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾	الأنبياء	٢٦	٣٣٨
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ	الأنبياء	٢٦	٣٦٤،

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
عِبَادٌ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾			٣٦٦
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾	الأنبياء	٢٦	٢١٧
﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾	الأنبياء	٢٧	١٤٩
﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ ﴿٢٨﴾ ﴾	الأنبياء	٢٨	١٥٣
﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ ﴾	الأنبياء	٣٥	٢٣٨
﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾	الأنبياء	٣٥	٢٨٦
﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا ﴾	الأنبياء	٣٦	١٢٦
﴿سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾	الأنبياء	٦٠	٣٧٠
﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ ﴿٦٠﴾ ﴾	الأنبياء	٦٠	١١٩
﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾	الأنبياء	٦٩	٢٦٧، ٢٦٨
﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾	الأنبياء	٦٩	٢٦٥
﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾	الأنبياء	٩٨	٤٤٩
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ ﴾	الحج	١١	٢٨٧
﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا ﴾	الحج	٢٦	٢٧١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾	الحج	٣٦	٨٣
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾	الحج	٣٩	٢٦٤
﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً﴾	الحج	٥٣	٢٣٨
﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾	الحج	٧٨	٣٢، ٢٧٨
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾	الحج	٧٨	٤١٠
﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾	المؤمنون	١٤	١٠٦
وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	المؤمنون	٧٢	١٧١
﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾﴾	المؤمنون	٨٤	١٥٠
﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾	المؤمنون	٨٨	٢١٧
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾	المؤمنون	١١٥	٣٧١
﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ﴾	النور	٤	٣٣٢
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾	النور	٢٢	٢٨٠
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	الفرقان	١	٤
﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ﴾	الفرقان	٤٢	٣٠٥
﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ	الفرقان	٤٣	٢٨٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾			
﴿ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴿٦٠﴾﴾	الفرقان	٦٠	١٢٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩ ﴿٦٠﴾﴾	الفرقان	٦٠	١٢٤
﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾﴾	الشعراء	٧٥	٢٣٢
﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾	الشعراء	٨٧	١٤٨
﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾	الشعراء	١٢٨	٢٤٩
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾﴾	الشعراء	١٣٤	١٧٠
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	الشعراء	٢١٤	٣٢٠
﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	الشعراء	٢١٤	٣١١
﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾	النمل	٢٩	١٣٦
﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾	القصص	٤٤	٤٧١
﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾	العنكبوت	٥٠	٢٦٦
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ﴾	العنكبوت	٦٨	٤٠٨
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ	العنكبوت	٦٨	٤٠١،

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ﴿٦٨﴾ ﴾			٤٠٢
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ ﴾	العنكبوت	٦٩	٢٦٥
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ﴾	العنكبوت	٦٩	٤٢١، ٤٢٨
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾	الروم	٢٤	٣٥٥
﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾	الروم	٣٩	٤١ ٣٨١ ٣٨٣
﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾	السجدة	١٢	٢٤٠
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ﴾	السجدة	٢٢	٤٠٩
﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾	الأحزاب	٣٦	٤٧٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ ﴾	الأحزاب	٧٠	٤
﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ ﴿١٢﴾﴾	سبأ	١٢	٢٦٦
﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾	يس	٢	٤٤٥
﴿لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ﴾	يس	٦٠	٤٤٩
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾	الصافات	٨٨	٣٧٠
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ ﴾	ص	٦٥	٣٣٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥﴾	ص	٧٥	٤٦٨
﴿لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾	ص	٧٥	٤٥٠
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾	ص	٧٥	٤٤٦
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾	الزمر	٣	٣٣٧
﴿ما نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾	الزمر	٣	٣٦٣
﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ٣﴾	الزُّمَر	٣	١٥٠
﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾	الزمر	٢٣	٤٤٥
﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ...﴾	الزمر	٢٣	٤٥٧
﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾	الزمر	٢٣	٤٥٧، ٤٥٨
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدۡقِ إِذۡ جَآءَهُۥٓۚ﴾	الزُّمَر	٣٢	٤٠٨
﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ٤٤﴾	الزُّمَر	٤٤	١٥٣
﴿بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	الزمر	٥٩	٤٠٩
﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾	الزمر	٦٤	٣٥٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ٦٤﴾	الزُّمَر	٦٤	١٤٩
﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ ١٤﴾	غافر	١٤	١١٨
﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ ١٦﴾	غافر	١٦	٣٣٨
﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ٣١﴾	غافر	٣١	٣٩٢
﴿فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٥﴾	غافر	٦٥	١٣٥
فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٨٣﴾	غافر	٨٣	٢٢٩
﴿خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ ... وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ﴾	فُصِّلَت	٩	٢٤١
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾	فصلت	٢٦	٤٠٠
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾	فُصِّلَت	٢٦	١٢٨
﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾	فصلت	٤٠	٤٦٥
﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓ ٤٤﴾	فُصِّلَت	٤٤	٢٣٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾	فصلت	٤٧	٢٦٤
﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾	فصلت	٤٩	٢٨٧
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾	الشورى	١١	٤٥٣
﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ ١٦﴾	الشورى	١٦	٤٢١
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾	الشورى	٥١	٤٧٤
﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	الشورى	٥٢	١٧١
﴿وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۗ ٢٠﴾	الزُّخرُف	٢٠	١٢٦
﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۢ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾	الزُّخرُف	٦٧	٣٦٢
﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧﴾	الزخرف	٨٧	٢٣١
﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾	الزخرف	٨٨	٣٠٦
﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ﴾	الجاثية	٢٣	٢٨٧ ٤٦١
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾	الجاثية	٣١	٤٠٠
﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾	محمد	١٥	١٨٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾	محمد	٢٩	٢٨٢
﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ﴾	الحُجرات	٦	٣٣١
﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾	الحُجُرات	٧	٣٣١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾	الحُجُرات	١١	٣٣١
﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾	الحُجُرات	١٤	٢٨٢
﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾	ق	٤٥	٤٠٤
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	الذاريات	٥٦	٢٣٦
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾	الذاريات	٥٦	١٤٤
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	٥٦	٤٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	٥٦	٨١
﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾	النجم	٢٦	٣٦٤
﴿خَلَقَ الإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. . .﴾	الرحمن	٢	١٠٧
﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾	الرحمن	١٨	٤٩

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾	الرحمن	١٨	٩٠
﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	الرحمن	٢٧	١٠٨
﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾	الرحمن	٤٦	١٠١
﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾	الرحمن	٧٨	١٠٦
﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾	الواقعة	٦٣	٢٤٨
﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	المجادلة	١٠	٢٦٦
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾	المجادلة	٢٢	٣١٢
﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾	الحشر	٩	٢٢٧
﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ﴾	الجمعة	٣	٣٤٢
﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴿٩﴾﴾	الجمعة	٩	١١٩
﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾	المنافقون	٤	٢٨٢
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾	الطلاق	٢	٦٤
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾	الطلاق	٢	٣٨٩
﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾	الطلاق	٢	٣٥١
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾	الطلاق	٧	٣٩١
﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾	التحريم	٦	٦٣، ٢٥٨
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾	الملك	٢	٢٣٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦﴾	الملك	٦	٤٠١
﴿عُتُلِّۢ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ١٣﴾	القلم	١٣	٢٤٣
﴿وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧﴾	نوح	٧	٣٤٧
﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾	المزَّمل	٨	١١٩
﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦﴾	المدَّثر	٦	٢٤٩
﴿لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ﴾	المدثر	٣١	٤٦٨
﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ٢٥﴾	الإنسان	٢٥	١١٩
﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾	المرسلات	١٥	٤٦٧
﴿جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾	النبأ	٣٦	١٥٢
﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨﴾	النبأ	٣٨	٣٦٤
﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	النازعات	٢٧	٢٨٧
﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾	النازعات	٣٠	٢٤٠
﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾	الانفطار	١٩	١٥٣
﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾	المطفِّفين	٣٤	١٤٦

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴾	البروج	٢١	١٥١
﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	الأعلى	١	٤٨، ٨٩، ٩٠ ،٩١، ،١٠٠، ١٠٣
﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾	الأعلى	٩	٤٠٤
﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ ﴾	الفجر	١٥	٢٨٦
﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾	العلق	١	٨٣
﴿بِٱلنَّاصِيَةِ ناصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴾	العلق	١٦	١٧٩
﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾	البينة	٤	٤٨١
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	العصر	٣	١٣٩
﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾	النصر	٣	٤٥٢
﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾	الإخلاص	١	٧٨ ٨٤ ٤٥٣
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾	الفَلَق	١	١٢١

فهرس الآيات المفسرة

سورة الفاتحة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	١	٨٢، ١٣٢
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾	٢	١٣٧
﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٣	١٢٣، ١٥١
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾	٤	١٥٢
﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾	٥	١٦٥
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾	٦	١٦٩
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ٧﴾	٧	١٧٤
﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧	١٧٩

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾	١-٥	٢٢٣
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ١٣﴾	١٣	٢٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾	٢١	٢٢٩
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ﴾	٢٦	٢٣٣
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾	٢٩	٢٣٩
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٣١﴾	٣٠-٣١	٢٤٤
﴿وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٠﴾	٥٠	٢٤٩
﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا ٧٠﴾	٧٠	٢٥١
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾	١٠٢	٢٥٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾	١٠٢	٢٦٩
﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	١٢٥	٢٧٠
﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾	١٢٧	٢٧٦
﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُمۡ مَا كَسَبۡتُمۡ وَلَا تُسۡأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعۡمَلُونَ﴾	١٣٤	٢٧٧
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾	١٤٣	٢٧٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾	١٥٣	٢٨٥
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ	١٥٨	٢٨٨

ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾	١٥٩	٢٩٨
﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣﴾	١٦٣	٢٩٩
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ١٦٥﴾	١٦٥	٣٠١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨﴾	١٦٨-١٧٣	٣٠٢
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٧١﴾	١٧١	٣٠٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ	١٧٤	٣٠٣

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾		
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ﴾	١٧٥	٣٠٥
﴿وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٧٧	٣٠٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾	١٧٨	٣٠٧
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾	١٨٠	٣٠٧
﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾	١٨٥	٣٢٢
﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾	١٨٧	٣٢٢
﴿۞يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ وَأْتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾	١٨٩	٣٢٧
﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا	١٩٦	٣٢٨

ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ﴾		
﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾	١٩٧	٣٣١
﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ١٩٨﴾	١٩٨	٣٣٣
﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾	١٩٩	٣٣٣
﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠﴾	٢٠٠	٣٣٤
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤﴾	٢٠٤	٣٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ ﴿٢١٣﴾﴾	٢١٣	٣٣٥
كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾	٢١٦	٢٨٥
﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾﴾	٢٢٤	٣٣٩
﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكۡتُمۡنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرۡحَامِهِنَّ﴾	٢٢٨	٣٥٢
﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾	٢٢٩	٣٤٠
﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ﴾	٢٣٣	٣٥٤
﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم ﴿٢٣٩﴾﴾	٢٣٩	٣٥٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ ٢٤٠﴾	٢٤٠	٣٦٠
﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ﴾	٢٥١	٣٦٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٥٤ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾	٢٥٤	٣٦١
﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾	٢٥٥	٣٦٥
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾	٢٥٨	٣٦٨
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ ٢٦٠﴾	٢٦٠	٣٧٢
﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾	٢٦٣	٣٧٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم	٢٦٤	٣٧٦

بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾		
﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾	٢٦٦	٣٧٧
﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ...﴾	٢٦٨	٣٧٧
﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾	٢٧٣	٣٧٨
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴿٢٧٥﴾﴾	٢٧٥	٣٨١
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾	٢٧٥	٣٨٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾	٢٨٢	٣٨٩
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا	٢٨٥	٣٩٠

تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾		
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ﴾	٢٨٦	٤١٦

سورة آل عمران

الآية	رقمها	الصفحة
﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ ... ﴾	١–٢	٤٤٥
﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾	٧	٤٤٤، ٤٥٦
﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾	٢٠	٤٦٩
﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾	٢٠	٤٦٩
﴿قُلۡ إِنۡ كُنۡتُمۡ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ اللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَاللَّهُ غَفُورٞ رَحِيمٞ﴾	٣١	٤٧٠
﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾	٣٧	٤٧١
﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۚ وَمَا	٤٤	٤٧١

كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَـٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾		
﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾	٤٤	٤٧١
﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ﴾	٦٤	٤٧١، ٤٧٢
﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾	٧٥	٤٧٢
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ... وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ﴾	٧٩	٤٧٧
﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾	٧٩	٤٧٣
﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَـٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن	٩٣	٤٧٧

تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾		
﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٩٣	٤٧٨
﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾	٩٣	٤٧٩
﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾	٩٧	٤٨٠
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾	١٠٠	٤٨١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٠١﴾﴾	١٠١	٤٨٠
﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾	١٠٣	٤٨١
﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ	١١٠	٤٨٣

بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾		
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥﴾	١٣٥	٤٨٣
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ ١٥١﴾	١٥١	٤٨٤
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٦٦ ... وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا﴾	١٦٦	٤٨٥
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٦٩﴾	١٦٩	٤٨٥
﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ ١٩٤﴾	١٩٤	٤٨٦

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٢٢٦
اتقوا النار ولو بشق تمرة	٣١
اتَّقُوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل	٤١١
اتقوا هذا الشرك؛ فإنه أخفى من دبيب النمل	٤١٩
اجعل لنا ذات أنواط	٤١٩، ٤٣٢
اجعلوها في سجودكم	١٠٤
أخبر بأنها السبع المثاني	١٣٦
إذا أنا متُّ فاحرقوني	٤٢٩
إذا رأيتم الذين يتَّبِعُون ما تَشَابَه منه فأولئك الذين سمَّاهم الله فاحذروهم	٤٦٤
أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش	٤٨٥
أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك	٢٤٨
أعتقها؛ فإنها مؤمنة	٤٣٠
أغار على إبل النبي – صلى الله عليه وسلم	١٢٧
افترقت اليهود	٤٨١
أفضل الصدقة ما ترك غنًى	٢٠٩
أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى	٢٠٩
أقرؤكم أُبيّ	٤٦٠
اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم	٣٩٤
اكتب "بسم الله الرحمن الرحيم	٦٢
اكتب بسم الله الرحمن الرحيم	١٢٦
ألا أعلِّمك أعظم سورةٍ في القرآن	٤٢، ٧٨
ألا إن الله ينهاكم عن الحلف بآبائكم	٤٣٠
ألاأعلِّمك أعظم سورةٍ في القرآن	٦٦

طرف الحديث	الصفحة
أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام	١٠٨
أليس يُحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه	١٦٠
أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي	١٣٠
أما، إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئًا ستحلُّوه	١٦٠
إنَّ أخوف ما أخاف على أمّتي كلُّ منافقٍ عليم اللِّسان	٤٦١
إن الدين يُسْرٌ	٤١٦
إن أمتك لا تستطيع ذلك	٤١٧
إن أمَّتك لا تستطيع ذلك	٤١٢
إنَّ رحمتي سبقت غضبي	٤٦
إن لله تسعةً وتسعين اسمًا	٩٨
إن لله مائة رحمة	١٥٤
إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به	٣٧٥
إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلَّم به	٤٢٧
أنت رفيق، والله هو الطبيب	٦٦
أنت رفيق، والله هو الطبيب	٦٧، ١٠٥
أنت سيدنا، فقال: "السيد الله	١٠٥
أنت مع من أحببتَ	٤٤٦
أنت ومالك لأبيك	٣٢٠
أنتم أعلم بأمر دنياكم	٢٤٦
إنما هلك مَنْ كان قبلكم باختلافهم في الكتاب	٣٩٤
إنه قد شهد بدرًا	٤٣٤
إني أحب لك ما أحب لنفسي	١٩٨
أولئك الذين نهاني الله عنهم	٤٣٣
أوه، عين الربا	٣٨٧

طرف الحديث	الصفحة
أيُّما رجلٍ قال لأخيه: (يا كافر) فقد باء بها أحدهما	٤٣٧
باسم الله الذي لا يضرُّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء	١٠٩
باسم الله أوله وآخره	١٢٢
باسمك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه	١٢٢
بذكر اسمك أحيا، وعليه أموت	١١١
بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك	١٢٠
بسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك	١٢١
تبارك اسمك وتعالى جدُّك	١٠٦
تباركت ربنا وتعاليت	١٠٦
حُبُّكَ الشيءَ يُعْمِي ويُصِمُّ	٢٨٧
الحَكَم الله	١٠٥
الحلال بيِّن، والحرام بيِّن، وبينهما مشبَّهات	٤٤٧
الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور	١١٠
خرج رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم على أصحابه وهم يختصمون في القدر	٦٤، ٣٩٤
خير أعمالكم الصلاة	٢١٤
خير الناس قرني	٢٨٣
الخير كله بيديك، والشر ليس إليك	١٠٩
دعا الله باسمه الأعظم	١٠٨
الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير	٣٨١
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت	١٧٤
سيِّدُ الاستغفار أن تقول: اللهمَّ أنتَ ربِّي	١٧٥
صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا	٤١٢
ضرب في صدري فَفِضْتُ عَرَقًا	٤٢٦

طرف الحديث	الصفحة
عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾	٣١٥
فإذا ذيخٌ متلطخٌ في نتنه	١٤٧
فجعلها أبو طلحة في ذوي رحمه	٣١٤
فكان إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن	١٢٤
فمن زاد أو استزاد فقد أربى	٣٨٦، ٣٨٧
فيمسخ الله أباه ضبعًا	١٤٧
قال الله تعالى: "قد فعلتُ	٤٤٢
قَسَمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين	٨٠
كان إذا قرأ {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى} قال: سبحان ربي الأعلى	١٠٣
كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم	٦٧
كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم، فهو أجذم	٦٦، ١١٤
لا إله إلا الله"، يبتغي بذلك وجه الله	٤٣٣
لا تُقتل نفسٌ ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها	٤٠٥
لا تقتلْه	٤٣٦
لا يتحدَّث الناس أنَّ محمدًا يقتل أصحابه	٤٣٨
لا يلبس القميص ولا العمائم ولا السراويلات	٣٢٩
لستَ أبي	١٤٨
لشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل	١٦٢
لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرًا	٢٤٦
لما أُصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في جوف طير خضر	٤٨٥
لما دخل [مكة] يوم فتحها دخل وذقنُه على رحله متخشِّعًا	١٦٦
اللهم إنا نعوذ بك مَن أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم	٤١١
اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد	٤٣٧
اللهم إني أسألك بأنَّ لك الحمد، لا إله إلا أنت الحنَّان المنَّان	٦٥

طرف الحديث	الصفحة
اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك	١٢١
اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك	٤٨٧
اللهم باسمك أحيا، وباسمك أموت	١١٠، ١٢١
اللهم فقِّهْه في الدين وعلِّمه التأويل	٤٥٢
لا تقل ذاك، ألا تراه قد قال: "لا إله إلا الله"	٤٣٣
ليس الغِنَى عن كثرة العَرَض	٤٦٢
ما تقرَّب إليَّ عبدي بأفضل من أداء ما افترضته عليه	٢١٤
ما كان يدا بيد فلا بأس، وما كان نسيئة فهو ربا	٣٨٧
ما نقصت صدقةٌ من مال	٣٧٧
مررت مع رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بقومٍ على رؤوس النخل	٢٤٥
المسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده	٢٠٢
معاذَ الله أن نَعبُد غيرَ الله	٦٥، ٤٧٤
مَن حلف بغير الله فقد أشرك	٤٣٠
مَن رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده	٤١٣
مَن لم يجد إزارًا فليلبس سراويل	٣٣٠
مَن يعذرني في رجلٍ قد بلغ أذاه في أهل بيتي	٤٣٥
نبدأ بما بدأ الله به	٢٧٣
نحْن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى	٣٧٥
نحن الآخرون السابقون يوم القيامة	٢٠٧
نحن الأولون والآخرون	٢٠٦
وإني أرى أن تجعلها في الأقربين	٣١٣
الورق بالذهب ربا إلا هاء وهاء،	٣٨٦
وفي بُضْعِ أحدكم أجر	١٦٨
ومَنْ سنَّ سنَّةً سيِّئَةً فَعُمِلَ بها كان عليه وزرها	٤٠٥

طرف الحديث	الصفحة
ومَنْ سنَّ في الإِسلام سنّةً سيِّئَةً	٤٠٥
يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم	٣٦١
يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم	٣٦١
يا أسامة أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا الله	٤٣٦
يا ربِّ إنَّك وعدتَني أن لا تُخزيني يومَ يُبعثون	١٤٧
يا رسول الله، ألا أضرب عنقه	٤٣٣
يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلاة	٢٤٦
يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي	٣٩٢
يا معاذ! أفتانٌ أنت	٤٣٦
يا معشر قريش يا بني عبد مناف	٣١٥
يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل	٣٢، ٢٧٨
يَلْقى إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قَتَرة	٤٨٦
ينهى عن بيع الذهب بالذهب	٣٨٦

فهرس الآثار

طرف الأثر	الصفحة
إذا طلَّق واحدة أو اثنتين فله الرجعة	٣٤٦
أريد أن أوصي	٣٨ ، ٣٠٨
اعتمر مرةً في رجب	٢٨٥
أقرؤنا أُبيٌّ، وأقضانا عَلِيٌّ	٤٢٥
أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو	١٣٠
الإمساك: المراجعة، والتسريح: أن يدعها حتى تمضي عدتها	٣٤٧
أن إسرائيل نذر إن شفاه الله تعالى من عرق النَّسا	٤٧٩
أنَّ المراد بالمغضوب عليهم: اليهود، وبالضالِّين: النصارى	١٨١
إن طلَّقها ثلاثًا فلا تحِلُّ حتى تنكح زوجًا غيره	٣٤٦
أنا ممن يعلم تأويله	٤٥٠
أنا ممن يعلم تأويله	٦٥
انطلقنا نتلقَّى عِيرَ قريش آتيةً من الشام	٣٥٨
إنما الحدُّ على من عَرَفَهُ	٤٢٨
إنما أمرنا بشيء	١٠٤
أنه كان يقرأ: (وإن تأويله إلاَّ عند الله والراسخون في العلم	٤٦١
أنه كره التسمِّي بأسماء الملائكة والأنبياء	١٠٥
أنه لا يبقى من الدين إلا اسمه	١٠٢
أنه ملء مَسْك ثورٍ ذهبًا	٤٧٣
جعل الله الطلاق ثلاثًا، فإذا طلَّقها واحدةً فهو أحقُّ بها	٣٤٤، ٣٤٥
الحمد لله الذي له الخلقُ كلُّه	٣٣
خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى نجد، حتى إذا كنا بذات الرقاع	٣٥٨
صحّ عن أُبي بن كعب أنه سُئل عن المعوذتين	٥٢

طرف الأثر	الصفحة
صلَّى [رسولُ] الله – صلى الله عليه وسلم – بمكة ذات يوم	١٢٤
العِلْم عِلْمان	٤٦٢
عن ابن عباس أيضًا: أنهم المؤمنون	٣٤
عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما أنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾	٢١٢
عن ابن عباسٍ قال في الآية: "يعني مؤمني أهل الكتاب	٢٠٤
عن ابن عباس يقول: "إن طلَّقها ثلاثًا فلا تحِلُّ حتى تنكح زوجًا غيره	٦٤
عن ابن عباس: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾	٤١٦
عن ابن عباس: أنّ إبراهيم عليه السلام كان يقوم عليه وهو يبني الكعبة عندما ارتفع البناء	٢٩٢
عن أبي العالية قال: "كلمة السواء: لا إله إلا الله"	٤٧٢
عن علي رضي الله عنه أنه دخل على مولى له في الموت	٣٨
عن علي رضي الله عنه: أنه قرأها في الصلاة	٦٧
عن قتادة في قوله: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا﴾	٣٠٢
فإن طلَّقها بعد التطليقتين	٣٤٦
فدع مالك لورثتك	٣٠٧
فكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود	٣٢٣
قال رجل: يا رسول الله! يقول الله تعالى: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ﴾	٣٤٦
قال: يوم حساب الخلائق	١٥٣
قدمت عليَّ امرأة من أهل دومة الجندل	٢٥٤
كان المال للولد، والوصية للوالدين والأقربين	٣١٥
كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يرفع صوته ببسم الله	١٢٤

طرف الأثر	الصفحة
الرحمن الرحيم	
كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده	٤٥١
كنت عند ابن عباس فجاءه رجل	٦٤
لا آوِيكِ ولا أدعُكِ تَحِلِّين	٣٩، ٣٤١
لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة	١٣١
لعن رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم الزُّهَرَة	٢٦١
لما جحد المشركون ما أنزل الله لم تَثْبُتْ قلوبُهم على شيء	٣٣٢
من الآفات والريب	٢٧٢
وإنك لم تتق الله، فلا أجد لك مخرجًا	٣٥١
وذلك قبل أن يَنزِل في القتال ما نزل	٣٥٧
ورُوي عن جابر وابن عباس وغيرهما، قالوا: هو الإسلام	٥٣
ورُوي عن جابر وابن عباس وغيرهما، قالوا: هو الإسلام	١٧٣
يخطئ ويخالف	٦٤
يصليِّ قائمًا، فإن نالته مشقَّةٌ فجالسًا	٤١٢
يوم الدين" قال: يوم حساب الخلائق	٣٣

فهرس الأعلام المترجم لهم

العلم	الصفحة
أبان بن عثمان	١٠٩
ابن أبي حاتم	٢٠٤
ابن أبي ذئبٍ	٣٩٥
ابن أبي شيبة	١٢٥
ابن إسحاق	٣٩٥
ابن الأنباري	١٠٧
ابنِ الحَشْرَجِ	١٠١
ابن الزبير	٢٩١
ابن القيم	٤٢٠
ابن المبارك	١٣٠
ابن تيميَّة	٤٢٣
ابن جريج	١٢٥
ابن جرير	٩٩
ابن حجر الهيتمي	٤٣٨
ابن سعد	٣٥٧
ابن سينا	٢٣٥
ابن عباس	١٠٣
ابن عبد السلام	٨٨
ابن عمر	٢٥٩
ابن عون	٤٤٨
ابن قتيبة	١١٢
ابن كثير	٢٧١
ابن ماجه	٤٤٧

العلم	الصفحة
ابن مالك	٣٠٨
ابن محيصن	٣٥٥
ابن مسعود	١٧٢
ابن هشام	٩٩
أبو إسحاق	٣٨٣
أبو الثناء	١٦٨
أبو السعود	٣٧١
أبو العالية	١٧٣
أبو بكر	١٧٣
أبو جعفر المنصور	٤٦٢
أبو جهلٍ	٣٩٦
أبو حنيفة	٣٢٨
أبو خِراش	٢٤٣
أبو سفيان بن الحارث	٣١٧
أبو سفيان بن حرب	٣١٧
أبو طالب	٤٣١
أبو عبيدة	١١١
أبو عيَّاش	٣٥٩
أبو قتادة	١٢٧
أبو محمَّد بن حزمٍ	٢٥٦
أبو معشر	٣٥٨
أبو موسى الأشعري	٣٥٨
أبو نعيم	٢٦١، ٤٤٨
أبو هريرة	٧٩

العلم	الصفحة
الأُبَّيُّ	٤٢٦
أُبي بن كعب	١٣٨
الأخفش	٣٣٣
الأخنس بن شريق	٣٣٥
أرسطو	٢٣٥
الأزرقي	٢٨٨
أسامة بن زيد	٤٣٦
الأستاذ	٣٢٨
الإسماعيلي	٤٨٦
أسيد بن حضير	٤٣٥
الأشعري	٩٢
الأصيلي	٤٤٧
الأعشى	٣٨٠
الأغاني	١١١
أفلاطون	٢٣٥
الإمام أحمد	١٠٣
الإِمام السيوطي	٢٥٨
امرئ القيس	٣٧٩
أنس بن مالك	٢٤٦
أوس بن ثابت	٣١٤
البخاريُّ	٧٨
بدوي	٤٤٠
البراء بن عازب	١١٠، ٣٨٧
البغوي	٨٩

العلم	الصفحة
البقاعيّ	٨٠
بلال	٣٨٧
البناني	١١٨
بنو بكر	٣٥٩
البيهقي	٢٥٥
الثعلبي	٣٨٣
ثمامة	٣٩٨
جابر	١٧٣
الجاحظ	٣٩٧
جبير بن مطعم	٣١٣
الجصاص	٣٤٨
الجلال	٢٤٠
حاطب بن أبي بلتعة	٢٨١، ٤٣٤
الحافظ ابن حجرٍ	٨٠
الحاكم	١٠٨
حسان بن ثابت	٣١٤
حسان بن عطية	٣٩٦
الحسن	١٧٣
الحسن بن علي	٤٢٥
الحسين بن علي	٤٢٥
خالد بن الوليد	٤٣٣
خزاعة	٣٥٩
الخطيب	٢٢٦
الدارمي	٤٤٨

العلم	الصفحة
داود بن علي	٣٩٨
الذهبي	٢٥٦
ذو الرمّة	٣٧٩
رافع بن المعلى	٧٨
رافع بن خديج	٢٤٦
الربيع	١٧٧
الربيع بن أنس	٢٦٣
رفاعي	٤٤٠
الرملي	٢٨٩
الرؤاسي	٣٥٥
الزَّمخشري	٢٧٥
الزهري	١٢٩
زيد بن أرقم	٣٨٧
زيد بن سهل	٣١٣
السائب بن يزيد	٣١٢
سحنون	٤٣٩
السعد التفتازاني	٩٧
سعد بن عبادة	٤٣٥
سعد بن معاذ	٤٣٥
سعيد بن أبي عروبة	٣٩٥
سعيد بن جبير	٢٧١
سعيد بن مالك	١٢٠
سلامة بن جَندل الطُّهَوي	١٢٧
سليمان بن الاشعث	٢١٢

العلم	الصفحة
سهل بن سعد	٣٢٣
سهيل بن عمرو	١٢٥
سيبويه	١٢٣
سيِّدنا	٢٢٦
الشَّاذكوني	٤٦٢
الشاطبيّ	٣٩١
الشافعي	٢٩٠
شداد بن أوس	٣١٤
الشَّربيني	٢٤٠
الشريف الجرجاني	٩٨
الشماخ	١٠١
الشيخ زاده	١٧٧
الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٤٢٣
الصاوي	٢١٩
الصبَّان	٨٦
الصغاني	١٢٣
الضحاك	٣٤٥
الطبراني	٣٦٦
طلحة	٢٤٥
عامر	١٠٦
عامر بن حفص	١١٢
عامر بن شراحيل	٢٣٢
عائشة الصديقة	١٢١
عبادة بن الصامت	٣٨٦

العلم	الصفحة
عبد الحميد الفراهي	١٩٥
عبد الرحمن الفزاري	١٢٧
عبد الرحمن بن زيد بن أسلم	١٧٨
عبد الرزاق	١٣٠
عبد القاهر	٢٥٠
عبد الله بن سلام	٤٠٠
عبد الله بن عمرٍو	٣٩٤
عبد الملك بن مروان	٤٦٢
عبد الوارث بن سعيدٍ	٣٩٥
عبد بن حميد	٢٠٩
عبيد الله بن عَدِي بن الخِيار	٤٣٣
عبيد بن عمير	٢٧٢
عِتبان بن مالك	٤٣٢
عثمان بن عفان	٢٩١
عدي بن كعب	٣١٥
عروة بن الزبير	٢٥٤
عروة بن مرة	٢٤٣
العضد	٣٩٧
عطاء بن أبي رباح	٢٣٢
عقبة بن عامر	١٠٤
عكرمة	٢٠٥
علي بن أبي طالب	١٠١
عمر بن الخطاب	١٠٥
عمران بن حصين	٤١٢

العلم	الصفحة
العنبريُّ	٣٩٧
عياض بن موسى	٣٩٧
الغزاليُّ	٣٩٨
الفارابي	٢٣٥
فاطمة بنت محمد	٣١٥
الفراء	٣٨٤
فهر بن مالك	٣١٥
القاري	٢٦٠
قتادة	١٢٥
القرطبي	٤٢٦
القطب الحلبي	٣٥٦
القطبي	٢٩٥
قيس بن سعد	٤٢٠
كعب الأحبار	٢٦١
لبيد	١١١
الماتريدي	١٣٧
المازَري	٤٢٦
مالك بن الدُّخْشُن	٤٣٢
مالك بن النجار	٣١٤
مالك بن أنس	٢٦٩
مجاهد بن جبر	٢٣١
محمد بن الحسن	٣٥٢
محمد بن حبان	٢٥٩
محمَّد بن حميد الرازي	٤٦٢

العلم	الصفحة
محمد بن سيرين	٢٤٧
مسطح بن أثاثة	٢٨٠
مسلم بن الحجاج	٧٩
مسيلمة	١٢٤
معاذ بن جبل	١٩٨
معمر بن راشد	١٣١
المقداد	٤٣٦
الملك سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن	٢٧٣
المهدي العباسي	٢٩٤
موسى بن عقبة	٣٥٦
نبيط بن جابر	٣١٤
النسائي	٢١٢
النعيمان	٤١٥
النووي	٢٩٠
هشام بن الحكم	٤٤٩
همام بن منبه	٢٠٧
الواحدي	٣٨٣
الواقدي	٣٥٦
وهب بن منبه	٢٠٧

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة

المصطلح أو الكلمة	الصفحة
الاستصحاب المقلوب	٣٨٥
بنو العلات	٣١٩
جوف الفَرا	١٦٨
حتباكٌ	٣٧٧
حقيقة الإنشاء	١٦٥
طرف الثُّمام	٣٢٥
الطُّلقاء	٢٨٣
عروق	٤٧٩
العُصَيَّة	٨٥
علقةٌ	١٥٨
الغُثاء	٢٢٩
الغُثْر	٢٢٩
فاهتبلها	١٩٠
فحوى الخطاب	٢٢٨
لحن الخطاب	٢٢٨
مجاز مرسل	٣١٠
مفهوم المخالفة	٢٢٧
مفهوم الموافقة	٢٢٧

فهرس الأبيات الشّعرية

الصفحة	صدر البيت
٢٨٧	أبِنْ لي ما ترى، والمرءُ تأبى
٤٦٨	إذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشِّمَالِ زِمَامُهَا
١٢٧	ألا ضربت تلك الفتاةُ هجينَها
١١١	إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما
١٠١	إنَّ السَّماحةَ والمروءةَ والندى
٣٠٩	إن كان فعل مع أن أو ما يحل
٣٠٩	بفعله المصدر ألحق في العمل
٤٢٠	تالله لو يرضى النبي سجودنا
١١٢	الحمد لله إذ لم يأتني أجلي
١٠١	ذعرتُ به القطا ونفيتُ عنه
٤٥٨	رَقَّ الزُّجَاجُ ورَاقَت الخَمْرُ
١٢٧	عجِلتم علينا عجلتَينا عليكم
٣٧٩	على لاحبٍ لا يُهتدى بمناره
٣٢٥	فلما تبدَّتْ لنا سُدْفةٌ
٢٨٧	فيَعْمَى ما يَرى فيه عليه
٢٧٥	كأنّ أبانًا في عَرانين وَبْلِه
٣٧٩	لا تُشتكى رقصة منها وقد رقصت
٣٨٠	لا تُفرِخُ الأرنبَ أهوالُها
٣٨٠	لا يغمزُ الساقَ من أَيْنٍ ومن وصبٍ
٣٨٠	لم تَعطَّف على حُوارٍ ولم يَقْ
٣٧٩	ليس له منار فيهتدى به
١١٢	ما عاتَبَ المرءَ الكريمَ كنفسِه
٢٤٢	ينفي الحصَى عن جديد الأرض مُبْتَرِكٌ

فهرس الفرق

الفرق	الصفحة
الجبرية	٣٩٢
الحشوية	٢٢٨
الزيدية	٣٥٠
سوفسطائيًا	٣٧٣
الشيعة	٣٥٠

فهرس المراجع والمصادر

١-الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

٢-آثَار الشّيخ العَلّامَة عَبْد الرّحمن بْن يَحْيَي المعَلّمِيّ اليَماني، اعتنى به: مجموعة من الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع عَلِي بْن مُحَمَّد العِمْرَان، وفق المنهج المعتمد: من الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (رحمه الله تعالى)، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ.

٣-أحكام البسملة وما يتعلق بها من الأحكام والمعاني واختلاف العلماء، أبو عبدالله فخر الدين محمد الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، وبابن خطيب الري، الري (إيران)، هراة ٦٠٦هـ/١٢١٠م، تحقيق : مجدي السيد إبراهيم، الطبعة الأولى ، عمان ، الدار الشامية.

٤-أحكام القرآن للجصاص، أحمد بن علي المكني بأبي بكر الرازي الجصاص الحنفي، الناشر: دار احياء التراث العربى . بيروت، سنة الطبع : ١٤٠٥ هـ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوى.

٥-أحكام القرآن، المؤلف: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٦-إحكام القنطرة في أحكام البسملة، أبو الحسنات محمد عبد الحي بن محمد عبد الحليم بن محمد بن محمد أمين الأيوبي الحنفي ، باندة حسين (الهند) ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م - ١٣٠٤هـ/١٨٨٧م، الطبعة الأولى، كانبور، ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م، الطبعة الثانية الرسائل الثماني) ، لكهنو ، اليوسفية ، ١٣٢٥هـ .

٧-إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)،

الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٨-أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى : ٢٧٢هـ)، المحقق : د. عبد الملك عبد الله دهيش، الناشر : دار خضر – بيروت، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ.
٩-أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تأليف: أبي الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي، دراسة وتحقيق: علي عمر، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى.
١٠-اختصار علوم الحديث، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة: الثانية.
١١-الآداب الشرعية، المؤلف : عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، شهرته : ابن مفلح المحقق : شعيب الأرناؤوط + عمر القيام، دار النشر : مؤسسة الرسالة، البلد : بيروت، الطبعة : الثالثة، سنة الطبع : ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
١٢-الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، الناشر : دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ – ١٩٨٩، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي.
١٣-إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.
١٤-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف : أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى : ٩٨٢هـ)، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٥-إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني (المتوفى : ١٢٥٠هـ)، المحقق : الشيخ أحمد عزو عناية ، دمشق - كفر بطنا، قدم له : الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر : دار الكتاب العربي، الطبعة : الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٦-إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى :

١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

١٧-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ت٤٦٣هـ، دار النشر:دار الجيل، بيروت، سنة النشر:١٤١٢، ط الأولى، اسم المحقق:علي محمد البجاوي.

١٨-الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، سنة الوفاة:٤٦٣، دار النشر:دار الجيل، مدينة النشر:بيروت، سنة النشر:١٤١٢، رقم الطبعة:الأولى، اسم المحقق:علي محمد البجاوي، مصدر، الكتاب:شركة التراث.

١٩-أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

٢٠-الأشباه والنظائر . للإمام تاج الدين السبكى، المؤلف : الإمام العلامة / تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، الناشر : دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٢١-الأشباه والنظائر، المؤلف : عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، الناشر دار الكتب العلمية ،سنة النشر ١٤٠٣ ،مكان النشر بيروت.

٢٢-الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر : دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١٢، تحقيق : علي محمد البجاوي.

٢٣-الأصمعيات اختيار الأصمعي، المؤلف: الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (المتوفى: ٢١٦هـ)، المحقق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م.

٢٤-الأضداد، المؤلف: أبو بكر، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن

سماعة بن فَروة بن قَطَن بن دعامة الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت — لبنان، عام النشر: ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧.

٢٥-الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٦-إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مؤسسة المختار للنشر والتوزيع - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٢٧-إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد.

٢٨-الإعلام بأعلام البيت الله حرام، محمد بن أحمد النهرواني، تحقيق هشام عبدالعزيز عطا، المكتبة التجارية/مصطفى أحمد الباز/ مكة المكرمة.

٢٩-الإعلام بقواطع الإسلام من قول أو فعل أو نية أو تعليق مكفر، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، تحقيق: محمد عواد العواد، الناشر: دار التقوى/ سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م.

٣٠-الأعلام، المؤلف : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى : ١٣٩٦هـ)، الناشر : دار العلم للملايين، الطبعة : الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٣١-الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، دار الفكر — بيروت، الطبعة الثانية، تحقيق : سمير جابر.

٣٢-الأم، الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة —

بيروت، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
٣٣-الأمثال المولد، أبو بكر خوارزمى ت (٣٨٣هـ)، الناشر: مجمع ثقافى، مكان الطبع : ابو ظبى، سنة الطبع: ١٤٢٤ هـ.
٣٤-الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف : مجير الدين الحنبلي العليمي، دار النشر : مكتبة دنديس - عمان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، تحقيق : عدنان يونس عبد المجيد نباتة.
٣٥-الإيضاح في علوم البلاغة، المؤلف : جلال الدين أبو عبدالله محمد بن سعدالدين بن عمر القزويني، الناشر : دار إحياء العلوم – بيروت، الطبعة الرابعة ، ١٩٩٨م.
٣٦-أئمة الحرمين، عبدالله بن أحمد آل علاف الغامدي، دار الطرفين١٤٣٢هـ.
٣٧-البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ت ٧٩٤هـ، تحقيق ضبط نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: د. محمد محمد تامر، الناشر دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،مكان النشر لبنان/ بيروت.
٣٨-البداية والنهاية، تأليف: عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٧٤ هـ)، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الناشر: هجر للطباعة والنشر – الجيزة، الطبعة: الاولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م.
٣٩-البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
٤٠-براءة أهل السنة من الوقيعة في علماء الأمة، بكر بن عبدالله أبوزيد، ط ٢ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، وقف لله على نفقة بعض المحسنين جزاه الله خيرا.
٤١-البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ)، المحقق :محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة : الأولى ، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م،الناشر : دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.
٤٢-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،

سنة الوفاة ٩١١هـ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : المكتبة العصرية، مكان النشر : لبنان / صيدا.

٤٣-البلاغة العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي (المتوفى: ١٤٢٥هـ)، الناشر: دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

٤٤-بلوغ المرام من أدلة الأحكام، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق وتخريج وتعليق: سمير بن أمين الزهري، الناشر: دار الفلق — الرياض، الطبعة: السابعة، ١٤٢٤ هـ

٤٥-بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر : مطبعة الحكومة - مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم

٤٦-تاج التراجم، المؤلف: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم — دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢م

٤٧-تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبوالفيض ، الملقّب بمرتضى ، الزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، الناشر دار الهداية

٤٨-تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، دار النشر: دار الكتاب العربي.، مكان النشر: لبنان/ بيروت، سنة النشر: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، الطبعة: الأولى، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

٤٩-تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م

٥٠-التأصيل لأصول التخريج وقواعد الجرح والتعديل لبكر أبوزيد دار العاصمة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ
٥١-تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، محمد زاهد بن الحسن الكوثري، ويليها الترحيب بنقد التأنيب، طبعة جديدة ١٩٩٠/ ١٤١٠، تعليق أستاذ احمد خيري
٥٢-تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، دار النشر : دار الفرقان - الأردن / عمان - ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م، الطبعة:الأولى، تحقيق : د.أحمد محمد مفلح القضا
٥٣-التحدث بنعمة الله، لجلال الدين السيوطي، تحقيق اليزابث ماري سارتين، المطبعة العربية الحديثة
٥٤-التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ
٥٥-التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، المؤلف : عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الطبعة : الثانية والعشرون ،الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - وكالة المطبوعات والبحث العلمي، تاريخ النشر : ١٤٢٥هـ
٥٦-تذكرة الحفاظ، تأليف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م
٥٧-تذكرة الموضوعات، المؤلف: محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٤٣ هـ
٥٨-تفسير ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (المتوفى : ٣٢٧هـ)، دار النشر : المكتبة العصرية – صيدا، تحقيق : أسعد محمد الطيب
٥٩-تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النحوي

الأندلسي (المتوفى : ٧٤٥هـ)،دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض

٦٠-تفسير البيضاوى، ناصرالدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، دار النشر : دار الفكر – بيروت

٦١-تفسير الجلالين، لجلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، دار ابن كثير، قدم له عبدالقادر الأرناؤوط

٦٢-تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن ، المعروف بالخازن (المتوفى : ٧٤١هـ)، دار النشر : دار الفكر - بيروت / لبنان -١٣٩٩ هـ /١٩٧٩

٦٣-تفسير السراج المنير، المؤلف : محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار النشر / دار الكتب العلمية . بيروت

٦٤-تفسير السلمي وهو حقائق التفسير، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي، ت٤١٢هـ، تحقيق : سيد عمران، الناشر : دار الكتب العلمية، سنة النشر : ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، مكان النشر : لبنان/ بيروت

٦٥-تفسير الطبري ، تحقيق اسلام منصور عبدالحميد، دار الحديث – القاهرة٢٠١٠م – ١٤٣١هـ

٦٦-تفسير الفخر الرازى، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله، دار النشر / دار إحياء التراث العربى

٦٧-تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،سنة النشر: ١٩٩٠ م

٦٨-تفسير القرآن العزيز، المؤلف : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين (المتوفى : ٣٩٩هـ)، دار النشر: الفاروق الحديثة.، مكان

النشر: مصر/ القاهرة، سنة النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، رقم الطبعة: الأولى.، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة و محمد بن مصطفى الكنز

٦٩-تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ]، المحقق : سامي بن محمد سلامة، الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

٧٠-تفسير القرآن، المؤلف : أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، سنة الوفاة ٤٨٩هـ، تحقيق : ياسر بن إبراهيم و غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر : دار الوطن – الرياض، سنة النشر: ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م، مكان النشر : السعودية

٧١-تفسير القرآن، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى : ٢١١هـ)، تحقيق د. مصطفى مسلم محمد الناشر مكتبة الرشد سنة النشر ١٤١٠،مكان النشر الرياض

٧٢-تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٧٣-تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٧٤-تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : أحمد فريد

٧٥-تقريب التهذيب، المؤلف : ابن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، المحقق : أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، الناشر : دار العاصمة. . عدد الأجزاء : ١

٧٦-التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد الحسن

الصغاني،تحقيق:عبد العليم الطحاوي و إبراهيم الأبياري و محمد أبو الفضل، طبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٧٠

٧٧-التنكيل، لعبدالرحمن المعلمي، تحقيق الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الرابعة ١٤٣١هـ – ٢٠١٠هـ.

٧٨-تهذيب الأسماء واللغات، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

٧٩-تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ

٨٠-تهذيب الكمال مع حواشيه، المؤلف : يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي [٦٥٤ - ٧٤٢]، المحقق : د. بشار عواد معروف، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠ – ١٩٨٠

٨١-توضيح المسألة وتحقيق الحق في الجهر بالبسملة لابن طاهر المقدسي مكتبة الصحابة، جدة، تحقيق عبدالله مرشد

٨٢-توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى : ٧٤٩هـ)، شرح وتحقيق : عبدالرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر، الناشر : دار الفكر العربي، الطبعة : الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م

٨٣-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف : عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى : ١٣٧٦هـ)، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٨٤-التيسير فى القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى : ٤٤٤هـ)، دار النشر / دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م،

الطبعة: الثانية
٨٥-الثقات، المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى : ٣٥٤هـ)، الناشر : دار الفكر، الطبعة الأولى ، ١٣٩٥ – ١٩٧٥، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد
٨٦-جامع الأصول في أحاديث، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير ت٦٠٦هـ، تحقيق عبدالقادر الأرنؤوط، مكتبة الحلوان، ط الأولى
٨٧-جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى : ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٨٨-الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)،دار إحياء التراث العربي – بيروت، أحمد محمد شاكر وآخرون
٨٩-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ
٩٠-الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
٩١-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر الناشر : مكتبة المعارف - الرياض ، ١٤٠٣، تحقيق : د. محمود الطحان
٩٢-جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، المؤلف : نعمان بن محمود بن عبد الله، أبو البركات خير الدين، الآلوسي (المتوفى : ١٣١٧هـ)، قدم له: علي السيد صبح المدني -رحمه الله -،

الناشر : مطبعة المدني، عام النشر : ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م
٩٣-الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي،دار ابن حزم - لبنان/ بيروت - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة: الثانية، تحقيق : د. علي حسين البواب
٩٤-جمهرة أنساب العرب، المؤلف : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، الطبعة : الثالثة
٩٥-الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (المتوفى: ٧٤٩هـ)، المحقق: د فخر الدين قباوة -الأستاذ محمد نديم فاضل، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م
٩٦-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، تحقيق وتعليق: د. علي بن حسن بن ناصر - د. عبدالعزيز بن ابراهيم العسكر - د. حمدان بن محمد الحمدان، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م
٩٧-حاشية الشيخ زاده، ضبطه محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٩- ١٤١٩هـ
٩٨-حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ،الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ -١٩٩٧م
٩٩-حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار فقه أبو حنيفة، المؤلف : ابن عابد محمد علاء الدين أفندى، الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر.، سنة النشر : ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مكان النشر : بيروت.
١٠٠- حاشيتان. قليوبي: على شرح جلال الدين المحلي على منهاج الطالبين، شهاب الدين أحمد بن أحمد بن سلامة القليوبي، سنة الوفاة ١٠٦٩، تحقيق مكتب البحوث

والدراسات، الناشر دار الفكر، سنة النشر ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مكان النشر لبنان / بيروت

١٠١- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى : ٩١١هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه — مصر، الطبعة : الأولى ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

١٠٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت ١٠٩٣هـ، تحقيق محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٩٩٨م

١٠٣- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق

١٠٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبو بكر، جلال الدين السيوطي(المتوفى : ٩١١هـ)، دار هجر — مصر،تحقيق: عبد المحسن التركي، سنة النشر : ١٤٢٠هـ ٢٠٠٣م

١٠٥- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، سنة الوفاة ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، الناشر مجلس دائرة المعارف العثمانية، سنة النشر ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، مكان النشر صيدر اباد/ الهند.

١٠٦- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ

١٠٧- دلائل الإعجاز في علم المعاني، المؤلف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

١٠٨- ديوان ابي داود الإيادي، جمعه وحققه أنوار محمود الصالحي والدكتور أحمد هاشم السامرائي، دار العصماء، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م ١٤٣١هـ

١٠٩- ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، دار المعارف بمصر م٢٠٠٥

١١٠- ديوان الصاحب بن عباد، شرحه وضبطه إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعاتلبنان بيروت، ط ١، ٢٠٠١/١٤٢٢

١١١- ديوان الهذليين، المؤلف: الشعراء الهذليون، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي الناشر: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة - جمهورية مصر العربية، عام النشر: ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م، (نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب في السّنوات ١٩٦٤، ١٩٦٧، ١٣٦٩ هـ)

١١٢- ديوان امرِئ القيس، المؤلف: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، الناشر: دار المعرفة — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

١١٣- ديوان أوس بن حجر، المؤلف: أوس بن حجر، المحقق: محمد يوسف نجم، الناشر: دار بيروت ، سنة النشر: ١٤٠٠ - ١٩٨٠

١١٤- ديوان ذي الرمة شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، المؤلف: أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (المتوفى: ٢٣١ هـ)، المحقق: عبد القدوس أبو صالح، الناشر: مؤسسة الإيمان جدة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٢ م - ١٤٠٢ هـ

١١٥- ديوان سلامة بن جندل ،محمد بن الحسن الأحول، المحقق: فخر الدين قباوة، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ،١٤٠٧ - ١٩٨٧ ، رقم الطبعة: ٢

١١٦- ديوان عمرو بن أحمر الباهلي، جمع وتحقيق حسين عطوان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق

١١٧- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، المؤلف: لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار

المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م
١١٨- الرأي الصحيح في من هو الذبيح ، عبدالحميد الفراهي، دار القلم دمشق، اعتنى بها محمد أجمل أيوب الإصلاحي ١٤١٨هـ.
١١٩- الرسالة الكبرى في البسملة لمحمد علي الصبان، دار الكتاب العرب١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م، تحقيق:فواز أحمد زمرلي / حبيب يحى المير
١٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى : ١٢٧٠هـ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت
١٢١- روضة الناظر وجنة المناظر، المؤلف : عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود — الرياض، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩، تحقيق : د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد
١٢٢- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (المتوفى : ٥٩٧هـ)، الناشر : المكتب الإسلامي — بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤
١٢٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م
١٢٤- سنة الوفاة ٩١١هـ، تحقيق عبد الحميد هنداوي، الناشر المكتبة التوفيقية،مكان النشر مصر
١٢٥- سنن ابن ماجه ت الأرنؤوط، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٢٦- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م
١٢٧- سنن الترمذي بأحكام الألباني باعتناء مشهور سلمان مكتبة المعارف الطبعة الأولى

١٢٨-السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ)،الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة : الطبعة : الأولى ـ ١٣٤٤ هـ

١٢٩-السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م

١٣٠- سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وآخرون، الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م، مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة

١٣١-السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م

١٣٢- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف : عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، سنة الولادة ١٠٣٢هـ/ سنة الوفاة ١٠٨٩هـ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، الناشر : دار بن كثير، سنة النشر : ١٤٠٦هـ، مكان النشر : دمشق

١٣٣- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، المؤلف : ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ)، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، الطبعة : العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

١٣٤- شرح الأصول الخمسة، المؤلف عبدالجبار بن أحمد، تعليق الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له عبدالكريم عثمان، الناشر مكبة وهبة، الطبعة الثالثة، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، المطبعة الأزهرية، الطبعة الأولى سنة ١٣٤٥ – ١٩٢٦

١٣٥- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، المؤلف: محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري ،تحقيق: طه عبد الرءوف سعد ،الناشر: مكتبة الثقافة الدينية — القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

١٣٦- شرح السنة . للإمام البغوى، المؤلف : الحسين بن مسعود البغوي، دار النشر : المكتب الإسلامي - دمشق . بيروت . ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣معدد الأجزاء / ١٥، الطبعة : الثانية، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش

١٣٧- شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ

١٣٨- شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني، سنة الوفاة ٧٩١هـ، الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، مكان النشر باكستان

١٣٩- شرح ديوان الحماسة، المؤلف: أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١ هـ)، المحقق: غريد الشيخ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

١٤٠- شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي ٦٨٦ هـ، الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت

١٤١- شَرْحُ صَحِيح مُسْلِمِ لِلقَاضِى عِيَاض المسَمَّى إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

١٤٢- شرح قطر الندى وبل الصدى، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري — القاهرة، الطبعة الحادية عشرة ، ١٣٨٣، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

١٤٣- شرح مختصر الروضة، المؤلف : سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى : ٧١٦هـ)، المحقق : عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م

١٤٤- شرح معاني الآثار، المؤلف : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى : ٣٢١هـ)، حققه وقدم له :(محمد زهري النجار - محمد سيد جاد الحق) من علماء الأزهر الشريف، راجعه ورقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : د يوسف عبد الرحمن المرعشلي - الباحث بمركز خدمة السنة بالمدينة النبوية، الناشر : عالم الكتب، الطبعة : الأولى - ١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م

١٤٥- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه: عبد العلي عبد الحميد حامدو مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م

١٤٦- الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الحديث، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ

١٤٧- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (المتوفى: ٨٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

١٤٨- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، المؤلف : طاشكبري زادة . سنة الوفاة ٩٦٨هـ، الناشر : دار الكتاب العربي، سنة النشر : ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، مكان النشر: بيروت

١٤٩- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: ٥٧٣هـ)، المحقق: د حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - د يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

١٥٠- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)،المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣

١٥١- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري،تحقيق محمد ناصر الدين الألباني،دار الدليل الأثرية، ط ٤، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

١٥٢- صحيح مسلم مع شرحه إكمال إكمال المعلم للأبي وشرحه مكمل إكمال الإكمال للسنوسي، المؤلف: الأبي / السنوسي، الناشر: مطبعة السعادة - مصر ، سنة النشر: ١٣٢٨ الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

١٥٣- طبقات الحنابلة، المؤلف : أبو الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد (المتوفى : ٥٢٦هـ)، المحقق : محمد حامد الفقي، الناشر : دار المعرفة – بيروت

١٥٤- طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف : تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى : ٧٧١هـ)، دار النشر : هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي د.عبد الفتاح محمد الحلو

١٥٥- الطبقات الكبرى، المؤلف : محمد بن سعد أبو عبد الله البصري ٢٣٠ هـ، المحقق : إحسان عباس، الناشر : دار صادر – بيروت، الطبعة : ١ - ١٩٦٨ م

١٥٦- العبر في خبر من غبر، المؤلف : أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، المحقق : أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت

١٥٧- العجاب في بيان الأسباب، المؤلف : شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي، الناشر : دار إبن الجوزي - الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧، تحقيق : عبدالحكيم محمد الأنيس

١٥٨- عُقودُ الزَّبَرْجَدِ على مُسْند الإمَام أَحْمد، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حَقّقه وَقَدم لَه: د. سَلمان القضَاة، الناشر: دَار الجيل، بَيروت – لبنان، عام النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

١٥٩- علل الترمذي الكبير، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك،

الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، رتبه على كتب الجامع: أبو طالب القاضي، المحقق: صبحي السامرائي ، أبو المعاطي النوري ، محمود خليل الصعيدي، الناشر: عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩

١٦٠-علم المناسبات في السور والآيات، د.محمد عمر سالم بازمول، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ، المكتبة المكية

١٦١-عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله بن بشر، حققه عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

١٦٢-عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـ

١٦٣-عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية —بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ

١٦٤-غاية الوصول في شرح لب الأصول، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ)، الناشر: دار الكتب العربية الكبرى، مصر (أصحابها: مصطفى البابي الحلبي وأخويه)

١٦٥-غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، تحقيق : الشيخ زكريا عميران، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، الطبعة : الأولى

١٦٦-الغيث الهامع شرح جمع الجوامع، المؤلف: ولي الدين أبي زرعة أحمد بن عبد الرحيم العراقي (ت: ٨٢٦هـ)، المحقق: محمد تامر حجازي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

١٦٧-فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم آل الشيخ،المؤلف : سَماحة الشيخ محمَّد بن إبراهيم ابن عَبداللطِيف آل الشيخ، مفتي المملكة ورَئيس القضاة والشؤون الإسلامية . طيَّبَ اللهُ

ثراه، جَمع وترتيب وتحقيق : محمد بن عبدالرحمن بن قاسم . وفقه الله، الطبعة : الأولى ١٣٩٩ هـ، الناشر : مطبعة الحكومة بمكة المكرمة

١٦٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب وعليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز

١٦٩- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر : دار الفكر — بيروت

١٧٠- الفصل في الملل والأهواء والنحل المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي — القاهرة

١٧١- فوات الوفيات، المؤلف : محمد بن شاكر الكتبي ،المحقق : إحسان عباس، الناشر : دار صادر — بيروت، الطبعة : ١، الجزء : ١ — ١٩٧٣، الجزء : ٢ — ١٩٧٤، الجزء : ٣ — ١٩٧٤، الجزء : ٤ — ١٩٧٤،

١٧٢- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة للغزالي، حققه وعلق عليه محمود بيجو، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م

١٧٣- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

١٧٤- قواعد التفسير، خالد بن عثمان السبت، دار بن عفان، الطبعة ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

١٧٥- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة : الثالثة، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م

١٧٦- القواعد والفوائد الأصولية وما يتبعها من الاحكام الفرعية، المؤلف : ابن اللحام ، علاء الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣هـ) المحقق: عبد الكريم الفضيلي، الناشر : المكتبة العصرية، الطبعة: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

١٧٧-قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف : محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٥ م، الطبعة : الثانية، تحقيق : د. عاصم إبراهيم الكيالي

١٧٨-القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد، أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل، الناشر : مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤٠١، تحقيق : مكتبة ابن تيمية

١٧٩-الكامل في اللغة والأدب، المؤلف : محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى : ٢٨٥هـ)، المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر : دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة : الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

١٨٠- كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: ٣٧٠هـ)، الناشر: مطبعة دار الكتب المصرية (١٣٦٠هـ -١٩٤١م

١٨١- كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، الناشر : دار المعارف - القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٠م، تحقيق : د. شوقي ضيف

١٨٢- كتاب المصاحف، المؤلف: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (المتوفى: ٣١٦هـ)، المحقق: محمد بن عبده، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر / القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

١٨٣- كتاب تفسير القرآن، المؤلف: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى : ٣١٩هـ)، قدم له الأستاذ الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه الدكتور : سعد بن محمد السعد، دار النشر : دار المآثر - المدينة النبوية ،الطبعة : الأولى ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م.

١٨٤-كتاب جمهرة الأمثال، أبي هلال العسكري، الناشر : دار الفكر - دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٨٨م، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم و عبد المجيد قطامش

١٨٥-الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: ١٨٠هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

١٨٦-الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت

١٨٧-لباب النقول في أسباب النزول، المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي أبو الفضل، الناشر : دار إحياء العلوم — بيروت

١٨٨-اللباب في علوم الكتاب، المؤلف : أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى : ٧٧٥هـ)، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة : الأولى، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض

١٨٩-لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر — بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

١٩٠-مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري (المتوفى: ٢٠٩هـ)، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى - القاهرة، الطبعة: ١٣٨١ هـ

١٩١-المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية — حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦

١٩٢-مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، الناشر : دار المعرفة — بيروت، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد

١٩٣-المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر

١٩٤-محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى:

١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ

١٩٥-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى : ٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م

١٩٦-المحصول في علم الأصول، المؤلف : محمد بن عمر بن الحسين الرازي، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠، تحقيق : طه جابر فياض العلواني

١٩٧-المحلى، المؤلف : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى : ٤٥٦هـ)، ط: أحمد شاكر

١٩٨-مختار الصحاح، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق : محمود خاطر، الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥

١٩٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، تحقيق : محمد حامد الفقي

٢٠٠- مذكرة في أصول الفقه، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، ٢٠٠١ م

٢٠١-المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا

٢٠٢-المستصفى في علم الأصول، المؤلف : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى : ٥٠٥هـ)، المحقق : محمد بن سليمان الأشقر ،الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة : الأولى، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢٠٣- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ،١٩٨٦، تحقيق: د.مفيد محمد قميحة
٢٠٤- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧
٢٠٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى : ٢٤١هـ)، المحقق : شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون، إشراف : د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة : الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م
٢٠٦- مسند البزار (المطبوع باسم البحر الزخار)، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى : ٢٩٢هـ)، المحقق : محفوظ الرحمن زين الله ، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧) وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر : مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة : الأولى ، (بدأت ١٩٨٨م ، وانتهت ٢٠٠٩م)
٢٠٧- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، الناشر: دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م
٢٠٨- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)،محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٠٩- المسودة في أصول الفقه، المؤلف : آل تيمية [بدأ بتصنيفها الجدّ : مجد الدين عبد السلام بن تيمية (ت : ٦٥٢هـ) ، وأضاف إليها الأب، : عبد الحليم بن تيمية (ت: ٦٨٢هـ) ، ثم أكملها الابن الحفيد : أحمد بن تيمية (٧٢٨هـ)]، المحقق : محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : دار الكتاب العربي

٢١٠- مُصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (١٥٩ . ٢٣٥ هـ)، تحقيق : محمد عوامة، طبعة دار القبلة.

٢١١- مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى : ٢١١هـ)، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣،تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي.

٢١٢- المصنوع في معرفة الحديث الموضوع، المؤلف : القاري، على بن سلطان الهروي، المحقق : عبد الفتاح أبو غدة، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية.

٢١٣- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، دار العاصمة ، دار الغيث – السعودية، الطبعة : الأولى ، ١٤١٩هـ.

٢١٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى : ٥١٠هـ)،المحقق : حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية -سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٢١٥- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٢١٦- معاني القرآن، المؤلف : أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق : أحمد يوسف نجاتى / محمد علي نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى، القرن : الثاني، الناشر : دار المصرية للتأليف والترجمة، مكان الطبع : مصر.

٢١٧- معجم أعلام المورد، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٩٢م.

٢١٨- المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم

الطبراني (المتوفى : ٣٦٠هـ)، الناشر : دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥، تحقيق : طارق ابن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني.

٢١٩- معجم البلدان، المؤلف : ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، الناشر : دار الفكر – بيروت.

٢٢٠- المعجم الكبير، المؤلف : سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى : ٣٦٠هـ)، الناشر : مكتبة العلوم والحكم – الموصل، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ – ١٩٨٣، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي.

٢٢١- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

٢٢٢- معجم المطبوعات العربية والمعربة، المؤلف: يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: ١٣٥١هـ)، الناشر: مطبعة سركيس بمصر ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م.

٢٢٣- معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، المؤلف : عمر رضا كحالة، دار النشر : مؤسسة الرسالة.

٢٢٤- المعجم الوسيط، المؤلف / إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

٢٢٥- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المحقق : عبد السلام محمد هارون، الناشر : دار الفكر، الطبعة : ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٢٦- معرفة السنن والآثار، المؤلف : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى : ٤٥٨هـ)، شهرته : البيهقي، المحقق : عبد المعطي أمين قلعجي، دار النشر :جامعة الدراسات الإسلامية + دار والوعي + دار قتيبة، البلد: كراتشي بباكستان + حلب + دمشق، الطبعة : الأولى ،سنة الطبع : ١٤١٢هـ ، ١٩٩١م.

٢٢٧- المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد

الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.

٢٢٨- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، الناشر : دار الفكر – بيروت، الطبعة السادسة ، ١٩٨٥، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمدالله.

٢٢٩- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، الناشر : دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥

٢٣٠- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (المتوفى: ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٢٣١- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

٢٣٢- المفردات في غريب القرآن، المؤلف : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، الناشر : دار العلم الدار الشامية، مكان الطبع : دمشق . بيروت، سنة الطبع : ١٤١٢ هـ، تحقيق : صفوان عدنان داودى.

٢٣٣- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم ، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، المحقق: محي الدين ديب مستو – أحمد محمد السيد – يوسف علي بديوي – محمود إبراهيم بزال، الناشر : دار ابن كثير – دار الكلم الطيب الطبعة : الأولى ١٩٩٦ – ١٤١٧.

٢٣٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (المتوفى: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م.

٢٣٥- مقام إبراهيم عليه السلام، للعلامة المعلمي، تحقيق علي حسن عبدالحميد، دار الراية،ط١، ١٤١٧هـ.

٢٣٦- المنتخب من غريب كلام العرب، المؤلف: علي بن الحسن الهُنائي الأزدي، أبو الحسن الملقب بـ «كراع النمل» (المتوفى: بعد ٣٠٩هـ)، المحقق: د محمد بن أحمد العمري، الناشر: جامعة أم القرى (معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٢٣٧- منهاج السنة النبوية، المؤلف : تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى : ٧٢٨هـ)، المحقق : د. محمد رشاد سالم، الناشر : مؤسسة قرطبة ، الطبعة لأولى.

٢٣٨- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى : ٦٧٦هـ)، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ.

٢٣٩- المواقف المؤلف : عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، الناشر : دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧، تحقيق : د.عبد الرحمن عميرة.

٢٤٠- مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي ، المعروف بالحطاب الرُّعيني (المتوفى : ٩٥٤هـ)، المحقق : زكريا عميرات، الناشر : دار عالم الكتب، الطبعة : طبعة خاصة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٢٤١- موجز البلاغة، للطاهر بن عاشور، المطبعة التونسية نهج سوق البلاط، الطبعة الأولى.

٢٤٢- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

٢٤٣- الناسخ والمنسوخ، المؤلف : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، الناشر : مكتبة الفلاح – الكويت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨، تحقيق : د. محمد عبد السلام محمد.

٢٤٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن

عمر البقاعي، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.

٢٤٥- النكت على كتاب ابن الصلاح، المؤلف : أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، المحقق : ربيع بن هادي عمير المدخلي الناشر : عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة : الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٢٤٦- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس بن أحمد القلقشندي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠

٢٤٧- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، المؤلف : شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة ابن شهاب الدين الرملي الشهير بالشافعي الصغير، سنة الوفاة ١٠٠٤هـ، الناشر دار الفكر للطباعة، سنة النشر ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مكان النشر بيروت.

٢٤٨- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ت٦٠٦هـ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٢٤٩- النونية، المؤلف : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى : ٧٥١هـ)، الناشر : مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة : الثانية، ١٤١٧هـ.

٢٥٠- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، المؤلف: أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكتي السوداني، أبو العباس (المتوفى: ١٠٣٦ هـ)، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، الناشر: دار الكاتب، طرابلس — ليبيا، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٠ م.

٢٥١- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، المؤلف : محمد بن علي بن محمد الشوكاني، الناشر : إدارة الطباعة المنيرية.

٢٥٢- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة التوفيقية — مصر.

٢٥٣-الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

٢٥٤-الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

فهرس الموضوعات:

المقدّمة ٤
الأهمية العلمية للموضوع: ٦
أسباب اختيار الموضوع: ٧
الدراسات السابقة: ٧
تقسيم المشروع: ٨
منهج البحث: ١٠
الفصل الأوّل: **ترجمة موجزة للعلامة المعلمي** ١٢
المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته، ولقبه: ١٣
اسمه ونسبه: ١٣
كنيته: ١٣
لقبه: ١٣
المبحث الثاني: ولادته، ونشأته، ووفاته: ١٤
ولادته: ١٤
نشأته: ١٤
وفاته: ١٤
المبحث الثالث: طلبه للعلم: ١٥
صفاته في طلب العلم: ١٥
المبحث الرابع: شيوخه وتلاميذه: ١٦
شيوخه: ١٦
تلاميذه: ١٦
المبحث الخامس: مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه: ١٧
مكانته العلمية: ١٧
ثناء العلماء عليه: ١٧

المبحث السادس: معتقده ومذهبه الفقهي: ٢٠
معتقده: ٢٠
مذهبه الفقهي: ٢٠
المبحث السابع: مؤلفاته: ٢٢
مؤلفاته في العقيدة: ٢٢
مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن: ٢٣
مؤلفاته في الحديث وعلومه: ٢٤
مؤلفاته في الفقه: ٢٥
مؤلفاته في أصول الفقه: ٢٦
مؤلفاته في النحو واللغة: ٢٧
قسم المتفرقات: ٢٧
الفصل الثاني: منهج العلامة المعلمي في تفسيره ٢٩
المبحث الأول: تفسيره القرآن بالقرآن: ٣٠
المبحث الثاني: تفسيره القرآن بالسنة: ٣١
المبحث الثالث: تفسيره القرآن بأقوال الصحابة والتابعين: ٣٣
المبحث الرابع: تفسيره القرآن باللغة العربية: ٣٦
المبحث الخامس: تفسيره لآيات الأحكام: ٣٨
المبحث السادس: منهجه في عرض بعض علوم القرآن المتعلقة بالتفسير: ٤٢
١) فضائل السور: ٤٢
٢) مقاصد السور: ٤٢
٣) المناسبات بين السور: ٤٣
٤) مناسبات الآيات: ٤٣
٥) أسباب النزول: ٤٤
٦) اللطائف القرآنية: ٤٥

٧) القراءات: ٤٦
٨) التضمين في القرآن: ٤٦
٩) المكي والمدني: ٤٧
المبحث السابع: منهجه في عرض الأقوال التفسيرية: ٤٨
المبحث الثامن: منهجه في الترجيح بين الأقوال التفسيرية:........................ ٥١
المبحث التاسع: منهجه في النقل من المصادر التفسيرية: ٥٦
المبحث العاشر: منهجه في الرد على المخالف في التفسير: ٥٨
المبحث الحادي عشر: منهجه في التعامل مع الروايات والآثار المنقولة في التفسير: . ٦٢
الفصل الثالث: مصادر العلامة المعلمي في التفسير ٦٨
المبحث الأول: مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن. ٦٩
المبحث الثاني: مصادره من كتب السنة: ٧١
المبحث الثالث: مصادره من كتب العقيدة: ٧٢
المبحث الرابع: مصادره من كتب الفقه وأصوله:........................ ٧٣
المبحث الخامس: مصادره من كتب اللغة والنحو: ٧٣
المبحث السادس: مصادره من كتب السيرة: ٧٥
المبحث السابع: مصادره من فنون أخرى: ٧٥
القسم الثاني: تفسير العلامة المعلمي رحمه الله ٧٦
سورة الفاتحة........................ ٧٧
الفصل الأول........................ ٨٣
الفصل الثاني........................ ٨٦
الفصل الثالث: "اسم"........................ ٨٨
الفصل الرابع: لفظ "الله" ١١٣
الفصل الخامس :معنى "باسم الله" ١١٣
الفصل السادس ١١٨

الفصل السابع ١٢٠

مهمة: ١٢٢

الفصل الثامن ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾ ١٢٣

فصول ملحقة فصل [تعجرُف المشركين في اسم "الرحمن"] ١٢٤

فصل [اختصاص "الرحمن" بالله تبارك وتعالى] ١٣٢

الرحمة ١٣٢

مسألة ١٣٤

سورة البقرة ١٨٥

تنبيه: ٢٨٥

فصل ٣٤٣

فصل ٤٣١

فصل ٤٣٨

سورة آل عمران ٤٤٣

الخاتمة ٤٨٨

الفهارس العامة: ٤٨٩

فهرس الآيات القرآنية........................ ٤٩٠

فهرس الآيات المفسرة........................ ٥٢٤

فهرس الأحاديث النبوية........................ ٥٣٧

فهرس الآثار........................ ٥٤٣

فهرس الأعلام المترجم لهم........................ ٥٤٦

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة........................ ٥٥٥

فهرس الأبيات الشّعرية........................ ٥٥٦

فهرس الفرق ٥٥٧

فهرس المراجع والمصادر........................ ٥٥٨

فهرس الموضوعات:........................ ٥٨٩

تم بحمد الله